اكمال الشيخ شمس الدين البابلي

٧٦٥

مصطفى
السلامي

تعلق كرد

الجزء الثالث

صاحبه العبد الفقير والعاجز الحقير
درويش جمال الدين محمود حلوتی
الشهير بحلواجی بابی زاده
نال مراده

هذا
الامر كما زبر في الكتاب والحال على ما ذكر فيه بلا ارتياب
وانا المفتقر الى الله القادر محمد ابن عبد القادر
المرحوم

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

تفسير سورة النور مدنية وهي ستون وقيل اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سورة انزلناها وفرضناها اي اوجبنا
ما فيها من الاحكام والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم
الى قيام الساعة وانزلنا فيها آيات بينات اي واضحات لعلكم تذكرون اي تتعظون قوله تعالى الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الزنا هو من الكبائر موجب للحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم
شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد
ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا اي فاضربوا يقال جلده اذا ضرب جلده وقد وردت السنة بجلد
مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة التغريب الى راي الامام وقال مالك يجلد الرجل ويغرب
وتجلد المرأة ولا تغرب وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم ولا تأخذكم بهما رأفة اي رحمة ورقة فتعطلوا الحدود
ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرأفة ان تخففوا
الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وقال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف
في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب في دين الله
اي في حكم الله روي ان عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
معناه ان المؤمن لا تأخذه الرأفة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه
ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود وليشهد عذابهما اي حدهما اذا اقيم عليهما طائفة اي نفر
من المؤمنين قيل اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلثة وقيل اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اختلف العلماء في معنى الآية
وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا هن اخصب اهل المدينة
فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت
هذه الآية فحرم على المؤمنين ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة
والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن
ام مهزول جارية السائب بن ابي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس
من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له
ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية وروي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له
مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت
صديقة له في الجاهلية فدعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى اسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يرد شيئا فنزلت الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها ~~الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها~~ الا زان
او مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي والنسائي وابو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى
قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق اولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني

لا يزني الا بزانية والزانية لا تزني الا بزان او مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس
قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود
يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية
منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في
هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتي
لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا
الحديث ابو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه احد الرواة الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال
وهذا الحديث ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام
وقيل في معنى الآية ان الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة
مثله او مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها
او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اي حرم الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفائف
فهذا محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية قوله تعالى والذين يرمون اي
يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف ثم لم يأتوا باربعة شهداء اي يشهدون على الزنا
فاجلدوهم ثمانين جلدة بيان حكم الآية وذلك ان من قذف محصنا او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية
او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حرا وان كان عبدا يجلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن
فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو
زنا في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه
بالزنا او اقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه
لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات مثل ان يقول يا فاسق يا فاجر او يا خبيث او يا مواجر او
قال لامرأته لا تردين يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا ان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما
انا فما زنيت او ليست امي بزانية فليس بقذف عند الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد
وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب كبيرة الا الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور رحيم اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء
فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف فاذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته
بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه او قبله لقوله تعالى الا الذين تابوا وقالوا
هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق فاذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق
يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب
وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم
الى ان شهادة المحدود في القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون
وهذا قول النخعي وشريح واصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل ان
يحد شر منه حين يحد لان الحدود كفارات فكيف تردونها في احسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه وذهب الشعبي
الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا ان يعفو

عنه المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة
فما معنى قوله ابدا قلت معناه ابدا مستمرا على القذف لان ابد كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال لا تقبل
شهادة الكافر ابدا يراد بذلك ما دام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء اي يشهدون على صحة ما قالوا الا انفسهم اي غير انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين سبب نزول هذه الاية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان
عويمر العجلاني جاء الى عاصم بن عدي فقال له يا عاصم ارايت لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه
ام كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله
جاء عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تاتني بخير قد كره رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسالة التي سالت عنها قال عويمر والله لا انتهي حتى اسال عنها فاتى عويمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف
يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها قال سهل فتلاعنا
وانا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله
ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك
سنة المتلاعنين اخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا فان جاءت به
اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين فلا احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به احيمر
كانه وحرة فلا احسب عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه قوله اسحم اي اسود والادعج الشديد سواد العين مع
سعتها وقوله خدلج الساقين اي ممتلئ الساقين غليظهما وقوله كانه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة
كالعظاءة تلصق بالارض واراد بها في الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف
امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله
اذا راى احدنا على امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك
فقال هلال بن امية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل
عليه السلام وانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرا حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم
فارسل اليها فجاء هلال بن امية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان احدكما كاذب فهل
منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكات
ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها
فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شان وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال
لما نزلت والذين يرمون المحصنات الاية قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن
لي ان اهيجه حتى اتي باربعة شهداء فوالله ما كنت لاتي باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت
ما رايت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما
يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة له فاجترا رجل منا ان يتزوجها

فتلاعنا

قال

قال سعد يا رسول الله بابي انت وامي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما اخبر الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم فان الله يابى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له
هلال بن امية من حديقة له فراى رجلا مع امراته يزني بها فامسك حتى اصبح فلما اصبح غدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جئت اهلي عشاء فوجدت مع امراتي رجلا رايت
بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال
هلال والله يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك مما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا واني
لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال
سعد ايجلد هلال وتبطل شهادته فانهم لكذلك اذ نزل عليه الوحي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه
اذ نزل عليه الوحي فامسك اصحابه عن كلامه حين عرفوا ان الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون
ازواجهم الى اخر الايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد
كنت ارجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب
فقال هلال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما
فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا
هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من عذاب
الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني
الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة ان لعنة الله عليه
ان كان من الكاذبين ثم قال للمراة اشهدي فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال
لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله اشد من عذاب
الناس فتلكات ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان
غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها
ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه
فجاءت به غلاما كانه جمل اورق على الشبه المكروه وكان اميرا بمصر لا يدرى من ابوه وروي عن ابن عباس
ان عويمرا لما لاعن زوجته خولة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر
ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد
بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من
غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن
الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم
امره بالقعود وقال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم
قالت في الثانية اشهد بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد
بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة يعني نفسها ان كان
من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرها راي
ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحماء وان جاءت به

اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق لشريك بيان حكم
الاية وذلك ان الرجل اذا قذف امراة فزوجته وقذف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير ان كانت
غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا او اجنبية يقام عليه الحد الا ان يأتي باربعة يشهدون
بالزنا او يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفي الزوجة اذا وجد هذين او لا يسقط عنه الحد فاللعان في قذف
الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله
اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة
على زناها او اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه
واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين
فيما رميت به فلانة بالزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد او
حمل يريد نفيه يقول وان هذا او هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت
من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا يحسب فاذا
فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التابيد وانتفى عنه النسب
وسقط عنه الحد ووجب على المراة حد الزنا فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج قوله عز وجل
ويدرأ اي يدفع عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية ان الزوج اذا لاعن وجب على المراة
حد الزنا فان ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين
فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام
الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند اصحاب الراي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه
اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المراة عن اللعان حبست حتى
تلاعن وعند الآخرين حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف
الاجنبي اذا قعد عن اقامة البينة وعند ابي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهي
لا تحصل الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه
قال الشافعي تلك الفرقة متابدة حتى لو اكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه
الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تابيد التحريم وعند ابي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب
نفسه جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر
كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا
وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي واكثر
اهل العلم وقال الزهري والاوزاعي واصحاب الراي لا يجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين
فان كان احد الزوجين رقيقا او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القران حجة
لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد
والمحدود وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشياء بتعدد الالفاظ
وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال

بشيء منها واما المكان فهو ان يلاعن في اشرف الاماكن فان كان بمكة فبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر واما الزمان فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله
اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لعاجلكم ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان وان الله تواب
اي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم اي فيما فرض من الحدود قوله عز وجل ان الذين جاؤوا بالافك
عصبة منكم الآيات سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب
وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصا
وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل في هودجي وانزل فيه فسرنا حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت
حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع اظفار
قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا
هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا
لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه
وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش
فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون
الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس
من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني
قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت
منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى
اتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شاني
وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون
في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف
الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه
ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل
وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التبرز قبل الغائط وكنا
نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب
بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب
حين فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا
فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما

رجعت الى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان آتي ابوي قالت وانا
اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه ما ذا
يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها
ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة
حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرقا لي دمع
ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي فدعا علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما
في فراق اهله قالت فاما اسامة فاشار عليه بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود
فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله
عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت
فيها شيئا يريبك قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رايت منها امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية
حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن فتاكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرني
من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه
الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله
انا والله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا
فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا
صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام
اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك
منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا
يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي
وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي
اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشيء قالت
فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت
بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه
ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة فقلت
لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
لامي اجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القرآن فقلت اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به
الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة لا تصدقوني بذلك
ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم

اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر
من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله
بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما
كان ياخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل القول الذي
انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال
لي يا عائشة احمدي الله وفي رواية قال ابشري يا عائشة اما الله فقد براك فقالت لي امي قومي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي فانزل الله عز وجل
ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم العشر الايات فلما انزل الله هذا في براءتي قال ابو بكر الصديق وكان
ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد ما قال لعائشة
فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر الصديق بلى والله
اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت
عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب بنت جحش عن امري فقال يا زينب ما
علمت ما رايت فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة
وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة
تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء
قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عائشة والله ان الرجل
الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قط قالت ثم قتل
بعد في سبيل الله هذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن
عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي وقال عروة اخبرت انه كان يشاع ويتحدث
به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لي من اهل الافك ايضا
الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال
الله تعالى قال عروة وكانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال فان
ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء واخرجا من حديث مسروق قال دخلت على عائشة
وعندها حسان ينشدها شعرا يشبب من ابيات فقال حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فقالت له عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت
لها اتاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت
واي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح او يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرح
غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طائفة اي قطعة من حديثها قوله
وكان اوعى اي احفظ له قولها اذن اي اعلم بالرحيل قولها فقدت عقدي من جزع ظفار
هو نوع من الخرز وهو الجزع اليماني المعروف قولها لم يهبلن اي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن
قولها انما ياكلن العلقة من الطعام هو بضم العين اي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك
الرمق قولها ليس بها منهم داع ولا مجيب اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قولها
فتيممت اي قصدت قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في اخر الليل للراحة والادلاج

بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قولها يا بنية جاءه هو قول القائل انا لله وانا اليه
راجعون قولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها موغرين في نحر الظهيرة الوغر شدة
الحر وكذلك نحر الظهيرة اي اوله قولها والناس يفيضون اي يخوضون ويتحدثون قولها وهو يريبني [illegible]
يريبني اي شككت فيه قولها ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اي الرفق بها واللطف في الافعال
الرفق وفي الاقوال لين الكلام قولها حتى نقهت اي افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها
الحاجة من غائط وبول واصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف او خز قولها تعس اي عثر في
الوعاء على الانسان اي سقط بوجهه قولها يا هنتاه اي بلهاء كانها تنسبها الى البله وقلة المعرفة قولها
لا يرقأ اي لا ينقطع وقوله يريبك ان رايت يعني النبي اي ما رايت منها امرا اغمصه بالصاد المهملة
اي اعيبه والداجن الشاة التي تالف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني اي من يقوم بعذري
ان انا كافاته على سوء صنيعه ان عاقبته او عاقبت فلا يلومني على ذلك قولها وكانت ام حسان بنت عمه
من فخذه اي من قبيلته قولها ولكن احتملته الحمية اي حملته العصبية والانفة والتعصب على الجهل للقرابة
قولها فتثاور الحيان اي ثار واي نهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم اي يهون عليهم
ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت قيل هو من اللمم وهو صغائر الذنب وقيل معناه
مقاربة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي اي انقطع جريانه قولها ما رام اي ما برح من مكانه
والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدرة وجمعها جمان فسري عنه اي كشف عنه وقول زينب احمي
سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع ولم ابصر قولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو
العلو والغلبة فعصمها الله اي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف اي
ستر انثى قوله ويستوشيه اي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان
في عائشة حصان بفتح الحاء تعالى امراة حصان اي متعففة حسنة رزان اي ثابتة ما تزن
اي تومى ولا تتهم بريبة اي بامر يريب الناس وتصبح غرثى اي جائعة والغرث الجوع من لحوم
الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة
في حسان انه كان ينافح اي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير فقوله عز وجل ان
الذين جاءوا بالافك اي بالكذب والافك اسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت
تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء
فقد قلب الحق باطلا وجاء بالافك عصبة اي جماعة منكم اي عبد الله بن ابي بن سلول ومسطح
ابن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن ابي
ابن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله
منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين
لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولابويها وللنبي صلى الله
عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله ياجركم على ذلك ويظهر براءتكم ويشهد بكذب العصبة
واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم لكل امرئ منهم اي من العصبة الكاذبة
ما اكتسب من الاثم اي جزاء ما اجترح من الذنب على مقدار ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم
اي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وقام باشاعته وهو عبد الله بن ابي بن سلول منهم من العصبة

تنبيها

له عذاب عظيم يعني عذاب النار في الاخرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عائشة فجلدوا
الحد جميعا ثمانين ثمانين قوله عز وجل لولا اذ سمعتموه اي الحديث الكذب وقول الافك ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم اي باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذ سمعوا
قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته
وفيه معاتبة للمؤمنين وقالوا هذا افك مبين اي كذب بين لا حقيقة له لولا اي هلا جاءوا عليه
اي على ما زعموا باربعة شهداء اي يشهدون بما قالوه فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله اي في
حكم الله هم الكاذبون وهذا من باب الزواجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم ياتوا
بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء اتى بالشهداء او لم يات قلت قيل هذا في حق الذين
رموا عائشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي وقيل معناه فاولئك عند الله
في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يات بالشهود يجب زجره قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا اني قضيت
ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة
بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا
الفضل هو تاخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم عن
بعض وذلك ان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم
الى بعض وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه هينا
اي وتظنون انه سهل لا اثم فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك قيل هو للتعجب وقيل هو للتنزيه هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت
ويتحير من عظمه روي ان ام ايوب قالت لابي ايوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة
فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله
عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات اي في الامر
والنهي والله عليم اي بامر عائشة وصفوان حكيم اي حكم ببراءتها قوله عز وجل ان الذين
يحبون ان تشيع الفاحشة اي تظهر الزنا وتذيع في الذين امنوا قيل الاية مخصوصة بمن قذف
عائشة والمراد بالذين امنوا عائشة وصفوان وقيل الاية على العموم فكل من احب ان تشيع
فاحشة او تظهر على احد فهو داخل في حكم هذه الاية والمراد بالذين امنوا جميع المؤمنين لهم
عذاب اليم في الدنيا يعني الحد والذم على فعله والاخرة اي وفي الاخرة هو النار والله يعلم
اي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما
في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل
الله عليكم ورحمته اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان
ابن ثابت وحمنة وان الله رؤوف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي
اثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر اي بالقبائح من الاقوال
والافعال وكلما يكرهه الله عز وجل والاية عامة في حق كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي ما طهر ولا صلح والاية عند بعض المفسرين على العموم قالوا

اخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك
ومعناه ما طهر من هذا الذنب والاصلاح بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة
احد منكم ابدا ولكن الله يزكي من يشاء اي يطهر من يشاء من الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع اي
لاقوالهم عليم اي بما في قلوبهم قوله عز وجل ولا يأتل اي ولا يحلف من الالية وهي القسم اولو الفضل
منكم والسعة يعني الغنى يعني ابا بكر الصديق ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه
فانزل الله هذه الآية وليعفوا وليصفحوا اي عن خوض مسطح في امر عائشة الا تحبون
يخاطب ابا بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر
قال بلى انا احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها
عنه ابدا وفي الآية دليل على فضل ابي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره الله تعالى في
معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولو الفضل وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا
يدل على علو شانه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع عليه ما كان ينفقه
عليه وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا تدل ان ابا بكر كان ثاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على شيء فرأى غيرها خيرا منها
فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف
الغافلات اي عن الفواحش وعن الفاحشة ان لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت
عائشة رضي الله عنها ثم وصفها بالمومنات لعنوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة اي وفي الآخرة بالنار
وهو العذاب العظيم وهذا في حق عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وروي عن حصيف قال
قلت لسعيد بن جبير من قذف مومنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة خاصة
وقال ابن عباس هذه الآية في شان عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون
ساير المومنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة مومنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ
والذين يرمون المحصنات الى قوله تابوا فجعل هؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل
بل لهم توبة ايضا لآية يوم تشهد عليهم السنتهم هذا قبل ان يختم على افواههم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي تختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو
قوله بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل
ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل
معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي بن سلول
كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين قال
اكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله والخبيثون اي
من الناس للخبيثات من القول والطيبات اي من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول
لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق
بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل

ان يوتوا م

اسى م

ولهم عذاب عظيم م

معناه يليق لهم حقيقته لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ولا
يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برءوها بالطهارة والمدح لها وقيل
معنى الآية الخبيثات الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات
من النساء امثال عبد الله بن ابي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النساء للطيبين والطيبون
للطيبات يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اولئك مبرءون مما يقولون يعني عائشة وصفوان
ذكرهما بلفظ الجمع مبرءون مما يقولون يعني اصحاب الافك لهم مغفرة يعني لذنوبهم ورزق كريم
يعني الجنة وروي ان عائشة رضي الله عنها كانت تفتخر باشياء اعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها
ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك وروي انه اتى بصورتها في
راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها
وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي في حجرها ولم ينزل عليه وهو معها في بيتها وكان ينزل الوحي
عليه وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثتني
الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا اي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا
ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس
في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه
اني داخل وقيل هو من آنست اي ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او تنحنح حتى يعرف اهل البيت
وتسلموا على اهلها بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلفوا
في ايهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول ادخل سلام عليكم لان الآية من تقديم الاستئذان قبل
السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم ادخل وتقدير الآية حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا
وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم
استأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم ادخل اخرجه ابو داود والترمذي وعن
ربعي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت
فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل
السلام عليكم اادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم اادخل فاذن له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد وابي بن كعب وابي موسى قال ابو سعيد
كنت في مجلس من الانصار اذ جاء ابو موسى كانه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي
فرجعت فقال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه من
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا اصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت
معه فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول للاعلام والثاني مؤامرة والثالث
استئذان بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب
من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن

عليها بوجه مستور اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول
فان ذلك اذن له اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن وقيل اذا وقع بصره على انسان
قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة يستاذن على ذوات المحارم ويدل
عليه ما روي عن عطاء بن يسار ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استاذن على امي فقال نعم فقال الرجل
اني معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذن عليها فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
استاذن عليها اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها اخرجه مالك في الموطا مرسلا وقوله تعالى
ذلكم خير لكم اي فعل الاستئذان خير لكم واولى بكم من الهجوم بغير اذن لعلكم تذكرون اي هذه الاداب
فتعملوا بها قوله عز وجل فان لم تجدوا فيها اي في البيوت احدا اي ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم اي في الدخول وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا
دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما هو ازكى لكم اي الرجوع
هو اطهر واصلح لكم فان للناس احوال وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا
حضر الى الباب فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس ياتي دور الانصار لطلب
الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج وراه قال يا ابن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من
شقه اذا كان الباب مردودا ق عن سهل بن سعد قال اطلع رسول النبي صلى الله عليه وسلم
ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من اجل البصر ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤوا عينه وفي رواية للنسائي
قال لو ان امرا اطلع عليك بغير اذن فحذفته ففقات عينه ما كان عليك حرج وقال في اخرى جناح
والله بما تعملون عليم اي من الدخول بالاذن وبغير الاذن ولما نزلت اية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت
التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح
اي اثم ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اي بغير استئذان فيها متاع لكم اي منفعة لكم قيل
ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة لياووا اليها ويؤووا امتعتهم فيها فيجوز
دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة لها وقيل بيوت التجار
وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هي جميع
البيوت التي لا ساكن لها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز
له الدخول بغير استئذان والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم اي عما لا يحل النظر اليه وقيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب
الغض عما يحل النظر اليه وانما امروا ان يغضوا عما لا يحل النظر اليه م عن جرير قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن نظر الفجاة فقال اصرف بصرك عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة
النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذي م عن ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المراة الى عورة المراة ولا يفضي الرجل الى الرجل
في ثوب واحد ولا تفضي المراة الى المراة في ثوب واحد قوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي عما لا يحل

رجل من جحر في باب

قال

عن
قال ابو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو الزنا الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع
بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان امر
النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك
الجواري المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفرج
فمضيق وكفاك ان ابيح النظر الى ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه فان قلت كيف
قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر
احد يقدر على الاحتراس منه ذلك ازكى لهم واطهر اي غض البصر وحفظ الفرج ان الله خبير بما
يصنعون اي انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم
وجوارحهم قوله عز وجل وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن اي عما لا يحل
لهن روي عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحرث اذ اقبل
ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه
فقلت يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعمياوان
انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذي وابو داود وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن اي لا يظهرن زينتهن
اي لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم
والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمراة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها
والمراد من الزينة مواضعها من البدن الا ما ظهر منها اي من الزينة قال سعيد
ابن جبير والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس
هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبي النظر
اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف
شيئا من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمراة ان تبديه من بدنها لانه ليس
بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة وليضربن بخمرهن اي ليلقين مقانعهن
على جيوبهن اي موضع الجيب وهو النحر والصدر اي ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن
واقراطهن وصدورهن خ عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف او خز او كتان وقيل
هو الازار وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة
ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن الجلباب
والخمار الا لازواجهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة
والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها او نسائهن اراد
المؤمنات من اهل دينهن اراد به انه يجوز للمراة ان تنظر الى بدن المراة الا ما بين السرة والركبة ولا
يجوز للمراة المؤمنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية او الكافرة لان الله تعالى قال او نسائهن والذمية
والكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبي كتب عمر بن الخطاب
الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تنكشف

الحمام

للمراة المسلمة لانها من جملة النساء او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المراة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا
وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران يروى ذلك عن عايشه وام سلمة
وروي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا اقنعت به راسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه
ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد
من الاية الاماء دون العبيد ۞ او التابعين غير اولي الاربة من الرجال قرئ غير بنصب الراء وقيل
هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم فانهن لا يبدين زينتهن
لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين
غير اولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء
وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل
هو المجبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو المخنث م عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسايه وهو ينعت امراة قال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا
ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ما ها هنا لا يدخلن عليكن فحجبوه
زاد ابو داود في رواية واخرجه الى البيدا يدخل كل جمعة فيستطعم قوله اقبلت باربع اي ان لها
في بطنها اربع عكن فهي تقبل اذا اقبلت ۞ واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين
وذلك صفة لها بالسمن ۞ او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لم يستغنوا عن عورات
النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطيقوا امر النساء
وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل ان الطفل له اسم للصبي ما لم يحتلم ۞ ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن قيل كانت المراة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها او يتبين
خلخالها فنهيت عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال فيصير
ذلك داعية له زايدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه
به على ان الذي لاجله نهى عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلي وغيره ۞ وتوبوا الى الله جميعا اي من
التقصير الواقع في امره ونهيه وراجعوا طاعته فيما امركم ونهاكم من الاداب المذكورة في هذه السورة
وقيل ان اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه
واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المومنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح
اذا تابوا واستغفروا وذلك قوله ايها المومنون لعلكم تفلحون م عن الاغر المزني قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم عن
ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب
الغفور مائة مرة اخرجه عبد بن حميد الكشي ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل وانكحوا الايامى
منكم جمع ايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من احرار رجالكم ونسايكم ۞ والصالحين من عبادكم

اي من عبيدكم ۞ وامايكم بيان حكم الاية الامر المذكور في الاية امر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه فيستحب
لمن تاقت نفسه الى النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم ق عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع ايضا والوجاء
بكسر الواو وهو رض الانثيين نوع من الخصا شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل
عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم اخرجه
ابو داود والنسائي م عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير
متاعها المراة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة افضل
له من النكاح عند الشافعي وعند اصحاب الراي النكاح افضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا اكرمه فقال
وسيدا وحصورا وهو الذي لا ياتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الاية دليل
على تزويج الايامى الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول اكثر اهل العلم
من الصحابة فمن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابي هريرة وعايشه وبه
قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وابراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي
وعبد الله بن المبارك والشافعي واحمد واسحق وجوز اصحاب الراي للمراة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت
المراة دنية يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روي
عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي اخرجه ابو داود والترمذي وله
عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان اصابها
فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له قوله تعالى ان يكونوا فقراء
يغنهم الله من فضله قيل الغنى ها هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة
وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
وقال ان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ۞ والله واسع اي انه ذو الافضال والجود عليم اي بما يصلح
خلقه من الرزق قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين
لا يجدون نكاحا ما ينكحون به من الصداق والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله اي يوسع عليهم من
رزقه ۞ والذين يبتغون الكتاب اي يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم سبب نزول هذه الاية
ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سال مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فكاتبه حويطب
على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم
الاية وكيفية المكاتبة وذلك ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما
تؤدي ذلك في نجمين او في نجوم معلومة في كل نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا
ادى المال عتق ويصير العبد احق بمكاسبه بعد الكتابة واذا عتق باداء المال فما فضل في يده من المال
فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه ان يفسخ كتابته
ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اخرجه ابو داود وذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم
امر ايجاب على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سال العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته

واما سال على اقل من قيمته لا يجب وهو قول عطا وعمرو بن دينار لما روي ان ابن سيرين سال انس بن مالك
ان يكاتبه وكان كثير المال فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له عمر كاتبه فابى فضربه بالدرة وتلا
فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه وذهب اكثر اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب ولا يجوز الكتابة على اقل من نجمين
عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق ان يكون ذلك المال عليه الى اجل حتى يؤديه على
مهل فيحصل المقصود وجوز ابو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم
فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي ان عبدا لسلمان الفارسي
قال له كاتبني قال الك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه وقيل لو اراد به المال لقال
ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعي اظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فاحب ان لا
يمتنع من الكتابة اذا كان هكذا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي
يريد الاداء والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله اخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون
العبد عاقلا بالغا فاما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغا منهما لا يصح وجوز ابو حنيفة كتابة
الصبي المراهق وقوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد ان
يحط عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر
ما يحط عنه فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الاخرون
ليس له حد بل عليه ان يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على
خمسة وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة الاف درهم اخرجه مالك في الموطا وقال سعيد
ابن جبير كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من اول نجومه مخافة ان يعجز فترجع اليه صدقته
ويضع عنه من آخر كتابته ما احب وقال بعضهم هو امر استحباب والوجوب اظهر وقيل اراد بقوله
وآتوهم من مال الله اي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب
اراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن اسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف
العلماء فيما اذا مات المكاتب قبل اداء النجوم فذهب كثير منهم الى انه يموت رقيقا وترتفع الكتابة سواء
ترك مالا او لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة واليه
ذهب الشافعي واحمد وقال قوم ان ترك وفاء بما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان
لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي ولو كاتب
عبده كتابة فاسدة يعتق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد ويتبعه اولاده واكتسابه
كما في الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن اداء النجوم وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم
اي امايكم على البغاء اي الزنا ان اردن تحصنا ق عن جابر ان جارية لعبد الله بن ابي بن سلول
م عن جابر قال كان عبد الله بن ابي بن سلول يقول لجاريته اذهبي فابغينا شيئا قال فانزل الله ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وفي رواية اخرى ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى
يقال لها اميمة كان يريدهما على الزنا فشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء الى قوله غفور رحيم قال المفسرون نزلت الاية في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق
كانت له جاريتان مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا بالضريبة ياخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون
في الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو

من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الاية
وروي ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا
نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فاتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف
العلماء في معنى قوله ان اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في
سبب نزول الاية فخرج النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني انما شرط ارادة التحصن
لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المراة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا
الثالث ان ان بمعنى اذا اي اذا اردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراههن على الزنا ان لم يردن
تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم مومنين القول الرابع ان في الاية تقديما
وتاخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا اي
لتطلبوا عرض الحياة الدنيا اي من اموال الدنيا يريد كسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن
يعني على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن
اذا قرا هذه الاية قال لهن والله لهن والله قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات اي من الحلال والحرام
ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق
من كان قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين اي المومنين الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل
الله نور السماوات والارض قال ابن عباس معناه الله هادي السماوات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون
وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السماوات والارض نور السماء بالملائكة
ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السماوات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم
وزين الارض بالانبياء والعلماء والمومنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه
ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر اذا سار عبد الله عن مرو ليلة
فقد سار عنها نورها وجمالها مثل نوره اي مثل نور الله عز وجل في قلب المومن وهو النور
الذي يهتدي به قال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المومن وقيل الكناية عائدة الى المومن
اي مثل نور قلب المومن وقيل اراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو
الطاعة سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا كمشكاة
هي الكوة التي لا منفذ لها وقيل بلغة الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله من الضوء المصباح
في زجاجة يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها ابين من كل شيء وضوءه يزيد
في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى الزجاجة كانها كوكب دري من دراء الكوكب اذا اندفع
منقضا فيتضاعف نوره في ذلك الحال وذلك الوقت وقيل هو من دراء النجم اذا طلع وارتفع
وقيل دري اي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب اضوأ من
الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللولو وقيل الكوكب الدري
احد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل
شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب
توقد اي اتقد المصباح من شجرة مباركة زيتونة اي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة

والارض
اهله

وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو اصفا الادهان واضواها وقيل انها اول شجرة تنبت بالارض بعد الطوفان وقيل اراد به زيتون الشام لانها في الارض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابي اسيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة اخرجه الترمذي وقوله لا شرقية ولا غربية اي ليست شرقية وحدها لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل هي ضاحية للشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوا وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في مضياه لا تصيبها الشمس ولا في مضناة لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله لنوره ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ اي من صفائه ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ اي قبل ان تمسه النار ﴿نور على نور﴾ اي نور المصباح على نور الزجاجة

فصل في بيان التمثيل المذكور في الاية

اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل ان المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلا الى اقصى الغايات وصار ذلك مثل له المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفا والرقة والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفائه صلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم يضيء ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر في هذه الاية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني اي توقد من شجرة مباركة ابرهيم نور على نور قلب ابرهيم ونور قلب محمد صلى الله عليهما وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابرهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابرهيم عليه السلام لان اكثر الانبيا من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابرهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المومن قال ابي بن كعب هذا مثل المومن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقران توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة التفت بها الشجر فهي خضرا ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المومن قد احترس ان يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المومن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال ابي فهو يتقلب في خمسة

نوره

انوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة وقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله لنور الله وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوا على ضوئه كذلك يكاد قلب المومن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني ايمان المومن وعمله وقيل نور الايمان ونور القران وقيل هذا مثل القران فالمصباح هو القران فكما يستضا بالمصباح فكذلك يهتدى بالقران والزجاجة قلب المومن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء اي نور المعرفة يشرق في قلب المومن ولو لم تمسسه النار وقيل تكاد حجة القران تتضح وان لم يقرا نور على نور يعني القران نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور ﴿وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشا﴾ قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ اي يبين الله الاشباه للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك ﴿والله بكل شي عليم﴾ قوله عز وجل ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع﴾ اي ذلك المصباح في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس بناه داود وسليمن ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا ﴿ان ترفع﴾ اي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن عباس يتلى فيها كتابه ﴿يسبح له فيها﴾ اي يصلي له فيها ﴿بالغدو والاصال﴾ اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلاة المفروضة فالتي تودى بالغداة صلاة الفجر والتي تودى بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشاين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة اراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا ذلك كان اجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين اخرجه ابو داود ﴿رجال﴾ قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النسا ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة ﴿لا تلهيهم﴾ اي لا تشغلهم ﴿تجارة﴾ وقيل خص التجارة بالذكر لانها اعظم ما يشتغل به عن الصلوات والطاعات واراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه ﴿ولا بيع﴾ اي ولا يشغلهم بيع ﴿عن ذكر الله﴾ اي حضور المساجد لاقامة الصلوات ﴿واقام الصلاة﴾ يعني اقامة الصلوات في وقتها لان من اخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴿واقام الصلاة وايتا الزكاة﴾ يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت ادا الزكوة لم يحبسوها ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ يعني ان هول

الرجا دون بالنوافل ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق
عبادته قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه
في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب من الخوف والرجا
فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار من هول ذلك اليوم من اي ناحية توخذهم امن
ذات اليمين ام ذات الشمال ومن اين يوتون كتبهم امن ذات اليمين ام من قبل الشمال وقيل
تتقلب القلب في الجوف فيرتفع الى الحنجرة والنزل ولا تخرج وينقلب البصر فيشخص من هول
الامر وشدته ليجزيهم الله على احسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات
فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم بل يغفرها
لهم وقيل انه سبحانه وتعالى يجزيهم جزا احسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى
سبعماية ضعف ويزيدهم من فضله يعني انه سبحانه وتعالى يجزيهم باحسن اعمالهم ولا
يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير حساب فيه تنبيه
على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة لما ضرب الله مثلا لحال المومن وانه في الدنيا والاخرة في نور وانه
فايز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار وشبهها بالسراب وهو شبه
ماير نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من راه ما فاذا قرب
منه انفش فلم ير شيا والبقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون
السراب يحسبه الظمان اي العطشان ما حتى اذا جاه اي جا ما قدر انه ما وقيل
جا الى موضع السراب لم يجده شيا اي لم يجده على ما قدره وظنه ووجه التشبيه ان
الذي ياتي به الكافر من اعمال البر وهو يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا
وافى عرصة القيمة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب
الاليم عظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال الظمان الذي اشتدت حاجته
الى الما فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاه لم يجده شيا فكذلك
حال الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه شيا ولا
نفعه ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه اي
جزا عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة
واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا اخر فقال تعالى او كظلمات اعلم الله سبحانه وتعالى
ان اعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات
وقيل معناه انه عالم بجميع المعلومات مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات
في بحر لجي اي عميق كثير الما ولجة البحر معظمه يغشاه اي يعلو موج من فوقه موج اي متراكم
من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا
لسبب غمورة الما فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج
سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يقرب ان يراها
لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من اقرب

اي يتوهم

ما الى الانسان فقال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة انواع من الظلمات
ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر شبه بالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى
قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب
الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره
الى الظلمات يوم القيمة في النار ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس
من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له وقيل نزلت
نزلت هذه الاية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح
فلما جا الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة في حق جميع الكفار قوله عز وجل الم تر
ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات اي باسطات اجنحتهن
في الهوا وقيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السما والارض فتكون
خارجة عن حكم من في السموات والارض كل قد علم صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل
ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض اي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشات ومنه بدات فهو واجد
الوجود وقيل معناه ان خزاين المطر والرزق بيده ولا مالك لها سواه والى الله
المصير اي والى الله مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله يزجي اي يسوق
سحابا الى حيث يشا من ارضه وبلاده ثم يولف بينه اي يجمع بين قطع السحاب
المتفرقة بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى
الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه وهو مخارج القطر وينزل من
السما من جبال فيها من برد قال ابن عباس اخبر الله ان في السما جبالا من برد
وقيل معناه وينزل من السما مقدار جبال في الكثرة من برد وقيل معناه ينزل من
جبال من السما تلك الجبال من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية
والثالثة قلت من الاولى لابتدا الغاية لان ابتدا الانشا الانزال من السما
والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السما والثالثة
للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد فيصيب به اي بالبرد من يشا
فيهلكه واموالة ويصرفه عن من يشا اي فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برقه
الشديد يذهب بالابصار اي من شدة ضوئه وبريقه يقلب الله الليل
والنهار اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فياتي بالليل ويذهب بالنهار ويذهب
بالنهار وياتي بالليل ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا
الحديث ان العرب كانوا يقولون عند النوازل والشدايد اصابنا الدهر ونوايبه
في اشعارهم فيقول لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف
يقع به التاثيرات كما يقع بكم قوله تعالى ان في ذلك اي الذي ذكرت من هذه الاشيا

لعبرة لاولي الابصار اي دلالة لاهل العقول والبصاير على قدرة الله وتوحيده قوله عز وجل والله خلق
كل دابة من ماء اي من نطفة واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملايكة والجن لانا لا نشاهدهم
وقيل ان اصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء جعل بعضه ريحا ونورا فخلق الله منه الملايكة وجعل
بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه ادم فمنهم من يمشي على بطنه اي كالحيات
والحيتان والديدان ونحو ذلك ومنهم من يمشي على رجلين يعني مثل بني ادم والطير ومنهم من يمشي على
اربع يعني كالبهايم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات يتولد
من غير نطفة قلت ذلك المخلوق من غير نطفة لابد ان يتكون من شي وذلك الشي اصله من الماء فكان من الماء
فان قلت كيف قال فخلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي ضمير من العقلاء فلم استعمل في غير العقلاء قلت
ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللايق بمن يعقل لان جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا
اولى فان قلت لم قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوق قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي
بغير آلة المشي وهي الارجل والقوايم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على اربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع
وفي الحيوانات ما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له اربع واربعون رجلا ونحو ذلك قلت
هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمادها على اربع في المشي والباقي
تبع لها يخلق الله ما يشاء اي مما يعقل ولا يعقل ان الله على كل شي قدير اي هو القادر على الكل العالم بالكل
المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع لقد انزلنا ايات مبينات يعني القرآن هو المبين
الهدى والاحكام والحلال والحرام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يعني الى دين الاسلام الذي هو دين الله
وطريقه الى رضاه وجنته قوله تعالى ويقولون يعني المنافقين امنا بالله وبالرسول واطعنا اي
يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم اي يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد ذلك
اي من بعد قولهم امنا ويدعو الى غير حكم الله قال الله تعالى وما اولئك بالمومنين نزلت هذه الاية
في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم
وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الاية واذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم اي الرسول بحكم الله بينهم اذا فريق منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي مطيعين منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى
حكمه لثقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم افي قلوبهم مرض اي كفر ونفاق ام ارتابوا اي شكوا
وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يظلم بل اولئك
هم الظالمون اي لانفسهم باعراضهم عن الحق قوله عز وجل انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله اي الى
كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم هذا تعليم ادب الشرع على معنى ان المومنين كذا ينبغي ان يكونوا وهو
ان يقولوا سمعنا اي الدعاء واطعنا اي بالاجابة واولئك اي من هذه صفته هم المفلحون ومن
يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما ساءه وسره ويخش الله اي على ما عمل من الذنوب ويتقه
اي فيما بعد فاولئك هم الفايزون اي الناجون قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم قيل جهد
اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا لئن امرتهم ليخرجن وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لين خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا

وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا
واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى قل لهم لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام
ثم ابتدا فقال طاعة معروفة اي هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة
اي امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة
افضل وامثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل ان الله خبير بما تعملون اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم
بالفعل قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني بقلوبكم وصدق نياتكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة
الله ورسوله فانما عليه اي على الرسول ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما
حملتم اي ما كلفتم من الاجابة والطاعة وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته
وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الواضح البين قوله عز وجل وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين
مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خايفين ثم امروا بالهجرة الى
المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احد منهم سلاحه فقال رجل منهم ما ياتي علينا
يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الاية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض
الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم اي
كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بني اسرايل اذ اهلك الجبابرة بمصر والشام
واورثهم ارضهم وديارهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم اي اختاره لهم على ساير الاديان وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا يعبدونني يعني امنين لا يشركون بي شيا فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياه
وابدلهم بعد الخوف امنا وبسطا في الارض خ عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ
اتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتاه اخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رايت الحيرة قلت
لم ارها وقد انبيت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة
لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فاين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولين طالت بك
حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولين طالت بك حياة لترين الرجل
يخرج مل كفه من ذهب او فضة يطلب من يقبله فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم
يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن الم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول الم
اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا
جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة
فبكلمة طيبة قال عدي فرايت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن
افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ولين طالت بكم حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل
مل كفه وفي الاية دليل على صحة خلافة ابي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في ايامهم
كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين
عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك
خلافة ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وعثمان اثنتي عشرة وعلي ستة قال علي قلت لحماد

القائل لسعيد امسك سفينته قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث لهذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله ان خلافة ابي بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي اربع سنين وتسعة اشهر وهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا لم يتبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلاثين بخلافة الحسن فكانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله اعلم

وقوله تعالى ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ اراد به كفران النعمة ولم يرد به الكفر بالله ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ اي العاصون قال اهل التفسير اول من كفر هذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخي عبد الله بن سلام قال لما اريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرتك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارج خير لي منك داخل فخرج عبد الله الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان اخرجه الترمذي زاد في رواية غير رواية الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى ﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ اي افعلوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين﴾ اي فائتين عنا ﴿في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ قوله عز وجل ﴿يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في اسماء بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله ﴿يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ اللام لام الامر وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى ﴿الذين ملكت﴾ يعني العبيد والاماء ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا امر النساء ولكن لم يبلغوا وهو سن التمييز والعقل واتفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجري عليه الاحكام وان لم يحتلم ﴿ثلاث مرات﴾ اي ليستأذنوا في ثلاثة اوقات ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ اي وقت القيلولة ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ وانما خص هذه الثلاثة اوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان ليستأذنوا في جميع الاوقات ﴿ثلاث عورات لكم﴾ سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ اي بعد هذه الاوقات الثلاث ﴿جناح﴾ اي حرج في الدخول عليكم بغير استيذان ﴿بعدهن طوافون عليكم﴾ اي العبيد والخدم والصبيان يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن ﴿بعضكم على بعض﴾ اي يطوف

بعضكم على بعض ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي امرنا بها ولا يعمل بها احد قول الله عز وجل ﴿يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ الآية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك بعد اخرجه ابو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك اغنى عن الاستيذان وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن ابي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ﴿ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم﴾ امنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل تلك آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ﴿واذا حضر القسمة اولوا القربى﴾ الآية وقوله عز وجل ﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ والناس يقولون اعظمكم بيتا ﴿واذا بلغ الاطفال منكم الحلم﴾ اي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا ﴿فليستأذنوا﴾ اي يستأذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ اي الاحرار الكبار ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ اي دلالاته وقيل احكامه ﴿والله عليم﴾ اي بامور خلقه ﴿حكيم﴾ اي بما دبر لهم وشرع قال سعيد ابن المسيب يستأذن الرجل على امه فانما انزلت الآية في ذلك وسئل حذيفة ايستأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره قوله تعالى ﴿والقواعد من النساء﴾ يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ اي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجز اللواتي اذا رآهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية ﴿فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن﴾ اي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه ﴿غير متبرجات بزينة﴾ اي من غير ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو ان تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره ﴿وان يستعففن﴾ اي فلا يلقين الجلباب والرداء ﴿خير لهن والله سميع عليم﴾ قوله عز وجل ﴿ليس على الاعمى حرج﴾ اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما انزل الله ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل﴾ تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي من الطعام حقه فانزل هذه الآية فعلى هذا التأويل تكون على بمعنى في اي ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم ويقال ربما اكل الكثير ويقال للاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصا لهؤلاء في الاكل من بيوت من سمى الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت امه او بعض من سمى الله فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم

الى الزمنى ويقولون قد احللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها واصحابها
غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله ولا
على المريض حرج وقوله ولا على انفسكم كلام مستانف قيل لما نزل ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد
منا ان يأكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تأكلوا من بيوتكم
قيل اراد من اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المراة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم نسب بيوت
الاولاد الى الاباء كما جاء في الحديث انت ومالك لابيك او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه قال ابن عباس عنى بذلك
وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل
ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح الخزائن ويجوز
ان يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان يأكل الشي اليسير وقيل
او ما ملكتم مفاتحه اي ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه او صديقكم الصديق هو الذي صدقك في المودة قال
ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله
فلما رجع وجده مجهودا فساله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه
الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا
او تحملوا ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان
الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى
الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل
وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول
والله اني لاجنح اي اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في قوم من
الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤا جميعا اي مجتمعين
او اشتاتا اي متفرقين فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض هذا في دخول
الرجل بيت نفسه ليسلم على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت
بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا
لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته وعن ابن عباس في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل
ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب والاجر كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون اي عن
الله امره ونهيه وادبه قوله عز وجل انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على
امر جامع يجمعهم اي يجمعهم من حرب حضرت او صلاة او جمعة او جماعة او عيد او تشاور في امر
نزل لم يذهبوا اي لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له حتى يستاذنوه قال المفسرون كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم
بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شاء منهم قال
مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون

جامع

مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن فاذا استاذن فللامام ان شاء اذن له وان شاء لم ياذن
وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بان يكونوا في المسجد فتحيض
امراة منهم او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان ان الذين يستاذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم اي امرهم فاذن لمن شئت منهم اي في الانصراف
والعزان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله اي ان رايت لهم عذرا في الخروج
عن الجماعة ان الله غفور رحيم قوله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال ابن عباس
يقول احذروا دعاء الرسول اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه
لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله
يا رسول الله في لين وتواضع قد يعلم الله الذين يتسللون منكم اي يخرجون منكم لواذا اي
يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون
ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا اي يلوذ بعضهم ببعض
وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله
عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد يعلم فيه التهديد
بالمجازاة فليحذر الذين يخالفون عن امره اي يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه ان تصيبهم
فتنة اي لكيلا تصيبهم فتنة اي بلاء في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي وجيع في الاخرة ثم عظم
نفسه فقال تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي ملكا وعبيدا قد يعلم ما انتم عليه
اي من الايمان والنفاق ويوم يرجعون اليه يعني يوم القيمة فينبئهم بما عملوا اي من الخير والشر والله بكل
شيء عليم عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن
الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبد الله بن البيع في صحيحه والله اعلم

تفسير سورة الفرقان وهي مكية

وهي سبع وسبعون اية وثمانماية واثنان وتسعون كلمة وثلاثة الاف وسبعماية وثلاث وثلثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك الذي
تفاعل من البركة كان معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم الذي نزل الفرقان اي القران
سماه فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل متفرقا في اوقات
كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد للتكثير التفريق على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ليكون للعالمين اي للانس والجن نذيرا قيل هو القران وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم
الذي له ملك السموات والارض اي هو المتصرف فيهما كيف يشاء ولم يتخذ ولدا اي هو الفرد في وحدانيته
وفيه رد على النصارى ولم يكن له شريك في الملك اي هو المتفرد بالالهية وفيه رد على
الثنوية وعباد الاصنام وخلق كل شيء اي مما يطلق عليه صفة المخلوق فقدره تقديرا
من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى واتخذوا يعني عبدة الاوثان
من دونه الهة يعني الاصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي دفع
ضر ولا جر نفع ولا يملكون موتا يعني اماتة ولا حياة اي احياء ولا نشورا اي بعثا بعد الموت

وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث واصحابه ان هذا اي ما هذا القرآن الا افك اي كذب
افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم واعانه عليه قوم آخرون قيل يعني اليهود وقيل عبيد
الحضر الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون
ان محمدا ياخذ منهم قال الله تعالى فقد جاءوا يعني قائلي هذه المقالة ظلما وزورا اي بظلم
وزور وهو نسبتهم كلام الله تعالى الى الافك والافتراء وقالوا اساطير الاولين اكتتبها يعني النضر
ابن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار
ومعنى اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب
فهي تملى عليه اي تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة واصيلا يعني غدوة وعشيا قال الله تعالى ردا
عليهم قل يا محمد انزله اي القرآن الذي يعلم السر اي الغيب في السموات والارض انه كان غفورا
رحيما اي لولا ذلك لعاجلكم بعذابه وقالوا مال هذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ياكل الطعام
اي كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق اي يلتمس المعاش كما نمشي نحن واذا كان كذلك فمن اين له الفضل
علينا ولا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك بشر مثلنا والملك لا ياكل ولست بملك لان
الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوا فاسد لانه انما كان لكونه آدميا ولم يدع انه ملك
ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التورية ولم يكن سخابا في الاسواق وليس شيء من
ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك لولا انزل عليه ملك اي يصدقه ويشهد له فيكون
معه نذيرا اي داعيا او يلقى اليه كنز اي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف في
طلب المعاش او تكون له جنة اي بستان ياكل منها اي هو فلا اقل من ذلك ان لم يكن له كنز وقال
الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر اي يا محمد كيف
ضربوا لك الامثال اي الاشباه التي لا فائدة فيها فقالوا مسحور محتاج فضلوا اي عن الحق فلا
يستطيعون سبيلا الى الهدى ومخرجا من الضلالة قوله عز وجل تبارك الذي ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك اي من الذي قالوا وافضل من البستان الذي ذكروا قال ابن عباس يعني خيرا
من المشي في الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل
لك قصورا اي بيوتا مشيدة عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي
بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك ان حجزته لتساوي الكعبة فقال ان ربك يقرأ عليك
السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الي ان ضع نفسك
فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا يقول آكل كما ياكل
العبد واجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوي بسنده قوله تعالى بل كذبوا بالساعة
اي القيمة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اي نارا مسعرة اذا راتهم من مكان بعيد قيل من
مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف يتصور الرؤية من النار وهو قوله اذا
راتهم قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه راتهم زبانيتها سمعوا

لها تغيظا اي غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب وزفيرا اي صوتا فان قلت كيف
يسمع صوت التغيظ قلت معناه راوا وعلموا ان لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر
ورايت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ
من التلهب والتوقد قال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيمة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي
مرسل الا خر لوجهه واذا القوا منها مكانا ضيقا قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق
الزج في الرمح مقرنين اي مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين
مع الشياطين في السلاسل دعوا هنالك ثبورا قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفي الحديث
ان اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته
من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا
ثبوراه وينادون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا هكذا
ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية
كثيرة قوله عز وجل قل اذلك خير اي الذي ذكرت من صفة النار واهلها خير ام جنة الخلد التي
وعد المتقون كانت لهم جزاء اي ثوابا ومصيرا اي مرجعا لهم فيها ما يشاؤن اي ان جميع
المرادات لا تحصل الا في الجنة لا في غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان شيئا ولا يحصل في
الجنة كما انه يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيل ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل
كل واحد من اهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره خالدين
اي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وانشد
في المعنى اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا كان على ربك وعدا مسئولا
اي مطلوبا وذلك ان المؤمنين سالوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول
كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد
وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله عز وجل
ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله يعني من الملائكة والجن والانس مثل عيسى والعزير وقيل يعني
الاصنام ثم يخاطبهم فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اي اخطأوا الطريق قالوا
يعني المعبودين سبحانك نزهوا الله من ان يكون معه اله ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من
اولياء يعني ما كان ينبغي لنا ان نوالي اعداءك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان نامرهم
بعبادتنا ونحن نعبدك ولكن متعتهم وآباءهم اي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا
حتى نسوا الذكر اي تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه وكانوا قوما
بورا اي هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان فقد كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اي كذبكم المعبودون
بما تقولون اي انهم آلهة فما تستطيعون يعني الآلهة صرفا اي صرف العذاب عن انفسهم ولا نصرا اي ولا
نصر انفسهم وقيل ولا نصركم ايها العابدون بدفع العذاب عنكم ومن يظلم منكم اي يشرك نذقه
عذابا كبيرا قوله تعالى وما ارسلنا قبلك يا محمد من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في
الاسواق قال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق انزل الله هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسله فلا وجه لهذا

لعله ثبوره

الطعن وما انا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اي بلية قال ابن عباس اي جعلت بعضكم بلا لبعض لتصبروا على ما تسمعون
منهم وترون من خلافهم وتتبعون انتم الهدى وقيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف
اذا اراد ان يسلم راى الوضيع قد اسلم قبله انف وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علي
فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في ابي جهل والوليد بن عقبة
والعاص بن وايل والنضر بن الحرث وذلك انهم راوا ابا ذر وابن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن
فهيرة وذويهم قد اسلموا قبلهم فقالوا انسلم فنكون مثل هولاء وقيل نزلت في ابتلاء الفقراء المسلمين بالمستهزئين
من قريش كانوا يقولون انظروا الى هولاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا فقال الله تعالى
لهولاء المؤمنين أتصبرون اي على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير
يقول ما لي لم اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع وكان ربك بصيرا اي بمن صبر
وبمن جزع ق عن ابي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه
في المال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم انظروا الى من هو اسفل منكم
ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله عز وجل وقال الذين لا يرجون لقاءنا اي
لا يخافون البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة لولا انزل علينا الملائكة اي فتخبرنا ان محمدا
صادق او نرى ربنا اي فيخبرنا بذلك لقد استكبروا اي تعظموا في انفسهم بهذه المقالة وعتوا
عتوا كبيرا اي طغوا وقيل غلوا في القول وهو اشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به
يوم يرون الملائكة اي عند الموت وقيل يوم القيمة لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك ان الملائكة يبشرون
المؤمنين يوم القيمة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمنون ويقولون
حجرا محجورا قال ابن عباس تقول لهم الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله وقيل
اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حرام محرم عليكم ان تكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار
للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا
عاينوا الملائكة وقدمنا الى ما عملوا من عمل يعني من اعمال البر التي عملوها في حال الكفر فجعلناه هباء
منثورا اي باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رده
والهباء هو ما يرى في الكوى كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل المنثور
المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع
من حوافر الدواب عند السير من الغبار قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ اي يوم القيمة خير مستقرا اي من
هولاء المشركين المستكبرين واحسن مقيلا اي موضع القايلة وذلك ان اهل الجنة لا يمر بهم في يوم القيمة
الا قدر ميقات اول النهار الى وقت القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار
يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم
يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال واحسن مقيلا ولا نوم فيها وقال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم
في اوله وقيل يكون يوم القيمة على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس قوله عز وجل
ويوم تشقق السماء بالغمام اي عن الغمام وهو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
في تيههم وننزل الملائكة تنزيلا قال ابن عباس تنشق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض

حتى

من الانس

من الانس والجن ثم تنشق الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم
كذلك حتى تنشق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة
العرش الملك يومئذ الحق للرحمن اي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة قال ابن عباس
يريد ان يوم القيمة لا ملك يقضي غيره وكان يوما على الكافرين عسيرا اي شديدا وفيه دليل
على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف
عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه اراد بالظالم
عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه اشراف قومه وكان يكثر
مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله
الا الله واني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي بن خلف قال له يا عقبة صبات قال
لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من
بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما انا بالذي ارضى عنك ابدا الا ان تاتيه فتبزق في وجهه
ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل
عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل
لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحرق خديه فكان اثر ذلك
حتى قتل وقيل كان عقبة بن ابي معيط خليلا امية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية
وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا صلى الله عليه وسلم فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم
يعني عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه اي ندما واسفا على
ما فرط في جنب الله واوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه
قال عطا ياكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم ياكلهما هكذا كلما نبتت يده اكلها تحسرا
على ما فعل يقول يا ليتني اتخذت اي في الدنيا مع الرسول سبيلا اي ليتني اتبعت محمدا
واتخذت معه طريقا الى الهداية يا ويلتى دعا على نفسه بالويل ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا يعني ابي بن خلف لقد اضلني عن الذكر اي عن الايمان والقران بعد اذ جاءني يعني الذكر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان وهو كل متمرد عات صاد عن سبيل الله من الجن
والانس للانسان خذولا اي كثير الخذلان يتركه ويتبرا منه عند نزول البلاء والعذاب
وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله ق عن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير
فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ونافخ
الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي
ولهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل
طعامك الا تقي قوله عز وجل وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب ان قومي

اتخذوا هذا القرآن مهجورا اي متروكا فاعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة
الهجر وهو الهذي من القول فزعموا انه شعر وسحر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليشكو قومه الى الله عز وجل
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله عز وجل فقال وكذلك جعلنا لكل نبي اي كما
جعلنا لك اعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي المشركين والمعنى لا يكبرن
عليك ذلك فان الانبياء قد لقوا هذا من قومهم فاصبر لامر ربك كما صبروا فاني ناصرك و
هاديك وهو قوله وكفى بربك هاديا ونصيرا قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة اي كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام قال الله عز وجل
كذلك فعلنا ذلك لنثبت به فؤادك اي انزلناه متفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب
المتقدمة نزلت على انبياء يكتبون ويقرؤن وانزل القرآن على نبي امي لا يكتب ولا يقرأ ولان من
القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن امور تحدث في اوقات مختلفة ففرقناه
ليكون اوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه
بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا اية بعد اية ولا يأتونك يا محمد يعني
هؤلاء المشركين بمثل اي يضربونه لك في ابطال امرك الا جئناك بالحق اي بما يرد به ما جاؤا به
من المثل ويبطله فسمى ما يوردونه من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا واحسن
تفسيرا اي واحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر مآل هؤلاء المشركين فقال تعالى الذين يحشرون
على وجوههم اولئك شر مكانا اي منزلا ومصيرا واضل سبيلا اي اخطأ طريقا قوله عز وجل
ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا اي معينا وظهيرا فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط فدمرناهم فيه اضمار اي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا
اي اهلكناهم هلاكا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اي الرسول ومن كذب رسولا واحدا
فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس اية اي عبرة لمن بعدهم
واعتدنا للظالمين اي في الآخرة عذابا اليما اي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا وعادا
وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس قال وهب بن منبه كانوا اهل بئر ينزلون
عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام
فتمادوا في طغيانهم واذى شعيب فبيناهم حول البئر في منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم
ورباعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان
لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها
حبيب النجار وهم الذين ذكرهم في سورة يس وقيل هم اصحاب الاخدود وقرونا بين ذلك كثيرا
اي واهلكنا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له الامثال اي الاشباه في اقامة الحجة
عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكناهم اهلاكا ولقد اتوا على القرية
التي امطرت مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله منها اربعا
ونجت واحدة وهي صغر وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا يرونها يعني اذا
مروا بها في اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مداين قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم الى
الشام بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون بعثا قوله تعالى واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا

ونز

نزلت في ابي جهل كان اذا مر مع اصحابه قال مستهزئا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كان ليضلنا
اي قد قارب ان يضلنا عن عبادة آلهتنا لولا ان صبرنا عليها اي على عبادتها والمعنى لولا نصبر
عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب اي في الآخرة عيانا من اضل سبيلا
اي اخطأ طريقا ارأيت من اتخذ الهه هواه وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا
فاذا رأى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن وعبده وقال ابن عباس ارأيت من ترك عبادة
الله خالقه ثم هوي حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد افانت تكون عليه وكيلا اي
حافظا تحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها
اية القتال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اي ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون اي
ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون
القول واذا سمعوا لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى
ان هم اي ما هم الا كالانعام اي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال
تعالى بل هم اضل سبيلا لان البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها الذين تعاهدها
وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح
والكفار لا يفعلون ذلك قوله عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع
الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما ثابتا لا يزول ولا
تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا معنى دلالتها انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل
ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها ثم قبضناه يعني الظل الينا قبضا يسيرا
اي بالشمس التي تاتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس
قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا خفيا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا اي سترا تستترون فيه
والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه والنوم سباتا اي
راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم وجعل النهار نشورا اي يقظة وزمانا تنتشرون فيه لابتغاء الرزق
وطلب الاشغال وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا
الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي واراد به المطهر
والماء مطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب
اصحاب الرأي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل
الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى ان
الطهور ما يتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء توضأ به مرة وان وقع في الماء شيء
غير طعمه او لونه او ريحه هل تزول طهوريته ينظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب
واوراق الاشجار فيجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذا لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن
يطيب فيه فيتروح الماء برائحته تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيئا يمكن
صون الماء منه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وان لم يتغير احد
اوصافه نظر ان كان الواقع شيئا طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا او كثيرا وان

وان كان الواقع شيا نجسا نظر ان كان الما اقل من قلتين تنجس الما، وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز
الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي يدل عليه ما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل
عن الما يكون في الفلاة يرده من السباع والدواب فقال اذا كان الما قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود
والترمذي وهذا قول الشافعي واحمد واسحق وجماعة من اهل الحديث ان الما اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع
النجاسة فيه ما لم يتغير احد اوصافه وذهب جماعة الى ان الما القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير
طعمه او لونه او ريحه وهو قول الحسن وعطا والنخعي والزهري واحتجوا بما روي عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا
رسول الله انه يستقى لك من بير بضاعة وهي بير يلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر الناس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الما طهور لا ينجسه شي وفي رواية قال قيل يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة وهي
بير يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الما طهور لا ينجسه شي اخرجه
ابو داود وقوله تعالى لنحيي به اي بالمطر بلدة ميتا قيل اراد به موضع البلدة ونسقيه مما خلقنا
انعاما اي نسقي من ذلك الما انعاما واناسي كثيرا اي بشرا كثيرا والاناسي جمع انسي وقيل جمع
انسان قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلد آخر وقال ابن عباس ما
عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرا هذه الاية وهذا كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل
ولا نهار الا والسما تمطر فيها يصرفه الله حيث يشا وروي عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بامطر
من اخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في السما الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل
معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر
الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل
التصريف راجع الى الريح ليذكروا اي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى فابى اكثر الناس
الا كفورا اي جحودا وكفرهم هو انهم اذا امطروا قالوا مطرنا بنو كذا عن زيد بن خالد الجهني انه قال صلى
بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما من الليل فلما انصرف اقبل على الناس
فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما
من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فذلك
كافر بي مومن بالكوكب قوله عز وجل ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك
الى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما اعتدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة
فلا تطع الكافرين اي فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وجاهدهم به اي بالقرآن
جهادا كبيرا اي شديدا وهو الذي مرج البحرين اي خلطهما وافاض احدهما على الآخر وقيل ارسلهما
في مجاريهما وخلاهما هذا عذب فرات اي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة وهذا ملح اجاج
اي شديد الملوحة وقيل مر وجعل بينهما برزخا اي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح
ولا الملح بالعذب وحجرا محجورا اي سترا ممنوعا فلا يبغي احدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب
قوله عز وجل وهو الذي خلق من الما اي من النطفة بشرا فجعله نسبا وصهرا اي جعله ذا نسب
وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما
لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح
وقد حرم الله تعالى بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعها في قوله حرمت عليكم الاية وقد تقدم تفسير

امهاتكم

ذلك في سورة النساء وكان ربك قديرا اي على ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر
الذكر والانثى ويعبدون من دون الله يعني هولا المشركين ما لا ينفعهم ولا اي ان عبدوه ولا
يضرهم اي ان تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام
معاونة الشيطان وقيل معنى ظهيرا اي هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهرك ولم
تلتفت اليه قيل اراد بالكافر ابا جهل والاصح انه عام في كل كافر قوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا
اي بالثواب على الايمان والطاعة ونذيرا اي منذرا بالعقاب على الكفر والمعصية قل ما اسالكم عليه
اي على تبليغ الوحي من اجر اي فتقولون انما يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا معناه لكن من شاء ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا
يكون المعنى لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل
الى جنته وتوكل على الحي الذي لا يموت معناه ان الله تعالى لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب
منهم اجرا البتة امره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على
حي يموت انقطع توكل من توكل عليه بموته واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من
توكل عليه ولا يضيع البتة وسبح بحمده اي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله
والحمد لله وكفى به بذنوب عباده خبيرا يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه
انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافاتهم وفيه وعيد شديد كانه قال ان اقدمتم على
مخالفة امري كفاكم علمي في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا اي فاسال الخبير بذلك يعني بما ذكر من
خلق السموات والارض والاستوا على العرش وقيل معناه ايها الانسان لا ترجع في طلب العلم
بهذا الى غيري وقيل معناه فاسال عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن اي ما نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة
الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة انسجد لما تامرنا انت يا محمد وزادهم نفورا اي قول القايل اسجدوا
للرحمن نفورا اي عن الايمان والسجود فصل هذه السجدة من عزايم السجدات فيسن للقاري
والمستمع ان يسجد عند سماعها وقراتها قوله تعالى تبارك الذي جعل في السما بروجا قيل البروج
هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي
البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي
هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا يعني الشمس وقمرا منيرا
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس خلفا وعوضا يقوم احدهما مقام صاحبه
فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الآخر قال شقيق جا رجل الى عمر بن الخطاب فقال فاتتني الصلاة
الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد
ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف
احدهما صاحبه اذا ذهب هذا جا هذا فهما يتعاقبان في الضيا والظلمة والزيادة والنقصان

لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتعظ او اراد شكورا يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما قوله عز وجل وعباد
الرحمن قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله الذين يمشون على الارض
هونا اي بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين بل حلما علما اصحاب وقار وعفة
واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفهاء بما يكرهونه قالوا سلاما اي سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون
وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال
ثم نسختها اية القتال وروي عن الحسن البصري انه قرا هذه الاية قال هذا وصف نهارهم ثم قرا والذين يبيتون
لربهم بالليل في الصلاة سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم وقال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخرة
ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما م عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة قوله تعالى
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب
من الكفار قال محمد بن كعب سال الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوها فاغرمهم فبقوا في النار وقيل كل
غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم انها يعني جهنم ساءت اي بئست
مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قيل الاسراف النفقة
في معصية الله وان قلت والاقتار منع حق الله وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في
الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو ان لا يجيع عياله ولا يعريهم
ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وكان بين ذلك قواما اي قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار
حسنة بين السيئتين قيل هذه الاية في صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة
ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا ياكلون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن
الثياب ما يستر العورة ويكنهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفى سرفا ان لا يشتهي شيئا الا
اشتراه فاكله قوله عز وجل والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية ق عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك
كانوا قد قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا اليه
لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ق عن
عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك
قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل
الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
ومن يفعل ذلك يلق اثاما ومعنى الاية ومن يفعل شيئا من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس اثاما
يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثام واد في جهنم وروي في الحديث ان الغي والاثام بئران
يسيل فيهما صديد اهل النار يضاعف له العذاب يوم القيامة قيل سبب تضعيف العذاب ان
المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العقوبة على شركه وعلى معاصيه ويخلد فيه
مهانا اي ذليلا قوله تعالى الا من تاب اي من ذنبه وامن بربه وعمل عملا صالحا اي فيما بينه
وبين ربه روي عن ابن عباس قال قراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا

اصحاب م

يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء فرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
رحيما قال ابن عباس يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل
المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيمة
م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر رجل يخرج من النار رجل يؤتى به يوم القيمة فيقال
اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت
يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان
كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت اشياء لا اراها ههنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب
وعمل صالحا قيل هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا ومعناه من تاب من الشرك
وعمل صالحا يعني ادى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله اي يعود اليه بعد الموت متابا اي
حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالاية الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني رجوع
الى الله للجزاء والمكافاة وقيل هذه الاية ايضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه من اراد التوبة وعزم
عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره
الى الله قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور يعني الشرك وقيل يعني شهادة الزور ق عن ابي بكرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان
عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل لا يشهدون
الزور يعني اعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقيل الزور
اللهو واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع واصل الزور
وحقيقته تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق واذا مروا باللغو هو كل
ما يجب ان يلغى ويترك مروا كراما يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا
التفسير تكون الاية منسوخة باية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل
مروا كراما اي مسرعين معرضين عنه وهو ان يكرموا انفسهم ويكرموها عن هذه المجالس السيئة
والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور انما هو اثبات
له ونفي الصمم والعمى والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها باذان واعية واقبلوا على المذكر بها بعيون
مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا اي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كانهم صم عمي بل يسمعون
ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه قوله عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا قرة اعين اي ابرارا اتقياء صالحين فتقر اعيننا بذلك قيل ليس شيء اقر لعين المؤمن ان يرى
زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك
وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين
عند السرور بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن النظر
الى غيره واجعلنا للمتقين اماما اي ائمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا

وذرياتنا
قيل

المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ايمة هداة وقيل معناه انهم سالوا الله ان يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي
يشار اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من
المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين بمتقين اولئك يجزون الغرفة اي الدرجة العالية
الرفيعة في الجنة وقيل يريد غرف الذهب والزبرجد واللولو والياقوت في الجنة بما صبروا اي على طاعة الله واوامره
وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية اي ملكا وقيل بقاء دايما وسلاما
اي ليسلم بعضهم على بعض ويرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما اي سلامة من الافات
خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة قوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي اي ما
يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سوا وقيل معناه اي وزن ومقدار لكم عنده لولا دعاوكم ايا
وقيل معناه لولا دعاوه اياكم الى الاسلام فاذا امنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبا بخلقكم
لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لعبادته وطاعته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معنى ما
يعبا اي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم معه الهة وقيل معناه ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسالوني
فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم فقد كذبتم يعني ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم
الى توحيده وعبادته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان فسوف
يكون لزاما هذا تهديد لهم اي يكون تكذيبكم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا
والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دايما
وهلاكا لازما مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر سبعون وهو قول
عبد الله بن مسعود وابي بن كعب يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الاخرة لازما لهم ق
عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان
والقمر والروم والبطشة واللزام

تفسير سورة الشعرا وهي مكية

الا اربع ايات من اخر السورة من قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون وهي مايتان وسبع وعشرون
اية والف ومايتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة الاف وخمسماية واربعون حرفا روي عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم قال ابن عباس
طسم عجزت العلما عن علم تفسيرها وفي رواية اخرى عنه انه قسم وهو من اسما الله وقيل اسم من
اسما القران وقيل اسم السورة وقيل اقسم بطوله وسناه وملكه تلك ايات اي هذه الايات ايات
الكتاب المبين قيل لما كان القران فيه دلايل التوحيد والاعجاز الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ودلايل الاحكام لعلك باخع اي قاتل نفسك ان لا يكونوا مومنين اي ان لم يومنوا وذلك حين
كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية ان نشا ننزل عليهم من السما
اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اي لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون بها فلا يلوي احد منهم عنقه
الى معصية الله وقيل معناه لو شا الله لاراهم امرا من امره لا يعمل احد منهم بعده معصية فان
قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلا
قيل خاضعين وقيل اعناق الناس روساوهم ومقدموهم اي فظلت كبراوهم لها خاضعين وقيل

اي يثابون

اراد بالاعناق الجماعات يقال جا عنق من الناس اي جماعة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن اي وعظ وتذكير محدث
اي محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكل ما نزل شي من القران بعد شي فهو احدث من الاول الا كانوا عنه معرضين
اي عن الايمان به فقد كذبوا فسياتيهم اي فسوف ياتيهم انبا اي اخبار وعواقب ما كانوا به يستهزيون
اولم يروا الى الارض يعني المشركين كم انبتنا فيها اي بعد ان لم تكن فيها نبات من كل زوج كريم اي جنس
ونوع وصنف حسن من النبات مما ياكل الناس والانعام قال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل
الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ان في ذلك اي الذي ذكرت لاية اي دلالة تدل على كمال قدرتنا وتوحيدنا
كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وما كان اكثرهم مومنين اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا
يومنون ولا يصدقون وان ربك لهو العزيز اي المنتقم من اعدايه الرحيم لاوليايه قوله تعالى واذ
نادى اي واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى اي حين راى الشجرة والنار ان ايت القوم الظالمين
يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرايل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب قوم
فرعون يعني القبط الا يتقون اي يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به قال يعني موسى
رب اي يا رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري اي بتكذيبهم اياي ولا ينطلق لساني اي للعقدة
التي كانت على لسانه فارسل الى هرون اي ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة ولهم علي ذنب اي
دعوى ذنب وهو قتله القبطي فاخاف ان يقتلون اي به قال الله عز وجل كلا اي لن يقتلوك
فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون اي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهما بلفظ
الجمع في قوله انا معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وذلك جايز في لغة العرب فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول كما في قوله فاتياه فقولا انا رسولا ربك
قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله
هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوو رسالة
كما قال كثير لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بشي ولا ارسلتهم برسول اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما
في الرسالة والشريعة والاخوة صارا كانهما رسول واحد وقيل معناه كل واحد منا رسول رب
العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولا تستعبدهم
وكان فرعون قد استعبدهم اربعماية سنة وكانوا في ذلك الوقت ستماية الف وثلثين الفا فانطلق موسى برسالة
ربه الى مصر وهرون بها فاخبر بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصى
والمكتل معلق في راس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هرون بان الله تعالى قد
ارسلني الى فرعون وارسل اليك حتى ندعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما وصاحت وقالت
ان فرعون يطلبك ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع بقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك
بالليل فدقا الباب ففزع البوابون وقالوا من بالباب فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب
الى فرعون وقالوا ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا
جميعا الى فرعون فلم يوذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون هاهنا انسان يزعم انه
رسول رب العالمين فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة
الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشا في بيته فقال الم نربك فينا وليدا اي صبيا ولبثت فينا
من عمرك سنين يعني ثلثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وانت من الكافرين قال

الكفر الغمط اي من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي تقول ربيناك فينا ومكثت بيننا ان قتلت منا نفسا وكفرت
بنعمتي وهذه رواية عن ابن عباس وقال ان فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبيا
لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين بفرعون والهيته قال يعني موسى فعلتها اذا
وانا من الضالين اي من الجاهلين بان ذلك يودي الى قتله لانه فعل الوكز على وجه التاديب لا على وجه
القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين ففررت منكم لما خفتكم اي الى مدين
فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل العلم والفهم وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الانكار ومعنى الاية او تلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف
الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة لم انس يوم الرحيل وقفتها وطرفها في دموعها غرق * وقولها والركاب
واقفة تركتني هكذا او تنطلق اي تتركني والمعنى انك تمن علي ان ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد
والمعاملات القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه فقد ذل فتعبيد
بني اسرائيل قد احبط حسنة اليك ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لم ادفع اليك حتى تربيني وتكفلني ولكان لي
من اهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين تقول اي شي رب العالمين الذي تزعم انك
رسوله الي يستوصف الهه الذي ارسله اليه وهو سوال عن جنس الشي والله تعالى منزه عن الجنسية
والماهية فلهذا اعدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله وآثار قدرته التي يعجز الخلق عن الاتيان بمثله
فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين انه خالقها فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته
لكم فان ايقنتم بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب عن ذكر السوال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني
اي كما توقنون هذه الاشيا التي تعاينوها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها واوجدها
فلما قال ذلك موسى قال لمن حوله اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسماية رجل عليهم الاسورة
الا تستمعون وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انا طلبت منه الماهية وخصوصية
الحقيقة وهو يجيبني بافعاله واثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان الهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان
فقال ربكم ورب ابايكم الاولين يعني ان موسى ذكر ما هو اقرب اليهم فقال ربكم يعني انه خالقكم وخالق ابايكم
الاولين قال يعني فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من السوال طلب الماهية
وهو يجيب بالاثار الخارجية وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السوال
فضلا عن ان يجيب عنه ويتكلم بكلام لا يعقله ولا يعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون
ليس بعاقل فزاد في البيان فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق ثالث
اوضح من الثاني ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم انه لا جواب عن سوالك الا ما ذكرته قال فرعون
حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قيل كان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان هوي به في الارض
وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه قال له موسى حين توعده بالسجن اولو جيتك بشي مبين اي بامر
بين والمعنى اتفعل ذلك ان جيتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من اخلاق الناس السكون الى
الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان قال يعني فرعون فات به اي انا لا اسجنك حينيذ ان كنت
من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل انها لما صارت حية ارتفعت في السماء قدر
ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي ارسلك الا ما اخذتها فاخذها موسى فعادت

عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم واراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا من غير برص
لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين فعند ذلك قال فرعون للملا
حوله ان هذا يعني موسى لساحر عليم وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه
ثم قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى
فماذا تامرون يعني ما رايكم فيه وما الذي اعمله فعند ذلك قالوا ارجه واخاه اي اخره واخاه
وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم قيل ان فرعون اراد قتل موسى فقالوا له لا تفعل
فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في امره ولكن اخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا يثبت له عليك
حجة قوله عز وجل فجمع السحرة لميقات يوم معلوم يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت
في اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي لتنظروا الى ما يفعل الفريقان
ولمن تكون الغلبة لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل ارادوا بالسحرة موسى وهرون
وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين طلبوا
من فرعون الجزاء وهو ما يبذل المال او الجاه فبذل لهم ذلك كله واكده بقوله قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اي بعظمة فرعون انا لنحن
الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم
قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
اي بعظمة فرعون انا لنحن الغالبون ثم اخذها موسى فاذا هي كما كانت اول مرة فالقي السحرة ساجدين
قيل انهم لما راوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا ان خروا ساجدين ثم انهم قالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهرون وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد مطلق وتهديد
شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير
انا الى ربنا منقلبون اي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا في الاخرة مومنين
غير انه وهو قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر ان اي لان كنا اول المومنين اي
من اهل زماننا وقيل اول المومنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله عز وجل واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج وقيل
اوحى الله الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا بدمائها
على ابوابكم فاني سامر الملائكة بقتل ابكار ال فرعون من انفسهم واموالهم وان لا يدخلوا بيتا
على بابه دم ثم اخرجوا واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي البحر فياتيك امري ففعل ذلك
موسى ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم
ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا
ابكارنا من اموالنا وانفسنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون في المداين حاشرين يعني الشرط
يحشرون الجيش قيل كانت المداين الف مدينة واثني عشر الف قرية وارسل فرعون في اثر موسى
وقومه الف الف وخمسماية الف وخرج فرعون في اثر موسى وقومه الف الف وخرج به الف وخرج
فرعون في الكرسي العظيم في مائة الف ملك مسومين مع كل ملك الف فلذلك قال ان هولاء لشرذمة قليلون

قال اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لا يعدون دون العشرين وفوق الستين
سنة وقال ابن مسعود كانوا ستمائة الف وسبعين الف ولا يحصى عدد اصحاب فرعون ٥ وانهم لنا لغايظون الغيظ الغضب
يعني انهم اغضبونا بمخالفتهم لدينا وقتلهم ابكارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم من ارضنا
بغير اذن منا وانا لجميع حذرون اي خايفون من شرهم وقرئ حاذرون اي ذو اداة واداة شاكون السلاح
وقيل الحاذر الذي يحذرك الان والحذر الذي لا تلقاه الا خايفا ٥ فاخرجناهم من جنات وعيون قيل كانت
البساتين ممتدة حافتي النيل فيها عيون وانهار جارية وكنوز يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة
وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان
لفرعون ثمانمائة الف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب ٥ ومقام كريم اي مجلس حسن
قيل اراد مجالس الامراء والرؤسا التي كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من
ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم اقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا
اخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك اي كما وصفنا واورثناها
بني اسرايل وذلك ان الله عز وجل رد بني اسرايل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم جميع ما كان
لفرعون وقومه من الاموال والمساكن الحسنة ٥ فاتبعوهم مشرقين اي لحق فرعون وقومه موسى واصحابه
وقت شروق الشمس وهو اضاءتها ٥ فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى
انا لمدركون اي سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم ٥ قال يعني موسى ثقة بوعد الله اياه ٥ كلا اي لن يدركونا
ان معي ربي سيهدين اي يدلني على طريق النجاة ٥ فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضربه
فانشق ٥ فكان كل فرق اي قطعة من الماء ٥ كالطود العظيم وقيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر
هاجت الريح وصار البحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا
والبحر امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع البحر فما تنسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك
فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل
واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده ٥ وازلفنا ثم الاخرين اي قربنا فرعون وقومه الى البحر وقدمناهم
الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرايل وبين قوم فرعون يقول لبني اسرايل ليلحق اخركم اولكم ويقول
للقبط رويدا ليلحق اخركم اولكم فكان بنو اسرايل يقولون ما راينا احسن سياقة من هذا الرجل وكان
قوم فرعون يقولون ما راينا احسن زعة من هذا ٥ وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين
يعني انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه واغرق فرعون وقومه وذلك لما تكاملوا في البحر
انطبق عليهم فاغرقهم ٥ ان في ذلك لاية يعني ما حدث في البحر من انفلاقه اية من الايات العظام الدالة
على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام ٥ وما كان اكثرهم مؤمنين يعني اهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا اسية
امراة فرعون وحزقيل مؤمن ال فرعون ومريم بنت ماموسا التي دلت على قبر يوسف حين اخرجه موسى
من البحر ٥ وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
اي اي شي تعبدون وانما قال ابرهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة الاصنام ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق
العبادة في شي ٥ قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي نقيم على عبادتها وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل ٥ قال هل يسمعونكم اي يسمعون دعاءكم ٥ اذ تدعون ٥ او ينفعونكم قيل بالرزق ٥
او يضرون اي ان تركتم عبادتها واذا كانوا كذلك فكيف تستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة

اي الجبل

قالوا

قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون المعنى انها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا باباينا
في ذلك وفي الاية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال ٥ قال افرايتم ما
كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون اي الاولون ٥ فانهم عدو لي اي اعداء لي وانما وحده على ارادة
الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل قلت معناه فانهم عدو لي
يوم القيمة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحيا العقلاء اطلق ابرهيم
لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب اراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك ٥
الا رب العالمين اي لكن رب العالمين فانه ولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله فقال
ابرهيم كل من تعبدون اعدائي الا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال الذي خلقني
فهو يهدين اي الى طريق النجاة ٥ والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني ويغذوني بالطعام والشراب ٥
واذا مرضت اضاف المرض الى نفسه استعمالا للادب وان كان المرض والشفا من الله ٥ فهو يشفين
اي يبريني ويعافيني من المرض والذي يميتني ثم يحيين اي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الاخرة ٥ والذي اطمع
اي ارجوا ٥ ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اي يوم الجزا والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وهم
الكلام عليها عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل
الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين
وهذا كله احتجاج من ابرهيم على قومه انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ٥ رب هب
لي حكما قال ابن عباس معرفة حدود الله واحكامه وقيل العلم والفهم ٥ والحقني بالصالحين اي
بمن سلف قبلي من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية ٥ واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي
ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا عاما في الامم التي تجي بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل اهل
الاديان يتولونه ويثنون عليه ٥ واجعلني من ورثة جنة النعيم اي ممن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة
الكبرى ٥ واغفر لابي انه كان من الضالين قيل دعا لابيه على رجاء انه يسلم فيغفر له فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه ٥ ولا تخزني اي لا تفضحني ٥ يوم يبعثون هو يوم القيمة ٥ يوم لا ينفع مال ولا
بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي خالص من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها
احد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق
مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمئن الى السنة ٥ وازلفت الجنة اي قربت
الجنة للمتقين ٥ وبرزت اي اظهرت ٥ الجحيم ٥ للغاوين اي الكافرين ٥ وقيل لهم يعني يوم القيمة اين ما كنتم
تعبدون من دون الله هل ينصرونكم اي يمنعونكم من عذاب الله ٥ او ينتصرون اي لا نفسهم
فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وقيل قلبوا وطرح بعضهم على بعض وقيل القوا على
رؤسهم ٥ فيها اي في الجحيم هم والغاوون يعني الالهة والعابدين وقيل الجن والكفار ٥ وجنود ابليس
اجمعون يعني اتباعه ومن اطاعه من الانس والجن وقيل ذريته ٥ قالوا وهم فيها يختصمون يعني العابدين
والمعبودين والمعنى انهم قالوا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم اي نعدلكم برب العالمين فنعبدكم ٥
وما اضلنا الا المجرمون يعني دعانا الى الضلال الا المجرمون يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس
وقيل الا الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن ادم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل
وانواع المعاصي ٥ فما لنا من شافعين يعني من يشفع لنا كما للمؤمنين شافعين من الملائكة والنبيين

جنة

ولا صديق حميم اي قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الصادق
في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليقول في
الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي باسناد الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الاصدقاء المؤمنين
فان لهم شفاعة يوم القيامة فلو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين اي انهم تمنوا الرجعة
حين لا رجعة لهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين اي مع هذه الدلايل والايات وان ربك لهو
العزيز الرحيم اي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين
اي كذبت جماعة قوم نوح وقيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول
واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الاخر منهم جاء بما جاء به الاول فمن كذب واحدا
من الانبياء فقد كذب جميعهم اذ قال لهم اخوهم نوح يعني اخوهم في النسب لا في الدين الا تتقون اي الا تخافون
فتتركوا الكفر والمعاصي اني لكم رسول امين اي على الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة فاتقوا الله اي بطاعته
وعبادته واطيعون اي فيما امركم به من الايمان والتوحيد وما اسألكم عليه من اجر اي جعل وجزاء
ان اجري اي ثوابي الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون قيل كرره ليؤكده عليهم ويقرره في
نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الا تتقون الله في مخالفتي وانا رسول الله ومعنى الثاني الا تتقون
الله في مخالفتي وانا لست اخذ منكم اجرا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي السفلة قال ابن عباس
يعني الغاغة وقيل هم الحاكة والاساكفة قال وما علمي بما كانوا يعملون اي بما اعلم اعمالهم
وصنايعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم واحوالهم شيء انما كلفت ان ادعوهم الى الله وما لي الا ظواهر
امرهم قال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم اعلم ان الله هداهم ويضلكم ويوفقهم
ويخذلكم ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنايعهم وما انا بطارد
المؤمنين اي عني وقد امنوا ان انا الا نذير مبين اي اخوف من كذبني فمن امن فهو القريب مني ومن لم
يؤمن فهو البعيد مني قالوا لئن لم تنته يا نوح اي عما تقول لتكونن من المرجومين اي من المقتولين
بالحجارة وهو اسوأ القتل وقيل من المشتومين قال رب ان قومي كذبون فافتح اي فاحكم بيني وبينهم
فتحا اي حكما ونجني ومن معي من المؤمنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون اي الموقر المملوء من
الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجاء نوح ومن معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
اني لكم رسول امين اي امين على الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع قال ابن عباس اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل
هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع اية اي علامة وهي العلم تعبثون اي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون
بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم بنوا بروج الحمام
فانكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية
وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل ماخذ الماء يعني الحياض لعلكم تخلدون اي كانكم
تبقون فيها خالدين لا تموتون واذا بطشتم اي اخذتم وسطوتم بطشتم جبارين اي قتلا
بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وهو مذموم في وصف البشر

فاتقوا الله

فاتقوا الله واطيعون فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم
بانعام وبنين وجنات وعيون فيه التنبيه على نعم الله عليهم اني اخاف عليكم قال ابن عباس اي ان
عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان جوابهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا
قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ان هذا
الا خلق الاولين قرئ بفتح الخا اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخا واللام اي عادة الاولين من
قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم وما نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية
نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين اي في الدنيا
امنين اي من العذاب في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها اي ثمرها الذي يطلع منها هضيم
قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل منهشم متفتت اذا مس
وقيل الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل هو المذنب وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين وقرئ فرهين وقيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل
معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعتكم فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس
اي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة الذين يفسدون في الارض اي بالمعاصي
ولا يصلحون اي لا يطيعون الله فيما امرهم به قالوا انما انت من المسحرين اي من المسحورين المخدوعين قال
ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا
ولست بملك فات باية اي على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين يعني انك رسول الله الينا
قال هذه ناقة لها شرب اي حظ من الماء ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء اي بعقر فياخذكم
عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين اي على عقرها لما راوا العذاب فاخذهم العذاب ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم
اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين يعني نكاح الرجال من بني ادم وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم يعني تتركون العضو المباح من النساء وتميلوا الى ادبار الرجال بل انتم قوم عادون
اي معتدون متجاوزون الحلال الى الحرام قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا
قال اني لعملكم من القالين اي من التاركين المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون اي من العمل الخبيث
قال الله تعالى فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا يعني امراته في الغابرين اي بقيت في المهلكين
ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت والنار فساء مطر المنذرين
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذب اصحاب الايكة اي
الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد المرسلين اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم لانه لم يكن
منهم وانما كان من مدين وهو مرسل اليهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين انما كانت دعوة كل هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على
صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ

الرسالة ﴿اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ اي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن ﴿وزنوا
بالقسطاس﴾ اي بالميزان العدل ﴿المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين﴾ يعني الخليقة والامم المتقدمين ﴿قالوا انما انت من المسحرين وما
انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا﴾ اي قطعا ﴿من السماء ان كنت من الصادقين
قال ربي اعلم بما تعملون﴾ اي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا
الوعظ والتبليغ ﴿فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم﴾ وذلك انه اصابهم حر شديد
فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم
نارا فاحترقوا جميعا ﴿ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ وقد تقدم الكلام على هذه
القصص في سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة هنا والله اعلم قوله عز وجل ﴿وانه﴾ يعني القران ﴿لتنزيل
رب العالمين﴾ يعني ان فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين ﴿نزل به الروح الامين﴾ يعني جبريل
عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه امينا لانه مومن على وحيه الى انبيائه ﴿على قلبك﴾ يعني
حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار
وساير الاعضا مسخرة له يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح
والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب او حزن تغير حال ساير الاعضا فكان القلب كالرئيس
لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير
المطلق وهو المكلف فاذا وضح القلب لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله ﴿لتكون من المنذرين﴾
اي المخوفين ﴿بلسان عربي مبين﴾ قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه ﴿وانه﴾ يعني ذكر القران وقيل
ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ﴿لفي زبر﴾ اي كتب ﴿الاولين اولم يكن لهم اية﴾ يعني اولم يكن لهؤلاء المنكرين
علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان يعلمه علماء بني اسرائيل﴾ يعني يعلمون محمدا صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا
نجد في التورية نعته وصفته فكان ذلك اية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام
وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قوله تعالى ﴿ولو نزلناه﴾ يعني القران ﴿على بعض الاعجمين﴾ وهو الذي
لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب ومعنى الاية لو انزلنا القران على رجل ليس بعربي
اللسان ﴿فقراه عليهم﴾ يعني القران ﴿ما كانوا به مومنين﴾ اي لقالوا لا نفقه قولك وقيل معناه لما
امنوا به انفة من اتباع من ليس من العرب ﴿كذلك سلكناه﴾ قال ابن عباس يعني ادخلنا الشرك والتكذيب
﴿في قلوب المجرمين لا يومنون به﴾ اي بالقران ﴿حتى يروا العذاب الاليم﴾ ﴿فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ اي لنومن ونصدق
تمنوا الرجعة والنظرة ﴿افبعذابنا يستعجلون﴾ قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب
قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى ﴿افبعذابنا يستعجلون افرايت ان
متعناهم سنين﴾ اي لكفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني العذاب
﴿ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ اي به في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا
فاذا اتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونون كانهم لم يكونوا في نعيم قط ﴿وما اهلكنا من
قرية الا لها منذرون﴾ يعني رسلا ينذرونهم ﴿ذكرى﴾ اي تذكرة ﴿وما كنا ظالمين﴾ اي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم

﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ يعني المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القران ﴿وما يستطيعون﴾ اي ذلك
ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال ﴿انهم عن السمع لمعزولون﴾ اي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون الى استراق
السمع ﴿فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من
ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك قوله عز وجل
﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾ روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه
الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان
الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما
اكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد انك الا تفعل ما تومر به يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما
واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به
ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب
وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما تناول رسول الله
صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله
فاكل القوم حتى ما لهم بشي حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد لياكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق
القوم فجيتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب
مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق
القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما
سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم
ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جيتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه
فايكم يوازرني على امري هذا ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم
سنا فقلت انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم
فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع
(ق) عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل
ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل
اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان
خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ساير اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب
وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية وقد تب وفي رواية لما نزلت وانذر عشيرتك
الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا
صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا
اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني
عنك من الله شيا ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيا ويا فاطمة بنت محمد

سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا م ع ش قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وانذر
عشيرتك الاقربين انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير
لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يربا اهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الاية
ان الانسان اذا بدا بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع
وكلامه انجع ٥ واخفض جناحك اي الن جانبك لمن اتبعك من المومنين فان قلت ما معنى التبعيض في
قوله من المومنين قلت معناه لمن اتبعك من المومنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المومنين بالسنتهم
وهم المنافقون ٥ فان عصوك اي فيما تامرهم به ٥ فقل اني بري مما تعملون اي من الكفر والمخالفة ٥ وتوكل على
العزيز الرحيم التوكل عبارة عن تفويض الرجل الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز
الذي يقهر اعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته ٥ الذي يراك حين تقوم اي الى صلاتك وقيل
يراك اين ما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك ٥ وتقلبك في الساجدين قال ابن عباس اي ويرى تقلبك
في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين في الجماعة يقول يراك اذا صليت
وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فانه صلى الله عليه وسلم كان يبصر من خلفه كما
يبصر من قدامه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى
علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك
المومنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء
من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة ٥ انه هو السميع اي لقولك ودعائك ٥ العليم اي بنيتك وعملك ٥ هل
انبئكم اي هل اخبركم ٥ على من تنزل الشياطين هذا جواب قولهم تتنزل عليه شيطان ثم بين على من تتنزل الشياطين
فقال تعالى تنزل على كل افاك اي كذاب ٥ اثيم اي فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين تسترق السمع ثم يلقون ذلك
الى اوليائهم من الانس وهو قوله يلقون السمع اي ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة ٥ واكثرهم كاذبون
لانهم يخلطونه بكذب كثير ٥ قوله عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار الذين
كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع
ابن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل
وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم حين
يهجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون هم الرواة الذين يروون
هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما
من الانصار تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه
الاية ٥ الم تر انهم في كل واد اي من اودية الكلام ٥ يهيمون يعني حائرين وعن طريق الحق جائرين والهائم الذاهب
على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل
انهم يمدحون الشيء ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص
على المعاني والقوافي ٥ وانهم يقولون ما لا يفعلون اي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم
ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شيء صدر منهم ق
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا
ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الكفار ويهجون الكفار وينافحون عن النبي صلى الله عليه وسلم

واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد انزل في الشعر ما انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم
على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من
نضح النبل اخرجه الترمذي والنسائي قال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة
قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع
ويوم مؤتة كان سنة ثمان والله اعلم ق عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان
اهج المشركين فان جبريل معك خ عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان
منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله يويد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم
فهجاهم فلم يرض فارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان
قد ان لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك
بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها
وان لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق لاسلنك
منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان
ان روح القدس لا يزال يويدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى قال حسان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا رسول الله شيمته الوفاء فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي ان لم تروها تثير النقع من طرفي كداء يبارين الاعنة مصعدات على اكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء فان اعرضتمو عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لضراب يوم يعز الله فيه من يشاء وقال الله قد ارسلت عبدا يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا هم الانصار عرضتها اللقاء لنا في كل يوم من معد سباب او قتال او هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء ٥
فصل في مدح الشعر خ عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة عن
ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من
الشعر حكما اخرجه ابو داود م عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت شيء قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال
هيه فانشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره عن جابر بن سمرة
قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية

وهو ساكت فربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح
فخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وروي عن
ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده فروي انه دعى عمر بن ابي ربيعة المخزومي فاستنشده
القصيدة التي قالها امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر فانشده القصيدة التي قالها آخرها
وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة وقوله تعالى
وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى وانتصروا من بعد ما ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم
بدأوا بالهجاء ثم اوعد المشركين فقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الطاهر المطهر من الهجاء اي منقلب ينقلبون اي اي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير
والله اعلم

تفسير سورة النمل

وهي مكية وهي ثلث وقيل اربع وتسعون آية
والف وماية وتسعة واربعون كلمة واربعة آلاف وسبعماية وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طس تلك آيات القرآن اي
هذه آيات القرآن وكتاب مبين اي وآيات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين اي هو هدى من الضلالة
وبشرى لهم بالجنة الذين يقيمون الصلاة اي الخمس بشرائطها ويؤتون الزكاة اي اذا وجبت عليهم
طيبة بها انفسهم وهم بالآخرة هم يوقنون يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم اي القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق
الله في القلب العلم بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق فيه العلم بما فيه من المضار والآفات فهم يعمهون
اي يترددون فيها متحيرين اولئك الذين لهم سوء العذاب اي اشده وهو القتل والاسر وهم في الآخرة
هم الاخسرون اي الذين خسروا انفسهم واهليهم وصاروا الى النار وانك لتلقى القرآن اي تؤتاه وتلقنه
وحيا من لدن حكيم عليم اي حكيم عليم اي علم فان قلت ما الحكمة ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة
هي العلم بالامور العملية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية
اشرف قوله عز وجل اذ قال اي اذكر يا محمد اذ قال موسى لاهله اي في مسيره من مدين الى مصر اني آنست نارا
سآتيكم منها بخبر اي امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وكان قد ترك الطريق او آتيكم بشهاب قبس
الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوس منها وقيل القبس هو العود الذي في احد طرفيه نار
لعلكم تصطلون اي تستدفئون من البرد وكان في شدة الشتاء فلما جاءها نودي ان بورك من في النار اي
بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى بورك من في طلب النار وهو موسى
ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى عليه السلام بالبركة
وقيل المراد من النور ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك النور الذي رآه
موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها وقيل
البركة راجعة الى النار وقال ابن عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك في النار ومن حولها وهم الملائكة
وموسى وروي عن ابن عباس في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه
على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها كما روي انه مكتوب في التورية جاء الله من سيناء واشرف من
ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثه موسى منه ومن ساعير بعثه المسيح منه
ومن جبال فاران بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله عز وجل

كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه
وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى وسبحان الله رب العالمين ثم تعرف الى موسى بصفاته
فقال تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم قيل معناه ان موسى قال من المنادي قال انه انا الله
وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من المعجزات والمعنى انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام
كقلب العصا حية وهو قوله والق عصاك تقديره فالقاها فصارت حية فلما رآها تهتز اي تتحرك
كأنها جان وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها ولى مدبرا اي هرب من الخوف ولم يعقب اي يرجع
ولم يلتفت قال الله عز وجل يا موسى لا تخف اي لا يخاف لدي المرسلون يريد اذا امنتهم لا يخافون اما
الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله الا من ظلم ثم
بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم قيل هو ما يقيد من الانبياء من ترك الافضل والصغائر
وقيل ان يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة
وسماه ظلما لقول موسى اني ظلمت نفسي ثم انه خاف من ذلك فتاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له
قال ابن جريج قال الله لموسى انما اخفتك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه
احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التاويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند
قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حالة من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره
بدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل هذا الاستثناء
من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو الاستثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدي المرسلون
انما الخوف عليهم من الظالمين وهو من الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس
فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم اي اغفر له وازيل خوفه وقيل الا
بمعنى ولا معناه لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعني تاب من ظلمه فاني غفور
رحيم ثم ان الله تعالى اراه آية اخرى فقال عز وجل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قيل
كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها فاذا هي تبرق مثل شعاع
الشمس والبرق من غير سوء اي غير برص في تسع آيات اي هذه آية مع تسع آيات انت مرسل بهن
فعلى هذا تكون الآيات احد عشر العصا واليد والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من اي من تسع آيات فتكون
اليد والعصا من التسع الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الطاعة
فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي بينة واضحة يبصر بها قالوا هذا اي الذي نراه سحر مبين اي ظاهر
وجحدوا بها اي انكروا الآيات ولم يقروا انها من عند الله واستيقنتها انفسهم اي علموا انها من عند الله
والمعنى انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم ظلما وعلوا اي شركا وتكبرا عن ان
يؤمنوا بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني الغرق قوله عز وجل ولقد آتينا
داود وسليمان علما اي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الجبال والطير وعلم سليمان منطق
الطير والدواب وقالا الحمد لله الذي فضلنا اي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس على
كثير من عباده المؤمنين اراد بالكثير الذين فضلوا عليهم من لم يؤت علما او لم يؤت مثل علمهما وفيه
انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع

قوله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وعلمه وملكه دون ساير اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا
واعطي سليمان ما اعطي داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا
من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله ۝ وقال يعني
سليمان يا ايها الناس علمنا منطق الطير سمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه روي عن كعب الاحبار
قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما تقول هذا قالوا لا قال انه تقول لدوا للموت وابنوا للخراب
وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاحت
طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بالي وصاح خطاف
فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما
تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمايه وملء ارضه وصاح قمري فقال اتدرون
ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحداة تقول كل
شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع
يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور
بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول
الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل
ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة
فعلى الدنيا العفا وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سايلوك عن سبعة اشيا فان
اخبرتنا امنا وصدقنا قال لهم سلوا تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ما يقول القنبر في صفيره والديك
في صعقته والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج
قال نعم اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وال محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين
واما الضفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في لجج البحار واما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار
واما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملايكة والروح واما الزرزور
فانه يقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم يا رزاق واما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش
استوى فاسلم اوليك اليهود وحسن اسلامهم وروي عن جعفر الصادق عن ابيه عن
جده الحسين بن علي رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال ابن ادم عش ما شيت اخره الموت
واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغضي ال
محمد واذا صاح الخطاف قرا الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد القاري ۝ وقوله واوتينا
من كل شيء اي مما اوتي الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقيل النبوة والملك
وتسخير الرياح والجن والشياطين ۝ ان هذا لهو الفضل المبين اي الزيادة الظاهرة على
ما اعطي غيرنا وروي ان سليمان اعطي مشارق الارض ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة
فملك جميع الدنيا من الانس والجن والشياطين والطير والدواب والسباع واعطي مع هذا
منطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنايع ذات الذهب ذات الاشيا العجيبة قوله تعالى وحشر اي

وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير من الاماكن المختلفة في مسير له ۝ فهم يوزعون اي يحبسون
حتى يردوا اولهم على اخرهم قيل كان على جنوده وزعة وهم النقبا ترد اولاها على اخراها لا يتقدمون في المسير
قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان مايه فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن
وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في
فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة فيقعد الانبيا على كراسي الذهب
والعلما على كراسي الفضة والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير
باجنحتها حتى لا تقع الشمس عليه وكان له ابنية من قوارير على الخشب فيها ثلثماية حرة يعني حرة وسبعماية
سرية فيامر الريح العاصف فترفعه ثم يامر الرخا فتسير به واوحى الله اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد
زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلايق بشي الا جاءت الريح فاخبرتك به قوله عز وجل حتى اذا اتوا على
واد النمل اي اشرفوا على واد النمل روي عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه
وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون
ويخبز الخبازون وهو بين السما والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من
اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة
نبي يكون في اخر الزمان طوبى لمن امن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة راى حول البيت اصناما
تعبد من دون الله فلما جاوزها بكى البيت فاوحى الله ما يبكيك قال يا رب ابكاني ان هذا نبي من
انبيايك وقوم من اوليايك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من
دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني سوف املاك وجوها سجدا وانزل فيك عمارا من خلقي يعبدونني
افرض عليهم فريضة يدفون اليك دفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها
والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير من
الطايف فاتى على وادي النمل كذا قال كعب وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل
مراكبهم وذلك النمل امثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير ۝ قالت نملة قيل كانت
عرجا وقيل ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمي ۝ يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقلا كالادميين فخوطبوا خطاب الادميين وهذا ليس بمستبعد
ان يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك ۝ لا يحطمنكم اي لا يكسرنكم ۝ سليمان وجنوده وهم لا
يشعرون قال اهل التفسير علم سليمان ان ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الاية انكم لو لم تدخلوا وطيوكم
ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلثة اميال وكان لا يتكلم احد الا حملته الريح حتى تلقيه في
مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم
من سليمان وجنوده وهم فوق البساط على متن الريح قلت كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادي
فلذلك قالت النملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوا لا يخاف حطمهم ۝
فتبسم ضاحكا من قولها قيل اكثر ضحك الانبيا التبسم ومعنى ضاحكا متبسما وقيل كان اوله
التبسم واخره الضحك (ق) عن عايشة قالت ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا
حتى ارى لهواته انما كان يتبسم عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيان احدهما ما دل

قيل؛

النملة

من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا
الثاني سرور بما اتاه الله ما لم يوت احدا من ادراكه سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا
راى او سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم عليه وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي ادخلني في جملتهم
واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل وتفقد الطير
اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد وكان سبب تفقده
الهدهد وسواله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا اظله الطير من الشمس فاصابته
الشمس من موضع الهدهد فنظر فراه خاليا وروي عن ابن عباس ان الهدهد كان دليل سليمان
على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر
الارض ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له
نافع بن الازرق يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد
وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه قال ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال دون البصر وفي رواية
اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوا فلم يجدوه
فتفقد الهدهد ليدل سليمان على الماء فقال ما لي ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم انه
ادركه الشك فقال ام كان من الغائبين اي اكان وقيل بل كان من الغائبين ثم اوعده على غيبته
فقال لاعذبنه عذابا شديدا قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل
ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص وقيل لاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه او لاذبحنه
او لياتيني بسلطان مبين اي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلما
ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب
جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام ما شاء الله ان يقيم وكان
ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة ويذبح خمسة الاف ثور وعشرين الف شاة وقال
لمن حضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على
جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه في الله
لومة لائم قالوا فباي دين يدين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه وامن به قالوا كم بيننا
وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغايب فانه سيد الانبياء وخاتم
الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما
نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السما لينظر الى طول الدنيا وعرضها
ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا اذ راى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد اخر وكان
اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت واين تريد
قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان قال ملك الانس والجن
والشياطين والطير والوحش والرياح فمن انت قال عفير انا من هذه البلاد قال ومن ملكها

وجنده

ثلاثة

قال امراة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها
اربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة الاف مقاتل ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر
قايد مع كل قايد اثنا عشر الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدني سليمان
في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره اذا اتيته بخبر هذه الملكة فانطلق
فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ماء فسال عن الماء الجن والانس فلم
يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك
ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الاية ثم دعا العقاب وهو اشد
الطير فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب في الهوا حتى نظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي
احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فراى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده وعلم الهدهد
العقاب يقصده بسوء فقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء
فتركه العقاب وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او يذبحك ثم طارا متوجهين
نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك اين غبت في يومك هذا فلقد
توعدك نبي الله واخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال او
ليأتيني بسلطان مبين قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتى به سليمان وكان قاعدا على
كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع راسه وارخى ذنبه
وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت
لاعذبنك عذابا شديدا قال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه
ثم ساله ما الذي ابطاك عني فقال الهدهد ما اخبر الله عنه في قوله فمكث غير بعيد اي غير طويل
فقال احطت بما لم تحط به اي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغه انت ولا جنودك الهم الله الهدهد
هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان ادنى خلقه قد احاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا
له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشي علما ان يعلم من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم
وجئتك من سبا قيل هو اسم للبلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبا بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال كان رجلا
له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة بنبا اي بخبر يقين فقال سليمان وما
ذاك قال اني وجدت امراة تملكهم هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان
ابوها ملكا عظيم الشان وقد ولد له اربعون ملكا هو اخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان
يقول لملوك الارض ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج فيهم فخطب الى الجن فزوجوه امراة
منهم يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير
الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صور الظبا فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك
واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فراى حيتين يقتتلان
بيضا وسودا وقد ظهرت السودا على البيضا فقتل السودا وحمل البيضا وصب عليها الماء
فافاقت فاطلقها فلما رجع الى داره جلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال
لا تخف انا الحية البيضا التي احييتني والاسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا

انباء

الاطراف

وعوض عليه المال فقال المال الاحاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت
له بلقيس وجاء في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من
قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وابى اخرون وملكوا عليهم رجلا اخر يقال انه ابن اخ الملك وكان
خبيثا اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه
فلم يقدروا عليه فلما رات بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت تعرض نفسها عليه فاجابها
الملك وقال مامنعني ان ابتديك بالخطبة الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفؤ كريم
فاجمع رجال اهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بل انها رغبت في
فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثير من حشمها وخدمها
فزجوها ه
ولما خلت سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت راسه وانصرفت الى منزلها من الليل
فلما اصبحت ارسلت الى وزرايه واحضرهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يانف لكريمته
او كرايم عشيرته ثم اريتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا يملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك
فملكوها وعلموا ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها خ عن ابي بكرة رضي الله عنه قال لما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا
امرهم امراة وقوله واوتيت من كل شيء يعني مايحتاج اليه الملوك من الالة والعدة ولها عرش عظيم
اي سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما راى من عظمة ملك سليمان مع عظم ملكه
قلت يحتمل انه لم يكن لسليمان مثله لانه قد يتفق ان يكون لبعض الامرا شي لا يكون للملك مثله وكان عرش بلقيس ثلثين ذراعا وطوله في السما ثلثين
ذراعا وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه ثلثون
ذراعا قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انهم
كانوا مجوسا يعبدون الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم المزين هو الله لانه الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان
لانه سبب الاغوا فصدهم عن السبيل اي عن طريق الحق الذي هو دين الاسلام فهم لا يهتدون
اي الى الصواب الا يسجدوا وقرى بالتخفيف ومعناه الا يا ايها الناس اسجدوا وهو امر من الله مستانف
وقرى بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم لان لا يسجدوا لله الذي يخرج الخب يعني الخفي
المخبو في السموات والارض قيل خب السما المطر وخب الارض النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون
والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من
هو قادر على ما في السموات والارض عالم بجميع المعلومات الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اي هو المستحق
للعبادة والسجود لا غيره فصل وهذه السجدة من عزايم السجود يستحب للقاري والمستمع ان
يسجد عند قرايتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا
وانما وصف عرش الله تبارك وتعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق
فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان سننظر اصدقت اي فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين ثم ان
الهدهد دلهم على الما فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من سليمان
عبدالله
ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا
علي واتوني مسلمين قيل لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه وكذلك الانبيا كانوا يكتبون جملا
لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي

هذا فالقه اليهم انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد اني وجدتها وقومها
يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم ثم تول عنهم اي تنح عنهم فكن قريبا منهم
فانظر ماذا يرجعون اي يردون من الجواب وقيل فيه تقديم وتاخير فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون
ثم تول عنهم اي انصرف اليه فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض مارب
من اليمن على ثلاث مراحل من صنعا فوجدها نايمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت راسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فالقى الكتاب على نحرها وقيل
حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المراة وحولها القادة والوزرا والجنود فرفرف
ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه
كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فاتى الهدهد
فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى
بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارية فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك
سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرات وتاخر الهدهد
غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم الاشراف قال ابن عباس
كان مع بلقيس مايه قيل مع كل قيل مايه الف والقيل الملك دون الملك الاعظم وقيل
كان اهل مشورتها ثلثمايه وثلثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف فلما جاوا اخذوا
في مجالسهم قالت لهم بلقيس يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم قيل سمته كريما لانه كان
مختوما وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه قال ابن عباس
كريم اي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه من سليمان وبينت المكتوب فيه
فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم فان قلت لم تقدم اسم سليمان على اسم الله قلت ليس هو
كذلك بل ابتدا سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان
ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت انه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي قال ابن عباس لا تتكبروا علي
والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر واتوني مسلمين اي طايعين مومنين
وقيل من الاستسلام وهو الانقياد قالت يا ايها الملا افتوني في امري اي اشيروا علي فيما
عرض لي ما كنت قاطعة امرا اي قاضية وفاصلة امرا حتى تشهدون اي تحضرون قالوا يعني
الملا مجيبين لها نحن اولوا قوة اي في الجسم على القتال واولوا باس شديد اي عند الحرب
وقيل اراد والقوة كثرة العدد والباس الشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال ان امرتهم
بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة اي في القتال وتركه فانظري ماذا تامرين اي تجدينا مطيعين
لامرك قالت بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يوول اليه امره ان الملوك اذا دخلوا
قرية اي عنوة افسدوها اي خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي اهانوا اشرافها وكبراها
كي تستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها وصدق
الله قولها فقال تعالى وكذلك يفعلون اي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قولها وهو كالتاكيد
لما قالت ثم قالت واني مرسلة اليهم اي الى سليمان وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي واختبر
بها املك هو ام نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا

الان نتبعه على دينه وهو قولها فناظرة بم يرجع المرسلون وذكر ان بلقيس كانت امراة لبيبة عاقلة قد
ساست الامور وجربتها فاهدت وصفا ووصايف قال ابن عباس مايه وصيف ومايه وصيفه وقال وهب
وغيره عمدت بلقيس الى خمسمايه غلام وخمسمايه جاريه فالبست الجواري لباس الغلمان الاقبيه والمناطق والبست
الغلمان لباس الجواري وجعلت في ايديهم اساور الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي اذانهم اقرطة وشنوفا
مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمايه رمكة والغلمان على خمسمايه برذون على كل فرس سرج من الذهب
موصع بالجوهر واغشيه الديباج وبعثت اليه لبنات من ذهب ولبنات من فضه وتاجا مكللا بالدر والياقوت
وارسلت بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبه وخرزة جزع
معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب
عقل وراي وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كان نبيا ميز بين الوصفا والوصايف واخبرنا
بما في الحق قبل ان يفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وادخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت
بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنيث يشبه كلام النسا وامرت الجواري ان يكلمنه
بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظرا فيه غضب
فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشا لطيفا فاعلم انه نبي فتفهم قوله ورد
الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا
لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ وان يفرشوا فيه لبن الذهب والفضة
وان يخلوا اقدر تلك اللبنات التي معهم وان يعملوا حول الميدان حايطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا
ثم قال اي دواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله ما راينا احسن من دواب في البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة
الوانها لها اجنحة واطراف ونواصي قال علي بها الساعة فاتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال
للجن علي باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على
سريره ووضع اربعة الاف كرسي على يمينه وعلى شماله وامر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع
والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب
التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم وخبوا ما معهم من الهدايا وقيل
ان سليمان لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبنات
فلما راى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما
نظروا الى الشياطين هالهم ما راوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الجن
والانس والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملتقا حسنا وسالهم عن حالهم
فاخبره رييس القوم بما جاوا فيه واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاتي به فحركها فجاء جبريل
فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاثقب
الدرة وادخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها وسال الجن والانس فلم يكن عندهم علم ذلك
ثم سال الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة فلما جاءت الارضة اخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت
من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة
فقالت دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر
فقال سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقي في الفواكه فقال ذلك لك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان امرهم ان

يغسلوا

يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام ياخذ
الماء بيديه ويضرب به وجهه وكانت تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بذلك بين الغلمان
والجواري ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله فقال تعالى فلما جاء سليمان قال اتمدونني بمال فما اتاني الله اي ما
من الدين والنبوة والحكمة والملك خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون بان يهدي بعضكم الى بعض
واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك اكرمني
بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد ارجع اليهم اي بالهدية فلناتينهم بجنود لا قبل اي
لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم منها اي من ارض سبا اذلة وهم صاغرون اي ان لم ياتوني مسلمين قال وهب
وغيره من اهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وبلغوها ما قال قالت والله
قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر
ما امرك وما الذي تدعو اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلت في اخر سبعة ابيات بعضها داخل بعض
ثم اغلقت عليه سبعة الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك
وسرير ملكي لا يخلص اليه احد ثم امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها توذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان
في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس يعني مايه الف وكان سليمن
رجلا مهيبا لا يبتدي بشي حتى يكون هو يسال عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه
قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمن
على جنوده وقال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال ابن عباس يعني طايعين
وقيل مومنين وقيل غرض سليمان في احضار عرشها لانها قد رغب الله تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته
وقيل اراد ان ينكره ويغيره فيختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم انها ان اسلمت يحرم
عليه مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه صفته لما وصفه الهدهد له وقيل
اراد ان يعلم ملكها لان قدر السرير على قدر المملكة قال عفريت من الجن وهو المارد القوي وقال ابن عباس
العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذي وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع
قدمه عند منتهى طرفه انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك لقضايك قال ابن عباس
وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى منتصف النهار وقيل نصفه واني عليه اي على حمله لقوي امين
اي على ما فيه من الجواهر وغيرها ويحتمل قال سليمان اريد اسرع من ذلك قال الذي عنده علم من
الكتاب قيل هو جبريل وقيل هو ملك ايد الله به سليمان وقيل اصف بن برخيا وكان صديقا يعلم
اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى وقيل هو سليمن نفسه لانه اعلم
بني اسرايل بالكتاب وكان الله قد اتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه
فاراد سليمان اظهار معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتاتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتاتى
للعفريت وقيل كان الدعا الذي دعا به يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عايشة
وروي عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها
قال ابن عباس ان اصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه
فنظر نحو اليمن ودعا اصف فبعث الله الملايكة فحملوا السرير يخدون به تحت الارض حتى نبع من بين يدي
سليمان وقيل خر اصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار العرش تحت الارض حتى ظهر

هوم

عند كرسي سليمان وقيل لما قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمن هات قالت انت النبي بن
النبي وليس احد اوجه عند الله منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجي بالعرش في
الوقت فلما رءاه يعني راى سليمان العرش مستقرا عنده اي محمولا اليه من مارب الى الشام في قدر ارتداد
الطرف قال هذا من فضل ربي يعني التمكن من حصول المراد ليبلوني اي ليختبرني ءاشكر اي نعمته علي ام اكفر اي
فلا اشكرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام النعمة ودوامها
لان الشكر قيد النعم الموجوده وصيد النعم المفقوده ومن كفر فان ربي غني اي عن شكره لا يضره ذلك
الكفران كريم اي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة قال نكروا لها عرشها
يعني غيروا سريرها الى حال تنكرها اذا راته قيل هو ان يزاد فيه وينقص منه وقيل انه جعل اسفله
اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر ننظر اتهتدي اي الى معرفة عرشها ام تكون
من الذين لا يهتدون اي الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان
الشياطين خافت ان يتزوجها سليمن فتفشي اليه اسرار الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون
من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساوا الثنا عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيا وان
رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببنا
الصرح فلما جاءت قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه هو قيل انها عرفته ولكنها شبهت عليهم
كما شبهوا عليها وقيل كانت حكيمة فلم تقل نعم خوفا من الكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب
ايضا فقالت كانه هو فعرف سليمان بذلك كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها
امر العرش لانها تركته في بيت خلف سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما
اغنى عنك اغلاق الابواب ثم قالت واوتينا العلم اي بالله وبصحة نبوة سليمان بالايات المتقدمة
من امر الهدهد والرسل من قبلها اي من قبل الاية في العرش وكنا مسلمين اي منقادين طائعين لامر سليمن
وقيل قوله واوتينا العلم من قبلها هو من قول سليمان ومعناه واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشا من قبل
هذه المراة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه اذ خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام
وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيها طائعة من قبل مجيها وكنا مسلمين طائعين لله قوله عز وجل
وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه وصدها
سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه انها كانت من قوم كافرين اخبر الله انها كانت
من قوم يعبدون الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان
لما اختبر عقلها بتنكير العرش اراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان يسالها كشفهما لما اخبرته الجن ان
رجليها كحافر حمار وهي شعراء الساقين فامر الشياطين فبنوا له قصرا من زجاج ابيض كالماء وقيل الصرح
صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع وغيرها من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس
وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت هي في الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعا بلقيس
فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة اي ماء عظيما وكشفت عن ساقيها لتخوض الماء الى سليمان
فنظر سليمان فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء الساقين فلما راى سليمن ذلك صرف بصره
عنها قال انه صرح ممرد اي مملس من قوارير اي زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك
وعلمت ان ملك سليمن من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة فقالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك

واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته
لجة قالت في نفسها ان سليمن يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت
رب اني ظلمت نفسي اي بذلك الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى قولها اسلمت
لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم انه تزوجها وكره ما راى من
كثرة شعر ساقيها فسال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المراة اني لم تمسني حديدة قط فكره
سليمن الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري فسال الشياطين فقالوا نحتال لك
حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ ولما تزوجها سليمان
احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا
وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبكر
من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر ولدا وقال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت
قال لها سليمن اختاري رجلا من قومك حتى ازوجكه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي
في قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك قالت فان
كان لابد من ذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وردها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا
زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان
وحال الحول وتبينت الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن صرخ باعلى صوته
يا معشر الجن ان الملك سليمن قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع
وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن
ثلث وخمسين سنة قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي وحدوه
ولا تشركوا به شيا فاذا هم فريقان يختصمون اي في الدين كل فريق يقول الحق معه قال يعني
صالحا للفريق المكذب يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالبلا والعقوبة قبل الحسنة اي
العافية والرحمة لولا اي هلا تستغفرون الله اي بالتوبة اليه من الكفر لعلكم ترحمون اي
لا تعذبون في الدنيا قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك قيل انما قالوا ذلك لتفرق
كلمتهم وقيل لامساك المطر عنهم فقالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شوم مثلك وشوم
اصحابك قال طائركم عند الله اي ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله وهو مكتوب عليكم سمي
طائرا لانه لا شي اسرع من نزول القضا المحتوم وقال ابن عباس الشوم الذي اتاكم من عند الله
بكفركم وقيل طائركم اي عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى السما بل انتم قوم
تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون ثم قوله تعالى
وكان في المدينة يعني مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط يعني من ابناء اشرافهم يفسدون
في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا
على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف قالوا تقاسموا بالله اي تحالفوا ايها القوم لنبيتنه
اي لنقتلنه اي لنقتلنه ليلا واهله اي وقومه الذين امنوا به ثم لنقولن لوليه اي
لولي دمه ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك اهله اي لا ندري من قتله ولا اهلاك اهله
وانا لصادقون اي في قولنا ما شهدنا ذلك ومكروا مكرا اي غدروا غدرا حين قصدوا

تبييت صالح وقتله ٥ ومكرنا مكرا اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم ٥ وهم لا يشعرون ٥ فانظر
كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اي اهلكناهم يعني التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملايكه
تلك الليله الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملايكه بالحجارة
وهم يرون الحجارة ولا يرون الملايكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم بالصيحة ٥ فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا اي بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية اي لعبرة ٥ لقوم يعلمون اي قدرتنا ٥ وانجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون قيل ان الناجين كانوا اربعة الاف قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة
اي الفعلة القبيحة ٥ وانتم تبصرون اي تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل
معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم ٥ ائنكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم تجهلون فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال
بعده بل انتم قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين
وتعلمون بانها فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التي كانوا
عليها ٥ فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يعني
من ادبار الرجال فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين اي قضينا عليها بان
جعلناها من الباقين في العذاب ٥ وامطرنا عليهم مطرا اي حجارة ٥ فساء اي فبئس
مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذا خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه
وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الانبيا والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم وقيل هم جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المومنين من السابقين
واللاحقين ٥ الله خير اما يشركون فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار
والمعنى الله خير لمن عبده ام الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وامن به من الهلاك والاصنام
لم تغن شيا عن عابدها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر انواعا تدل على وحدانيته
وكمال قدرته فالنوع الاول قوله تعالى امن خلق السموات ذكر اعظم الاشيا المشاهدة

والارض

الدالة على عظيم قدرته والمعنى الاصنام خير ام الذي خلق السموات والارض ثم ذكر نعمه فقال
وانزل لكم من السماء ماء يعني المطر فانبتنا به حدايق اي بساتين جمع حديقة وهو البستان
المحاط عليها فان لم يكن عليه فليس بحديقة ٥ ذات بهجة اي ذات منظر حسن والبهجة الحسن
يبتهج به من يراه ٥ ما كان لكم ان تنبتوا شجرها يعني ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان
الانسان قد يقول انا المنبت للشجر بان اغرسها واسقيها الماء فازال الله تعالى هذه الشبهة
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدايق المختلفة الاصناف والطعوم والروايح
تسقى بماء واحد لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى ولا يتاتى لاحد وان تاتى ذلك لغيره مجازا ٥
االه مع الله يعني هل معه معبود اعانه على صنعه ٥ بل يعني ليس معه اله ولا له شريك ٥
هم قوم يعني كفار مكة ٥ يعدلون يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل
النوع الثاني قوله عز وجل امن جعل الارض قرارا اي دحاها وسواها للاستقرار عليها
وقيل لا تميد باهلها ٥ وجعل خلالها اي وسطها ٥ انهارا تطرد بالمياه ٥ وجعل لها رواسي

اي

اي جبالا ثوابت ٥ وجعل بين البحرين يعني العذب والمالح حاجزا اي مانعا لئلا يختلط احدهما بالاخر ٥ االه
مع الله بل اكثرهم لا يعلمون اي توحيدهم وقدرته وسلطانه النوع الثالث قوله تعالى امن يجيب
المضطر اي المكروب المجهود وقيل الضرورة الحاجة المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر اذا
نزلت باحد بادر الى الالتجا والتضرع الى الله وقيل هو المذنب اذا استغفر ٥ اذا دعاه يعني فيكشف
ضره ٥ ويكشف السوء اي الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنا ومن مرض الى صحة ومن ضيق
الى سعة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع ٥ ويجعلكم خلفا الارض اي سكانها
وذلك انه ورثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل اولادكم خلفا لكم وقيل
جعلكم خلفا الجن في الارض ٥ االه مع الله قليلا ما تذكرون اي تتعظون النوع الرابع قوله عز وجل
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين
في البر والبحر ٥ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر ٥ االه مع الله تعالى الله عما
يشركون النوع الخامس قوله تعالى امن يبدا الخلق ثم اي نطفا في الارحام ثم يعيده بعد
الموت ٥ ومن يرزقكم من السماء والارض يعني بالنبات ٥ االه مع الله قل هاتوا برهانكم اي حجتكم

يعني بالمطر

في قولكم ان مع الله الها اخر ان كنتم صادقين قوله عز وجل قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله نزلت في المشركين حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة
والمعنى ان الله تعالى هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة ٥ وما يشعرون ايان يبعثون
يعني ان من في السموات وهم الملايكة ومن في الارض وهم بنو ادم لا يعلمون متى يبعثون
وان الله تعالى تفرد بعلم ذلك ٥ بل ادرك علمهم في الاخرة اي بلغ ولحق علمهم في الاخرة وهو
ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الاخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا
عنه في الدنيا وهو قوله بل هم في شك منها اي هم اليوم في شك من الساعة ٥ بل هم منها
عمون جمع عم وهو اعمى القلب وقيل معنى الاية ان الله اخبر انهم اذا بعثوا يوم القيمة يستوي
علمهم في الاخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا

اي هذا البعث

الدنيا قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة ٥ اذا كنا ترابا واباونا ائنا لمخرجون اي
من قبورنا احياء ٥ لقد وعدنا هذا نحن واباونا من قبل اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
وليس ذلك بشي ٥ ان هذا الا اساطير الاولين اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها ٥
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ٥ ولا تحزن عليهم اي على تكذيبهم
اياك واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزيين الذين اقتسموا
عقاب مكة ٥ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم اي دنا
وقرب لكم وقيل معناه ردفكم بعض الذي تستعجلون اي من العذاب فحل بهم ذلك
يوم بدر قوله تعالى وان ربك لذو فضل على الناس يعني على اهل مكة حيث لم يعجل لهم العذاب
ولكن اكثرهم لا يشكرون اي ذلك ٥ وان ربك ليعلم ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي من
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وما من غايبة اي جملة غايبة من مكتوم سر وخفي امر وشي
غايب في السماء والارض الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ ٥ ان هذا القران يقص على
بني اسرايل اي يبين لهم ٥ اكثر الذي هم فيه يختلفون اي من امر الدين وذلك ان اهل

الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القران ببيان ما اختلفوا فيه ٥ وانه يعني القران لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم اي يفصل ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيمة بحكمه اي الحق ٥ وهو العزيز اي المنيع الذي لا يرد له امر العليم اي باحوالهم فلا يخفى عليه شي منها ٥ فتوكل على الله اي ثق به ٥ انك على الحق المبين اي البين ٥ انك لا تسمع الموتى يعني موتى القلوب وهم الكفار ٥ ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين اي معرضين فان قلت ما معنى قوله مدبرين والاصم لا يسمع سوا اقبل او ادبر قلت هو تاكيد ومبالغة للاصم وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت او يفهم بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الاية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم ٥ وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم معناه ما انت بمرشد من اعماه الله عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ٥ ان تسمع الا من يومن باياتنا اي الا من صدق بالقران انه من الله فهم مسلمون اي مخلصون لله قوله عز وجل واذا وقع القول عليهم يعني اذا وجبت الحجة عليهم وذلك اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في اخر الزمان قبل قيام الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المومن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مومن وهذا يا كافر ويقول هذا يا كافر ويقول هذا يا مومن اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي باسناد الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن ويقال للكافر يا كافر وبالاسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون

يام

اذ تضطرب الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا اول ما يبدو راسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مومنا وكافرا اما المومن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مومن واما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سودا وتكتب بين عينيه كافر وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ومعها خاتم سليمن وعصى موسى فتجلو وجه المومن وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا مومن ويقول هذا يا كافر ليلة الجمعة جمع والناس يسيرون الى منى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بيس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروي عن ابي الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب فيمس راسها السحاب ورجلاها في الارض وروي عن علي قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون وقوله تعالى تكلمهم اي بكلام عربي فصيح فتقول هذا مومن وتقول هذا كافر وقيل تقول ما اخبر الله ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر الناس ان اهل مكة لم يومنوا بالقران والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام اي تجرحهم قال ابو الجوزا سالت ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم قال كل ذلك تفعل تكلم المومن وتكلم الكافر قوله عز وجل ويوم نحشر من كل امة فوجا اي جماعة ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى النار حتى اذا جاوا يعني يوم القيمة قال الله تعالى لهم اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اي لم تعرفوها حق معرفتها ام ماذا كنتم تعملون اي حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الاية اكذبتم باياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين ٥ ووقع القول اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا اي بما اشركوا ٥ فهم لا ينطقون اي بحجة وقيل لان افواههم مختومة ٥ الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا اي مضيا يبصر فيه وفي الاية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقليب الضيا ظلمة والظلمة ضيا قادر على الاعادة بعد الموت ان في ذلك لايات لقوم يومنون اي يصدقون فيعتبرون قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور هو قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن الصور هو الصور ومعنى كلامه اي الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيى بها الاجساد ٥ ففزع اي فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا والمعنى انه يلقي عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام الى رب العالمين قوله الا من شا الله وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن قوله الا من شا الله قال هم الشهدا متقلدون اسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهدا لانهم احيا عند ربهم يرزقون لا يصل اليهم الفزع وقيل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هولا الاربعة ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقي جبريل

ومكائيل وملك الموت فيقول لحذ نفس ميكائيل فياخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول بقي يا رب
تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت
ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني قال لا بد يا جبريل من موتة فيقع ساجدا يخفق جناحيه
فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هولاء الاربعة حملة
العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم ارواح حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق
احد الا الله سبحانه وتعالى طوى السموات كطي السجل للكتاب ثم يقول انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول
تبارك وتعالى لله الواحد القهار عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى اخذ بقائمة
من قوائم العرش فلا ادري اكان ممن استثنا الله عز وجل ام رفع راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس
ابن متى فقد كذب وقيل الذين استثنا الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقوله وكل اتوه اي الذين
احيوا بعد الموت اتوه اي جاوه داخرين اي صاغرين قوله عز وجل وترى الجبال تحسبها جامدة
اي قائمة واقفة وهي تمر مر السحاب اي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان
كل شي عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو في حسبان الناظر
واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيمة لا ترى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه صنع الله
الذي اتقن كل شي يعني انه تعالى لما قدم كل هذه الاشيا التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من
الاشيا التي اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة والصواب انه خبير بما يفعلون قوله تعالى من
جا بالحسنة يعني بكلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة
كل طاعة عملها لله تعالى فله خير منها قال ابن عباس فمنها يصل الى الخير يعني انه له من تلك الحسنة خير
يوم القيمة وهو الثواب والامن من العذاب اما ان يكون له شي خير من الايمان فلا لانه لا شي خير من لا اله الا الله
وقيل جزا الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزا الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله
ورضوان من الله اكبر وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله بالواحدة عشرا فصاعدا لان الحسنة
استحقاق العبد والتضعيف من تفضيل الرب تبارك وتعالى وهم من فزع يوميذ امنون فان قلت
كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول
هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن
وصول ذلك الضرر اليه واما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم امنون منه واما ما يلحق
الانسان من الرعب عند مشاهدة الاحوال فلا ينفك منه احد ومن جا بالسيئة يعني الشرك فكبت
وجوههم في النار عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار هل تجزون الا ما كنتم
تعملون اي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك قوله عز وجل انما
امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي لله الذي هو رب
هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين ساير البلاد بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها
عليه واشار اليها اشارة تعظيم لها لانها موطن بيته ومهبط وحيه الذي حرمها اي جعلها
الله حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلا خلاها ولا يدخلها
الا محرم وانما ذكر انه هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان تحريمها من الله -

لا من الاصنام وله كل شي اي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين لله المطيعين له وان اتلو القران
اي وامرت ان اتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به اتم قيام على ما امر به فمن اهتدى فانما
يهتدي لنفسه اي نفع اهتدايه يرجع اليه ومن ضل اي عن الايمان واخطا طريق الهدى فقل انما
انا من المنذرين اي من المخوفين وما علي الا البلاغ نسختها اية القتال وقل الحمد لله على جميع نعمه
وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم اياته اي الباهرة ودلايله القاهرة قيل
هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والسبي وضرب الملايكة وجوههم وادبارهم وقيل اياته في السموات
والارض وفي انفسكم فتعرفونها اي فتعرفون الايات والدلالات وما ربك بغافل عما تعملون فيه وعيد
لهم بالجزاء على اعمالهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القصص

وهي مكية الا قوله الذين
اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها اية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون اية واربع ماية واحد واربعون كلمة وخمسة الاف وثمانماية حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم تلك ايات اشارة الى
ايات السورة الكتاب المبين قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي انزله على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام نتلوا عليك
من نبا اي خبر موسى وفرعون بالحق اي بالصدق لقوم يؤمنون اي يصدقون بالقران
ان فرعون علا اي تكبر وتجبر في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا في انواع الخدم
والتسخير يستضعف طايفة منهم يعني بني اسرايل يذبح ابناهم ويستحيي نساهم وسبب هذا استضعافهم
لانهم عجزوا وضعفوا اعني دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين اي بالقتل والتجبر في الارض
ونريد ان نمن اي ننعم على الذين استضعفوا في الارض يعني بني اسرايل ونجعلهم ايمة اي قادة
في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين يعني املاك فرعون وقومه بان يخلفوهم في
مساكنهم ونمكن لهم في الارض اي نوطن لهم ارض مصر والشام ونجعلها لهم سكنا ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اي يخافون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يد رجل من بني اسرايل فكانوا
على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون قوله تعالى واوحينا الى ام موسى هو وحي الهام وذلك بان قذف
في قلبها واسمها يوخابذ من نسل لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل
اربعة وقيل ثلثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها فاذا خفت عليه اي الذبح فالقيه
في اليم اي البحر واراد به نيل مصر ولا تخافي اي عليه من الغرق وقيل الضيعة ولا تحزني اي على فراقه
انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال ابن عباس ان بني اسرايل لما كثروا بمصر استطالوا على
الناس وعملوا بالمعاصي ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى
ان نجاهم الله على يد نبيه موسى

ذكر القصة في ذلك

قال ابن عباس ان ام موسى لما
تقارب ولادها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرايل مصافية لام موسى
فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت
قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب
موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جيت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل مولودك ولكن
وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شي مثل حبه فاحفظي ابنك فاني اراه عدونا فلما خرجت -

ليدخلوا

القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاووا الى بابها ليدخلوا على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقة والقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وراوا ام موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما ادخل عليك القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى فاين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكا الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رات الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي اخبيه في التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلما هم بالكلام امسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدروا ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامنا فاتاهم ليخبرهم فاخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه فبقي حيران فجعل لله عليه ان رد الله لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه ويحفظه حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فامن به وصدقه وقال وهب لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها جميع الناس فلم يطلع على حبلها احد من خلق الله وذلك شي ستره الله تعالى لما اراد الله ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن فتفتش النسا تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت موسى فلم يتغير لونها ولم ينتبوا بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها حتى كانت الليلة التي ولدته فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم وهو البحر النيل فكتمته ثلثة اشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم القته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان لفرعون يوميذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلث حاجات ترفعها اليه وكان لها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطبا والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرا الا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا من ذلك وذلك يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امراته اسيه بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطي النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الما على وجوههن اذ اقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشي في البحر قد تعلق بالشجرة ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت اسيه فرات في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله محبته في قلب اسيه واحبه فرعون وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرات فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله قالت اسيه قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى

ان ينفعنا اي فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يوميذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لاسيه سميه قالت سميته موشى لانا وجدناه في الما والشجر لان مو هو الما وشا هو الشجر فذلك قوله تعالى فالتقطه ال فرعون الالتقاط وجود الشي من غير طلب ليكون لهم عدوا وحزنا اي عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطين اي اثمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لا يشعرون انه الذي يذهب بملكهم وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعدا فغاظه ذلك وقالوا كيف اخطاه هذا الغلام الذبح وكانت اسيه امراة فرعون من خيار النسا ومن بنات الانبيا وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من سنة وانت امرت ان يذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتانا من ارض اخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستحيا فرعون والقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت اسيه عسى ان ينفعنا لنفعه الله ولكنه ابا للشقا الذي كتبه الله عليه قوله عز وجل واصبح فواد ام موسى فارغا اي خاليا من كل شي الا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسيا للوحي الذي وحى الله عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهد اليها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيته في البحر واغرقته ولما اتاها الخبر بان فرعون اصابه في النيل قالت انه وقع في يد عدوه الذي فرت منه فانساها عظم البلا ما كان من عهد الله اليها ان كادت لتبدي به اي لتصرح بانه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رات التابوت ترفعه موجة وتضعه اخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي اوحى الله اليها ان يرده عليها لولا ان ربطنا على قلبها اي بالعصمة والصبر والتثبت لتكون من المومنين اي المصدقين بوعد الله اياها وقالت لاخته اي مريم اخت موسى قصيه اي اتبعي اثره حتى تعلمي خبره فبصرت به عن جنب اي عن بعد وقيل كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا تري انها لا تنظره وهم لا يشعرون اي انها اخته وانها ترقبه وحرمنا عليه المراضع المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من يرضعه فكلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه له من قبل اي من قبل مجي ام موسى وذلك لما رات اخت موسى التي ارسلتها امه في طلبه ذلك فقالت يعني اخت موسى هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي يضمونه ويرضعونه وهي امراة قد قتل ولدها فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه وهم له ناصحون اي لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته وغذايه والنصح اخلاص العمل من شوايب الفساد وقيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله قالت ما اعرف ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا لها من هم قالت امي قالوا والامك ولد قالت نعم هرون وكان

ان تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون اي لا يعلمون ان هلاكهم على يده

هرون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت الى امها واخبرتها بحال ابنها وجاءت
بها اليهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا وقيل كانوا يعطونها
كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها اي برد موسى اليها ولا تحزن اي لئلا تحزن
ولتعلم ان وعد الله حق اي برده اليها ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله وعدها انه يرده اليها ولما
بلغ اشده قيل الاشد ما بين ثمانية عشر سنة الى ثلثين سنة وقيل الاشد ثلثة وثلثون سنة
واستوى اي بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل بنيانه آتيناه حكما وعلما
اي عقلا وفقها في الدين فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وكذلك نجزي المحسنين قوله عز وجل
ودخل المدينة يعني موسى والمدينة قيل هي منف من اعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها حابين على
راس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين الشمس على حين غفلة من اهلها قيل هو نصف النهار
واشتغال الناس بالقيلولة وقيل هو ما بين المغرب والعشاء قيل سبب دخوله المدينة
في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون
يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض منف
فدخلها وليس في طرقها احد وقيل كان لموسى شيعة من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف
ما هو عليه من الحق راى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى انكروا ذلك منه وخافوه وخافهم
فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى بالعصا في صغره
فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صغير فتركه وامر باخراجه من مدينته فاخرج منها فلم يدخل
عليهم الا بعد ان كبر وبلغ اشده فدخل على حين غفلة من اهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد
عهدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان
اي يختصمان ويتنازعان هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من القبط
وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من شيعته هو السامري والذي من عدوه هو
طباخ فرعون واسمه فليثون وكان القبطي يريد ان يسخر الاسرائيلي ليحمل الحطب وقال ابن عباس لما بلغ
موسى اشده لم يكن احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع
وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان احدهما
من بني اسرائيل والآخر من القبط فاستغاثه الذي من شيعته يعني الاسرائيلي على الذي من عدوه
يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله ان يخلصه منه وان ينصره عليه فغضب موسى
واشتد غضبه لانه اخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من
قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك
فنازعه فقال الفرعوني لقد [illegible] هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتي بسطة في الخلق وشدة
في القوة فوكزه موسى اي ضربه بجميع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف
الاصابع فقضى عليه اي قتله وفرغ من امره فندم موسى ولم يكن قصده القتل ودفنه في الرمل
وقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين اي بين الضلالة قيل في قوله هذا اشارة الى
عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا

لله تعالى مستحقا للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه قال رب
اني ظلمت نفسي اي بقتل القبطي من غير امر وقيل هو على سبيل الانقطاع لله والاعتراف بالتقصير
عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله فاغفر لي اي ترك هذا المندوب وقيل يحتمل ان
يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي
اي استره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له اي ستره عن الوصول الى فرعون انه هو الغفور
الرحيم قال رب بما انعمت علي اي بالمغفرة والستر فلن اكون ظهيرا للمجرمين معناه فلن اكون معاونا
لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا
قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني اي لم يقل فلن اكون ان شاء الله فاصبح في المدينة التي
قتل فيها القبطي خائفا يترقب اي ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ
به فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيث به من بعد قال ابن عباس اتي
فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد
عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فراى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه
على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي فقال له موسى للاسرائيلي
انك لغوي مبين اي ظاهر الغواية قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني
عليه فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما وذلك ان موسى ادركته الرقة للاسرائيلي فمد يده ليبطش
بالفرعوني فظن الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به لما راى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبين
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ومعناه انه لم يكن علم احد من قوم فرعون
ان موسى هو الذي قتل القبطي بالامس حتى افشى عليه الاسرائيلي ذلك وسمعه القبطي فاتى
فرعون فاخبره بذلك ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي بالقتل ظلما وقيل الجبار
هو الذي قتل القبطي بالامس حتى افشى عليه الاسرائيلي ذلك وسمعه القبطي فاتى فرعون فاخبره
بذلك ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب
ولا ينظر في العواقب وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله وما تريد ان تكون من
المصلحين ولما افشى ان موسى قتل القبطي امر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك
رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه حزبيل وقيل شمعون وقيل سمعان
وهو قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى
سبق الى موسى واخبره وانذره بما سمع قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك اي يتشاورون فيك
ليقتلوك وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين
اي في الامر بالخروج فخرج منها يعني موسى خائفا اي على نفسه من آل فرعون يترقب اي ينتظر
الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لا ملجأ الا اليه فقال رب نجني من القوم
الظالمين اي الكافرين قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين اي قصد نحوها ماضيا اليها قيل
لانه وقع في نفسه ان بينه وبينهم قرابة لان اهل مدين من ولد ابرهيم وموسى من ولد ابرهيم ومدين
هو مدين بن ابرهيم سميت البلدة باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام قيل خرج موسى

خايفا بلا ظهر ولا زاد ولا حذاء ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى روي خضرته في بطنه وما
وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء من الله تعالى لموسى قال يعني موسى
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف الطريق اليها قيل
لما دعا موسى جاء ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل ولما ورد ماء مدين وهو بير كانوا
يسقون منها مواشيهم وجد عليه اي على الماء امة اي جماعة من الناس يسقون اي
مواشيهم ووجد من دونهم اي سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة امراتين تذودان اي
تحبسان وتمنعان اغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البير وقيل تكفان الغنم
عن ان تختلط باغنام الناس قالتا لا نسقي اي اغنامنا حتى يصدر الرعاء اي حتى يرجع الرعاء
عن الماء والمعنى انا امراتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا نحن مواشينا
من فضل ما بقي منهم في الحوض وابونا شيخ كبير اي لا يقدر ان يسقي مواشيه فلذلك احتجنا
نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه السلام وقيل يثرون ابن اخي شعيب وكان شعيب
قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن امن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما
ورحمهما فاقتلع صخرة من على راس بير اخرى كان بقربها لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل
زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البير وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا راس البير بحجر لا
يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم
فرووا فذلك قوله تعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل اي عدل الى ظل سمرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جايع فقال رب
اني لما انزلت الي من خير فقير معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس
سال الله فلقة من خبز يقيم بها صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما انزلت الي من
خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وقيل ما سال الا الخبز فلما رجعتا الى ابيهما
سريعا قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى
لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي قال الله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء قيل
هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفرا وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيرا وقيل
بل هي الصغرى وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة
قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافيه وقيل لانها
رسول ابيها قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب
معها ولكن كان جايعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المراة وموسى خلفها فكانت الريح تضرب
ثوبها فتصف ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق
اذا اخطات ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيا فقال اجلس يا فتى
فتعش فقال موسى اعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك الست بجايع قال بلى ولكن اخاف ان
يكون هذا عوضا لما سقيت لها وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة عوضا
من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم
الطعام فجلس موسى واكل فذلك قوله عز وجل فلما جاءه وقص عليه القصص اي اخبره بامره

اجمع من حين ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني
من فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين قالت احداهما يا ابت
استاجره اي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ان خير من استاجرت القوي الامين يعني ان خير من
استعملت من قوي على العمل وادى الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته
فانه رفع الحجر من على راس البير ولا يرفعه الا عشرة وقيل اربعون رجلا واما امانته فانه قال لي
امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك فقال شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك اي ازوجك
احدى ابنتي هاتين قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا
وهي التي ذهبت في طلب موسى على ان تاجرني ثماني حجج اي تكون لي اجيرا ثمان سنين فان اتممت
عشرا فمن عندك اي فان اتممت الى عشر سنين فذلك تبرع منك وفضل ليس بواجب عليك
وما اريد ان اشق عليك اي الزمك تمام العشر الا ان تتبرع قال ستجدني ان شاء الله من
الصالحين اي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين
الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته قال يعني موسى ذلك بيني وبينك
اي ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزويج احداهما فلي والامر بيننا على ذلك ايما الاجلين
قضيت اي اي الاجلين اتممت وفرغت منه الثمان او العشر فلا عدوان علي اي لا اظلم على
بان اطالب باكثر منهما والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس شهيد بيني وبينك عن
سعيد بن جبير قال سالني يهودي من اهل الحيرة اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى
اقدم على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين قضى
موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت
فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروي
عن شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي
فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره وقال الله له ما هذا البكاء اشوقا الى الجنة ام
خوفا من النار فقال لا يا رب شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيئا لك لقائي
يا شعيب لذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تعاقدا هذا العقد امر شعيب ابنته ان تعطي موسى
عصا يدفع بها السباع عن غنمه وقيل كانت من اس الجنة حملها ادم معه فتوارثها الانبياء
وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصارت من ادم الى نوح ثم الى ابرهيم حتى وصلت الى شعيب
فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته قالت لموسى اطلب من
ابيك ان يجعل لنا بعض الغنم فطلب من ابيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير
شيتها وقيل اراد شعيب ان يجازي موسى على حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال
له اني قد وهبت لك من والد اغنامي كل ابلق وبلقاء في هذه السنة فاوحى الله تعالى الى موسى في
النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما اخطات منها واحدة
الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الى موسى
وامراته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام قوله عز وجل فلما قضى موسى الاجل اي اتمه وفرغ منه وسار

وسار باهله وقيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين اخرى ثم استاذنه في العود الى مصر
فاذن له وسار باهله اي قاصدا الى مصر آنس اي ابصر من جانب الطور نارا وذلك انه كان
في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته الطلق قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي
آتيكم منها بخبر اي عن الطريق لانه كان قد اخطا الطريق او جذوة من النار اي قطعة وشعلة من
النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه لعلكم تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها
نودي من شاطئ الوادي الايمن يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى في البقعة المباركة جعلها
مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة من الشجرة اي من
ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء تبرق وقيل كانت عوسجة وقيل كانت
من العليق وعن ابن عباس انها العناب ان يا موسى اني انا الله رب العالمين قيل ان موسى لما
راى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله فعلم بذلك ان المتكلم
هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس موسى علما ضروريا ان المتكلم هو الله وان ذلك الكلام كلام
الله وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله قال اني سمعته بجميع اجزائي فلما وجد
حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وان الق عصاك اي
فالقاها فلما راها تهتز اي تتحرك كانها جان هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة حركتها
كالحية السريعة الحركة ولى مدبرا اي هاربا منها ولم يعقب اي لم يرجع قال وهب انها
لم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع صريف اسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها
فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين قوله تعالى اسلك
يدك اي ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اي برص والمعنى انه ادخل يده فخرجت
ولها شعاع كضوء الشمس واضمم اليك جناحك من الرهب اي من الخوف والمعنى اذا هالك
امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس امر
الله موسى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من
خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون
اي سكن روعك واخفض عليك جاشك لان من شان الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه
وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها من كمك لانه تناول العصا
ويده في كمه فذانك يعني العصا واليد البيضاء برهانان اي آيتان من ربك الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الحق قال رب اني قتلت منهم نفسا يعني القبطي
فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا اي بيانا وانما قال ذلك للعقدة
التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه فارسله معي ردءا اي عونا يصدقني يعني فرعون
وقيل يصدقني هرون هو ان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق
المفيد اني اخاف ان يكذبون يعني فرعون وقومه قال سنشد عضدك باخيك اي
سنقويك به وكان هرون بمصر ونجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا فلا يصلون اليكما
اي بقتل ولا سوء بآياتنا وقيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما انتما
ومن اتبعكما الغالبون اي لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه فلما جاءهم موسى بآياتنا

بينات

بينات اي واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي مختلق وما سمعنا بهذا اي بالذي تدعونا اليه
في آبائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده اي يعلم المحق من المبطل ومن تكون له
عاقبة الدار اي العقبى المحمودة في الدار الآخرة انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون وقال فرعون
يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته فاوقد لي
يا هامان على الطين اي اطبخ لي الآجر قيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به فاجعل لي صرحا
اي قصرا عاليا وقيل منارة قال اهل السير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح
جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ
الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا
لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر
بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهي متلطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون
يصعده راكبا على البراذين فبعث الله تعالى جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه
ثلث قطع فوقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة منها
في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق احد عمل فيه شيئا الا هلك فذلك قوله تعالى لعلي اطلع الى اله موسى
اي انظر اليه واقف على حاله واني لاظنه من الكاذبين اي في زعمه ان للارض والخلق الها غيري
وانه ارسله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق اي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا
للحق بل بالباطل والظلم وظنوا انهم الينا لا يرجعون اي للحساب والجزاء فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم اي فالقيناهم في البحر وهو بحر القلزم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
يعني حين صاروا الى الهلاك وجعلناهم ائمة اي قادة ورؤساء يدعون الى النار اي
الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار ويوم القيامة لا
ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي خزيا وبعدا وعذابا
ويوم القيامة هم من المقبوحين اي المبعدين الملعونين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه
وزرقة العيون قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى بصائر للناس اي ليبصروا بذلك
ويهتدوا به وهدى اي من الضلالة لمن عمل به ورحمة اي لمن آمن به لعلهم يتذكرون
اي بما فيه من المواعظ وما كنت اي خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي وما كنت يا محمد بجانب الغربي
اي بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه اذ قضينا الى موسى
الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وما كنت من الشاهدين اي الحاضرين
ذلك المقام الذي اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك ولكنا انشانا قرونا اي خلقنا
بعد موسى امما فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك
ان الله عهد الى موسى وقومه عهودا في محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد
القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين
اي كمقام موسى وشعيب فيهم تتلو عليهم آياتنا اي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل
معناه لم تشهد اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين يعني ارسلناك رسولا

وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها ٥ وما كنت
بجانب الطور اي بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى ٥ اذ نادينا يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال
وهب قال موسى يا رب ارني محمدا وامته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت امته واسمعتك
صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا امة
محمد فاجابوه من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى
يا امة احمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل ان تسالوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني
وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيمة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي
دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر ٥ ولكن رحمة من ربك اي رحمناك رحمة بارسالك والوحي
اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة عنك ٥ لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة
لعلهم يتذكرون واعلم ان الله تعالى لما بين قصة موسى لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاث
العظيمة التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التورية حتى تكامل دينه
واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اول امر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة
فهذه اعظم احوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال حاضرا بين انه بعثه وعرفه هذه الاحوال
الدالة على نبوته ومعجزته كانه قال في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة
على نبوتك قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم يعني من الكفر والمعاصي
فيقولوا ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين ومعنى الاية لولا انهم
يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا
ولكن بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ٥ فلما جاءهم الحق من عندنا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ٥ قالوا يعني كفار مكة ٥ لولا اي هلا ٥ اوتي محمد صلى الله عليه وسلم
مثل ما اوتي موسى يعني من الايات كالعصا واليد البيضاء وقيل اوتي كتابا جملة واحدة
كما اوتي موسى التورية قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني اليهود والذين استخرجوا
هذا السوال ٥ قالوا سحران تظاهرا يعني التوراة والقرآن يقوي كل واحد الاخر وقرئ ساحران
يعني محمدا وموسى وقيل ان مشركي مكة بعثوا الى رؤس اليهود بالمدينة ليسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم ان نعته في كتابهم التورية فرجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا ٥ وقالوا
انا بكل كافرون يعني التورية والقرآن وقيل بمحمد وموسى ٥ قل يا محمد ٥ فاتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما يعني من التوراة والقرآن ٥ اتبعه يعني الكتاب الذي تاتوا به من عند الله وهذا
تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ٥ ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك اي ان لم ياتوا بما طلبت
فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه انما اثروا في اتباعهم ما هم عليه الهوى
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله عز وجل ولقد وصلنا
لهم القول قال ابن عباس بينا وقيل انزلنا ايات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل بينا لكفار مكة
بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا لتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الاخرة
حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا ٥ لعلهم يتذكرون اي يتعظون ٥ الذين اتيناهم الكتاب من قبله
اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن ٥ هم به يومنون نزلت في مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام

وامنابه

واصحابه وقيل بل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم اربعون
رجلا قدموا مع جعفر بن ابي طالب فلما راوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان
لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم
فواسوا بها المسلمين فنزلت فيهم هذه الايات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس
نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من
الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال واذا يتلى عليهم يعني القرآن ٥ قالوا امنا به انه الحق من
ربنا وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ٥ انا كنا
من قبله مسلمين اي من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم
انه نبي حق ٥ اولئك يوتون اجرهم مرتين يعني لايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الاخر ٥ بما صبروا اي على
دينهم وعلى اذى المشركين ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لهم اجران
رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق
مواليه ورجل كانت عنده امة يطاها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها
فتزوجها فله اجران ٥ ويدرءون بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا
الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو ٥ ومما رزقناهم
ينفقون اي في الطاعة ٥ واذا سمعوا اللغو اي القول القبيح ٥ اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا
يسبون مومني اهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا ديننا ولكم دينكم ٥ سلام عليكم ليس المراد سلام التحية
ولكنه سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ٥ لا نبتغي الجاهلين يعني لا نحب
دينكم الذي انتم عليه وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يومر
المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى انك لا تهدي من احببت اي هدايته
وقيل احببته لقرابته ٥ ولكن الله يهدي من يشاء وذلك ان الله تعالى يقذف في القلب نور
الهداية فينشرح الصدر للايمان ٥ وهو اعلم بالمهتدين اي بمن قدر له الهدى م عن ابي هريرة
رضي الله عنه انك لا تهدي من احببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراود عمه
ابا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله
اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت
بها عينك ثم انشد ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا ٥ لولا الملامة او حذار
مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا ٥ ولكن على ملة الاشياخ يعني عبد المطلب وعبد مناف ثم
مات فانزل الله هذه الاية وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا يعني مكة نزلت في
الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي
تقول حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارضنا مكة قال الله تعالى
اولم نمكن لهم حرما امنا وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم
بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يامن فيه الظباء من
الذئاب والحمام من الحداة ٥ يجبى اليه ثمرات اي يجلب اليه ويجمع ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق

واليمن ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اهل مكة لا يعلمون ذلك قوله عز وجل وكم اهلكنا
من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا
الاصنام فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون يسكنونها
قليلا وقيل لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خراب وكنا نحن الوارثين يعني لم يخلفهم فيها احد بعد هلاكهم وصار
امرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق وما كان ربك مهلك القرى يعني الكافرة اهلها حتى يبعث في امها
رسولا اي في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان
المدن وقيل حتى يبعث في ام القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء يتلوا عليهم اياتنا
يعني انه يؤدي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازلهم ان لم يؤمنوا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون اي مشركون قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي تتمتعون بها ايام
حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء وما عند الله خير وابقى لان منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي
دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم افلا تعقلون اي ان الباقي خير
من الفاني وقيل من لم يرجح الاخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من اوصى بثلث ماله لاعقل
الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير
وما هم الا المشتغلين بطاعة الله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا يعني الجنة فهو لاقيه اي مصيبه
وصائر اليه كمن متعناه متاع الحياة اي ويزول عنه عن قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين
اي النار قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل
في علي وحمزة وفي ابي جهل وقيل في عمار بن ياسر وفي الوليد بن المغيرة قوله عز وجل ويوم يناديهم
فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اي في الدنيا انهم شركاءي قال الذين حق عليهم القول اي وجب
عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع
اغويناهم كما غوينا اي اضللناهم كما ضللنا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون معناه تبرأ بعضهم
من بعض وصاروا اعداء وقيل يعني للكفار ادعوا شركاءكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون معناه لو انهم كانوا مهتدين
في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة ويوم يناديهم اي يسأل الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين اي ما
كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين فعميت عليهم اي خفيت واشتبهت عليهم الانباء يعني الاخبار
والاعذار والحجج يومئذ فلم يكن لهم عذر ولا حجة فهم لا يتساءلون اي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل
يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي
من السعداء الناجين وعسى من الله واجب قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الآية جوابا
للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود
الثقفي اخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله ان يخص من يشاء بما يشاء
لا اعتراض عليه البتة ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار او ليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه
ويختار الله ما كان لهم الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله نفسه فقال سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم
ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي يظهرون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة
اي يحمده اولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الجنة وله الحكم اي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس حكم

كان م

لاهل

لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاء واليه ترجعون قوله عز وجل قل يا محمد لاهل مكة ارايتم
اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دائما الى يوم القيمة لا نهار فيه من اله غير الله يأتيكم بضياء
اي بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون اي سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار
سرمدا الى يوم القيمة اي لا ليل معه من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون اي ما انتم عليه
من الخطا وقيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في الدنيا وفي
حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الراحة والسكون له الا بالليل فلا بد
منهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم العيش ابدا فبين الله تعالى انه
القادر على ذلك ليس غيره ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من
فضله اي في النهار ولعلكم تشكرون اي نعم الله فيهما ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون
كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ونزعنا اي اخرجنا وقيل ميزنا من كل امة
شهيدا يعني رسولهم ليشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا اي للامم المكذبة هاتوا
اي شهيدها هاتوا برهانكم اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اي التوحيد لله وضل عنهم
ما كانوا يفترون اي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله قوله عز وجل ان قارون كان من قوم موسى
قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث
وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى عليهم
قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء اخرجاه
في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه جمع مفتح وهو الذي
يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعني خزائنه لتنوء بالعصبة اولي القوة معناه لتثقلهم وقيل
تنوء اذا حملوها الثقل قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة
الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه اربعون
رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت
من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على
قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا اذ قال له قومه لا تفرح اي لا تبطر ولا
تأشر ولا تمرح ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم
وقيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم
يفرح ولقد احسن من قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ فيما آتاك الله
الدار الآخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الاموال الجنة وهو ان تقوم بشكر الله فيما انعم عليك وتنفقه
في رضا الله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تترك ان تعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل
لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الآخرة عن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك
قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم
واحسن كما احسن الله اليك اي احسن بطاعة الله كما احسن الله اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس ولا تبغ

اي لا تطلب الفساد في الارض وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض ۞ ان الله لا يحب المفسدين قال يعني
قارون انما اوتيته على علم عندي اي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني اهلا لذلك ففضلني بهذا المال
عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب
بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص
فضة ومن النحاس ذهبا وكان ذلك سبب امواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات
وانواع المكاسب قال الله عز وجل اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة
واكثر جمعا اي للاموال ۞ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قيل معناه ان الله تعالى اذا اراد عقاب المجرمين
فلا حاجة به الى سؤالهم لانه عالم بحالهم وقيل لا يسألون سؤال استعلام وانما يسألون سؤال توبيخ وتقريع
وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم قوله عز وجل فخرج على قومه في زينته قيل خرج هو
وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها
سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الارجوان ومعه اربعة الاف
فارس وعليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على
البغال الشهب ۞ قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم اي من
المال وقال الذين اوتوا العلم اي بما وعد الله في الاخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل للذين تمنوا مثل ما
اوتي قارون ۞ ويلكم ثواب الله اي ما عند الله من الثواب والجزاء ۞ خير لمن آمن وعمل صالحا اي صدق بتوحيد
الله وعمل صالحا اي ذلك خير مما اوتي قارون في الدنيا ۞ ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يؤتى الاعمال
الصالحة ۞ الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون اي على
طاعة الله وعن زينة الدنيا قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض **ذكر قصة قارون**
قال اهل العلم بالاخبار والسير ان قارون اعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون واقرأهم للتورية
واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى
موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا اربعة في كل طرف خيطا اخضر كلون السماء
يذكرون به اذا نظروا الى السماء ويعلموا اني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب افلا تأمرهم ان يجعلوا
ارديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى ان الصغير من امري ليس بصغير
فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى وقال ان الله يأمركم ان تعلقوا
في ارديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما امرهم به موسى واستكبر
قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدو عصيانه
وبغيه فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهرون وهي رياسة المذبح فكان بنو اسرائيل يأتون
بهديهم الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه واتى الى موسى وقال
له يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وانا اقرأ التوراة لا صبر لي على هذا فقال موسى
ما انا جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل
فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها في قبته التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا
فاصبحت عصا هرون قد اهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال قارون
والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما

وهو

وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب
على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه
ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى اتاه قارون فصالحه عن كل الف دينار على
دينار وعن كل الف درهم على درهم وعن كل الف شاة على شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته
فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شيء فاطعتموه
وهو يريد الآن ان يأخذ اموالكم قالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم ان تجيئوا بفلانة البغي فتجعلوا لها
جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل
لها قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون امولك واخلطك بنسائي
على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى الى موسى
فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام
فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست له امرأة جلدناه
مائة ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم
عليها فقالت في نفسها وسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق
فقالت في نفسها احدث توبة افضل من اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله ولكن قارون جعل
لي جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى
الله اليه اني امرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون
كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون
الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الارض باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته
الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق
واصحابه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده سبعين مرة
وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى
ما اغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه اما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لاغثته
وفي بعض الآثار لا اجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم
قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيمة واصبحت بنو اسرائيل يتحدثون فيما بينهم ان موسى انما دعا على
قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وامواله الارض
فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ۞ فما كان له من فئة اي جماعة ۞ ينصرونه من دون
الله اي يمنعونه من الله ۞ وما كان من المنتصرين اي الممتنعين مما نزل به من الخسف ۞ واصبح الذين تمنوا
مكانه بالامس اي صاروا وذلك الذين تمنوا ما رزق من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمني ۞ يقولون
ويكأن اي الم تعلم وقيل الم تر وقيل هي كلمة تقرير ومعناه اما ترى الى صنع الله واحسانه وقيل
ويك بمعنى ويلك ومعناه ويلك اعلم ان الله وقيل وي مفصولة من كان والمعنى ان القوم ندموا فقالوا

وهي ممتد مبين على ما ساءه منهم وكان معناه الم ذكره افتريه ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
اي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء لولا ان من الله علينا اي بالايمان لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون
قوله عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي استكبارا عن الايمان وقيل علوا
اي استطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي انها نزلت
في اهل التواضع من الولاة واهل القدرة ولا فسادا قيل الدعاء الى غير عبادة الله وقيل اخذ اموال
الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي والعاقبة للمتقين اي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء
اوامره واجتناب معاصيه وقيل عاقبة المتقين الجنة من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون لتقدم تفسيره قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن اي انزل
عليك القرآن وقيل معناه اوجب عليك العمل بالقرآن لرادك الى معاد قال ابن عباس الى مكة
اخرجه البخاري رضي عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق نزل الجحفة
بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى بلدك
قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه الاية نزلت بالجحفة ليست
بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه لرادك الى معاد الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة
قل ربي اعلم من جاء بالهدى هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في ضلال مبين فقال
الله تعالى قل لهم ربي اعلم من جاء بالهدى هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في يعني نفسه
ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين قوله عز وجل وما كنت ترجوا ان يلقى اليك
الكتاب اي يوحى اليك القرآن الا رحمة من ربك اي لكن رحمة ربك فاعطاك القرآن فلا تكونن ظهيرا اي معينا
للكافرين على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آبائه فذكره الله نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه
ولا يصدنك عن آيات الله يعني القرآن بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك اي الى معرفته وتوحيده ولا تكونن
من المشركين قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي لا تظاهروا الكفار
ولا توافقوهم ولا تدع مع الله الها آخر معناه انه واجب على الكل الا انه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم
فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من ان يدعو مع الله الها آخر فما فائدة هذا النهي قلت
الخطاب معه والمراد غيره وقيل معناه لا تتخذ غيري وكيلا في امورك كلها ولا تعتمد على غيري لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه
والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الا ما اريد به وجهه لان كل عمل اريد به غير الله فهو هالك له الحكم
اي فصل القضاء بين الخلق واليه ترجعون اي تردون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم والله اعلم

تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

وهي آخر ما نزل بمكة في قول ابن عباس وهي تسع وستون آية والف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة
واربعة آلاف وخمسة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم احسب الناس اي اظن
الناس ان يتركوا اي بغير اختبار ولا ابتلاء ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون اي لا يبتلون

في اموالهم

في اموالهم وانفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في
اناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام
حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله
هاتين الآيتين وقال ابن عباس اراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن
الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان
اول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى الجنة
من هذه الامة فجزع ابواه وامراته فانزل الله هذه وقيل معنى لا يفتنون اي بالاوامر والنواهي وذلك
ان الله عز وجل امرهم في الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وساير الشرايع فشق
ذلك على بعض الناس فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الانبياء
والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلي بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب
فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم وليعلمن الكاذبين والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية
فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل فليميزن الله وقيل فليبينن الله وقيل
ان علم الله صفة فليظهرنها كما هو واقع كما هو واقع قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات يعني
الشرك ان يسبقونا اي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم ساء ما يحكمون اي بئس ما حكموا
حين ظنوا ذلك من كان يرجو لقاء الله قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان
يطمع في ثواب الله فان اجل الله لآت يعني ما وعد من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكاين والمعنى ان
من يخشى الله او يامله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم وهو السميع العليم اي يعلم ما يعمل العباد من
الطاعة والمعصية فيثيبهم او يعاقبهم او يعفو ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي له ثوابه
وهذا حكم الوعد لا حكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الشدة وقد يكون
في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم وعبادتهم وفيه
بشارة وتخويف اما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد من
عباده لا شيء عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام واما التخويف فلان الله اذا كان
غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعزته فلا شيء عليه لاستغنائه عنهم والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة من لم يعملها والتكفير اذهاب
السيئة بالحسنة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل
نعطيهم اكثر مما عملوا قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي برا بهما وعطفا عليهما
والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الآية والتي في سورة
لقمان والاحقاف في سعد بن ابي وقاص وهو ابو اسحق سعد بن مالك الزهري وامه حمنة
بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت
امه ما هذا الدين الذي احدثت والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير
بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت

وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما اخر وليلة فجاها ابنها سعد وقال يا اماه لو كانت لك ماية نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ان شيت وان شيت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامر بالبر بالوالدين والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وجا في الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال تعالى الي مرجعكم فانبيكم اي فاخبركم بما كنتم تعملون اي بصالح اعمالكم وسييها فاجازيكم عليها والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الصالحين وهم الانبيا والاوليا وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اي اصابه بلا من الناس افتتن وجعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الاخرة والمعنى انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر ولين جا نصر من ربك اي فتح ودولة للمومنين ليقولن يعني هولا المنافقين للمومنين انا كنا معكم اي على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاكذبهم الله تعالى فقال عز وجل اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي من الايمان والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا اي صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلا وليعلمن المنافقين اي بترك الاسلام عند البلا قيل نزلت هذه الاية في اناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا من الناس او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقيل هذه الايات العشر من اول السورة الى هاهنا مدنية وباقي السورة مكية وقال الذين كفروا للذين امنوا يعني من اهل مكة وقيل قاله ابو سفيان للذين امنوا اي من قريش اتبعوا سبيلنا يعني ديننا وملتنا وملة اباينا ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ولنحمل خطاياكم اي اوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل فقال وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون اي في قولهم نحمل خطاياكم وليحملن اثقالهم اي اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اوزار من اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع اوزار انفسهم فان قلت قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شي وقال هاهنا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيية بل كل واحد يحمل خطيية نفسه ورؤسا الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب اضلال غيرهم كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيية كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شي رواه مسلم وليسالن يوم القيمة عما كانوا يفترون اي سوال تقريع وتوبيخ لانه تعالى عالم باعمالهم وافترايهم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم اي اقام فيهم يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده الف سنة الا خمسين عاما فان قلت ما فايدة هذا الاستثنا وهلا قال تسعماية وخمسين سنة قلت فيه فايدتان احدهما ان الاستثنا يدل

لعله ابو سفيان

على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القايل عاش فلان ماية سنة فقد يتوهم السامع انه يقول ماية سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال ماية سنة الا شهرا او الا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفايدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا واعلى مراتب العدد الف وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه اعظم والحكمة وهذا التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اعلمه ان الانبيا قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه فصبر في الدعا ولم يومن من قومه الا القليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من امن من امتك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة ولبث في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره الفا وخمسين سنة وقوله فاخذهم الطوفان اي فاغرقهم وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية اي عبرة للعالمين قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة قوله عز وجل وابرهيم اي وارسلنا ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي اطيعوا الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا اي تقولون كذبا وقيل تصنعون اصناما وتسمونها الهة ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون ان يرزقوكم فابتغوا عند الله الرزق اي اطلبوا عند الله الرزق فانه القادر على ذلك واعبدوه اي وحدوه واشكروا له اي لانه المنعم عليكم بالرزق اليه ترجعون اي في الاخرة وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكوا وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى اولم يروا قيل هذه الايات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل ان تكون من تمام قول ابرهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابرهيم وهي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا يعلموا كيف يبدى الله الخلق اي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يعيده اي في الاخرة عند البعث ان ذلك على الله يسير اي الخلق الاول والخلق الثاني قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا خلقهم ثم الله ينشي النشاة الاخرة اي ثم الله الذي خلقهم ينشيهم نشاة ثانية بعد الموت ثانيا والمعنى انه كما لم يتعذر عليه احداثهم مبديا كذلك لا يتعذر عليه انشاوهم معيدا بعد الموت ثانيا ان الله على كل شي قدير اي من البدا والاعادة يعذب من يشا عدلا منه ويرحم من يشا تفضلا واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما قيل معناه ولا من في السما بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السما في السما وقيل معنى قوله ولا في السما اي لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولي اي يمنعكم مني ولا نصير اي ينصركم من عذابي والذين كفروا بايات الله يعني القران ولقايه اي بالبعث اوليك ييسوا من رحمتي يعني الجنة واوليك لهم عذاب اليم فهذه الايات في تذكير اهل مكة ثم عاد الى قصة ابرهيم عليه السلام فقال عز وجل فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه

قال أي ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه او حرقوه فأنجاه الله من النار اي بان جعلها عليه
بردا وسلاما قيل انه ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اي يصدقون وقال يعني
ابرهيم لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل
معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
اي تتبرا الاوثان من عابديها وتتبرا القادة من الاتباع ويلعن الاتباع ومأواكم النار يعني العابدين والمعبودين
جميعا وما لكم من ناصرين اي مانعين من عذابه فآمن له لوط اي صدقه برسالته لما راى معجزته وهو
اول من صدق ابرهيم واما في اصل التوحيد فانه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور منهم الكفر وقال
يعني ابرهيم اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني ربي فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر
الى الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر الى الله وترك بلده وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة
اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة انه هو العزيز اي الذي يمنعني من اعدائي الحكيم اي الذي لا
يامرني الا بما يصلحني قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب يعني ان الله تعالى
لم يبعث نبيا بعد ابرهيم الا من نسله وآتيناه اجره في الدنيا هو الثناء الحسن من اهل الاديان يتولونه ويحبونه
ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة في نسله هذا في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اي
في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة
اي الفعلة القبيحة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال ائنكم لتأتون
الرجال يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن
مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال
على النساء وتأتون في ناديكم اي مجلسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم المنكر عن ام هانئ بنت ابي طالب
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يخذفون اهل الارض ويسخرون منهم اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن الخذف هو رمي الحصاة بين الاصابع وقيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند
كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل خذفوه فايهم اصابه كان اولى به وقيل انه كان
ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل كانوا يأتي بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل كانوا
يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كان من اخلاق
قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازرار والصفير والخذف والرمي بالجلاهق
واللوطية فما كان جواب قومه اي لما انكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح الا ان قالوا يعني استهزاء
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال رب انصرني
على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم قوله تعالى ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى
يعني من الله باسحق ويعقوب قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية يعني قوم لوط والقرية سدوم ان اهلها
كانوا ظالمين قال يعني ابرهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله ان فيها لوطا قالوا اي قالت الملائكة نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي من الباقين في العذاب ولما ان جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم اي ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه وضاق بهم ذرعا اي قلبا حتى تبين امرهم فحزن
لذلك وقالوا لا تخف اي من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك اي انا مهلكوهم ومنجوك
واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا اي عذابا من السماء قيل

ذرعا

هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة اي من قريات قوم لوط بينة اي
عبرة ظاهرة لقوم يعقلون اي يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم
الخربة وقيل هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوائل هذه الامة وقيل هو ظهور الماء
الاسود على وجه الارض قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل
هو اسم للمدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول الثاني يكون المعنى
وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر اي اخشوا اليوم الآخر اي افعلوا
فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين
فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض فاصبحوا في دارهم جاثمين اي
باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا اي واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم يا اهل مكة من مساكنهم
اي منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان اعمالهم اي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل اي
عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين اي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم
يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقارون وفرعون
وهامان اي واهلكنا هؤلاء ولقد جاءهم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين اي فائتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط
رموا بالحصباء وهي الحصا الصغار ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه
ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم اي بالهلاك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون اي بالاشراك قوله عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام يرجون نصرها
ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوي اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع
عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذي
يعبد الاوثان بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة
الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت
العنكبوت فكذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لانها لا تضر ولا تنفع
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اشارة الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه او لمسه لامس فلا
يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان
لو كانوا يعلمون اي ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ان الله يعلم ما
يدعون من دونه من شيء هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذين يدعون من دونه ليس
بشيء وهو العزيز الحكيم معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل
بعبادة ما ليس بشيء اصلا وتلك الامثال نضربها للناس اي الاشباه يعني امثال القرآن التي
شبهها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة نضربها اي نبينها للناس اي لكفار
مكة وما يعقلها الا العالمون يعني ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل
روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله
السموات والارض بالحق اي للحق واظهار الحق ان في ذلك لآية اي دلالة للمؤمنين على قدرته وتوحيده

قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القرآن ٥ واقم الصلاة فان قلت لم امر هذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلثة قلبيه وهي الاعتقاد الحق ولسانيه وهي الذكر الحسن وبدنيه وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة البدنية يمكن التكرار فلذلك امر بهما ٥ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء اي ما قبح من الاعمال ٥ والمنكر اي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك السيئات كما روي عن انس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ستنهاه صلاته يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حاله وقيل معنى الآية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل اراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا اصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية انه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويصلي ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد وان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ٥ وقوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ان اعظم افضل الطاعات عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو يضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا افضل منه درجة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد اشهر يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الامر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره م عن ابي هريرة رضي الله عنهما انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله تعالى وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه وروي ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطا ولذكر الله اكبر من ان يبقى معه معصية ٥ والله يعلم ما تصنعون اي لا يخفى عليه شي من امورهم قوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب اي لا تخاصموهم ٥ الا بالتي هي احسن اي بالدعاء الى الله تعالى باياته والتنبيه على حججه واراد به من قبل الجزية منهم ٥ وقوله الا الذين ظلموا منهم اي ابوا ان يعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة باية السيف ٥ وقولوا اي للذين قبلوا الجزية اذا اخبروكم بشي مما في كتبهم ٥ امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان

اهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الآية قوله عز وجل وكذلك اي كما انزلنا اليهم الكتاب ٥ انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يعني عبد الله بن سلام واصحابه ٥ ومن هؤلاء يعني اهل مكة ٥ من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة ٥ وما كنت تتلوا يا محمد ٥ من قبله من كتاب معناه من قبل ما انزلنا اليك الكتاب ٥ ولا تخطه بيمينك اي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي ٥ اذا لارتاب المبطلون معناه لو كنت تكتب او تقرأ قبل الوحي لشك المشركون من اهل مكة وقالوا انه يقرأه من كتب الاولين وينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه اذا لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت ٥ بل هو ايات بينات يعني القرآن ٥ في صدور الذين اوتوا العلم يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم ٥ وما يجحد باياتنا الا الظالمون يعني اليهود ٥ وقالوا يعني كفار مكة ٥ لولا انزل عليه ايات من ربه اي كما انزل على الانبياء من قبل وقيل اراد بالايات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك ٥ قل انما الايات عند الله اي هو القادر على ارسالها اذا شاء انزلها ٥ وانما انا نذير مبين اي انما كلفت الانذار وليس انزال الايات بيدي ٥ اولم يكفهم انا انزلنا هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه قال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم معناه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على ممر الازمان والدهور ثابتة لا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ٥ ان في ذلك يعني انزال القرآن ٥ لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون اي تذكيرا وعظة لمن امن به وعمل صالحا ٥ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا معناه يشهد لي اني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه ٥ يعلم ما في السموات والارض اي هو المطلع على امري وامركم ويعلم حقي وباطلكم لا يخفى عليه خافية ٥ والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل ٥ وكفروا بالله فان قلت من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التاكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول القائل اتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح ٥ اولئك هم الخاسرون اي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث حين قال فامطر علينا حجارة من السماء ٥ ولولا اجل مسمى قال ابن عباس ما وعدتك اني لا اعذب قومك ولا استأصلهم واوخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر ٥ لجاءهم العذاب وليأتينهم يعني العذاب وقيل الاجل ٥ بغتة وهم لا يشعرون اي باتيانه ٥ يستعجلونك بالعذاب اعاده تاكيدا ٥ وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها ٥ يوم يغشاهم العذاب اي يصيبهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون قيل نزلت في ضعفاء مسلمي مكة

اي لنا الكاب
فالذين اسا والكتاب
يؤمنون به هم

على انزالها

وما يعبد

القرآن واقم

بقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان بها فاخرجوا منها ان ارضي يعني المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع والضيق في المعيشة فانزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل معنى فهاجروا فيها اي جاهدوا فيها قال سعيد بن جبير اذا عمل في الارض بالمعاصي فاخرجوا منها فان ارضي واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتهيا له العبادة وقيل معنى ان ارضي واسعة ان رزقي لكم واسع فاخرجوا كل نفس ذائقة الموت اي كل احد ميت خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون فنجزيكم باعمالكم قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا اي علالي جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين اي لله بطاعته الذين صبروا اي على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون على الله في جميع امورهم فوكلهم عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من دابة اي ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيا لغد مثل البهائم والطير الله يرزقها واياكم اي حيث كنتم وهو السميع اي لاقوالكم العليم بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول النهار جياعا ضامرة البطون وترجع آخر النهار شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيا قال سفين ابن عيينة ليس شي من خلق الله يخبا الا الانسان والفارة والنملة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ليس من شي يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به وليس شي يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطا الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله تعالى ولين سالتهم يعني كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اي من احدث الايجاد الذوات والثاني اشارة الى ايجاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون معناه الا يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقايه وبقاء الانسان بالرزق فالله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان ويقدر له اي يضيق له اذا شا ان الله بكل شي عليم اي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق ولين سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى قل الحمد لله اي على ان الفاعل لهذه الاشيا هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة لهم بل اكثرهم لا يعقلون اي انهم ينكرون

التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشيا قوله عز وجل وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه ولا يهمه واللعب العبث وفي هذا تصغير الدنيا وازدراؤها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وموتهم وتنقلهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها لو كانوا يعلمون فنا الدنيا وبقا الآخرة لما آثروا الفاني على الباقي قوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين اي تركوا الاصنام ولجاوا الى الله تعالى بالدعا فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد قيل كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله في انجايه اياهم ومعناه التهديد والوعيد وليتمتعوا معناه لا فايدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة فسوف يعلمون يعني عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد لهم قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم يعني العرب يسبي بعضهم بعضا واهل مكة امنون افبالباطل يعني الاصنام يومنون وبنعمة الله اي بمحمد يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي فزعم ان لله شريكا او كذب بالحق اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين معناه اما لهذا الكافر المكذب ماوى في جهنم قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا اي لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل الى رضا الله تعالى قال سفين بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وان الله لمع المحسنين اي بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم والله اعلم

تفسير سورة الروم وهي مكية

وهي ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسماية واربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يدعى شهربراز فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب ونحن اميون والمجوس وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل

الم

هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن
الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال
انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه والمناحبه بالحا المهملة التي ردها المراهنة
اي اراهنك على عشر قلايص وعشر قلايص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت
فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلث سنين فجا ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك
وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة الى
التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا
فتعال ازايدك في الخطر واماددك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل
الى سبع فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف
ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج
الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج
الى احد ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه
وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر
وربطت الروم خيولهم بالمداين وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر
من ورثته وجا به الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق
به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهربراز لما غلب الروم لم
يزل يطاهم ويخرب مداينهم حتى بلغ الخليج فبينا اخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال
لاصحابه لقد رايت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته الى كسرى فكتب الى شهربراز اذا اتاك
كتابي فابعث الي براس فرخان فكتب اليه شهربراز ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان
له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فعجل علي براسه
فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد عزلت عنكم شهربراز واستعملت
عليكم فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة وامر فيها بقتل شهربراز وقال اذا ولي فرخان
الملك وانقاد له اخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهربراز وعرض عليه كتاب كسرى
قال سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرخان فدفع البريد الصحيفة الى فرخان
فلما قراها استدعا باخيه شهربراز وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى اكتب وصيتي
قال نعم فدعا بسفط ففتحه واعطاه منه ثلث صحايف وقال كل هذا راجعت فيك كسرى
وانت تريد ان تقتلني بكتاب واحد فرد فرخان الملك الى اخيه شهربراز فكتب الى قيصر ملك
الروم ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى القاك في
خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة
ان يكون يريد ان يمكر به فاتاه عيونه فاخبروه انه ليس معه الا خمسون فارسا فلما التقيا ضربت
لهما قبة ديباج فدخلاها مع كل واحد منهما سكين ودعيا بترجمان بينهما فقال شهربراز

ان الذي

ان الذي خربوا بلادك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا واراد ان اقتل اخي فابيت عليه
ثم امر اخي بقتلي فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك قال قد اصبتما ثم اشار احدهما
الى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فاديلت الروم
على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجا الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية ففرح من كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض
يعني اقرب ارض الشام الى فارس قيل هي اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة وهم من بعد
غلبهم اي فارس عليهم سيغلبون اي الروم لفارس في بضع سنين البضع ما بين الثلث
الى التسع وقيل الى السبع وقيل ما دون العشرة لله الامر من قبل ومن بعد اي من
قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله وقضائه وقدره ويومئذ يفرح
المومنون بنصر الله اي للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون بظهورهم
على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ينصر من يشاء اي ينصره
النصر ينصر من يشا وهو العزيز اي الغالب الرحيم اي بالمومنين قوله تعالى وعد الله اي
وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ان الله
لا يخلف وعده ثم قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني امر معاشهم كيف يكتسبون
ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره
فيذكر وزنه لا يخطي وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو
ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجوها الظاهر ولا
يعلمون فناها وهم عن الآخرة هم غافلون اي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها
قوله عز وجل اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني
لاقامة الحق واجل مسمى اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيمة وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض اي ليسافروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم اي فينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا كانوا اشد منهم قوة واثاروا
الارض وعمروها اي حرثوها وقلبوها للزراعة وعمروها يعني الامم الخالية اكثر مما عمروها يعني اهل
مكة وجاتهم رسلهم بالبينات اي فلم يومنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم اي بنقص حقوقهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ببخس حقوقهم ثم كان عاقبة الذين اساوا السوءى اي اساوا العمل
السوءى يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوءى اسم جهنم ومعنى الاية ان عاقبة الذين عملوا
السوء النار ان كذبوا اي لان كذبوا وقيل معنى الاية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك
السيئات على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون قوله تعالى الله يبدا الخلق ثم يعيده
اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء ثم اليه ترجعون اي فيجزيهم باعمالهم ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون قيل معناه انه يياس من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم
وقيل يفتضحون ولم يكن لهم من شركائهم يعني اصنامهم التي عبدوها شفعاء اي ليشفعوا
لهم وكانوا بشركائهم كافرين اي جاحدين متبرين يتبراون منها وتتبرا منهم ويوم تقوم الساعة

يومئذ يتفرقون يتميز اهل الجنة من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى
النار فلا يجتمعون ابدا وهو قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اي في جنة وقيل
الروضة البستان الذي في غاية النضارة يحبرون قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة
السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل
فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا
وردت وسال رجل ابا هريرة هل لاهل الجنة من سماع قال نعم شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة
وثمرها اللولو والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيحك بعضها بعضا فما سمع احد احسن صوتا منه
واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي البعث يوم القيمة فاولئك في العذاب محضرون قوله تعالى
فسبحان الله اي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون اي تدخلون في المسا وهو صلاة
المغرب والعشا وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح وله الحمد في السموات والارض
قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له وعشيا اي وصلوا لله عشيا يعني صلاة
العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر قال نافع بن الارزق لابن عباس
هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرا هاتين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها
واعلم انما خص هذه الاوقات بالتسبيح وذلك ان افضل الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر
ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير ذلك فخفف
الله عن العبد في غالب الاوقات وامر بها في غالب الاوقات وامر بها في اول النهار ووسطه
واخره وفي اول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي
الركعات وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكانما سبح الله
سبع عشرة ساعة من الليل والنهار وبقي عليه سبع ساعات من جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم
والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح والعبادة

فصل في فضل التسبيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت
خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله
وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه اخرجه
الترمذي وقال فيه حسن صحيح ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان
خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وهذا الحديث اخر حديث في صحيح البخاري م عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى
الله عليه وسلم ورضي عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها
فرجع بعدما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت
بعدك اربع كلمات ثلث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه
وزنة عرشه ومداد كلماته م عن سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايعجز احدكم ان يكسب في كل يوم الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة او
تحط عنه الف خطيئة وفي غير رواية مسلم وتحط بغير الف قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت

من الحي اي يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج
البيضة من الدجاجة وقيل يخرج المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن ويحيي الارض بعد موتها
اي بالمطر واخراج النبات منها وكذلك تخرجون اي مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من
القبور احياء للبعث والحساب ومن اياته ان خلقكم من تراب اي خلق اصلكم وهو ادم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي تنبسطون في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
اي من جنسكم من بني ادم وقيل خلق حوا من ضلع ادم لتسكنوا اليها اي لتميلوا الى الازواج
وتالفوهن وجعل بينكم مودة ورحمة اي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان
من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شي احب الى احدهما من الاخر من
غير رحم بينهما الا الزوجان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في عظمة الله وقدرته ومن
اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية
وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق واشكاله خالف بينها حتى لا يكاد يسمع منطقين متفقين
حتى لو تكلم جماعة من وراء حايل لعرف كل واحد منهم بنطقه ونغمته لا يشبه احد صوت الاخر
والوانكم اي ابيض واسود واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل
واحد وهو ادم والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف ليعرف كل واحد بشكله وحليته
وصوته فلو اتفقت الصور والاصوات وتشاكلت وكانت فرعا واحدا لوقع التجاهل والالتباس
ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق الحسن من غيره والعدو من الصديق والقريب من
البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل على سعة القدرة وكمال
العظمة ان في ذلك لايات للعالمين اي لعموم العلم فيهم ومن اياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله اي منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب اسباب
المعيشة بالنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي سماع تدبر واعتبار ومن اياته يريكم
البرق خوفا اي للمسافر من الصواعق وطمعا اي للمقيم في المطر ليستعد المحتاج اليه
من اجل الزرع وتسوية طرق المصانع وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي قدرة الله وانه القادر عليه ومن اياته ان تقوم السماء
والارض بامره قال ابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض قال ابن عباس من القبور اذا انتم تخرجون من الارض وقيل
معنى الاية ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض وله من في السموات والارض
كل له قانتون اي مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت
والبعث وان عصوا في العبادة وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده اي يخلقهم اولا
ثم يعيدهم بعد الموت للبعث وهو اهون عليه اي هو هين عليه وما من شي عليه
بعزيز وقيل معناه وهو ايسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة
تكون اهون من الانشاء وقيل هو اهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة
فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا ونساء

في السماء والارض

وهو رواية عن ابن عباس وله المثل الاعلى اي الصفة العليا قال ابن عباس هي ليس كمثله شي
وقيل هو انه لا اله الا هو وهو العزيز اي في ملكه الحكيم اي في خلقه قوله عز وجل ضرب لكم مثلا
اي بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل من انفسكم ثم بين المثل فقال تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم اي
عبيدكم واماكم من شركاء فيما رزقناكم اي من المال فانتم فيه سواء اي هل يشارككم عبيدكم
في اموالكم التي اعطيناكم تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي تخافون ان يشاركوكم في اموالكم ويقاسموكم
كما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم
كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان
يكون الهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي كذلك نفصل الايات اي الدلالات والبراهين
والامثال لقوم يعقلون اي ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم بل اتبع الذين ظلموا
اي اشركوا بالله اهواءهم اي في الشرك بغير علم جهلا بما يجب عليهم فمن يهدي من اضل الله اي
عن الطريق الهدى وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى فاقم وجهك
للدين اي اخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه الانسان ودينه
وعمله مما يتوجه اليه لتسديده حنيفا اي مائلا اليه مستقيما عليه فطرة الله اي دين الله والمعنى
الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة
الدين وهو الاسلام ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على
الفطرة ثم يقول اقرؤوا فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم زاد البخاري فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها الاية وفي رواية قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال
الله اعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ الله عليهم
بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهو الحنيفية التي وقعت
الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطري في احكام الدين وانما يعتبر الايمان الشرعي المامور به المكتسب
بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه وينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطري فيه
محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث اخر يقول الله عز وجل
اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك
انه قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي خلقته التي خلق عليها في علم الله تعالى
من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل
لها فمن امارات الشقاوة ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد
دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبدا الخلقة على الفطرة اي على الجبلة السليمة والطبع المتهيي
لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول
السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لافة من افات النشوء والتقليد فلو سلم من
تلك الافات لم يعتقد غيره ثم تمثل باولاد اليهود والنصارى واتباعهم لابائهم والميل

الدنيا

آفات

الى ديانتهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والمحجة المستقيمة قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء اي كما تلد
البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شي وقوله هل تحسون فيها من جدعاء اي هل تشعرون
وتعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الاذن او الانف وقوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اي لا تبدلوا
دين الله وقيل معنى الاية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معناه لا تبديل لخلق
الله وهو ما خلق عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا
وقيل الاية في تحريم اخصاء البهائم ذلك الدين القيم اي المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله عز وجل
منيبين اليه اي فاقم وجهك انت وامتك منيبين اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل
فيه الامة والمعنى راجعين اليه بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة واتقوه اي ومع ذلك خافوه
واقيموا الصلوة اي داوموا على ادائها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين من الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا اي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم اهل
البدع من هذه الامة كل حزب بما لديهم فرحون اي راضون بما عندهم قوله تعالى واذا مس
الناس ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم منيبين اليه اي مقبلين اليه بالدعاء ثم اذا اذاقهم منه
رحمة اي خصبا ونعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا
فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار فسوف تعلمون اي حالكم في الاخرة ام انزلنا عليهم سلطانا
قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا فهو يتكلم اي ينطق بما كانوا به يشركون اي يشركهم
ويامرهم به واذا اذقنا الناس رحمة اي الخصب وكثرة المطر فرحوا بها اي فرح بطر وان تصبهم
سيئة اي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء بما قدمت ايديهم اي من السيئات اذا هم يقنطون
اي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر ربه عند النعمة ويرجو عند
الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
[illegible] قوله عز وجل فات ذا القربى حقه اي من البر والصلة والمسكين اي حقه وهو
التصدق عليه وابن السبيل اي المسافر وقيل هو الضيف ذلك خير للذين يريدون
وجه الله اي يطلبون ثواب الله بما يعملون واولئك هم المفلحون قوله عز وجل وما اتيتم اي
اعطيتم من ربا ليربوا في اموال الناس اي في اجتلاب اموال الناس واجتذابها وقيل
في معنى الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه اكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لا يثاب عليها
في القيامة وهو المراد بقوله تعالى فلا يربوا عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل هو الرجل
يعطي صديقه او قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه
ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله فلا يربوا عند الله لانه لم يرد بعمله وجه
الله وما اتيتم من زكاة اي اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله اي بتلك الصدقة
فاولئك هم المضعفون اي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها فالمضعف
ذو الاضعاف من الحسنات الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون لتقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد

الاية هو

في البر والبحر اي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البر اي البوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل
المداين والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر
الارض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما يوثر في البر يوثر في البحر فتخلو اجواف الاصداف من اللولو وذلك لان
الصدف اذا جاء المطر يرتفع على وجه الماء وينفتح فما وقع فيه من المطر صار لولوا بما كسبت ايدي الناس اي
بسبب شوم ذنوبهم قال ابن عباس الفساد في البر قتل احد ابني ادم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل
كانت الارض خضرة مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد
البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد
الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلات ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث
رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة ليذيقهم بعض الذي عملوا اي عقوبة الذي
عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون اي عن الكفر واعمالهم الخبيثة قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل اي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين اي فاهلكوا بكفرهم قوله عز وجل
فاقم وجهك للدين القيم اي لدين الاسلام من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيمة لا يقدر احد
على رده من الخلق يومئذ يصدعون اي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى من كفر فعليه كفره
اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطئون المضاجع ويسوون في القبور
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله قال ابن عباس ليثيبهم الله اكثر من ثواب اعمالهم
انه لا يحب الكافرين فيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر
وليذيقكم من رحمته اي بالمطر وهي الخصب ولتجري الفلك اي بهذه الرياح بامره ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا
رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون اي هذه النعم قوله عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فجاءوهم بالبينات اي بالدلالات الواضحات على صدقهم فانتقمنا من الذين اجرموا اي عذبنا الذين كذبوهم
وكان حقا علينا نصر المومنين اي مع انجائهم من العذاب وفيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في
العاقبة والنصر على الاعداء عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن
عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا هذه الاية وكان حقا علينا نصر المومنين
اخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيمة وقال حديث حسن
قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا اي تنشره فيبسطه في السماء كيف يشاء يعني
مسيرة يوم او يومين او اكثر على ما يشاء ويجعله كسفا اي قطعا متفرقة فترى الودق اي المطر
يخرج من خلاله اي وسطه فاذا اصاب به اي بالودق من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
اي يفرحون بالمطر وان كانوا اي وقد كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي ايسين
فانظر الى اثر رحمة الله اي بالمطر والمعنى انظر الى حسن تاثيره في الارض وهو قوله كيف يحيي الارض بعد
موتها ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان الذي احيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى وهو على كل شيء قدير
ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا اي الزرع بعد الخضرة لظلوا من بعده اي من بعد اصفرار
الزرع يكفرون اي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذابا
على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت

الهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون تقدم تفسيره قوله تعالى الله الذي
خلقكم من ضعف اي مبدا وكم ومنشاكم على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو اشارة الى احوال
الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه احوال في غاية الضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة اي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا اي هرما وشيبة
وهو تمام النقصان يخلق ما يشاء اي من الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس ذلك من افعال
الطبيعة بل بمشية الله وقدرته وهو العليم اي بتدبير خلقه القدير على ما يشاء قوله تعالى ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون اي يحلف المشركون ما لبثوا غير ساعة معناه انه استقلوا
اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كذلك كانوا يوفكون
اي يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان
لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان
ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المومنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين اوتوا
العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في
القبور وقيل معناه في كتاب الله في حكم الله وقيل معنى الاية وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله
والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين لقد لبثتم الى يوم البعث اي في قبوركم فهذا
يوم البعث اي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون اي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به
الان بدليل قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم ولا هم يستعتبون اي لا
يطلب منهم العتبى والرجوع في الاخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لانها لا تقبل منهم
قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان
بما فوق الكفاية من الانذار ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون يعني ما
انتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن
جئتهم باية والجمع في قوله ان انتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهي ان الله قال ولئن جئتهم
بكل اية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال معناه انتم كلكم ايها الرسل مبطلون كذلك يطبع
الله على قلوب الذين لا يعلمون اي توحيد الله فاصبر ان وعد الله حق اي في نصرك واظهارك
على عدوك ولا يستخفنك اي لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفن رايك وحلمك الذين
لا يوقنون اي بالبعث والحساب والله اعلم

تفسير سورة لقمان وهي مكية

وهي اربع وثلثون اية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تلك ايات
الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين اي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم الذين يقيمون الصلاة
ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون تقدم تفسيره
قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية قيل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة
كان يتجر فياتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود

وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل
الله هذه الآية وقيل هو شرى القيان والمغنين والمعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات لهو او ذا لهو الحديث
روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن
واثمانهن حرام وفي مثل هذا انزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما
من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا
يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون الذي يسكت اخرجه الترمذي وهذا لفظه عن ابي امامة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن
حرام وفي مثل هذا انزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة قال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه
حتى يموت لم اصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن ابن عباس
وابن مسعود والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى
يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابو الصهباء سالت ابن مسعود
عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلث مرات وقال ابرهيم النخعي الغناء ينبت
النفاق في القلب وقيل الغناء رقية الزنا وقيل لهو الحديث هو الطبل وقيل هو كل لهو ولعب
وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل الله اي دين الاسلام وسماع القرآن بغير علم اي يفعله
عن جهل وحسب اي من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق ويتخذها هزوا اي
يتخذ آيات الله مزحا اولئك يعني من هذه صفتهم لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
اي لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا كأن لم يسمعها اي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامعها
كأن في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
النعيم خالدين فيها وعد الله حقا يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد وهو العزيز الحكيم
قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول
المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر
مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد ترونها اي ليس هي شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول
وليس ذلك الا بقدرة الله وفي قوله ترونها وجهان احدهما انه راجع الى السموات اي ليست بعمد وانتم ترونها
كذلك بغير عمد الوجه الثاني انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي
لئلا تتحرك بكم وبث فيها اي في الارض من كل دابة اي ليسكنون فيها وانزلنا من السماء ماء يعني المطر
وهو من انعام الله على عباده فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي من كل صنف حسن هذا اي الذي ذكرت
مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي من آلهتكم التي تعبدونها بل الظالمون في ضلال
مبين قوله عز وجل ولقد آتينا لقمان الحكمة قيل هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل
كان ابن اخت ايوب وقيل ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى ادرك داود وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق
العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فانه
قال كان نبيا ... وروي انه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض

فتحكم

فتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم علي
فسمعا وطاعة فاني اعلم ان الله تعالى اذا فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان
قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يعن فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا
طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا
ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها
ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوي في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه
وكان لقمان يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل كان راعي غنم
فروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعي قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث
واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل
خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم والحكمة العقل والفهم وقيل
العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل الحكمة
شيء يجعله الله في القلب ينوره به كما ينور البصر وقوله ان اشكر لله وذلك لان المراد من العلم العمل به
والشكر عليه ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفران من كفر عليه يعود
وبال كفره فان الله غني اي غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد اي هو حقيق بان يحمد وان لم يحمده
احد قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه قيل اسمه انعم وقيل مشكم وهو يعظه وذلك لان اعلى مرتبة
الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة
الى الكمال وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ان اشكر لله اشارة الى تكميل غيره وبدا بالاقرب
اليه وهو ابنه وبدا في وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها
قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة
وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق
ضعف والوضع ضعف وفصاله في عامين اي فطامه في سنتين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما
فقال ان اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في
الدنيا والآخرة وقيل المراد بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير الي قال سفيان
ابن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد ادى شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكر للوالدين وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما يعني ان طاعتهما
واجبة فان افضى ذلك الى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما
في الدنيا معروفا اي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة واتبع سبيل من اناب الي اي
اتبع دين من اقبل الي بطاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من اناب الي يعني ابا بكر الصديق
قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
وقالوا له صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى

ان

هو آلام مسابقة الاسلام اسلموا ابارث دابي بكر ٥ ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال يا بني
انها اي الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل اي في الصغر ٥ فتكن اي مع صغرها في صخرة قال ابن عباس هي صخرة
تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو
النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة وهي التي ذكر
لقمان ليست في الارض ولا في السماء فلذلك قال او في السموات او في الارض والصخرة على متن الريح والريح
على القدرة ٥ يأت بها الله معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله ان الله لطيف اي باستخراجها
خبير اي بمكانها فمعنى الآية هو الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها
لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمها فمات ٥ يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما اصابك يعني من الاذى ٥ ان ذلك من عزم الامور يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي امر الله بها ٥ ولا تصعر خدك وقيل تصاعر خدك للناس قال
ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه
احنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر
الفقير ليكن الفقير والغني عندك سواء ٥ ولا تمش في الارض مرحا اي خيلاء ٥ ان الله لا يحب كل
مختال فخور اي يفخر على الناس ٥ واقصد في مشيك اي ليكن مشيك قصدا بين الاسراع والتأني
اما الاسراع فمفوت للخيلاء واما التأني وهو ان يرى من نفسه التزهد فكلا الطرفين مذموم
بل يكون مشيك بالسكينة والوقار ٥ واغضض اي اخفض وقيل انقص من صوتك ان انكر الاصوات
اي اقبح الاصوات لصوت الحمير لان اوله زفير وآخره شهيق وهما صوت اهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال
صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل في معنى الآية هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف باب
من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمه قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال
له اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه اخرى وقال له اذبحها وائتني
باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث
منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا
يبالي ان يراه الناس مسيئا قوله عز وجل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ اي اتم
واكمل عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم
من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد
بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة
الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة
اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والباطنة محبته ٥ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر
ابن الحارث وابي بن خلف وامية بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته
بغير علم ٥ ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
قال الله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم معناه فيتبعونه وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير

اي في مشيه

قوله عز وجل ومن يسلم وجهه الى الله اي لله مخلص دينه له ويفوض امره اليه ٥ وهو محسن اي في عمله
فقد استمسك بالعروة الوثقى اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه ويرتقي بسببه الى اعلى الغايات ٥ والى
الله عاقبة الامور اي مصير جميع الاشياء اليه ٥ ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان
الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم ٥ نمتعهم قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى
انقضاء آجالهم ٥ ثم نضطرهم اي نلجئهم ونردهم ٥ الى عذاب غليظ اي النار في الآخرة ٥ ولئن سألتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات وما في الارض ان الله
هو الغني الحميد تقدم تفسيره قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده سبعة ابحر قال
المفسرون لما نزلت بمكة ويسألونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه
احبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال
عليه السلام كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت
تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فانزل الله تعالى هذه الآية
فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود امروا وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل
الله هذه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي بريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم ٥ والبحر يمده
اي يزيده وينصب اليه ٥ من بعده سبعة ابحر اي مدادا والخلائق يكتبون بها كلام الله ٥ ما نفدت كلمات
الله لانه لا نهاية لها ٥ ان الله عزيز حكيم قوله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلق نفس
واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء ان الله سميع اي لاقوالكم ٥ بصير اي لاعمالكم ٥ الم تر ان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله
بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء الذي ذكر هو المستحق
للعبادة وان ما يدعون من دونه الباطل لانه لا يستحق العبادة ٥ وان الله هو العلي اي في صفاته له
الصفات العليا والاسماء الحسنى ٥ الكبير اي في ذاته اكبر من كل كبير قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بما
بنعمة الله اي ذلك من نعمة الله عليكم ٥ ليريكم من آياته اي من عجائب صنعه ٥ ان في ذلك لآيات لكل صبار
اي على ما امر الله ٥ شكور اي لانعام الله ٥ واذا غشيهم موج كالظلل اي كالجبال وقيل كالسحاب شبه
بها الموج في كثرتها وارتفاعها ٥ دعوا الله مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة
ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه ٥ فلما نجاهم من تلك الشدة فمنهم من
يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي عدل موف في البر بما
عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له والثبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك
انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجانا الله من هذه لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم
ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه ٥ ومنهم من لم
يف بما عاهد وهو المراد بقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار اي غدار ٥ كفور اي جحود لانعام الله
عليه قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم اي خافوا ربكم ٥ واخشوا يوما لا يجزي اي

لا تغني ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية
الشفقة والمحبة وهو الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده
لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لماله عليه من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيمة
فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه ان وعد الله
حق قيل انه يحقق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شانه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل
كانه تحقيق لعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الاول احسن واظهر فلا تغرنكم
الحياة الدنيا اي لا تغرنكم بلذاتها فانها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي
ويتمنى المغفرة قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن حفصة
من اهل البادية اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا اجدبت فمتى
ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فما تلد وقد علمت اين ولدت فباي ارض اموت فانزل الله هذه
الآية خ عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل
الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير
ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا يدري احد من الناس متى تقوم الساعة في اي سنة
او اي شهر او يوم ليلا ام نهارا الا الله ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى احمر ام اسود تام الخلق ام
ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا اي من خير او شر وما تدري نفس باي ارض تموت اي ليس
احد من الناس يعلم اين مضجعه من الارض في بر او بحر في سهل او جبل ان الله عليم بهذه
الاشياء وبغيرها خبير اي بواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل بالظاهر والباطن
قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل مصطفى فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه
فقد كفر بالقرآن لانه خالفه والله اعلم ٥

تفسير سورة السجدة وهي مكية

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله افمن كان مؤمنا وهي سبع وعشرون وقيل ثلاثون آية
وثلثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من رب العالمين ام يقولون افتراه اي بل يقولون يعني المشركين
افتراه اي اختلقه محمد من تلقاء نفسه بل هو الحق يعني القرآن من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير من قبلك يعني العرب كانوا امة امية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة
قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا واما قيام الحجة عليهم بمعرفة
الله والتوحيد فنعم لان معهم ادلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون يعني بانذارك اياهم
اهتداؤهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون تقدم تفسيره قوله تعالى يدبر الامر اي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر
وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يعرج اي يصعد اليه جبريل بالامر في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون يعني ان مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم

ثم صعوده الى السماء في مقدار الف سنة لو سارها احد من بني ادم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من
ايام الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة
ايام الدنيا ثم يعرج اليه اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع امر الامراء وحكم الحكام
في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح
اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما قلت قيل اراد بقوله خمسين الف سنة
مدة المسافة من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة
الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل كلاهما
في القيمة فيكون على بعضهم كالف سنة وعلى بعضهم كخمسين الف سنة وهذا في حال الكفار واما
على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال
ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن
شدته وهوله ومشقته وقال ابن ابي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن
عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله
لا ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله ما لا اعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع ما
ذكر من خلق السموات والارض وهو عالم الغيب اي ما غاب عن خلقه لا يخفى عليه خافية والشهادة
يعني ما حضر وظهر العزيز المنيع المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واهل طاعته قوله عز وجل
الذي احسن كل شيء خلقه قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق
كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان على صورته كامل في خلقه حسن
في شكله وكل عضو من اعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه الهم خلقه ما يحتاجون
اليه وعلمهم اياه وقيل احسنهم ذكره وقيل معناه احسن الى كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان
من طين يعني آدم ثم جعل نسله يعني ذريته من سلالة اي نطفة تنسل من الانسان من
ماء مهين اي ضعيف ثم سواه اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه اضاف اليه الروح اضافة
تشريف وتكريم كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة فان قلت لم قدم السمع قلت لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله
ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام
من اي جهة كان قليلا ما تشكرون يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه قوله تعالى
وقالوا يعني منكري البعث ائذا ضللنا في الارض اي هلكنا في الارض والمعنى صرنا ترابا ائنا لفي خلق جديد
استفهام انكار قال الله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت قل يتوفاكم اي
يقبض ارواحكم حتى لا يبقى من كتب عليه الموت احد ملك الموت وهو عزرائيل عليه السلام الذي
وكل بكم اي لا يغفل عنكم واذا جاء اجل احدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له الا ذلك روي ان ملك
الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض
ارواح الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد
جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين

السما والارض فينتزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل ان لملك
الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم
في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال له الان يزل بك عسكر الموت
وقوله ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون اليه احياء فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل ولو ترى اذ المجرمون اي المشركون
ناكسوا رؤسهم اي مطاطئوها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم ربنا اي يقولون ربنا
ابصرنا ما كنا به مكذبين وسمعنا يعني منك تصديق ما اتتنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا
ما قيل فيها فارجعنا اي فارددنا الى الدنيا • نعمل صالحا انا موقنون اي انا في الحال امنا ولكن لا ينفع ذلك الايمان
ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها اي رشدها وتوفيقها للايمان ولكن حق القول مني اي وجب القول مني
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من كفار الجن والانس فذوقوا اي اذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم الايمان به في الدنيا انا نسيناكم اي تركناكم بالكلية غير ملتفت
اليكم كما يفعل الناس قطعا لرجائكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب قوله عز وجل
انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها خروا سجدا اي سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا
بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون اي عن الايمان به والسجود له
ق عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا
مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فابيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القران فيسن للقاري والمستمع قوله تعالى تتجافى جنوبهم
اي ترتفع وتنبو جنوبهم عن المضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون
بالليل الذين يقومون للصلاة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى
رحالنا حتى نصلي العشاء الاخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع
نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية ابي داود
عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر قالا هي صلاة
الاوابين وروي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة
الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلون العشاء الاخرة وعن ابي الدرداء وعبادة بن الصامت
والي هم الذين يصلون العشاء الاخرة والفجر في جماعة يدل له قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في
جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله اخرجه مسلم من
حديث عثمان بن عفان ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في
العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي وجماعة فصل في فضل قيام الليل والحث عليه عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني
من النار قال سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة
وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة
وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك براس

الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد
ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا
لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد
السنتهم اخرجه الترمذي عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين
قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الاثام ومطردة للداء عن الجسد اخرجه الترمذي عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين
حبه واهله الى صلاته فيقول الله لملائكته انظروا الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه واهله
الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه في
الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى هريق دمه اخرجه الترمذي بمعناه م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة
صلاة الليل ق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقلت
لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا عن علي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها
الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام اخرجه الترمذي خ عن الهيثم
ابن ابي سنان انه سمع ابا هريرة في قصصه يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان اخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك
ابن رواحة قال وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به
موقنات ان ما قال واقع يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالكافرين المضاجع
اخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن ابي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث وقوله يدعون ربهم خوفا
وطمعا قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة المفروضة
وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي مما تقر به
اعينهم فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم
جزاء بما كانوا يعملون اي من الطاعات في دار الدنيا ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا
ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي
اسكت فانك صبي وانا والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا منك حشوا
في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه الاية وقوله لا يستوون اراد جنس
المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات الماوى اي التي ياوي اليها المؤمنون نزلا هو ما يهيا للضيف عند نزوله
بما كانوا يعملون يعني من الطاعات في دار الدنيا واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون قوله تعالى ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اي سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصايب
الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود

هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم لعلهم يرجعون اي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد القحط
وبعد بدر ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بدلايله وحججه وانعامه عليه ثم اعرض عنها اي ترك الايمان بها
انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون معناه انه لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون بالعذاب
الاكبر قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فلا تكن في مرية من لقائه اي من لقاء موسى ليلة المعراج
قاله ابن عباس ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا
كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر ورايت مالكا
خازن النار والدجال في ايات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتيت ليلة اسري بي على موسى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره فان قلت قد صح في حديث المعراج انه راه
في السماء السادسة ومراجعته في امر الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل ان رؤيته
في قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء
السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريده الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فان قلت كيف يصلي من
الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في الدار الاخرة وليست دار عمل وكذلك راى النبي
صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت عنه اجوبة احدها ان الانبياء
كالشهداء بل هم افضل منهم والشهداء احياء عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وان
يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لانهم وان كانوا قد توفوا فهم في هذه الدار التي هي دار العمل
الى ان تفنى وتعقبها الدار الاخرة التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم اري حالهم التي كانوا عليها في حياتهم
ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في
الاخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وقال صلى الله عليه وسلم
يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة اكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك
وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وغاية ما في الباب
ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية من
لقائه اي تلقي موسى كتاب الله بالرضا والقبول وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم
اي من بني اسرائيل ائمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع
الانبياء يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى طاعتنا لما صبروا اي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم
بمصر وكانوا باياتنا يوقنون اي انها من الله ان ربك هو يفصل اي يقضي ويحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون قيل هم الانبياء وامهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى اولم يهد لهم اي يبين لهم كم اهلكنا
اي كثيرا اهلكنا من قبلهم من القرون اي الامم الخالية يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يسيرون في بلادهم
ومنازلهم اذا سافروا ان في ذلك لايات افلا يسمعون اي ايات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض باليمن
وقيل هي ابين فنخرج به اي بذلك الماء زرعا تاكل منه انعامهم اي العشب والتبن وانفسهم اي من
الحبوب والاقوات افلا يبصرون اي فيعتبرون قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين
قيل اراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا

على موسى

الفتح اي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو يوم بدر وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار
ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح قل يوم الفتح يعني يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اي لا
يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا
جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا فاعرض عنهم قال ابن عباس نسختها
اية السيف وانتظر اي موعدي لك بالنصر عليهم انهم منتظرون اي بك حوادث الزمان وقيل معناه
انتظر عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر
يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل اتى على الانسان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل
وتبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال طاوس تفضلان على كل سورة في القران بسبعين حسنة
اخرجه الترمذي

تفسير سورة الاحزاب

وهي مدنية وهي ثلاث وسبعون اية والف ومايتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبعمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن
سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد
اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق
فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان
لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ايذن
لنا في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم
عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل الله يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا
تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته ولا تطع الكافرين
يعني من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة وابا الاعور والمنافقين يعني من اهل المدينة عبد الله بن ابي
وعبد الله بن سعد وطعمة ان الله كان عليما اي بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما اي فيما دبره لهم واتبع
ما يوحى اليك من ربك اي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين ان الله كان بما تعملون
خبيرا وتوكل على الله اي ثق بالله وكل امرك اليه وكفى بالله وكيلا اي حافظا لك وقيل كفيلا
برزقك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر الفهري
وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشياء الا وله قلبان
وكان هو يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر
انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال
الناس قال انهزموا قال له فما لك احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت الا
انها في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن ابي ظبيان قال قلت لابن عباس
ارايت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عنى قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي
فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة
التي تحصل للانسان في صلاته وقيل في معنى الاية انه لما قال تعالى يا ايها النبي اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى

فكانه قال ومن حقها ان لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره
وقيل هذا مثل ضربه الله للمظاهر من امراته وللمتبني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو اما ان
يفعل باحدهما ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فالاخر فضل غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا ما لا يفعل
بذاك فذلك يودي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا في حالة واحدة وهي حالتان
متنافيتان فكذلك لا تكون امراة المظاهر امه حتى يكون له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين وهو قوله تعالى
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وصورة الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يقول
الله تعالى ما جعل نساءكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة نذكرها ان شاء الله
في سورة المجادلة وما جعل ادعياءكم يعني من تتبنونه ابناءكم وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل كان في الجاهلية
يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعى اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق زيد
ابن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي واخا بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية ونسخ بها التبني ذلكم قولكم بافواهكم اي
لا حقيقة له والله يقول الحق اي قوله الحق وهو يهدي السبيل اي يرشد الى سبيل الحق ادعوهم
لابائهم اي الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة هو اقسط عند الله اي اعدل عند الله ق عن ابن عمر
ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم
لابائهم هو اقسط عند الله الاية فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم اي كانوا
محررين وليسوا ببنيكم اي فسموهم باسماء اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم اولياءكم في الدين وليس عليكم
جناح فيما اخطاتم به اي قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم اي من دعائكم الى غير
ابائهم بعد النهي وقيل فيما اخطاتم به ان تدعوه الى غير ابيه وهو يظن انه كذلك وكان الله غفورا رحيما ق
عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه
فالجنة عليه حرام قوله عز وجل النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم
ووجوب طاعته قال ابن عباس يعني اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة
النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة انفسهم وهذا صحيح فان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستاذن من ابائنا وامهاتنا فنزلت
الاية ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة
اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فايما مومن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك
دينا او ضياعا فلياتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله او ضياعا
اي عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع وقوله تعالى وازواجه
امهاتهم يعني هن امهات المومنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التابيد لا في النظر اليهن والخلوة
بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن اخوات المومنين ولا لاخوانهن واخواتهن
اخوال المومنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر وهي اخت عائشة ام المومنين
ولم يقل هي خالة المومنين وقيل ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن امهات المومنين والمومنات

الرجال والنساء جميعا وقيل لسن امهات الرجال دون النساء بدليل ما روي عن مسروق ان امراة قالت
لعائشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو في تحريم نكاحهن
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتى نزلت واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر في كتاب
الله اي في حكم الله من المومنين الذين اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم والمهاجرين يعني ان ذوي
القرابات بعضهم اولى ببعض فنسخت هذه الاية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم
بالقرابة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى
لما نسخ التوارث بالحلف والمواخاة والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل اراد
بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة كان ذلك اي الذي ذكرت من اولى الارحام بعضهم
اولى ببعض في الكتاب اي اللوح المحفوظ وقيل في التوراة مسطورا اي مكتوبا مثبتا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض
وقيل ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم ومنك يعني يا محمد ومن نوح
وموسى وعيسى ابن مريم خص هولاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرائع واولوا
العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر لتشريفه وتفضيله ولما روى البغوي بسنده
الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث قال
قتادة وذلك قول الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي شديدا على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة ليسال الصادقين عن
صدقهم يعني اخذنا ميثاقهم لكي يسال الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في
سوالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم وقيل ليسال الصادقين عن
عملهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم في قلوبهم واعد للكافرين عذابا
اليما قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة ايام الخندق اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير
فارسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي ننصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا
ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل ان
الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه وقوله تعالى وجنودا لم تروها يعني الملائكة
ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب
الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في
جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل قوم يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجا
النجا فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما تعملون بصيرا ذكر
غزوة الخندق وهي الاحزاب قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع

روى محمد بن اسحق عن مشايخه قال كان من حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن
اخطب وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم
الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا
نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش
سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوا على ذلك ثم خرج اولئك النفر من
اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا
قد تابعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن
وهو في بني فزارة والحرث بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه
من اشجع من قومه فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق على
المدينة وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا
فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام
الاحزاب ثم قطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا
فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت
قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا
حتى اذا كنا بجب ذو ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا
يا سلمان ارق الى رسول الله واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يامرنا فيها
بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال
يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل
ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق
والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وضربها ضربة صدعها وبرق منها
برق اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح
وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا
في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة
فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير
فتح وكبر المسلمون معه واخذ بيد سلمان ورقا فقال المسلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا ما
رايت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال ارايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله
قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم فاضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رايتم اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم
كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي

رايتم

رايتم فاضاءت لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها فابشروا
فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا بالنصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا
تستطيعون ان تبرزوا قال فنزل القران واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وانزل الله قل اللهم مالك الملك الاية وعن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار
يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما راى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش
عيش الاخره فاغفر للانصار والمهاجره فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا
وعن البراء قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول والله لولا الله ما اهتدينا ولا
تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا والمشركون قد بغوا علينا
اذا ارادوا فتنة ابينا ويرفع بها صوته وفي رواية ولقد وارى التراب بياض بطنه رجعنا الى حديث
ابن اسحق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من
رومة الجرف والغابة في عشرة الاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان
ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى
جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر
بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب من بني النضير حتى اتى كعب بن اسد
القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما
سمع كعب بحيي بن اخطب اغلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيي يا كعب
افتح فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤم اني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء
وصدقا قال ويحك افتح اكلمك قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا على جشيشتك ان
اكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها
وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بذنب
نقمى الى جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني على ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا ومن معه فقال له كعب
جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شيء ودعني ومحمدا وما انا عليه فاني
لم ار من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على
ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني
ما اصابك فنقض كعب بن اسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني الاشهل
وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله
ابن رواحة اخو بلحرث بن الخزرج وخوات بن جبير اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا اما بلغنا
عن هؤلاء القوم احق ام لا فان كان حقا فالحنوا الي لحنا اعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وان كانوا على
الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم
ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان
رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد

احابيشهم

وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة اى كغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحاب الرجيع خبيب بن عدى واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب ابن قشير اخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر على ان يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظى احد بنى حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصار فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله اشىء امرك الله به لا بد لنا من العمل به ام امر تحبه فنصنعه ام شىء تصنعه لنا قال بل شىء اصنعه لكم والله ما اصنع ذلك الا انى رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون ان ياكلوا منا ثمرة واحدة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بنى عامر بن لؤى وعكرمة بن ابى جهل وهبيرة بن ابى وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بنى محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم فمروا على بنى كنانة فقالوا تهيؤوا للحرب يا بنى كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما راوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن ابى طالب فى نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له على يا عمرو انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا اخذت منه احداهما قال اجل قال له على فانى ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال فانى ادعوك الى النزال قال ولم يا ابن اخى فوالله ما احب ان اقتلك فقال على لكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله منهزمة هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه على فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا فى جسده وثمنه فشانكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة ام المؤمنين كنا يوم الخندق فى حصن بنى حارثة وكان من احصن حصون المدينة وكانت ام سعد بن معاذ معنا

فى الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربة وهو يقول لبث قليلا يشهد الهيجا حمل لا باس بالموت اذا حان الاجل فقالت له امه الحق يا بنى فقد والله اخرت قالت عائشة فقلت يا ام سعد والله لوددت ان درع سعد كانت اسبغ مما هى وخفت عليه حيث اصاب السهم منه قالت فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه حبان بن قيس بن العرقة احد بنى عامر بن لؤى فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك فى النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فانه لا قوم احب الى ان اجاهدهم من قوم اذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت فى فارع حصن حسان ابن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النساء والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذ اتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما امنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال لى ذلك ولم ار عنده شيئا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل قال ما لى بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود من بنى عامر بن غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره ان راوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه فقالوا لقد اشرت بالراى والنصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى امر رايت حقا على ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال اعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اصلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم تتهموننى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت فى شوال

مسنة حتى وكفى ما صنع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ارسلوا ابو سفيان ورؤوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل
في نفر من قريش وغطفان فقالوا انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ
مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا
فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا
ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا
والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش
وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا
واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل
بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان تقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان
كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل
معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة
البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم
دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا روى محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن
محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابرهيم التيمي عن ابيه قالا قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا ابا
عبد الله رايتم رسول الله وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال
الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا
فقال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يقوم
فيذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما قام
رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله فقمت حتى اتيته وان جنبي ليضطربان
فمسح راسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت
على اسلابي ثم انطلقت امشي نحوهم كانما امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل الله
عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت
سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن
حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا
بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت
فقال سبحان الله اما تعرفني انا فلان ابن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما
اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه
الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلث قوائم فما
اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم فرجعت الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم اخبرته فضحك حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته وفرغت
قررت وذهب عني الدفا فادناني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن
قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فلما اصبحت قال قم يا نومان قوله عز وجل اذ جاؤكم من فوقكم اي من فوق الوادي
من قبل المشرق وهم اسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النضري وعيينة بن حصن الفزاري في الف من
غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد وحيي بن اخطب في يهود قريظة ومن اسفل منكم يعني من
بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه وابو الاعور عمرو
ابن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني النضير من ديارهم واذ زاغت الابصار اي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم
تنظر الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها حتى بلغت الحلوق من النزع والحنجرة
جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان
اذا انتفخت رئته فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره
وتظنون بالله الظنونا اي اختلفت الظنون فظن المؤمنون النصر والظفر وظن المنافقون استيصال
محمد واصحابه هنالك ابتلي المؤمنون اي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من
المنافقين وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا حركة شديدة واذ يقول المنافقون يعني معتب بن
قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا اي هو قول اهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز
رحله هذا هو الغرور قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي
ومن معه واصحابه يا اهل يثرب يعني يا اهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
في ناحية منها سميت بذلك يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره هذه اللفظة لما فيه من التثريب
وهو التقريع والتوبيخ لا مقام لكم اي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا اي الى منازلكم عن
اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال ويستاذن فريق منهم النبي يعني بني حارثة وبني سلمة
يقولون ان بيوتنا عورة اي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو ويخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى فقال
وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون الا الفرار من القتال ولو دخلت
عليهم من اقطارها يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة وجوانبها
ثم سئلوا الفتنة اي الشرك لاتوها اي لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام وما تلبثوا بها الا
يسيرا اي ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا
بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى هلكوا قوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل
غزوة الخندق لا يولون الادبار اي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما
نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقيل هم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما راوا ما اعطى الله
اهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك
وكان عهد الله مسؤولا اي عنه في الاخرة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يعني الذي كتب عليكم
لان من حضر اجله مات او قتل لابد من ذلك واذا لا تمتعون اي بعد الفرار الا قليلا اي مدة اجالكم وهي قليل

قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا اي هزيمة او اراد بكم رحمة اي نصرا ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا اي ناصرا يمنعهم قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين الناس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائلين لاخوانهم هلم الينا اي ارجعوا الينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا
معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم ناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون
لهم ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم اي ابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل
نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه
فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم فانتم اخواننا وجيراننا هلم الينا
فاقبل عبد الله بن ابي واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم
عليكم لم يستبق منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا
الى اخواننا يعني اليهود فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا وقوله ولا يأتون البأس
يعني الحرب الا قليلا اي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا اشحة عليكم اي
بخلا بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور
اعينهم اي في رؤوسهم من الخوف والجبن كالذي يغشى عليه من الموت اي كدوران عين الذي قرب من الموت
وغشيه اسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف اي زال سلقوكم اي اذوكم
ورموكم في حالة الامن بالسنة حداد اي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضهوكم وتناولوكم
بالنقص والغيبة وقيل بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم
القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الحرب اجبن قوم اشحة على الخير اي شحون
المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال اولئك لم يؤمنوا اي لم يؤمنوا حقيقة الايمان
وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم اي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هو الجهاد وغيره
وكان ذلك على الله يسيرا اي احباط اعمالهم مع ان كل شيء على الله يسير قوله تعالى يحسبون الاحزاب (يعني هولاء المنافقين م)
يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا اي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم
وان يأت الاحزاب اي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي يتمنون
لو كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف يسألون عن انبائكم اي عن اخباركم وما آل اليه امركم
ولو كانوا فيكم يعني هؤلاء المنافقين ما قاتلوا الا قليلا يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون
قد قاتلنا معكم وقيل هو رمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب قوله عز وجل لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة اي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازروا
رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي
بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته لمن كان يرجو
الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله واليوم الآخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء وذكر الله كثيرا
اي في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى ولما رأى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق اي قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا لوعده وصدق
الله ورسوله اي فيما وعد وهو فيه تعريض بقول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق
الله ورسوله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة

الى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان يلحقهم شدة
وبلاء فلما رأوا الاحزاب وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
وما زادهم الا ايمانا وتسليما اي لامره قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي (اي تصديقا لله م)
قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد
حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني اجله فقتل على الوفاء يعني حمزة واصحابه وقيل قضى نحبه اي
بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر يعني من
بقي من هؤلاء من المؤمنين ينتظر احدى الحسنيين اما الشهادة او النصر على العدو وما بدلوا
يعني عهدهم تبديلا عن انس قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله
غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن الله اشهدني قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان
يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني اصحابه وابرأ اليك مما صنع
هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر
اني اجد ريحها من دون احد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به
بضعا وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون
فما عرفه احد الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى آخر الآية ق عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من اجره شيئا منهم مصعب
ابن عمير قتل يوم احد وترك نمرة فكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واذا غطينا بها رجليه بدا رأسه
فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الاذخر ومنا من اينعت
له ثمرته فهو يهدبها اي يجتنيها ويقطفها عن ابي موسى بن طلحة قال دخلت على معوية فقال الا ابشرك سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب خ عن
قيس بن ابي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد قوله عز وجل ليجزي
الله الصادقين بصدقهم اي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد ويعذب المنافقين ان شاء
او يتوب عليهم اي يهديهم الى الايمان ويشرح له صدورهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين
كفروا اي من قريش وغطفان بغيظهم يعني لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا خيرا
اي ظفرا وكفى الله المؤمنين القتال اي بالملائكة والريح وكان الله قويا اي في ملكه عزيزا اي في
انتقامه قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة من صياصيهم اي من حصونهم ومعاقلهم
واحدها صيصية وقذف في قلوبهم الرعب الخوف فريقا تقتلون يعني الرجال يقال كانوا ستمائة وتأسرون
فريقا يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطؤها يعني بعد قيل هي خيبر وقيل انها كانت مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل ارض
تفتح على المسلمين الى يوم القيامة وكان ذلك على الله يسيرا الله على كل شيء قديرا ذكر غزوة بني قريظة
قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وهو على قول ابن اسحق المتقدم في غزوة الخندق وعند موسى
ابن عقبة انها في سنة اربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة

الى ان انصرف الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا
السلاح فلما كان الظهر اتا جبريل عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق
على بغلة بيضا عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي
تغسل راسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا
الله عنك ما وضعت الملايكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروي انه كان
الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال ان
الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قد قطعت اوتارهم
وفتحت ابوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا
مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب برايته اليهم
وابتدرها الناس وسار علي حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا
تدنو من هولاء الاخابث قال اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد راوني
لم يقولوا من ذلك شيا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل
اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يا رسول الله مر بنا
دحية بن خليفة على بغلة بيضا عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بير من ابارها في ناحية اموالهم وتلاحق به الناس فاتاه
رجال بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر
الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال العلما وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار
وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش
وغطفان وفا لكعب بن اسد بما عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم
حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض
عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شيتم قالوا وما هن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله
لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم واموالكم وابنايكم
ونسايكم قالوا لا نفارق حكم التورية ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه فهلم
فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك
ورانا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك ورانا شيا نخشى عليه
وان نظهر فلعمري لنتخذن النسا والابنا قالوا انقتل هولا المساكين فما خير العيش بعدهم
قال فان ابيتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا
فانزلوا لعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه
من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه

ليلة من الدهر حازما قال ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا
بني عمرو بن عوف وكانوا حلفا الاوس نستشيره في امرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه
قام اليه الرجال وجهش اليه النسا والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا لبابة اترى ان
ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى
عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم حتى
ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد
الله لا يطا بني قريظة ابدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم خبره وابطا عليه قال اما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه
من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مما ضحكت يا رسول
الله اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة فقلت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شيت قال
فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك
قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني
بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية
واسد بن عبيد وهم نفر من هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم اسلموا
تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى
القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما راه قال من
هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد ابى ان يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لا اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه
حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من ارض
الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفايه وبعض الناس يزعم انه
كان اوثق برمة فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت
رمته ملقاة ولا يدرى اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما اصبحوا نزلوا
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد
فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع
وكانوا حلفا الخزرج فنزلوا على حكمه فسالهم اياه عبد الله بن ابي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الاوس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك
الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امراة من المسلمين يقال لها
رفيدة وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة
حتى اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة اتاه قومه فاحتملوه على
حمار قد وطاوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما
اكثروا عليه قال قد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه
الى دار بني الاشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد بن معاذ عن كلمته
التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا
اليه فقالوا يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد
عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا الى الناحية
التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري
والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا
فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحرث امراة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق لهم خنادقا ثم بعث اليهم فضربت
اعناقهم في تلك الخنادق يخرج لهم ارسالا وفيهم عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد
راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن اسد
وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى يصنع بنا قال افي كل موطن لا تعقلون الا ترون
الداعي لا ينزع وانه من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم
واتي بحيي بن اخطب عدو الله عليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها
مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من
يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا باس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على
بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروي عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امراة واحدة
قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيوف
اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت انا والله قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت حدث
احدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول ما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها
وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المراة نباتة امراة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد
بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك
وروى محمد بن اسحق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى ابا عبد الرحمن وكان قد من على ثابت بن قيس
بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال
يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني اردت ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم
يجزي الكريم قال ثم اتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي
منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اهله فقال هم لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امراتك وولدك
فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله

قال هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك فقال اي ثابت ما فعل الذي كان
وجهه مراة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا
وحاميتنا اذا كررنا عزال بن شمول قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن
قريظة قال قتلوا قال فاني اسالك بيدي عندك يا ثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء
من خير فما انا بصابر الله حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله
حتى القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر
بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل
وسهمان الرجال واخرج الخمس فكان للفارس ثلاثة اسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن
ليس له فرس سهم فكانت الخيل ستة وثلثين فرسا وكان اول فيء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري اخا بني الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع
لهم بها خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة
احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك
فهو اخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك من امرها فبينا هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان
هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسره ذلك
فلما قضي شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذكر انه دعا بعد ان حكم في بني قريظة ما حكم فقال
اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت
من حرب قريش على رسولك شيئا فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر
كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخيمة التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي قالت
وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم ح عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
حين اجلي الاحزاب الان نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلا شيء
بعده قوله عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن اي متعة الطلاق
واسرحكن سراحا جميلا اي من غير ضرار وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله
اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما سبب نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض
الدنيا شيئا فطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا
قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افانزل
فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

ن ونزلت هذه الآية ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت
ذلك الامر وانزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة
بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع من غير
قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحرث وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت
الحرث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ
عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعنها على
ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال لا تحل لك النساء من بعد
م عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه
لم يؤذن لاحد منهم قال فأذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا
وحوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيئا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رأيت بنت
خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى
يسألنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ليس عنده ثم اعتزلهن
شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الآية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا
عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري
ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله
والدار الآخرة واسألك ان لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن الا اخبرتها
ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا قوله واجما اي ساكتا مهتما والواجم الذي
اسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها اي دققته وقوله لم يبعثني معنتا
العنت المشقة والصعوبة م عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا
قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة اعدهن دخل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت بدأ بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت
من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون فصل في حكم الآية اختلف العلماء في هذا
الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل
العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين
امتعكن واسرحكن بدليل انه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك
وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن انفسهن
كان طلاقا التفريع على حكم الآية اختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا
خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز
وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي واصحاب الرأي الا ان عند اصحاب الرأي تقع طلقة بائنة اذا اختارت نفسها
وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة واذا اختارت
نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي انها اذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة

وان

وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شيء ق عن مسروق
قال ما ابالي خيرت امرأتي واحدة او مائة او الفا بعد ان تختارني ولقد سألت عائشة فقالت خيرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أفكان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعدد ذلك علينا شيئا قوله تعالى يا نساء النبي من يأت
منكن بفاحشة مبينة اي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من اتت
بفاحشة فان الله تعالى صان ازواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة
النشوز وسوء الخلق يضاعف لها العذاب ضعفين اي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن
كتضعيف عقوبة الحرة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة
السادات الى العبيد لكونه اولى بالمؤمنين من انفسهم فكذلك ازواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة
الحرة الى الامة وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا ومن يقنت منكن لله ورسوله اي تطع الله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين اي مثلي اجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن
لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نساء العالمين واعتدنا لها رزقا كريما يعني الجنة قوله عز وجل
يا نساء النبي لستن كأحد من النساء قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من
النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ان اتقيتن يعني الله فاطعتنه فان الاكرم
عند الله هو الاتقى فلا تخضعن بالقول اي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في
قلبه مرض اي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق او الفاجر به سبيلا الى الطمع
الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن وقلن قولا
معروفا اي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف
ذكر الله تعالى قوله عز وجل وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن وقيل هو من الوقار اي كن اهل وقار
وسكون ولا تبرجن قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال
تبرج الجاهلية الاولى قيل اراد بالجاهلية الاولى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هي زمن داود
وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها منه وقيل كان
ذلك زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها
شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس وكانت الف
سنة وان بطنين من ولد آدم عليه السلام كان احدهما يسكن الجبل وكانت رجال الجبل صباحا
وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل
السهل واجر نفسه فكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس
مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج
النساء للرجال ويتزين لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم في عيدهم فرأى النساء
وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهن فذلك
قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية قوم يفعلون
مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد يذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى واقمن الصلاة اي الواجبة
وآتين الزكاة اي المفروضة واطعن الله ورسوله اي فيما امر ونهى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

اهل البيت اي الاثم الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى وقيل
الرجس الشك وقيل السوء اهل البيت قيل هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير
عن ابن عباس وتلا قوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد
الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم
يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر
اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء حسن فادخله فيه ثم جاء حسين فادخل
فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء
المنقوش صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال وعن ام سلمة قالت ان هذه الاية نزلت في بيتها انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وانا جالسة عند الباب فقلت يا
رسول الله الست من اهل البيت فقال انك الى خير انت من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن ارقم اهل
البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس قوله تعالى واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من ايات الله يعني القران والحكمة قيل هي السنة وقيل احكام القران ومواعظه ان الله كان
لطيفا اي باوليائه واهل طاعته خبيرا اي بجميع خلقه قوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية وذلك ان
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به
انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية وعن ام عمارة الانصارية قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت ما ارى كل شي الا للرجال وما ارى النساء يذكرن بشي فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وقيل ان ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي
صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شي من كتابه ونخشى ان لا يكون فيهن خير
فنزلت هذه الاية وروي ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب
فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شي من القران قلن لا فاتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لا يذكرن
بخير كما يذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بهن
معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان وهو
امر الله وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله والمومنين والمومنات الثالثة
الطاعة وهو قوله والقانتين والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله والصادقين
والصادقات الخامسة الصبر على ما امر الله فيما ساء وسر وهو قوله والصابرين والصابرات السادسة
الخشوع في الصلاة وهو ان لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله والخاشعين والخاشعات
السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله والمتصدقين والمتصدقات الثامنة المحافظة عن الحرام

وهو قوله والصائمين والصائمات التاسعة العفة وهو قوله والحافظين فروجهم يعني عما لا يحل والحافظات
العاشرة كثرة الذكر وهو قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا
ومضطجعا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن ابي رباح من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان
الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمومنين والمومنات ومن اطاع الله في الفرض
والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله
والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والمتصدقين
والمتصدقات ومن صام من كل شهر ايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل
في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن
صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما يعني الجنة قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من
امرهم نزلت هذه الاية في زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامها اميمة بنت
عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب على مولاه زيد
ابن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه فلما
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت
وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها
ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمومن يعني عبد الله بن جحش ولا مومنة يعني اخته زينب اذا قضى
الله ورسوله امرا يعني نكاح زيد لزينب ان يكون لهم الخيرة من امرهم اي الاختيار على ما قضى والمعنى ان
يريد غير ما اراد الله او يمتنع مما امر الله ورسوله به ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا
اي اخطا طريقا ظاهرا فلما سمعت ذلك زينب واخوها رضيا وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما
وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله عز وجل واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا
ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش
فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت
ذلك له ففطن زيد والقي في نفسه كراهيتها في الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا
ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق
الله في امرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالاسلام
وانعمت عليه اي بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله
اي فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك اي تسر وتضمر في نفسك ما الله مبديه اي مظهره قيل كان في
قلبه لو فارقها تزوجها وقال ابن عباس حبها وقيل وده انه طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس

نستحييهم وقيل تخاف لامتهم ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشاه قال
عمر وابن مسعود وعايشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن عايشة قالت
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الاية وسبب نزولها
من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما راها وارادته طلاق زيد لها فيه اعظم الحرج
وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومن مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام
عظيم من قايله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته
ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا تشك في
تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من
المفسرين واصح ما في هذا الباب ما روي سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سالني
زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه قلت نقول لما جا زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني اريد
ان اطلق زينب فاعجبه ذلك وقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك
كان الله عز وجل قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جا زيد قال اني اريد
ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك
انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبيا وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى
اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه
ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفا ما اعلمه الله انها ستكون زوجته وانما اخفا ذلك استحيا
ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكره من يحفظ
منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال
فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين
وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته
كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم فان قلت
فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها قلت هو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه
النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج
امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في امره بامساكها قمعا
للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو
انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الانبيا مع ان العبد غير ملوم
على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشيا ما لم يقصد فيه ما ثم لان الود وميل النفس من طبع البشر
فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ما لم يقصد فيه ما ثم
لان الود وميل النفس من طبع البشر والله اعلم وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر
بالمعروف وهو خشية لا اثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه السلام

فرقال

فرقال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال
في جميع الاشيا قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجته منها ولم يبق له فيها ارب وتقاصرت
همته عنها وطابت نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضا الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول
بها قال انس كانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله
وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك
بثلاث ما من نسايك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السما وان السفير جبريل
عليه السلام م عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها
علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر
اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران وجا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فلقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا
الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسايه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك
قال فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا ام غيري قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لادخل
معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب قوله عن انس قال ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شي من
نسايه ما اولم على زينب اولم بشاة وفي رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب قال بما
اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه قوله عز وجل لكيلا يكون على المومنين حرج اي اثم
في ازواج ادعيايهم جمع الدعي وهو المتبنى اذا قضوا منهن وطرا القول زوجناكها زينب وهي
امراة زيد الذي تبنيته لنعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبني وان كان قد دخل بها
المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب فانها لا تحل للاب وكان امر الله مفعولا اي كان قضا الله ماضيا
وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له اي فيما احل الله له من النكاح وغيره سنة الله في الذين خلوا من قبل معناه
سن الله سنته في الانبيا وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب
النكاح وغيره كان لهم الحراير والسراري فقد كان لداود مايه امراة ولسليمان سبعماية امراة وثلثماية سرية
فكذلك سن لمحمد في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم وكان امر الله قدرا مقدورا اي
قضا مقضيا ان لا حرج على احد فيما احل له ثم اثنى الله تعالى على الانبيا بقوله الذين يبلغون
رسالات الله اي فرايض الله وسننه واوامره ونواهيه الى من ارسلوا اليهم ويخشونه
اي يخافونه ولا يخشون احدا الا الله اي لا يخافون قالة الناس ولايمتهم فيما احل الله لهم وفرض
عليهم وكفى بالله حسيبا اي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم قوله عز وجل ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امراة
ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه لم يكن ابا رجل
منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح
فان قلت قد كان له ابنا القاسم والطيب والطاهر وابرهيم وقال للحسن ان ابني هذا سيد

فايده

قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهو لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل اراد بالرجال الذين
لم يلده ولكن رسول الله اي كل رسول فهو ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة
والنصيحة لهم عليه وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبي بعده قال ابن عباس يريد لولا اختم به النبيين
لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير
رجلا وكان الله بكل شيء عليما اي دخل في علمه ان لا نبي بعده فان قلت قد صح ان عيسى عليه السلام
ينزل في اخر الزمان بعده وهو نبي قلت ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل في اخر
الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه
واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا
وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء
ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي
ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤوفا رحيما م عن ابي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة المقفي هو المولي الذاهب
يعني اخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي بعده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها
في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على
عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال
الله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية
وقيل الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا وسبحوه معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم ان يكون ذكركم
اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء بكرة واصيلا فيه اشارة الى المداومة لان
ذكر الطرفين يفهم منه الوسط ايضا وقيل معناه صلوا لله بكرة واصيلا فالبكرة صلاة الصبح والاصيلا
يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقيل معناه سبحوه قولوا
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم
فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض
والمحدث هو الذي يصلي عليكم وملائكته قيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال
انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد
اشركنا فيه فانزل الله تعالى هذه الاية ليخرجكم من الظلمات الى النور يعني انه برحمته وهدايته ودعاء
الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان وكان بالمؤمنين رحيما فيه بشارة لجميع المسلمين
واشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين تحيتهم
يعني تحية المؤمنين يوم يلقونه سلام اي يرون الله يوم القيامة بسلام اي يسلم الرب تبارك وتعالى
عليهم ويسلمهم من جميع الافات وروي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون

ملك الم

ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا سلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح
المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم واعد لهم
اجرا كريما يعني الجنة قوله عز وجل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا شاهدا اي للرسل
بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ومبشرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا اي
لمن كذب بالنار وداعيا الى الله اي الى توحيده وطاعته باذنه اي بامره وسراجا منيرا سماه
الله سراجا منيرا لانه جلي به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير
وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة
لان من السرج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج
والنور قلت لان نور الشمس لا يمكن ان يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار
كثيرة وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب
وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ولا تطع الكافرين
والمنافقين ودع اذاهم قال ابن عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ باية
القتال وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن مقتضى الاية دليل على ان الطلاق
قبل النكاح غير واقع لان الله رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامراة اجنبية اذا نكحتك
فانت طالق او قال كل امراة انكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس
وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم
وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم
وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي واصحاب الراي
وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروي عن عكرمة عن
ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان
تزوجت فلانة فهي طالق والله تعالى يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا
طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو داود والنسائي بمعناه
خ عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها اي تحصونها بالاقراء والاشهر اجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس
والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق فمتعوهن اي
اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المتعة
وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية
منسوخة بقوله فلها نصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف
المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا اي خلوا
سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن

اي مهورهن وما ملكت يمينك مما افا الله عليك اي من السبي فتملكها مثل صفيه وجويريه وقد كانت ماريه
مما ملكت يمينه فولدت له ابرهيم وبنات عمك وبنات عماتك يعني نسا قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نسا
بني زهرة اللاتي هاجرن معك الى المدينة فمن لم تهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن ام هاني بنت ابي طالب
قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الاية قالت فلم اكن
احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل
وامراة مومنة احتج ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصايصه صلى الله عليه وسلم النكاح
ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المومنين والزيادة
على اربع ووجوب تخيير النسا واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب اكثرهم
الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطا
وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابرهيم النخعي واهل الكوفة ينعقد بلفظ التمليك
والهبة ومن قال بالاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد في
حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين وذهب اخرون
الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج كما في حق ساير الامة لقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها
وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل كانت عنده امراة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة
وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امراة الا بعقد نكاح او بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها
على سبيل الشرط والجزا وقال اخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي
هي زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية ام المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين
والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم
وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم اي ما اوجبنا على المومنين في ازواجهم اي من
الاحكام وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا بولي وشهود ومهر وما ملكت ايمانهم
اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين لكيلا يكون عليك حرج وهذا يرجع الى اول الاية معناه
احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكيلا يكون عليك ضيق وكان الله غفورا
اي للواقع في الحرج رحيما اي بالتوسعة على عباده قوله تعالى ترجي اي تؤخر من تشا منهن
وتووي اليك اي تضم اليك من تشا قيل هذا في القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم
كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه
فيهن وقيل نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلبت
بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت اية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت
الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المومنين لا ينكحن ابدا وعلى انه
يووي اليه من يشا منهن ويرجي من يشا فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن
دون بعض او فضل بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشا وكان
ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا في انه هل اخرج احدا
منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله من

ذلك

ذلك له يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعايشه
وقيل اخرج بعضهن روي عن ابي رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل
لنا من مالك ونفسك ما شيت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن واوى اليه بعضهن
فكان ممن اوى اليه عايشه وحفصه وميمونه وسوده وصفيه وجويريه فكان يقسم بينهن سوا وارجى منهن
خمسا ام حبيبه وميمونه وسوده وصفيه وجويريه فكان يقسم لهن ما يشا وقال ابن عباس تطلق من تشا
وتمسك من تشا وقال الحسن تترك نكاح من شيت وتنكح من شيت من نسا امتك قال وكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل
من تشا من المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك فتوويها اليك وتترك من تشا فلا تقبلها عن عروة
قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة
ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع
في هواك ومن ابتغيت ممن عزلت اي طلبت ان تووي اليك امراة ممن عزلتهن عن القسمة فلا
جناح عليك اي لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم لهن حتى انه ليوخر من يشا منهن في نوبتها ويطا
من يشا في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على ساير الرجال ذلك ادنى ان
تقر اعينهن ولا يحزن اي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن
واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى ويرضين بما اتيتهن اي اعطيتهن كلهن اي من
تقريب وارجا وعزل وايوا والله يعلم ما في قلوبكم اي من امر النسا والميل الى بعضهن وكان الله
عليما اي بما في ضمايركم حليما اي عنكم قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد اي من بعد هولا التسع اللاتي
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النسا
سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل ابيح له النسا
بعد ذلك فروي عن عايشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له ان يتزوج من النسا
ما شا وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نسا النبي
صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك
النسا من بعد قال انما احل له ضربا من النسا فقال تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
الاية ثم قال لا يحل لك النسا من بعد وقيل معنى الاية لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات
بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن من ازواج اي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا يكون
امهات المومنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك اي من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله
ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل تنزل
لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك
غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته فحرم ذلك الا ما ملكت يمينك اي لا باس ان تبادل بجاريتك
ما شيت فاما الحراير فلا ولو اعجبك حسنهن يعني ليس لك ان تطلق احدا من نسايك وتنكح بدلها
اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب
فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك الا ما ملكت
يمينك قال ابن عباس ملك بعد هولا مارية وكان الله على كل شي رقيبا اي حافظا وفي الاية دليل

على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود
عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها
فان في اعين الانصار شيئا قال الحميدي يعني الصغر عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امراة فقال لي النبي صلى
الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الاية قال اكثر
المفسرين نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ق عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكان امهاتي يواظبنني
على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت
اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط عند
النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى
النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه
حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ
عتبة حجرة عائشة وظن انهم خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله
عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وارخى
الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى قوله والله لا
يستحيي من الحق ق عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع
وهو صعيد افيح وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امراة طويلة فناداها
عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء
الحاجة من البول والغائط والصعيد وجه الارض والافيح ق عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت
ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابرهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب
واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم يعني الا
ان تدعوا الى الطعام فيؤذن لكم اي الى الطعام فتاكلونه غير ناظرين اناه يعني غير منتظرين
نضجه ووقت ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم الطعام فانتشروا اي فاخرجوا
من منزله وتفرقوا ولا مستانسين لحديث اي لا تطلبوا الجلوس ليستانس بعضكم بحديث بعض كانوا
يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي فيستحيي
من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يترك تاديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي

من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق يعني لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله الثقلاء
وقيل بحسبك في الثقلاء ان الله لم يحتملهم واذا سالتموهن متاعا اي واذا سالتم نساء النبي صلى الله
عليه وسلم حاجة فاسالوهن من وراء حجاب اي من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة
من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم منتقبة كانت او غير منتقبة ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن اي من الريب وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اي ليس لكم اذاه في شيء من الاشياء ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلانكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم حرام وقال ان ذلكم كان
عند الله عظيما اي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا
واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمته
حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده ان تبدوا شيئا اي من امر نكاحهن على السنتكم او
تخفوه اي في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما اي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن اضمر نكاح عائشة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجال من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات اعمامنا
فنزلت هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن ايضا نكلمهن من
وراء حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
اي لا اثم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب ولا نسائهن قيل اراد به النساء المسلمات
حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات
وانما قال ولا نسائهن لانهن من اجناسهن ولا ما ملكت ايمانهن اختلفوا في ان عبد المراة هل يكون محرما
لها ام لا فقال قوم يكون محرما لها لقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن وقال قوم العبد كالاجانب والمراد من
الاية الاماء دون العبيد واتقين الله اي ان يراكن احد غير هؤلاء ان الله كان على كل شيء اي من
اعمال العباد شهيدا قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابن عباس اراد ان
الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة
ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما اي حيوه بتحية الاسلام

فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلماء على وجوب الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد
الاخير وهو مذهب الشافعي واحد الروايتين عن احمد وقيل تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي
من الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة ق عن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا
يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك
حميد مجيد ق عن ابي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته
كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد م عن ابي مسعود البدري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في

مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط
عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات اخرجه النسائي وله عن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك قال اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما
يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام عن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وله عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي من
ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم
صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ال ابرهيم انك حميد
مجيد اخرجه ابو داود قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد
لهم عذابا مهينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله
ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلثة واما المشركون
فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن
يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا
وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار معنى هذا
الحديث انه كان من عادة العرب في الجاهلية ان تذم الدهر وتسبه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي
يصيبهم من افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر اي انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك الذي
تنسبونه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير
ق عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي
فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعيرة وقيل يؤذون الله اي يؤذون اولياء الله كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لي وليا
فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكره على ما يتعارفه
الناس بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى من احد واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو
انه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا اي من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا قيل نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل

نزلت في شان عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل
لقضاء حوائجهن فيتبعون المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء
ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك
الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية
ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن اي يرخين ويغطين عليهن من جلابيبهن جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع
والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يتستر به من كساء وغيره قال ابن عباس امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن
ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي لا يتعرض لهن
وكان الله غفورا رحيما اي لما سلف منهن قال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال
يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القي القناع لكاع كلمة تقال لمن يستخف به مثل العبد والامة والخامل والقليل
العقل مثل قولك يا خسيس قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون اي عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض
اي فجور وهم الزناة والمرجفون في المدينة اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا او هزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل
كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا ويفشوا الاخبار لنغرينك بهم اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك
عليهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا اي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك
عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة ملعونين اي مطرودين اينما ثقفوا اي وجدوا وادركوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم هذا على الامر به سنة الله اي كسنة الله في الذين خلوا من قبل اي في
المنافقين والذين فعلوا مثل فعل هؤلاء ان يقتلوا حيث ما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا
قوله عز وجل يسئلك الناس عن الساعة قيل ان المشركين كانوا يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسئلونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى
عمى عليهم وقتها في التورية فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله قل انما علمها عند الله
يعني ان الله تعالى قد استاثر به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك اي اي شيء يعلمك امر الساعة
ومتى يكون قيامها لعل الساعة تكون قريبا اي انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات
للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب
وجوههم في النار اي ستقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول اي في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعني رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم فاضلونا السبيلا يعني عن سبيل الهدى ربنا اتهم ضعفين يعني السادة والكبراء ضعفين
من العذاب يعني ضعفي عذاب غيرهم والعنهم لعنا كبيرا اي لعنا متتابعا قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا اي فطهره الله مما قالوا فيه وكان عند الله وجيها
اي كريما ذا جاه وقدر وقال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسال شيئا الا اعطاه وقيل كان مستجاب
الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل
وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه

على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى باثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله
ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة
من ضرب موسى بالحجر اخرجه البخاري ومسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا
ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب
بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله اراد ان يبريه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر
ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر
ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فراوه عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون وقام الحجر فا
خذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية
لنفخة فيها وقوله فجمح اي اسرع وقوله ثوبي حجر اي دع ثوبي يا حجر قوله وطفق اي جعل
يضرب بالحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد
فشبه به الضرب بالحجر والمحدثون يقولونه ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الآية ان اذاهم اياه انه لما مات
هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا
انه لم يقتله فبراه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على راس الملا
فعصمها الله وبرا موسى من ذلك واهلك قارون ق عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين آثر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن
مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل
فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال
فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي
باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا
الله يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا
عظيما اي ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية قال
ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض
والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء
الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد
من هذا كله الودائع وقيل هي جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما
يخفى من الشرائع قال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه
الامانة استودعكها الله فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة
ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل
مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله هذه الامانة على اعيان
السموات والارض والجبال هذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف فقال لهن اتحملن

هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يا رب
نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقوموا
بها لا معصية ومخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات
كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن
العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد
من العرض على السموات والارض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو
قول العلماء فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب
وحملها الانسان يعني آدم عليه السلام قال الله عز وجل لآدم اني عرضت الامانة على السموات والارض
والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات
عوقبت فتحملها آدم فقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى اما اذ تحملت فسأعينك واجعل لبصرك
حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا فاذا خشيت
فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها
وبين ان خرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر وقيل انما كلف الانسان حمل ما يبلغ من عظمه
وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يحتمله ويستقل
به فابى حمله واشفق منه وحملها الانسان على ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال
ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا
اي لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها
ولم يف بضمانها وقيل في تفسير الآية قول آخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال
على شيء وائتمن آدم واولاده على شيء فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما
خلقن له وقوله فابين ان يحملنها اي اذين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة في حق بني آدم
هو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الانسان اي خان فيها وعلى هذا القول
حكي عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول
السلف وهو الاولى فصل في الامانة ق عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثين قد رايت احدهما وانا منتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل
القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة
فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من
قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم اخذ حصاة
فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان
رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل
من ايمان ولقد اتى علي زمان وما ابالي ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه وان كان
نصرانيا او يهوديا ليردنه علي ساعيه واما اليوم فما كنت ابايع منكم الا فلانا وفلانا قوله
نزلت الامانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء اصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة في الشيء من
غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هو التنفطات التي في الجلد وتدفعه الحديث

والمنبر المنتفخ وليس فيه شي خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس
يحدث القوم جا اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع
ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين اراه السائل عن الساعة قال ها انا يا
رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد
الامر الى غير اهله فانتظر الساعة وعنه صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك
اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات اي خانوا الامانة ونقضوا العهد ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
اي يهديهم ويرحمهم بما ادوا الامانة وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك
فيعذبهم الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه اي يعود عليه بالرحمة والمغفرة ان حصل منه تقصير
في بعض الطاعات وكان الله غفورا رحيما والله اعلم

تفسير سورة سبا وهي مكية

وهي اربع وخمسون اية وثمانمائة وثلث وثمانون كلمة والف وخمسمائة واثنا عشر حرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي له
ما في السموات وما في الارض معناه ان كل نعمة من الله هو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من
اجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا
وله الحمد في الاخرة اي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه فكما انه المحمود على
نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الاخرة وقيل حمد الاخرة هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح
والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم اي الذي احكم امور الدارين الخبير اي بكل ما كان وما
يكون يعلم ما يلج في الارض اي من المطر والكنوز والاموات وما يخرج منها اي من النبات والشجر
والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا وما ينزل من السماء اي من المطر والثلج والبرد وانواع
البركات والملائكة وما يعرج فيها اي في السماء من الملائكة واعمال العباد وهو الرحيم الغفور
اي للمفرطين في اداء ما وجب عليهم من شكر نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة
معناه انهم انكروا البعث وقيل استبطئوا ما وعدوا من قيام الساعة على سبيل اللهو
والسخرية قل بلى وربي لتاتينكم يعني الساعة عالم الغيب اي يعلم كل شي من الخفيات اذا
كان كذلك انه يعلم وقت قيام الساعة وانها اتية لا يعزب عنه اي لا يغيب عنه مثقال
ذرة اي وزن ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك اي من الذرة ولا اكبر الا في كتاب
مبين اي في اللوح المحفوظ ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة اي لذنوبهم
ورزق كريم يعني الجنة والذين سعوا في اياتنا اي في ابطال ادلتنا معاجزين اي يحسبون
انهم يفوتوننا اولئك لهم عذاب من رجز اليم قيل الرجز اسوء العذاب ويرى الذين اوتوا
العلم يعني مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
الذي انزل اليك من ربك يعني القران هو الحق يعني انه من عند الله ويهدي الى صراط العزيز الحميد اي
دين الاسلام وقال الذين كفروا يعني المنكرين للبعث التعجب منه هل ندلكم على رجل اي قال بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب

ومعنى انكم اذا مزقتم كل ممزق اي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد
اي يقول انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا افترى على الله
كذبا اي هو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة اي جنون يوهمه ذلك
ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد من الافتراء والجنون في شي وهو مبرا
منهما بل الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني منكري البعث في العذاب والضلال البعيد اي من الحق
في الدنيا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اي فيعلموا انهم حيث كانوا فان
سمائي وارضي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا قادر عليهم ان نشا نخسف بهم الارض اي كما
خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا من السماء كما فعلنا باصحاب الايكة ان في ذلك اي فيما
ترون من السماء والارض لاية تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت لكل عبد منيب اي
تائب راجع الى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل ولقد اتينا داود منا فضلا يعني النبوة والكتاب
وقيل الملك وقيل هو جميع ما اوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به يا جبال اوبي معه اي
وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح والطير اي
وامرنا الطير ان تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح او بالنياحة اجابته الجبال بصداها
وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور اسمعه الله تعالى تسبيح الجبال
فينشط له والنا له الحديد يعني الحديد في يده كالشمع او كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب
مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس متنكرا
فاذا راى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وساله عن داود فيقول له ما تقول في داود والكم هو اي رجل
هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله تعالى له ملكا في صورة ادمي فلما راه داود تقدم اليه على
عادته وساله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه السلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله
قال انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسال الله تعالى ان يسبب
له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله تعالى له الحديد وعلمه
صنعة الدروع وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه كان يبيع كل درع باربعة
الاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقرا والمساكين وقد صح في الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود لا ياكل الا من عمل يده ان اعمل سابغات اي دروعا كوامل
واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا وقدر في السرد اي ضيق في نسج الدروع
وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر
الحلق وقيل في السرد اي اجعله على القصد وقدر الحاجة واعملوا صالحا يريد داود واله
اني بما تعملون بصير قوله تعالى ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر فكانت
تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما
مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينها مسيرة شهر للراكب المسرع
وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس
قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلثة ايام بلياليهن كجري الماء وكان بارض اليمن وقيل

اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه قال ابن عباس
سخر الله الجن لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم به ومن يزغ منهم اي يعدل منهم اي من الجن
عن امرنا اي الذي امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير قيل هذا في الاخرة وقيل
في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان
ضربه بذلك السوط ضربة احرقته قوله عز وجل يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد
وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس المتشرفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا
له بيت المقدس وذلك ان داود ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه لم اقض ذلك على
يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان اقضي اتمامه على يديه فلما توفي داود واستخلف
سليمان احب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة بعمل
فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح
وجعلها اثنى عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة
ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم
من يستخرج الجواهر والياقوت والدر الصافي من اماكنها ومنهم من ياتيه بالمسك والعنبر والطيب
من اماكنه فاتي من ذلك بشي كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار
وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللالي فبنى المسجد بالرخام الابيض
والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه
وحيطانه باللالي واليواقيت وساير الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ على
الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد فكان يضي في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار
بني اسرايل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شي فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن
عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل حكما
يصادف حكمه فاوتيه وسال الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله عز وجل حين فرغ
من بناء المسجد ان لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه
النسايي ولغير النسايي فسال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة
وذكر نحوه وقوله لا ينهزه اي لا ينهضه الا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى
غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وساير انواع الجواهر
وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنا الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر قوله
وتماثيل اي ويعملون له تماثيل اي صورا من نحاس ورخام وزجاج وقيل كانوا يصورون السباع
والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملايكة والانبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس
فيزدادوا عبادة وقيل يحتمل ان اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز ان
تختلف فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما
يقبح في كل الشرايع قيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس اظلته النسران باجنحتهما وقيل عملوا له كالطواويس
والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي تهابه من اراد الدنو منه

كرسيه

وجفان

وجفان اي قصاع كالجواب اي كالحياض التي يجبى فيها الماء اي يجمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة الف
رجل ياكلون منها وقدور راسيات اي ثابتات قيل كانت اثافيها منها لا تتحرك ولا تنزل عن اماكنها لعظمهن
ولا يعطلن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن اعملوا ال داود شكرا اي وقلنا يا ال داود اعملوا
بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من ال داود داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته قال
ثابت البناني كان داود نبي الله عليه السلام قد جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة
من ليل او نهار الا وانسان من ال داود قايم يصلي وقليل من عبادي الشكور اي العامل
بطاعتي شكرا لنعمتي قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد
للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه
ومعه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت
في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول كذا او كذا فيامر بها فتقطع فان كانت
لغرس امر بها فغرست وان كانت لدوا كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت انا
الخروبة قال ولاي شي نبتت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على
وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حايط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي
حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشيا
ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكيا على عصاه فمات قايما وكان للمحراب
كوى من بين يديه ومن خلفه فكانوا يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياة سليمان وينظرون
اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك
فمكثوا يدابون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصى سليمان فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس
فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالما والطين الى جوف الخشب فذلك قوله ما دلهم على موته الا
دابة الارض يعني الارضة تاكل منساته اي عصاه فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما
لبثوا في العذاب المهين معناه علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقا
مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه حيا اراد الله بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا
يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الاية انه ظهر امر الجن وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا
قد شبهوا على الانس ذلك ذكر اهل التاريخ ان سليمان ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في الملك
مدة اربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين
قوله عز وجل لقد كان لسبا في مساكنهم اية عن فروة بن مسيك المرادي قال لما انزل في سبا ما
انزل قال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض ولا امراة ولكنه رجل ولد عشرة من
العرب فتيامن منهم ستة وتشام منهم اربعة فاما الذين تشاموا فلخم وجذام وغسان
وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول
الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب
وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مساكنهم اي بمارب ارض اليمن اية اي دلالة على
وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الاية فقال تعالى جنتان اي هم بستانان عن يمين وشمال اي عن يمين
الوادي وشماله وقيل عن يمين من اتاهما وشماله قيل كان لهم واد قد احاطت به الجنتان

الحن

كلوا اي قيل لهم كلوا من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها على راسها وتمر بالجنتين فيمتلى
المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمسه بيدها شيا ٥ واشكروا له اي على ما رزقكم من النعم واعملوا بطاعته
بلدة طيبة اي ارض مارب وهي مدينة سبا بلدة طيبة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدهم بعوضة ولا
ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهوا ٥ ورب
غفور اي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور للذنوب لمن شكره قوله تعالى فاعرضوا قال وهب ارسل الله تعالى
اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف
لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فذلك اعراضهم فارسلنا عليهم
سيل العرم قيل كان ماء احمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم المسكر الذي يحبس
الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون
على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها فوق
بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى
الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جا المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء
السد فامرت بالباب الاعلى فيجري ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني
ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك
فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا اسلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق
الماء جناتهم وخرب ارضهم قال وهب فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان خراب سدهم فارة فلم
يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله بهم من التغريق اقبلت
فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في
الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد وحفرت حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما
جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى اقتلع السد وفاض الماء على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل
ففرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا فذلك
قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط قيل هو شجر الاراك
وثمره البرير وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة
الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به ٥ واثل قيل هو الطرفا وقيل شجر يشبه الطرفا
الا انه اعظم منه ٥ وشيء من سدر قليل هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن
السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر
فصيره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى ذلك جزيناهم اي ذلك الذي فعلناهم بهم جزاء
كفرهم وهل نجازي الا الكفور اي هل نكافي بعمله الا الكفور لنعمه قيل المومن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته
ولا يكافى بسياته ٥ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة اي متواصلة اي
بالماء والشجر تظهر الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام وكانوا يبيتون بقرية
ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة الاف
وسبعمائة قرية ٥ وقدرنا فيها السير اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح
على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن

والشام كذلك سيروا اي قلنا لهم سيروا فيها ليالي واياما اي بالليل وبالنهار في اي وقت شيتم آمنين اي لا تخافون عدوا
ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وساموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جنانها
ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه فطلبوا الكد والتعب في الاسفار فقالوا ربنا باعد وقرئ باعد
بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد
فتمنوا ذلك فعجل الله لهم الاجابة ٥ وظلموا انفسهم اي بالبطر والطغيان ٥ فجعلناهم احاديث
يتحدثون بامرهم وشانهم ٥ ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل
لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة
ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس
والخزرج ولحق ال جذيمة بالعراق ٥ ان في ذلك لايات اي لعبرا ودلالات ٥ لكل صبار اي عن
المعاصي ٥ شكور اي لله على نعمه قيل هو المومن صبور على البلا شكور للنعماء وقيل المومن
اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قيل على اهل سبا وقيل
على الناس كلهم ٥ فاتبعوه الا فريقا من المومنين قال ابن عباس يعني المومنين كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل
الدين وقيل هو خاص في المومنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سال
النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة انما قاله فيهم ظنا
وانما قال ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا
ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا ٥ وما كان له عليهم من سلطان اي ما كان تسليطنا
اياه عليهم ٥ الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك اي لنميز ونبين المومن من الكافر واراد علم
الوقوع والظهور لانه كان معلوما عنده لانه عالم الغيب ٥ وربك على كل شيء حفيظ اي رقيب وقيل
حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى قل اي يا محمد لكفار مكة ٥ ادعوا الذين زعمتم من دون الله والمعنى ادعوهم
ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الالهة فقال لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض يعني من خير وشر ونفع وضر ٥ وما لهم اي للالهة ٥ فيهما اي في السموات والارض ٥ من شرك
اي شركة ٥ وما له اي لله ٥ منهم اي من الالهة ٥ من ظهير اي عون ٥ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
اذن له اي اذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هولاء شفعاونا عند الله
وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن له في ان يشفع له ٥ حتى اذا فزع عن قلوبهم معناه
كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند
سماع كلام الله عن ابي هريرة رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء
ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير
ولفظ الترمذي اذا قضى الله في السماء امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح
قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد المطيع الصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود قال اذا تكلم
الله بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى
ياتيهم جبريل فاذا جاءهم فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم فيقول الحق فيقولون الحق الحق

اخرجه ابو داود الصلصلة صوت الاجراس المتسلسلة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون حذرًا من قيام
الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة سنة او ستمائة لم تسمع الملائكة فيها
وحيًا فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا
انها الساعة لان محمدًا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفًا
من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وذلك اذا كشف الفزع
عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا
به حين لا ينفعهم الاقرار ۞ وهو العلي الكبير اي ذو العلو والكبرياء قوله عز وجل قل الله يعني ان لم يقولوا ان رازقنا
هو الله فقل انت ان رازقكم هو الله ۞ وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا ليس هو على طريق الشك بل على
جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القايل لاحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي
صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير ان يصرح بالتكذيب ومنه
بيت حسان اتهجوه ولست له بكفوٍ فشركما لخيركما الفداء وقيل او بمعنى الواو ومعنى الاية وانا لعلى هدى
واياكم لفي ضلال مبين ۞ قل لا تسألون عما اجرمنا اي لا تؤاخذون به ۞ ولا نسأل عما تعملون اي من الكفر والتكذيب
وقيل اراد بالاجرام الصغاير والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام ۞ قل يجمع بيننا
ربنا يعني يوم القيمة ۞ ثم يفتح اي يقضي ويحكم ۞ بيننا بالحق اي بالعدل ۞ وهو الفتاح اي القاضي ۞ العليم اي
بما يقضي ۞ قل اروني اي اعلموني ۞ الذين الحقتم به اي بالله شركاء يعني الاصنام معه في العبادة ۞ هل يخلقون وهل
يرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله ۞ كلا كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى
ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون ۞ بل هو الله العزيز اي الغالب على امره ۞ الحكيم اي في تدبير خلقه
فانى يكون له شريك في ملكه قوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم
واسودهم عربهم وعجمهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد ق
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسًا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدًا وطهورًا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى
الناس عامة في الحديث بيان الفضايل التي خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء
وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة الى كافة الخلق
الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه او الى اهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع
الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء وقيل في معنى كافة اي كافًا يكفهم عما هم عليه
من الكفر فتكون الهاء للمبالغة ۞ بشيرًا اي لمن امن بالجنة ۞ ونذيرًا لمن كفر بالنار ۞ ولكن اكثر الناس لا
يعلمون ۞ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيمة ۞ قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون معناه لا تتقدمون على يوم القيمة وقيل عن يوم الموت لا تتاخرون عنه بان
يزاد في اجالكم او ينقص منه ۞ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل
ولو ترى يا محمد ۞ اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول معناه ولو ترى في الاخرة
موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب ۞ يقول الذين استضعفوا وهم

قل من يرزقكم من السموات والارض

الاتباع

الاتباع ۞ للذين استكبروا وهم القادة والاشراف ۞ لولا انتم لكنا مؤمنين اي انتم منعتمونا عن الايمان بالله
ورسوله ۞ قال الذين استكبروا اي اجابوا المتبوعين في الكفر ۞ للذين استضعفوا انحن صددناكم اي منعناكم
عن الهدى اي عن الايمان ۞ بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي بترك الايمان ۞ وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول
السلامة وطول الامل فيها ۞ اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادًا اي هو قول القادة للاتباع
ان ديننا حق وان محمدًا كاذب ساحر وهذا تنبيه للكفار ان تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا
سبب عداوتهم في الاخرة ۞ واسروا الندامة اي اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد لما راوا
العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في النار الاتباع والمتبوعين جميعًا الا ما كانوا
يعملون اي من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اي
روساؤها واغنياؤها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين امنوا
نحن اكثر اموالًا واولادًا يعني لو لم يكن الله راضيًا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الاموال
والاولاد ۞ وما نحن بمعذبين اي ان الله قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الاخرة
قل ان ربي يبسط الرزق ويقدر يعني انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانًا ولا يدل البسط
على رضى الله تعالى ولا التضييق على سخطه ۞ ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي انه كذلك ۞ وما اموالكم ولا
اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اي بالتي تقربكم عندنا تقريبًا ۞ الا من امن وعمل صالحًا
قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني ۞ فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يضعف الله لهم حسناتهم
فيجزي بالحسنة الواحدة عشرًا الى سبعمائة ۞ وهم في الغرفات امنون ۞ والذين يسعون في اياتنا اي
يعملون في ابطال حججنا معجزين اي معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا ۞ اولئك في العذاب
محضرون قوله عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه اي يعطي خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه
اما عاجلًا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما الثواب في الاخرة الذي كل خلف
دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في الخير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من
كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل
وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتاولن وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه فان هذا في الاخرة ومعنى الاية ما كان من خلف فهو منه ق عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن ادم انفق
انفق عليك ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان
يقول احدهما اللهم اعط منفقًا خلفًا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكًا تلفًا م عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو الا عزًا وما تواضع احد لله الا رفعه
الله ۞ وهو خير الرازقين اي خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده
او سيد يرزق مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على ايدي هؤلاء وهو الرزاق
الحقيقي الذي لا رازق سواه قوله تعالى ويوم يحشرهم يعني هؤلاء الكفار جميعًا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون اي في الدنيا وهذا استفهام تقرير وتقريع للكفار فتبرأ منهم الملائكة من ذلك وهو قوله قالوا

هل يجزون

سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا من دونهم اي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبرؤا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار برائتهم من الرضا بعبادتهم لهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملايكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت اراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملايكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه صور الملايكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مومنون اي مصدقون الشياطين قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض اي بالشفاعة نفعا ولا ضرا اي بالعذاب يريد انهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما اتيناهم يعني هولا المشركين من كتب يدرسونها اي يقرؤنها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي لم يات العرب قبلك نبي ولا انزل عليهم كتاب وكذب الذين من قبلهم اي من الامم الخالية رسلنا وما بلغوا معشار يعني هولا المشركين عشر معشار ما اتيناهم اي اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي انكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية قوله عز وجل قل انما اعظكم اي امركم واوصيكم بواحدة اي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى ان تقوموا لله اي لاجل الله مثنى اي اثنين اثنين وفرادى اي واحدا واحدا ثم تتفكروا اي تجتمعون جميعا فتنظرون وتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ان ما بصاحبكم من جنة ومعنى الاية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر في نفسه ايضا بعدل ونصفة هل راينا في هذا الرجل جنونا قط وجربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتم انه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واحدهم ذهنا وارصنهم رايا واصدقهم قولا واذ كانوا يقرون بذلك ويمدحونه به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه باية فاذا جاء بها تبين انه نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اي في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سالتكم اي على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل فهو لكم اي لم اسالكم شيا ان اجري اي ثوابي الا على الله وهو على كل شي شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اي ياتي بالوحي من السما فيقذفه الى الانبيا علام الغيوب اي خفيات الامور قل جاء الحق اي القران والاسلام وما يبدي الباطل وما يعيد اي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدي شيا او يعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس احدا ابتدا ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين ابايك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما اضل على نفسي اي اثم ضلالتي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اي من القران والحكمة انه سميع قريب قوله عز وجل ولو ترى اي يا محمد اذ فزعوا عند البعث حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت فلا فوت

اي لا يفوتونا ولا نجاة لهم واخذوا من مكان قريب قيل من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فهم من الله قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيدا ومعنى الاية ولو ترى اذ فزعوا لرايت امرا تعتبر به وقالوا امنا به اي حين عاينوا العذاب قيل هو عند الياس وقيل هو عند البعث وانى لهم التناوش اي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسالون الرد الى الدنيا فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اي من الاخرة الى الدنيا وقد كفروا به من قبل اي بالقران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب واهوال القيامة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم انه ساحر شاعر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار وحيل بينهم وبين ما يشتهون يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها كما فعل باشياعهم اي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار من قبل اي لم يقبل منهم التوبة والايمان في وقت الياس انهم كانوا في شك اي من البعث ونزول العذاب بهم مريب اي موقع الريبة والتهمة والله اعلم

تفسير سورة فاطر وتسمى الملايكة وهي مكية

وهي خمس واربعون اية وسبعماية وسبعون كلمة وثلاثة الاف وماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض اي خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق جاعل الملايكة رسلا اي الى الانبيا اولي اجنحة اي ذوي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة ما يشاء قال ابن مسعود في قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز ان الله على كل شي قدير اي مما يريد ان يخلقه قوله ما يفتح الله للناس من رحمة قيل هو المطر وقيل من خير ورزق فلا ممسك لها اي لا يستطيع احد على حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي لا يقدر احد على فتح ما امسكه وهو العزيز اي فيما امسك الحكيم اي فيما ارسل عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وهو على كل شي قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت اي لا ينفع المبخوت والغني حظه وغناه لانهما منك انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم هل من خالق غير الله اي لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ يرزقكم من السما يعني المطر والارض اي النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون اي من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم والى الله ترجع الامور اي فيجزي المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق يعني وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها

تقعام

قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم

عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور اي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب و
خطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه
فيما يامركم به من الكفر والمعاصي انما يدعوا حزبه اي اشياعه واولياءه ليكونوا من اصحاب السعير ثم بين
حال موافقته ومخالفته فقال تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
قوله عز وجل افمن زين له سوء عمله قال ابن عباس نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في
اصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم وليس اصحاب الكبائر من
الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه
عليه قبيح عمله فرآه حسنا وفي الاية حذف مجازه افمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه
الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل مجاز الاية افمن زين له
سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا ان الله عليم بما
يصنعون فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا اي تزعجه من
مكانه وقيل تجمعه وتجيء به فسقناه اي فنسوقه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك
النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي رزين العقيلي قال
قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت
به يهتز خضرا قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة
فلله العزة جميعا قيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو لله تعالى طاعة من له العزة
اي فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين
الله ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين اليه اي الى الله يصعد الكلم الطيب قيل هو
قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود
قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد
بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بها وجه رب العالمين ومصداقه
من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد اي يقبل الله الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس اي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب
ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني
ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله
ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله تعالى يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية وقيل الهاء في يرفعه
راجعة الى العمل الصالح اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن
توحيد وقيل معناه العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من
الاقوال والافعال والذين يمكرون السيئات اي يعملون السيئات يعني الشرك وقيل يعني الذين
مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم اصحاب الرياء لهم عذاب شديد ومكر اولئك

هو يبور

هو يبور اي يبطل ويهلك في الآخرة قوله عز وجل والله خلقكم من تراب يعني آدم ثم من نطفة يعني ذريته ثم جعلكم
ازواجا يعني اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم ببعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر
من معمر اي لا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره اي عمر آخر وقيل ينقص من عمر الاول قال سعيد بن جبير
مكتوب في ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب
ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا في كتاب قال كعب الاحبار
حين حضر عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يؤخر اجله لأخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز
ان يزاد وقرأ هذه الاية ان ذلك في كتاب يعني اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اي كتابة الآجال
والاعمال على الله هين قوله تعالى وما يستوي البحران يعني العذب والملح ثم وصفهما فقال هذا
عذب فرات اي طيب يكسر العطش سائغ شرابه اي سهل في الحلق هنيء مريء وهذا ملح اجاج
اي شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر ومن كل يعني من البحرين تأكلون لحما طريا يعني
السمك وتستخرجون اي من الملح دون العذب حلية تلبسونها يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب
اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما وترى الفلك
فيه مواخر اي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله اي بالتجارة ولعلكم تشكرون
اي تشكرون الله على نعمه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير هو لفافة النواة وهي القشرة
الرقيقة التي تكون على النواة ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا دعاءكم يعني انهم جماد ولو سمعوا
اي على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم اي ما اجابوكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيامة
يكفرون بشرككم اي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم اياها ولا ينبئك مثل خبير يعني نفسه اي لا
ينبئك احد مثلي لاني عالم بالاشياء قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اي الى فضله
واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم فقراء والله هو
الغني اي عن خلقه لا يحتاج اليهم الحميد اي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم ان
يحمدوه ان يشأ يذهبكم اي لاجل ذكر انداده وكفركم باياته ويأت بخلق جديد اي بخلق بعدكم
من يعبده ولا يشرك به شيئا وما ذلك على الله بعزيز اي بممتنع ولا تزر وازرة وزر اخرى يعني ان
كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع
بين هذه الاية وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية في الضالين
وتلك في المضلين انهم يحملون اثقال من يضلون من الناس مع اثقال انفسهم وذلك كله من كسبهم
وان تدع مثقلة الى حملها معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها لا يحمل
منه شيء ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا قرابة له كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى
الاب والام الابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي انما تنذر الذين يخشون
اي يخافون ربهم بالغيب اي لم يروه والمعنى انما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب
واقاموا الصلاة ومن تزكى اي صلح وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه اي لها ثوابه والى الله المصير وما
يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى

يعني الاصنام

وهو المؤمن ۝ ولا الظلمات ولا النور يعني الكفر والايمان ۝ ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة والنار وقال ابن عباس
الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار ۝ وما يستوي الاحياء ولا الاموات يعني المؤمنين والكفار وقيل
العلماء والجهال ۝ ان الله يسمع من يشاء يعني حتى يتعظ ويجيب ۝ وما انت بمسمع من في القبور يعني الكفار
شبههم بالاموات في القبور لانهم لم يجيبوا اذا دعوا ۝ ان انت الا نذير اي ما انت الا منذر تخوفهم بالنار
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالثواب لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر ۝ وان من امة
اي وما من جماعة كثيرة فيما مضى ۝ الا خلا اي سلف ۝ فيها نذير اي نبي منذر فان قلت كم من امة في الفترة
بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير
الى ان تندرس وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واثار نذارته
باقية الى يوم القيمة لانه لا نبي بعده ۝ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
اي بالمعجزات الدالة على نبوتهم ۝ وبالزبر اي الصحف ۝ وبالكتاب المنير الواضح وقيل اراد بالكتاب
التورية والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تاكيدا ۝ ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير
قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السماء ماء يعني المطر ۝ فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعني اجناسها
من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني الوانها الحمرة والصفرة والخضرة
وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد ۝ ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني الخطط والطرائق في الجبال مختلف
الوانها يعني منها ما هو ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو غرابيب سود اي شديد السواد
كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب ۝ ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه
اي خلق مختلف الوانه ۝ كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي
وسلطاني وقيل عظمني وقدرني حق قدري وخشيني حق خشيتي من ازداد به علما ازداد له خشية
ق عن عائشة رضي الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم
له خشية قوله رخص فيه اي لم يشدد فيه قوله فتنزه اي تباعد عنه وكرهه قوم ق عن انس
قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق
الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني
ايها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل اشد الناس لله خشية اعلمهم به وقال
الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم ۝ ان الله عزيز اي في ملكه ۝ غفور اي لذنوب عباده وهو
تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو احق ان يخشى ويتقى قوله عز وجل
ان الذين يتلون كتاب الله يعني يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به ۝ واقاموا الصلاة اي داوموا
الصلاة في اوقاتها ۝ وانفقوا مما رزقناهم اي في سبيل الله سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور اي
لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب ۝ ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال ابن عباس
يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع اذن ۝ انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر
اليسير من اعمالهم ۝ والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ۝ هو الحق مصدقا لما بين يديه اي من الكتب

ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب اي اوحينا اليك الكتاب وهو القرآن ثم اورثناه
يعني حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى نورثه ۝ الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس يريد امة محمد
صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم اتباع سيد الرسل
وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات روي عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة
ذكره البغوي بغير سند وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قرا هذه الاية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال ابو قلابة احد
رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده وروي بسنده عن ثابت
ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال
ابو الدرداء لئن كنت صادقا لانا اسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات قال اما السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما
الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرا هذه الاية الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سالت عائشة عن قوله عز وجل ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه
حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن
المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة
فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق
هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد
من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره
خيرا من باطنه والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل
الظالم التالي للقرآن والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه
وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة
وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد
ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدا بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا
يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكره
وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية
وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين
فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عداد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم

وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم ومنهم سابق بالخيرات
اي بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى رحمة الله باذن الله اي بامر الله وارادته ذلك هو الفضل الكبير يعني
ايراثهم الكتاب ثم اصطفاهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلثة يحلون
فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير تقوم نفيسي وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات
وانهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال
يوم القيمة وقيل هم الخبز والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن اهل الجنة كل حزن ما كان منها لمعاش او
معاد روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن روسهم يقولون الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن الاية ان ربنا لغفور شكور يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال
الذي احلنا اي انزلنا دار المقامة اي الاقامة من فضله اي لا باعمالنا لا يمسنا فيها نصب اي لا
يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب اي اعياء من التعب قوله عز وجل والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا اي فيستريحوا مما هم فيه اي يستغيثون ويصيحون فيها يقولون
ربنا اخرجنا منها اي من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا من الشرك والسيئات
فيقول الله تعالى توبيخا لهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وقيل هو البلوغ وقيل ثماني عشرة
سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله تعالى الى ابن ادم خ عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار
امتي ما بين الستين الى السبعين وجاءكم النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقران قاله ابن عباس وقيل
هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت
لاختها استعدي فقد قرب الموت فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير اي ما لهم من
مانع يمنعهم من عذابه ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور يعني انه اذا علم
ذلك وهو اخفى ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض اي يخلف
بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم وورثت ما ينبغي ان تعتبروا به وقيل جعلكم
خلفاء في ارضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر اي جحد
هذه النعم وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي غضبا
وقيل المقت اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي في الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعني الاصنام جعلتموها شركائي بزعمكم اروني ماذا خلقوا من الارض يعني
اي جزء استبدوا بخلقه من الارض ام لهم شرك في السموات اي في خلق السموات ام اتيناهم
كتابا فهم على بينة منه اي على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا يعني
الروساء بعض الا غرورا يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله قوله عز وجل ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا اي لكي لا تزولا ولا يمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين
بان تزولا وتفرا هذا لعظم كلمة الشرك ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده اي ليس
يمسكهما احد سواه انه كان حليما غفورا اي غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكانتا قد هما

بعقوبة لولا حلمه وغفرانه واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا
رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فاقسموا بالله لو جاءنا رسول لنكونن
اهدى منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الاية واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير اي رسول ليكونن اهدى من احدى الامم يعني اليهود والنصارى
فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي مجيئه الا نفورا اي تباعدا عن الهدى استكبارا
في الارض اي عتوا وتكبرا عن الايمان به ومكر السيء يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال
ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك فهل ينظرون اي ينتظرون الا سنة الاولين يعني ان ينزل
العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار فلن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا ولن تجد لسنة الله
تحويلا اي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم معناه انهم يعتبرون بمن مضى وباثارهم وعلامات هلاكهم وكانوا اشد منهم قوة وما
كان الله ليعجزه اي ليفوت عنه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا اي من الجرائم ما ترك على ظهرها اي ظهر الارض من دابة اي من نسمة تدب عليها
يريد بني ادم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى يعني يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا قال ابن عباس
يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصير بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله اعلم

تفسير سورة يس وهي مكية وهي ثلث وثمانون اية

وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرف عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القران يس ومن قرا يس كتب له بقراءتها قراءة القران عشر
مرات اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا على موتاكم يس اخرجه ابو داود

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يس
قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقران والقران الحكيم اي ذي الحكمة لانه دليل ناطق
بالحكمة وهو قسم وجوابه انك لمن المرسلين اقسم بالقران ان محمدا لمن المرسلين وهو رد
على الكفار حيث قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم معناه وانه على صراط مستقيم وقيل
معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز الرحيم اي القران تنزيل العزيز
في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون يعني لم ينذر اباؤهم لان قريشا لم
يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر اباؤهم من العذاب فهم
غافلون اي عن ما يراد بهم من الايمان والرشد لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون فيه اشارة
الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا نزلت في ابي جهل وصاحبه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي
ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده

ان وجب العذاب

فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بانه راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه
بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت قال ما رايته
ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان موانع فجعل الاغلال مثلا
لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع
الغل وقيل انها وصف على الحقيقة وهي ما سينزل الله بهم في النار فهي يعني الايدي الى الاذقان جمع ذقن
وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فهم مقمحون اي رافعوا رؤسهم مع غض البصر وقيل اراد ان
الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعوا الرؤس برفع الاغلال لها وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه
وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله فاغشيناهم اي فاعميناهم
فهم لا يبصرون يعني سبيل الهدى وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من يرد الله اضلاله لم
ينفعه الانذار انما تنذر من اتبع الذكر يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه وخشي الرحمن بالغيب
اي خافه في السر والعلن فبشره بمغفرة اي لذنوبه واجر كريم يعني الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى اي للبعث
ونكتب ما قدموا اي من الاعمال من خير وشر واثارهم اي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة او سيئة
م عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه
وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم الى
المسجد عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت
هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم
تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب خ عن انس قال اراد بنو سلمة ان
يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة الا تحتسبون اثاركم
فاقاموا قوله تعرى اي تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء م عن جابر
قال خلت البقاع حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد اردنا ذلك فقال يا بني سلمة دياركم
تكتب اثاركم فقالوا ما يسرنا انا كنا تحولنا قوله بني سلمة اي يا بني سلمة وقوله دياركم اي الزموا دياركم
ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة
ابعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي
ثم ينام قوله تعالى وكل شيء احصيناه اي حفظناه وعددناه واثبتناه في امام مبين يعني
اللوح المحفوظ قوله عز وجل واضرب لهم مثلا اي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة اصحاب القرية
يعني انطاكية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام ذكر القصة قال العلماء
باخبار الانبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين الى اهل انطاكية فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى
غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما فقالا رسولا عيسى
ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص

باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت
باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه
انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعاهما وقال من انتما قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك
من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا اله دون آلهتنا قالا نعم الذي اوجدك
والهتك قال لهما قوما حتى انظر في امركما فتتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى هذين
الرجلين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله
فغضب الملك وامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى راس الحواريين
شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به
فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال للملك ذات يوم بلغني انك حبست رجلين
في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين
ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ها هنا
قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
فقال شمعون وما ايتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة
فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا
مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت سالت الهك حتى يصنع مثل هذا كان لك الشرف
لك ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا
ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا انه على احياء ميت امنا
به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك ان ها هنا ميتا قد مات منذ سبعة ايام ابن لدهقان
وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون
يدعو ربه سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من
النار وانا احذركم ما انتم عليه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت فرايت شابا حسن الوجه يشفع
لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان واشار بيده الى صاحبيه فتعجب الملك
من ذلك فلما علم شمعون ان قوله قد اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فامن الملك وامن معه قوم وكفر
اخرون وقيل بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة
في يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ ارسلنا
اليهم اثنين فكذبوهما قال وهب اسمهما يحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق
فعززنا بثالث اي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما اضاف الله الارسال
اليه لان عيسى انما بعثهم بامر الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية انا اليكم
مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء اي لم يرسل رسولا ان انتم الا
تكذبون اي فيما تزعمون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اي وان كذبتمونا وما علينا
الا البلاغ المبين اي بالايات الدالة على صدقنا قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم وذلك
ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا اي تسكتوا عنا لنرجمنكم
اي لنقتلنكم وقيل بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم اي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني ما بكم الشؤم

من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر ائن ذكرتم معناه ائن وعظتم بل انتم قوم
مسرفون اي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب
النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى
باب من ابواب المدينة وكان مومنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ونصفا يتصدق به
فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاء فقال يا قوم اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار يعبد
ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لهم اتسالون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه
وقال لهم يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم عليه اجرا وهم مهتدون اي لا تخسرون معهم شيا
من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والاخرة فلما قال ذلك قالوا وانت مخالف لديننا
ومتابع دين هولا الرسل ومومن بالههم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون قيل اضاف
الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم
اليق وقيل معناه واي شي لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ءاتخذ من
دونه الهة اي لا اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر اي بسو ومكروه لا تغن عني شفاعتهم
اي لا تدفع عني شفاعتهم شيا اي لا شفاعة لها فتغني ولا ينقذون اي من ذلك المكروه وقيل من
العذاب اني اذا لفي ضلال اي خطا ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون اي فاشهدوا لي بذلك قيل هو
خطاب للرسل وقيل لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود
وطيوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي
حتى قطعوه وقتل بانطاكية فلما لقي الله قيل ادخل الجنة فلما افضى الى الجنة وراى نعيمها قال يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى ان يعلم قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا في دين
الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة
فماتوا عن اخرهم فذلك قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السما يعني الملايكة وما كنا
منزلين اي ما كنا نفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان ايسر مما يظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ان
كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة
فاذا هم خامدون اي ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكابة على العباد والحسرة
ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما
عاينوا العذاب حيث لم يومنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم
الملايكة اذ لم يومنوا بالرسل وقيل يقول الله يا حسرة على العباد يوم القيمة حين لم يومنوا بالرسل
ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون قوله تعالى الم يروا
اي الم يخبروا والخطاب لاهل مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون اي من الامم الخالية والقرن
اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا
افلا يعتبرون بهم وان كل لما جميع لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون يوم القيمة واية
لهم يعني تدلهم على كمال قدرتنا على احيا الموتى الارض الميتة احييناها اي بالمطر واخرجنا
منها اي من الارض حبا يعني الحنطة والشعير وما اشبهها فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا
فيها اي في الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من

ثمره اي من الثمر الحاصل بالماء وما عملته ايديهم من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرى عملت
بغير ها وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنيعهم بل وجودها معمول وقيل
اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة افلا يشكرون اي
نعمة الله سبحان الذي خلق الازواج كلها يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض اي من
الثمار والحبوب ومن انفسهم اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون يعني مما خلق الله من الاشيا
في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل واية لهم يعني تدلهم على قدرتنا الليل نسلخ منه اي ننزع
منه النهار ونكشط منه فتبقى الظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا
غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها اي الى مستقرها
قيل الى انتها سيرها عند انقضا الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي
الى مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها
ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السما في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتا وعن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف فهي
ابدا جارية الى يوم القيمة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال انها تذهب
حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن
فلا يوذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس
تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي
اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا
غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واجل
لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتها سيرها عند انقضا الدنيا واما سجود
الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم ذلك اي الذي ذكر من جري الشمس
على ذلك التقدير والحساب الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه
تقدير العزيز اي الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علما بكل شي قوله تعالى والقمر
قدرناه منازل اي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل
منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة
اذا نقص فاذا كان في اخر منازله دق وتقوس فذلك قوله حتى عاد كالعرجون القديم وهو
العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي اتى عليه الحول فاذا قدم
عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهايه الى اخر منازله لا الشمس ينبغي لها
ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضايه ولا يدخل الليل على النهار قبل
انقضايه وهو قوله تعالى ولا الليل سابق النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجي
احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا
يطلع القمر في النهار وله ضوء فاذا اجتمعا ادرك احدهما صاحبه قامت القيمة وقيل معناه ان

فاذا هم مظلمون

الشمس مع القمر في فلك واحد ولا ينفصل ليل بليل لا يكون بينهما فاصل وكل في فلك يسبحون اي الشمس والقمر في فلك
يسيرون قوله عز وجل وآية لهم انا حملنا ذريتهم يعني اولادهم في الفلك المشحون اي المملوء وخلقنا لهم من مثله
اي من مثل الفلك ما يركبون اي من الابل وهي سفاين البر واراد بالفلك المشحون سفينة نوح ومعنى الآية ان الله حمل
اباهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذريتهم ومنه قول العباس بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا
واهله الغرق وانما ذكر ذرياتهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وابلغ في التعجب من قدرته فعلى هذا القول
يكون قوله من مثله اي من مثل ذلك الفلك ما يركبون اي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار
وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم
من عذابي الا رحمة منا ومتاعا الى حين يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم واذا قيل لهم اتقوا
ما بين ايديكم وما خلفكم قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها
ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعني وقايع الله بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الآخرة لعلكم ترحمون
اي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف
قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا للكفار من مكة انفقوا على المساكين
مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من
لو يشاء الله اطعمه اي رزقه وقيل كان العاص بن وايل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك
فهو اولى بك مني ويقول قد منعه الله افاطعمه انا ومعنى الآية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق
الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلا يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون
باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الغني لا
استحقاقا وامر الغني بالانفاق لا لحاجة الى ماله ولكن ليبلوا الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض
لاحد على مشية الله تعالى وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء
ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمؤمنين وقيل هو من جواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد يعني يوم
القيامة والبعث ان كنتم صادقين قال الله تعالى ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس
يريد النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون اي يختصمون في امر الدنيا من البيع والشرا ويتكلمون في الاسواق
والمجالس وهم متصرفون [illegible] بينهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح من حديث ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن
الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله
بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا
قال واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة
القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله
واصله من اللصوق وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق واصغى يعني امال عنقه ليسمع وقوله تعالى
فلا يستطيعون توصية اي لا يقدرون على الايصاء اعجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون
يعني لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم لشيء ونفخ في الصور وهذه النفخة الثانية

لا تجتمع

اي ولا يعدل صدق محمد صلى الله عليه وسلم

عليه

وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
بين النفختين اربعون قيل اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قيل اربعون شهرا قال ابيت قالوا
اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء
الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة فاذا هم من الاجداث اي
القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احياء قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ابن عباس
انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الثانية
وعاينوا اهوال القيمة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في
جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ان كانت الا صيحة واحدة يعني النفخة الآخرة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي للحساب فاليوم لا
تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل قال ابن
عباس في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل ضيافة الله عز وجل وقيل
في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم فاكهون قال
ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه هم وازواجهم في ظلال يعني اكنان
القصور على الارائك يعني السرر في الحجال متكئون اي ذوو اتكاء تحت تلك الظلال لهم فيها
فاكهة اي في الجنة ولهم ما يدعون يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى ان كلما يدعوه اهل الجنة
يأتيهم سلام قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا
رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك
قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم
ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم
الملائكة من ربهم وقيل تدخل الملائكة على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من
ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها
المجرمون اي اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان
لكل في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى
هذا القول يمتاز بعضهم من بعض قوله عز وجل الم اعهد اليكم يا بني آدم يعني الم آمركم واوصيكم
يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان يعني لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله
انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وان اعبدوني اي اطيعوني ووحدوني هذا صراط
مستقيم اي لا صراط اقوم منه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا افلم
تكونوا تعقلون يعني ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار
هذه جهنم التي كنتم توعدون يعني بها في الدنيا اصلوها اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون
قوله عز وجل اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون معنى الآية
ان الكفار يجحدون وينكرون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويحلفون والله ربنا ما كنا مشركين

قالوا

فيختم الله على افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التي كانت عونا لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم
وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة
قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما
فعل م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا
يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية
الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون
في رؤيتهما قال فيلقى العبد ربه فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس
وتربع فيقول بلى يا رب فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول
اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول
اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول اي فل الم اكرمك واسودك
وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول اظننت انك ملاقي فيقول اي
رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا اذا
قال ثم يقال له الآن نبعث شاهدا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال
لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط
الله عليه قوله اي فل اي يا فلان قوله واسودك اي اجعلك سيدا قوله واذرك اي واتركك ترأس اي
تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع تاخذ المرباع وهو ما ياخذ رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو
ربعها وروي ترتع بتائين اي تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه اي ليقوم الحجة عليه بشهادة
اعضائه عليه م عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما
اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول
فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا
قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت اناضل قوله لا اجيز اي لا اقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا اي هلاكا قوله فعنكن
كنت اناضل اي اجادل واخاصم قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي اذهبنا اعينهم الظاهرة
بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى لو نشاء لاعمينا اعينهم الظاهرة كما اعمينا قلوبهم فاستبقوا
الصراط اي فبادروا الى الطريق فانى يبصرون اي كيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم والمعنى لو نشاء لاضللناهم
عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس معناه
لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم
فانى يبصرون ولم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يعني لو نشاء جعلناهم قردة وخنازير في
منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا ارواح فيها فما استطاعوا مضيا اي لا يقدرون ان يرجعوا ولا
يرجعون اي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع ومن نعمره ننكسه في الخلق اي
نرده الى ارذل العمر كهيئته الصبي في اول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصها بعد زيادتها
وذلك ان الله تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلوه من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد

وينتقل من حال الى حال الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية
واستكمل النهاية رجع ينتقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه في الخلق افلا يعقلون اي فيعتبروا
ويعلموا ان الذي قدر على تصريف احوال الانسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل وما علمناه
الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم وما علمناه
الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار مكة اي ما يتسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو اراد نظم شعر لم يتأت
له كما جعلناه اميا لا يكتب ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له
بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب
والاسلام للمرء ناهيا اشهد انك رسول الله هذا حديث مرسل وروي عن عائشة انها قيل لها هل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالاخبار
من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست
بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اصابه حجر فعثر فدميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اخرجاه في
الصحيحين ولهما من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاكرم الانصار
والمهاجرة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قلت ما هو الا من كلامه
الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا
كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا يدخل في وزن
البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال
تعالى ان هو الا ذكر يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه ليس على اساليب
الشعر ولا يدخل في بحوره وقرآن مبين اي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات
وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر
الذي هو من همزات الشياطين واقاويل الشعراء الكاذبين لينذر اي يا محمد وقرئ بالتاء اي القرآن
من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول اي
وتجب حجة العذاب على الكافرين قوله عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا
اي تولينا خلقه بابداعه من غير اعانة احد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا
انفرد به ولم يشاركه فيه احد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطر التي
لا يقدر عليها الا هو انعاما انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله وايجاده لان
النعم اكثر اموال العرب والنفع بها اعم فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون
فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم اصبحت لا املك
اضبط رأس البعير احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا اي لا اضبط رأس البعير والغنم لم تخلق
الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى
وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها يأكلون اي الغنم ولهم فيها منافع ومشارب اي من

الى لها ٥ افلا يشكرون اي رب هذه النعم ٥ واتخذوا من دون الله الهة يعني الاصنام ٥ لعلهم ينصرون اي ليمنعهم
من عذاب الله ولا يكون ذلك قط ٥ لا يستطيعون نصرهم قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب
وهم لهم جند محضرون اي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا
تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه في الدنيا
كانهم جند محضرون في النار ٥ فلا يحزنك قولهم يعني قول كفار مكة في تكذيبك ٥ انا نعلم ما يسرون اي في ضمائرهم
من التكذيب ٥ وما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل
ما يعلنون بالسنتهم من الاذى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة قذرة خسيسة
فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله كان
يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكار البعث كيف لا يتفكر في بدو خلقه وانه من نطفة ويدع
الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد رم
وبلي ففتته بيده وقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك
النار فانزل الله هذه الايات ٥ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اي بدو امره ٥ قال من يحيي العظام وهي
رميم اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول
ان الله يحييه ونسي اول خلقه وانه مخلوق من نطفة ٥ قل يحييها الذي انشاها اول مرة اي خلقها
اول مرة وابتدا خلقها ٥ وهو بكل خلق اي من الابتداء والاعادة ٥ عليم اي يعلم كيف يخلق
لا يتعاظمه شيء من خلق المبدا والمعاد ٥ الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس هما
شجرتان يقال لاحدهما المرخ وللاخرى العفار فمن اراد النار قطع منهما
غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار
باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر وذلك انهما من الشجر
من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب ٥ فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون وتوقدون
النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى اي هو قادر على ذلك ٥ وهو الخلاق العليم يعني يخلق خلقا بعد خلق
العليم اي بجميع ما خلق ٥ انما امره اذا اراد شيئا اي احداث شيء وتكوينه ٥ ان يقول له كن اي ان يكونه من غير توقف
فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة ٥ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء اي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه
واليه ترجعون اي تردون بعد الموت والله اعلم

تفسير سورة الصافات وهي مكية

وهي مائة واثنتان وثمانون اية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا قال
ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة ٥ عن جابر بن سمرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة
عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف لفظ ابي داود وقيل هم الملائكة تصف
اجنحتها في الهوا واقفة حتى يامرها الله بما يريد وقيل اراد بالصافات الطير تصف اجنحتها في

الهوا ٥ فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القران تنهى وتزجر
عن القبيح ٥ فالتاليات ذكرا يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القران وهذا كله قسم
اقسم الله بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب
القسم قوله تعالى ان الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشياء
ان الهكم لواحد وانما اقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة
الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما يعني انه المالك القادر
العالم المنزه عن الشريك وقوله ورب المشارق قيل اراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدي المشارق
ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد
قال في موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه
الايات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق
الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما
تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت
عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا يعني التي تلي
الارض وهي ادنى السموات الى الارض ٥ بزينة الكواكب قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء
والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة
عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء
وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى السماء وراى هذه الكواكب
الزواهر مشرقة متلالئة على سطح ازرق فهو غاية الزينة ٥ وحفظا من كل شيطان اي وحفظنا
السماء من كل شيطان متمرد عات يرجمون بالشهب ٥ لا يسمعون الى الملا الاعلى يعني الى الملائكة
والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة
فيخبرون به اولياءهم من الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه
الشهب وهو قوله ويقذفون اي يرمون بها ٥ من كل جانب اي من افاق السماء ٥ دحورا اي
يبعدونهم عن مجالس الملائكة ٥ ولهم عذاب واصب اي دائم يخرجون ويخبلون ٥ الا من خطف
الخطفة اي اختلس الكلام من كلام ٥ فاتبعه اي لحقه ٥ شهاب ثاقب اي كوكب مضي قوي
لا يخطئه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم
فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى
مقصودهم ثم يعودون لنيل مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون
اليه طمعا في السلامة ونيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وقوله عز وجل
فاستفتهم يعني سل اهل مكة ٥ اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني من السموات والارض
والجبال وهو استفهام تقرير اي هذه الاشياء اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعني الامم الخالية
والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء
من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني من طين جيد حر لاصق

ماردة

الكلام

ثم يعلن بالبد وقيل من طين منتن ۝ بل عجبت قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله وليس هو كالتعجب من
الآدميين لان التعجب من الناس محمول على انكار الشي وتعظيمه والتعجب من الله محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت
قبيحة يترتب عليها العقاب وان كانت حسنة يترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم
وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي الحديث
اخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم فقوله من الكم الال اشد القنوط وقيل
هو رفع الصوت بالبكا وسئل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شي ولكن الله وافق
رسوله لما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله وقرئ بفتح التا على انه خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم
من هذا القران حين نزل وضلال بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القران يؤمن
به فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى
بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي اذا وعظوا لا يتعظون ۝ واذا راوا اية قال ابن
عباس يعني انشقاق القمر يستسخرون اي يستهزءون وقيل يستدعي بعضهم بعضا الى ان
يسخر ۝ وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي بين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون اوآباؤنا
الاولون قل نعم وانتم داخرون اي صاغرون ۝ فانما هي زجرة واحدة اي صيحة وهي نفخة البعث ۝
فاذا هم ينظرون يعني احيا ۝ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يعني يوم الحساب والجزا ۝ هذا
يوم الفصل اي القضا وقيل بين المحسن والمسي ۝ الذي كنتم به تكذبون اي في الدنيا ۝ احشروا
اي اجمعوا الذين ظلموا اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم ۝ وازواجهم اي اشباههم وامثالهم
فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اي قرناؤهم
من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل وازواجهم المشركات ۝ وما كانوا يعبدون
من دون الله اي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده ۝ فاهدوهم الى صراط
الجحيم قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار ۝ وقفوهم اي احبسوهم ۝ انهم مسئولون لما سيقوا الى النار
حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروي عنه عن لا اله الا الله
وروي عن ابي برزة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسال
عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه
فيما ابلاه وفي رواية وعن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من داع دعا الى شي الا كان موقوفا يوم القيمة لازما له لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرا
وقفوهم انهم مسئولون ۝ ما لكم لا تناصرون اي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم
بعضكم بعضا وهذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم
مستسلمون قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلا منقادون لا حيلة
لهم ۝ واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤسا والاتباع يتساءلون اي يتخاصمون ۝ قالوا يعني للرؤسا
الاتباع انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الدين فتصدوننا عنه وتروننا ان الدين ما تضلوننا به
وقيل كان الرؤسا يحلفون لهم ان الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم كنتم تحلفون لنا

فوثقنا

فوثقنا بايمانكم وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة والقول الاول اصح ۝ قالوا يعني الرؤسا للاتباع
بل لم تكونوا مؤمنين اي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر ۝ وما كان لنا عليكم من سلطان
اي من قدرة وقوة فنقهركم على متابعتنا ۝ بل كنتم قوما طاغين ۝ فحق علينا اي وجب علينا
جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب وهي قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ۝ انا لذائقون
يعني ان الضال والمضل جميعا في النار ۝ فاغويناكم اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما نحن
عليه ۝ انا كنا غاوين اي ضالين قال الله تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤسا
والاتباع ۝ انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركا قال الله تعالى انهم انما وقعوا
في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
اي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ۝ ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله ردا عليهم ۝ بل جاء بالحق وصدق المرسلين يعني انه اتى بما
اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك ۝ انكم لذائقوا العذاب الاليم ۝ وما تجزون
الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك والتكذيب ۝ الا اي لكن وهو استثنا منقطع ۝
عباد الله المخلصين اي الموحدين ۝ اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه
يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق
فقال تعالى فواكه جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل
ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت
للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال وهم مكرمون
اي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين يعني لا يرى بعضهم قفا
بعض ثم وصف شرابهم فقال يطاف عليهم بكاس من معين كل انا فيه شراب يسمى كاسا واذا لم يكن
فيه شراب فهو انا وقد يسمى الخمر كاسا قال الشاعر وكاس شربت على لذة ومعنى معين اي
من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون ۝ بيضا اي ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن
لذة اي لذيذة ۝ للشاربين ۝ لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها
ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفا وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد
منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الراس والبول والقي والخمار والعربدة
وغير ذلك ولا يوجد شي من ذلك في خمر الجنة ۝ ولا هم عنها ينزفون اي لا تغلبهم على عقولهم
ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف
اي حابسات الاعين غاضات الجفون قصرن اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم
عين اي حسان الاعين عظامها ۝ كانهن بيض مكنون اي مصون مستور شبههن
ببيض النعام لانها تكنه بالريش من الريح والغبار فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال هذا
من احسن الوان النسا وهو ان تكون المراة بيضا مشربة صفرة والعرب تشبه النسا
ببيض النعامة وتشبههن ببنات الخدور ثم قوله عز وجل فاقبل بعضهم على بعض

اهل الجنة في الجنة يتساءلون اي يسال بعضهم بعضا عن حالهم في الدنيا ۝ قال قائل منهم اي من اهل الجنة ۝ اني كان لي
قرين اي في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما
كافر اسمه قرطوس والاخر مومن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا
رجلين ۝ يقول أئنك لمن المصدقين اي بالبعث ۝ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون اي مجزيون ومحاسبون
وهذا استفهام انكار قال الله تعالى لاهل الجنة ۝ هل انتم مطلعون اي في النار وقيل يقول المومن لاخوانه من
اهل الجنة هل انتم مطلعون اي ننظر كيف منزلة اخي في النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا ۝ فاطلع اي
المومن قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى النار ۝ فراه في سواء الجحيم اي فراى قرينه في وسط النار
سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه ۝ قال تالله ان كدت لتردين اي والله لقد كدت ان تهلكني
وقيل لتغويني ومن اغوى انسانا فقد اراده واهلكه ۝ ولولا نعمة ربي اي رحمته لي وانعامه علي بالاسلام ۝
لكنت من المحضرين اي معك في النار ۝ افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى اي في الدنيا ۝ وما نحن بمعذبين قيل
يقول هذا اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لا فيقولون ۝ ان هذا لهو الفوز العظيم وانما
يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام
لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل يقوله المومن
لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى ۝ لمثل هذا اي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله اولئك
لهم رزق معلوم ۝ فليعمل العاملون هذا ترغيب في ثواب الله وما عنده من طاعته قوله تعالى ۝ أذلك اي
الذي ذكر لاهل الجنة من النعيم ۝ خير نزلا اي رزقا ۝ ام شجرة الزقوم اي التي هي نزل اهل النار والزقوم ثمرة
شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد كراهة وقيل هي شجرة
بارض تهامة من اخبث الشجر ۝ انا جعلناها فتنة للظالمين اي للكافرين وذلك انهم قالوا كيف يكون
في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر
الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر
فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى ۝ انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي في قعر
النار واغصانها ترتفع الى دركاتها ۝ طلعها اي ثمرها سمي طلعا لطلوعه ۝ كانه رءوس الشياطين قال
ابن عباس هم الشياطين بعينهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشيء لم
يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا
فكانه قيل ان اقبح الاشياء في الوهم والخيال رءوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر
والعرب اذا رات منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس ايقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كانياب اغوال شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة
واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رءوس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات
والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا ۝ فانهم لاكلون منها اي من ثمرها ۝ فمالئون منها البطون
وذلك انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلي بطونهم ۝ ثم ان لهم عليها لشوبا اي خلطا ومزاجا ۝ من حميم اي
من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم فشاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار

شوبا له ۝ ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي ان ذلك انهم يوردون الحميم بعد شرب الحميم ۝ انهم الفوا اي وجدوا اباءهم
ضالين ۝ فهم على اثارهم يهرعون اي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ۝ ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من
الامم الخالية ۝ ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي ارسلنا فيهم رسلا منذرين ۝ فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين اي الكافرين وكان عاقبتهم العذاب ۝ الا عباد الله المخلصين اي الموحدين نجوا من
العذاب والمعنى انظر كيف اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل ولقد نادانا نوح اي
دعانا ربه على قومه وقيل دعانا ان ننجيه من الغرق ۝ فلنعم المجيبون اي نحن دعانا فاجبناه واهلكنا
قومه ۝ ونجيناه ه من الكرب العظيم اي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق ۝ وجعلنا ذريته هم الباقين
يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه
من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا
ذريته هم الباقين قال حام وسام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية
اخرى سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس والروم
وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج وما هنالك ۝ وتركنا عليه في
الاخرين اي ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة
سلام على نوح في العالمين اي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا في الاخرين ان يصلى عليه
الى يوم القيامة ۝ انا كذلك نجزي المحسنين اي جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين ۝ انه
من عبادنا المومنين ۝ ثم اغرقنا الاخرين يعني الكفار قوله عز وجل ۝ وان من شيعته اي من شيعة
نوح ۝ لابراهيم يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته ۝ اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص
من الشرك والشك وقيل من الغل والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه ۝ اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ ۝ ائفكا الهة دون الله تريدون اي اتافكون افكا وهو
اسوا الكذب وتعبدون الهة سوى الله ۝ فما ظنكم برب العالمين يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم
غيره انه يصنع بكم ۝ فنظر نظرة في النجوم ۝ فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم
فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويعلمون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم
في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على
اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه
فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني
سقيم قال ابن عباس اي مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل
معناه ساسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الانبياء وقيل
انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي ۝
فتولوا عنه مدبرين اي الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى ۝ فراغ
اي مال ۝ الى الهتهم مستخفيا في خفية ۝ فقال اي للاصنام استهزاء بها ۝ الا تاكلون يعني الطعام
الذي بين ايديكم ۝ ما لكم لا تنطقون ۝ فراغ اي مال ۝ عليهم ضربا باليمين اي ضربهم بيده اليمنى لانها
اقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله

وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابرهيم يزفون اي يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنيع ابرهيم
بالهتهم فاسرعوا اليه لياخذوه فقال لهم ابرهيم على وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون اي بايديكم من
الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وعملكم وقيل وخلق الذي تعملونه بايديكم من الاصنام
وفي الآية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم قيل
انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤوه من الحطب
واوقدوا فيه النار وطرحوه فيها وهو قوله فارادوا به كيدا اي شرا وهو ان يحرقوه فجعلناهم
الاسفلين اي المقهورين حيث سلم الله ابرهيم ورد كيدهم وقال يعني ابرهيم اني ذاهب الى ربي
سيهدين اي مهاجر الى ربي واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار سيهدين الى حيث امرني
بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين
اي هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره وفيه بشارة انه ابن وانه
يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى فلما بلغ معه السعي قال ابن عباس يعني المشي
معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابرهيم والمعنى انه بلغ ان يتصرف معه ويعينه
في عمله وقيل السعي العمل لله وهو العبادة قيل كان ابن ثلث عشرة سنة وقيل سبع سنين
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قيل انه لم ير في منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل رأى انه
يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا راوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين
في هذا الغلام الذي امر ابرهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم
هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم
كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطا ومقاتل والزهري والسدي
واختلفت الرواية عن ابن عباس فروي عنه انه اسحق وروي عنه انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق
قال كانت هذه القصة بالشام وروي عن سعيد بن جبير قال أري ابرهيم ذبح اسحق في المنام وهو بالشام
فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به
مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسمعيل واليه ذهب
عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب
القرظي والكلبي ورواية عطا بن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المعزي اسمعيل
وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى
فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحق
كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها باسحق وبقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين عقب
البشارة بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد في قصة الذبح
فثبت بما ذكرناه ان اول الآية واخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح ومما ذكر ايضا في كتاب يعقوب
الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله
واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بان الله ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من
قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين دل على ان المذبوح غيره وايضا

فان الله تعالى

فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يامر بذبح اسحق وقد
وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل
كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد
اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظي سال عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء
اليهود كان اسلم وحسن اسلامه اي ابني ابرهيم امر الله بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المومنين
ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على ان يكون اباكم هو الذي امر الله بذبحه ويزعمون انه
اسحق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان
احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رايت قرني الكبش منوطين وقال ابن عباس والذي
نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد حش يعني
يبس وقال الاصمعي سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح اسحق كان او اسمعيل فقال يا اصمعي اين
ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه ذكر الاشارة
الى قصة الذبح قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابرهيم ربه فقال رب هب
لي من الصالحين وبشر به قال اذا هو لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك هذا
هو السبب في امر الله اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا
وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا ابه افعل ما تومر وقال محمد بن اسحق
كان ابرهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل
بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي واخذ
بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه وذلك
انه ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في نفسه اي
فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم
التروية فلما امسى راى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فمن ثم سمي ذلك اليوم عرفة وقيل
راى ذلك ثلث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر
به ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى اي من الراي على وجه المشاورة
فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع
الى رايه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله وليعلم صبره على امر الله وعزيمته
على طاعته وتثبت قدمه ويصبح ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو
كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك
في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح
والمذبوح فورد في المنام كالتوطئة ثم تاكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان
ذلك اقوى في الدلالة ورؤيا الانبياء وحي وحق قال يا ابت افعل ما تومر اي قال الغلام لابيه
افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما امر ابرهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية ننطلق
الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابرهيم بابنه في الشعب اخبره بما امر الله به قال افعل ما تومر
ستجدني ان شاء الله من الصابرين انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن

معصية الله لا تعصوا الله ولا تفرح على طاعة الله الا بتوفيق الله فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله وذكر
ان ابرهيم عليه السلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه وتله للجبين اي صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه
على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابه اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى
لا ينتضح عليها من دمي شي فينتقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرار السكين على حلقي
ليكون اهون علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرا عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي
على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال ابرهيم صلى الله عليه وسلم نعم العون انت يا بني على امر الله
ففعل ابرهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين
على حلقه فلم تحك شيا ثم انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا تستطيع ان تقطع شيا قيل ضرب الله
صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا ابه كبني لوجهي
على جبيني فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله وانا لا انظر الى الشفرة فاجزع
منها ففعل ذلك ابرهيم عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابرهيم قد صدقت
الرويا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما اري ابرهيم ذبح ابنه قال الشيطان
لئن لم افتن عند هذا آل ابرهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام
فقال لها هل تدرين اين ذهب ابرهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال لا والله
ما ذهب الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت
ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو
يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا
الشعب قال والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به
ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابرهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب
لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك ان تذبح ابنك هذا فعرفه ابرهيم عليه السلام
فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع عليه ابليس بغيظه لم يصب من ابرهيم
واله شيا مما اراد وامتنعوا منه بعون الله عز وجل وروي عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام لما
اراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابرهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة
فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع
حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابرهيم لامر الله
عز وجل وهو قوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرويا اي حصل المقصود من تلك الرويا اي حصل المقصود من تلك الرويا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد
لامر الله وكذلك الولد فان قلت كيف قال قد صدقت الرويا وكان راى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها
لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله
الذابح فقد حصل المطلوب وهو اسلامهما لامر الله وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت
الرويا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما
عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر
حيث اختبر بذبح ابنه وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابرهيم فاذا هو جبريل ومعه كبش املح

اقرن فقال له هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابرهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه
ابرهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين
خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابرهيم هو الذي قربه ابن ادم وقيل حق له ان
يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه من عند الله وقيل في الثواب وقيل لعظمه
وسمنه وقال الحسن ما فدي اسمعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير وتركنا
عليه في الاخرين اي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المومنين قوله عز وجل وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اي بوجود اسحق
وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء
على الطاعة وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روي
عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبي وباركنا عليه يعني على ابرهيم في اولاده وعلى
اسحق اي بان اكثر الانبياء من نسله ومن ذريتهما محسن اي مومن وظالم لنفسه اي كافر مبين
اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل
ولقد مننا على موسى وهرون اي انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما يعني بني
اسرائيل من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاوهم
من الغرق ونصرناهم يعني موسى وهرون وقومهما فكانوا هم الغالبين اي على القبط واتيناهما
الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق وتركنا عليهما في الاخرين اي الثناء الحسن
سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين قوله تعالى وان
الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه
وقال اكثر المفسرين هو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن
اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران ذكر الاشارة الى قصته
قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت
الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله
فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى في بني اسرائيل
وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل
اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من احكام
التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمه بعلبك
ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه احب وكان قد اضل قومه
واجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه
وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان
الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها
الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يومنون
به الا ما كان من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده
وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغضبت من رجل مومن جنينة

كان يعيش منها فقتلته فبعث الله تعالى الياس الى الملك وقومه وامره ان يخبرهم ان الله قد غضب
لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول ان
يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان بها الا قليلا فجا الياس
فاخبر[illegible]ما اوحى اليه في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال
يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهمّ بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر
رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان ياوي الشعاب
والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خايفا مستخفيا ياكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا
عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسئم الكمون في الجبال وطال عصيان
قومه فضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خايف مجهود يا الياس ما
هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي من خلقي
سلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فاني
قد مللت بني اسرايل وملوني فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي اعرى منك الارض واهلها
وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطيك قال الياس ان لم تمتني
فاعطني ثاري من بني اسرايل قال الله عز وجل واي شي تريد ان اعطيك قال تملكني خزاين السما سبع
سنين فلا تنشر عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا ذلك
قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم
بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكن اعطيك ثارك ثلث سنين اجعل
خزاين المطر بيدك قال الياس فباي شي اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل لك
طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عنهم المطر
حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مستخفيا من قومه
يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بني اسرايل ثلث سنين
القحط فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام قالت نعم شي من دقيق وزيت قليل قال
فدعا بهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملا جرابها دقيقا وملا خوابيها زيتا فلما راوا ذلك
عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا
ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امراة من بني اسرايل ولها ابن يقال
له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته واخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع
اليسع وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيث ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع
غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهايم
والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال يا رب دعني اكون انا الذي ادعو
لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلا لعلهم يرجعوا عما هم فيه وينزعوا عن عبادة غيرك فقيل
له نعم فجا الياس الى بني اسرايل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهايم والدواب
والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان
استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم

فاخبرها

ما انتم

ما انتم فيه من البلا فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلا فقالوا لالياس
انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم
ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف
الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك الياس
دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا فاخرج الى موضع كذا فما جاك
من شي فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذي امر به اقبل فرس
من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس
ما تامرني فقذف اليه الياس بكسايه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرايل
وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه
الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله على اجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم
من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل اجب وامراته ازبيل في الجنينة التي غصبتها امراة الملك
من مزدكي المومن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما
ونبا الله اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرايل واوحى الله اليه وايده فامنت به بنو اسرايل وكانوا يعظمونه
وحكم الله فيهم قايم الى ان فارقهم اليسع وروى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن ابي رواد قال الياس
والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل
بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون
اتدعون بعلا يعني اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك فقيل
البعل الرب بلغة اهل اليمن فهو تذرون اي وتتركون عبادة احسن الخالقين فلا تعبدونه
الله ربكم ورب آبايكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون في النار الا عباد الله المخلصين اي من قومه
الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين قرى آل ياسين
بالقطع قيل اراد آل محمد وقيل آل القرآن لان يس من اسما القرآن وفيه بعد وقرى الياسين
بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المومنين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المومنين قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
اي الباقين في العذاب ثم دمرنا الآخرين اي اهلكنا الآخرين وانكم اي يا اهل مكة لتمرون عليهم
اي على آثارهم ومنازلهم مصبحين اي في وقت الصباح وبالليل اي وبالليل في اسفاركم
افلا تعقلون اي فتعتبرون بهم قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين اي من جملة رسل
الله اذ ابق اي هرب الى الفلك المشحون اي المملو قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد
قومه العذاب فتاخر عنهم فخرج كالمتشور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست
السفينة فقال الملاحون هاهنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا
ثلاثا فوقع على يونس فقال انا الآبق وزج نفسه في الما وقيل انه لما وصل الى البحر كانت
معه امراته وابنان له فجا مركب واراد ان يركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها فحال
الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجات موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجا ذيب

فاخذ الاين الاصبع فنسي فربطها فجاء مركب اخرى فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت
فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة مما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر
فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك
قوله تعالى فساهم اي فقارع فكان من المدحضين يعني من المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة
في سورة يونس والانبياء فالتقمه الحوت اي ابتلعه وهو مليم اي اتي بما يلام عليه فلولا انه كان من
المسبحين اي من الذاكرين لله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من
العابدين قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وقيل شكر الله له طاعته
القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله فلما
وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله له ذلك فقال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى
يوم يبعثون وقيل انه كان يسبح في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون اي لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة قوله تعالى فنبذناه اي طرحناه
انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد مخلوقة لله تعالى بالعراء
اي بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل وهو سقيم اي عليل كالفرخ الممعط وقيل
كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام
وقيل عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا عليه شجرة من يقطين يعني
القرع وقيل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل
انبتها الله له ولم تكن قبل ذلك وكانت معرشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة وهي ان
الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الارض لم يمكن
ان يستظل بها وقيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد
لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن
حزنا شديدا وجعل يبكي فارسل الله اليه جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف من امتك
قد اسلموا وتابوا وارسلناه الى مائة الف قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان
يصيبه ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه الى مائة الف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع اليهم
ثانيا وقيل كان ارساله بعد خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم اخرين
غير القوم الاولين او يزيدون قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل او
على اصلها والمعنى او يزيدون في تقدير الرائي اذا راهم قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على ذلك فالشك
على تقدير المخلوقين والاصح هو قول ابن عباس الاول واما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا
يعضده ما روي عن ابي بن كعب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وارسلناه الى مائة الف
او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين
الفا وقيل سبعين الفا فآمنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب فمتعناهم
الى حين اي الى انقضاء اجالهم قوله عز وجل فاستفتهم اي فسل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ
الربك البنات ولهم البنون وذلك انهم جهينة وبني سلمة وعبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى
جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه

المخلوق

المخلوق فكيف ينسبونه للخالق ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون خلقنا اياهم
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله اي في زعمهم وانهم لكاذبون اي فيما زعموا اصطفى البنات
اي في زعمكم على البنين وهو استفهام توبيخ وتقريع ما لكم كيف تحكمون اي بالبنات لله ولكم البنين
افلا تذكرون اي افلا تتعظون ام لكم سلطان مبين اي برهان بين على ان لله ولدا فاتوا بكتابكم الذي
لكم فيه حجة ان كنتم صادقين اي في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قيل اراد بالجنة الملائكة
سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا
هم بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا
الشياطين في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من الله والشر من الشيطان
ولقد علمت الجنة انهم يعني قائلي هذا القول لمحضرون اي في النار سبحان الله عما يصفون نزه
نفسه عما يقولون الا عباد الله المخلصين هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون فانكم
يعني يا اهل مكة وما تعبدون اي من الاصنام ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين
اي بمضلين احدا الا من هو صال الجحيم اي الا من سبق له في علم الله الشقاوة انه سيدخل النار
قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة وما منا الا له مقام معلوم يعني ان جبريل قال للنبي صلى
الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس
ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي وهو طرف من حديث قيل الاطيط اصوات الاقتاب
وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السموات من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا
مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة
وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا وانا لنحن الصافون يعني
الملائكة صفوا اقدامهم في عبادة الله كصفوف الناس في الصلاة في الارض وانا لنحن المسبحون اي
المصلون لله وقيل المنزهون الله عن كل سوء يخبر جبريل صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح
وانهم ليسوا المعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل وان كانوا ليقولون يعني كفار اهل مكة
قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو ان عندنا ذكرا من الاولين يعني كتابا مثل كتاب الاولين
لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله فكفروا به اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به فسوف
يعلمون فيه تهديد لهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني بتقدم وعدنا لعبادنا
المرسلين بنصرهم انهم لهم المنصورون اي بالحجة البالغة وان جندنا اي حزبنا المؤمنين
لهم الغالبون اي لهم النصر في العاقبة فتول اي اعرض عنهم حتى حين قال ابن عباس يعني الموت
وقيل الى يوم بدر وقيل حتى امرك بالقتال وهذه الاية منسوخة باية القتال وقيل الى ان ياتيهم
العذاب وابصرهم اي اذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون ما انكروا فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب
قال الله عز وجل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم اي بحضرتهم وقيل بفنائهم
فساء صباح المنذرين اي فبئس صباح الكافرين الذين انذروا بالعذاب ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا

مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيداً للوعد بالعذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى حين وقيل المراد من الآية الأولى احوالهم
في الدنيا وهذه ذكر احوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار وأبصر اي العذاب اذا نزل بهم فسوف يبصرون ثم
نزه نفسه فقال تعالى سبحان ربك رب العزة اي الغلبة والقوة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع
الحوادث عما يصفون اي عن اتخاذ الشركاء والاولاد وسلام على المرسلين اي الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع
لان اعلى مراتب البشر ان يكون كاملاً في نفسه مكملاً لغيره وهم الانبياء عليهم فلا جرم يجب على كل احد الاقتداء
بهم والاهتداء بهداهم والحمد لله رب العالمين اي على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم
المؤمنين ان يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن ابي طالب قال من احب ان يكتال
بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم

تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود عليه السلام

وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبع وستون حرفاً
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص قيل هو قسم وقيل
اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق
الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ذي الذكر قال ابن عباس اي ذي البيان
وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله بالقرآن ان محمداً
لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما يقول الكفار دل على هذا
المحذوف قوله تعالى بل الذين كفروا وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره
بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وجوابه
قيل م
ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا
الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية ان الله تعالى اقسم بصاد
والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من اهل مكة في عزة اي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اي
خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الامم الخالية فنادوا
اي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ولات حين مناص اي ليس حين فرار وتأخر قال ابن عباس
كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطربوا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما
نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى ولات حين مناص اي ليس حين هذا القول
وعجبوا يعني كفار مكة ان جاءهم منذر منهم يعني رسولاً من انفسهم ينذرهم وقال الكافرون
هذا ساحر كذاب قوله عز وجل أجعل الآلهة الهاً واحداً وذلك ان عمر بن الخطاب اسلم فشق
ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف
وكانوا خمسة وعشرين رجلاً اكبرهم سناً الوليد بن المغيرة امشوا الى ابي طالب فاتوا ابا طالب وقالوا انت
شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل
اليه ابو طالب فدعاه فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل
الميل على قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألون قالوا ارفضنا ذكر آلهتنا وندعك
والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل

لله

لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من
ذلك وقالوا اجعل الآلهة الهاً واحداً كيف يسع الخلق اله واحد ان هذا لشيء عجاب
اي عجيب وانطلق الملأ منهم اي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب ان امشوا اي يقول بعضهم
لبعض امشوا واصبروا على آلهتكم اي اثبتوا على عبادة آلهتكم ان هذا لشيء يراد اي لامر يراد بنا
وذلك ان عمر لما اسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا هذا الذي نراه من زيادة اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا
ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد في الملة الآخرة قال ابن عباس يعنون
النصرانية لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي
دينهم الذي هم عليه ان هذا الا اختلاق اي كذب وافتعال أانزل عليه الذكر اي القرآن
من بيننا اي يقول اهل مكة ليس هو باكبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى بل هم في شك من ذكري اي
وحيي وما انزلت بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول ام عندهم خزائن
رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا العزيز اي في ملكه الوهاب اي وهب النبوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ليس لهم ذلك فليرتقوا في
الاسباب يعني ان ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء وليأتوا
منها بالوحي الى من يختارونه وقيل اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء
وهذا امر توبيخ وتعجيز جند ما هنالك اي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك مهزوم اي
مغلوب من الاحزاب يعني ان قريشاً من جملة الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا
واهلكوا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر
وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال الله عز وجل معزياً لنبيه صلى الله عليه وسلم كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك
الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل
ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون
ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الاجناد اوتاداً لكثرة المضارب التي يضربونها ويوتدونها
كانوا
في اسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب
على احد مده مستلقياً بين اربعة اوتاد ويشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت
وقيل يرسل عليه الحيات والعقارب وقيل كان له اوتاد وارسان وملاعب يلعب
عليها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب اي الذين تحزبوا على
الانبياء فاعلم الله ان مشركي قريش حزب من اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل
فحق عقاب يعني ان اولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا انبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف
حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف لمن وما ينظر اي ينتظر هؤلاء
يعني كفار مكة الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم
اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول

وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استهزاءً بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا
والقط الصحيفة التي احصت كل شيء قيل لما نزلت في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي
كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقيل قطنا حسابنا يقال
لكتاب الحساب قط وقيل القط الكتاب بالجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما
يقولون اي على ما يقول الكفار من تكذيبك ه واذكر عبدنا داود ذا الايد قال ابن عباس اي
القوة في العبادة ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
احب الصيام الى الله صيام داود واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذو القوة في الملك ه
انه اواب اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله وقيل مسبح
بلغة الحبش ه انا سخرنا الجبال معه يسبحن اي يسبحن اذا سبح بالعشي والاشراق اي غدوة
وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسر ابن عباس بصلاة الضحى روى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي قال كنت امر بهذه الاية لا ادري ما هي
حتى حدثتني ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ
ثم صلى الضحى فقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق قلت والدليل على صلاة الضحى في الصحيحين من حديث
ام هانئ في صلاة الضحى قالت ام هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل
وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت انا ام هانئ بنت ابي طالب فقال مرحبا
بام هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا في ثوب قالت ام هانئ وذلك ضحى
ولهما عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ما حدثنا احد انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير ام هانئ
فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة
قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود قوله تعالى والطير اي وسخرنا له الطير محشورة
اي مجموعة اليه تسبح معه ه وشددنا ملكه اي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان
اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وروي عن ابن عباس
ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود فقال ان هذا غصبني بقرا
فسأله داود فجحد فسأل الاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما
فاوحى الله الى داود في منامه ان يقتل الذي استعدي عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل عليه
حتى اتثبت فاوحى اليه مرة اخرى فلم يفعل فاوحى اليه الثالثة ان يقتله او تاتيه العقوبة فارسل
داود اليه فقال ان الله اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن
امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني
كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند
ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه واتيناه الحكمة يعني النبوة والاصابة في الامور وفصل
الخطاب قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والبصر بالقضاء وقال علي بن ابي طالب هو
ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال ابي بن كعب فصل
الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد اذا اراد الشروع

في كلام

اي قد اتاك يا محمد

في كلام اخر واول من قاله داود عليه السلام قوله عز وجل وهل اتاك نبأ الخصم اي خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك
وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء يقع
على الواحد والجمع ه اذ تسوروا المحراب اي صعدوا وعلوا المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل
فيه بالطاعة والعبادة والمعنى انهم اتوه المحراب من سوره وهو اعلاه ه وفي الاية قصة امتحان داود عليه السلام
ولاختلاف العلماء والاخبار باخبار الانبياء في سبب ذلك وسانذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة
داود عليه السلام عما لا يليق بمنصبه لان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها
الا ما يليق بها فاما ما قاله المفسرون ان داود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة ابائه ابراهيم واسحق
ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم
لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم فضل ابراهيم واسحق ويعقوب
فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به اباي الذين كانوا قبلي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل
بها فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلي اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب
بالحزن على يوسف فقال داود يا رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله اليه انك مبتلى
في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل
يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من
كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده لياخذها
ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه
من نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها
فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها له فابصر امراة في بستان على شط
بركة تغتسل وقيل راها تغتسل على سطح لها فراى امراة من اجمل النساء خلقا فعجب داود
من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا
بها فسال عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امراة اوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء
مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ان يبعث اوريا الى موضع
كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح
الله على يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى
عدو كذا وكذا وابعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا
اشد منه فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المراة تزوجها داود
فهي ام سليمان عليه السلام وقيل ان داود احب ان يقتل اوريا وينكح امراته فهذا كان
ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امراته وقيل
كان ذلك مباحا لهم غير ان الله تعالى لم يرض لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا وازدياد من النساء وقد
اغناه الله عنها بما اعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان قد جزأ الدهر
اجزاء يوما للنساء ويوما للعبادة ويوما بين بني اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ليبكيه
ويوما للعبادة ويوما ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل ياتي على الانسان
يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود

في نفسه انه ان ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على التوراة
قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث
الله الملكين اليه وقيل ان داود ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون
معه فلما استأنس بهم قال اخبروني باي شيء انتم موكلون قالوا نكتب صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السوء
فقال في نفسه ليت شعري كيف اكون لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله الى الملكين ان
يعتزلاه ليعلم انه لا غنى به عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد غلب
نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل قال داود
لبني اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل انه اعجبه عمله فابتلي فبعث الله اليه ملكين في صورة
رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر الا وهما
بين يديه جالسين وهو يصلي قيل كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا
المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما ما ادخلكما
علي قالوا لا تخف خصمان اي نحن خصمان بغى بعضنا على بعض اي تعدى وخرج عن الحد جئناك
لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغي منهما والملائكة لا يبغي بعضهم
على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما والمعنى رأيت خصمين بغى
احدهما على الآخر فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في حكمك واهدنا الى سواء الصراط اي
ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي
لا من جهة النسب له تسع وتسعون نعجة يعني امرأة ولي نعجة واحدة اي امرأة واحدة والعرب
تكني بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي
فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقيل معناه انزل لي عنها وضمها الي واجعلني كافلها
والمعنى طلقها لاتزوجها وعزني في الخطاب يعني غلبني وقهرني في القول لانه افصح مني في الكلام وان
حارب كان ابطش مني لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له علي لضعفي في يده وان كان الحق معي
وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة
ولاوريا واحدة فضمها داود الى نسائه قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه اي ليضمها
الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان
الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول وان كثيرا من الخلطاء
اي الشركاء ليبغي بعضهم على بعض اي يظلم بعضهم بعضا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم اي هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون
قليل قال فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السماء فعلم داود ان الله
ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن داود اي ايقن وعلم انما فتناه اي ابتليناه وامتحناه
وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما وعرجا وهما
يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عني به وروى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المرأة فاهم قطع على
بني اسرائيل فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت

في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش
فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا
حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود
زلة ابعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلوف
من بعده فجاءه جبريل من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الرب قادر على ان يغفر لك الهم الذي
هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمي الذي عند
داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود
ما شاء الله ثم نزل جبريل فقال سألت الله يا داود عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما
يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك في الجنة ما شئت وما
اشتهيت عوضا فهذه اقاويل السلف من اهل التفسير في قصة امتحان داود فصل في تنزيه
داود عليه السلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم ان من خصه الله بنبوته واكرمه برسالته وشرفه
على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه ما لو
نسب الى آحاد الناس لاستنكف منه او تحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة
الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث
ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضي عياض لا يجب ان
يلتفت الى ما سطره الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم
ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه في قصة داود وظن داود انما
فتناه وليس في قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان
يعول عليه من امر داود وقال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير
حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود هذا وقال غيره ان
الله تعالى اثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من
القصة فكيف يتوهم عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه
العقلاء ولقالوا انت في مدح شخص كيف تجري ذمه في اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا
في كلامه العزيز فان قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله واناب وقوله
فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الآية ما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات
واعلاها فيطالبون باكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم
الله على ذلك وغفر لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال
فما معنى الامتحان في الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة الى ان داود
عليه السلام ما زاد ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه
وانكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون امرأة اوريا له فاتفق غزو اوريا وهلاكه
في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله
على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك
المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله على ذلك

قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود

واكرمه

السعي

حيث لم نترك هذه الوحدة في طلبها وعنده تسع وتسعون امراة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب
فدل هذا على ان الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج اوريا لها فعوتب داود بشيئين احدهما
خطبته على خطبة اخيه والثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذي
استغفر منه ليس هو بسبب اوريا والمراة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام
الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى
فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت لهذه الوجوه نزاهة
داود صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه والله اعلم قوله عز وجل فاستغفر ربه اي سال ربه الغفران وخر
راكعا اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعد
ما كان راكعا **فصل** اختلف العلماء في سجدة ص هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي الى انها
ليست من عزائم سجود التلاوة وقال انها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هي من عزائم
سجود التلاوة واستدل لهذه الامة على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة وعن احمد في سجدة
ص روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من
عزائم السجود وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ قال مجاهد قلت لابن عباس اسجد في ص فقرا ومن
ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن امر ان يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها
داود توبة فنسجدها شكرا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوما اخر
قراها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم
فنزل وسجد وسجدوا اخرجه ابو داود قوله تشزن الناس يعني تاهبوا وتهيؤا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رايتني الليلة وانا نائم كاني اصلي خلف شجرة
فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط بها عني وزرا واجعلها
لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال المفسرون
سجد داود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام اربعين
يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو ينادي ربه عز وجل ويساله التوبة
وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان
الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته اذ نزلت بي
سبحان خالق النور الهي انت خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق النور الهي
الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك
يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزول
اقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهي من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور
الهي انا لا اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي انا لا اطيق صوت رعدك فكيف
اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وانت تشاهدهم حيث

كانوا

كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي ولا
تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق النور الهي اعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان
خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان
خالق النور قيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى
غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم اظمآن انت فتسقى اعار انت فتكسى امظلوم انت فتنصر
فاجيب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئته بشيء فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب فاحترق
من حر جوفه ثم انزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاه نداء اني قد غفرت لك قال يا رب
كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود
وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا اوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا
داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال اسالك ان تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي
قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى الله اليه يا داود الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي
بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امراته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي فقال
انا داود فقال يا نبي الله اليس قد عفوت عنك قال نعم وانما فعلت ذلك بك لمكان امراتك وقد تزوجتها قال فسكت
ولم يجبه ودعاه مرة اخرى فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على راسه ثم نادى
الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود اذا نصبت الموازين بالقسط سبحان
خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يؤخذ بذقنه فيدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود
ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء
يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبي
لم يعف عني قال يا داود اعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه فاقول له رض عبدي
فيقول يا رب من اين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال
يا رب الان قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا واناب اي رجع
فغفرنا له ذلك اي الذنب وان له عندنا لزلفى اي يوم القيامة بعد المغفرة لزلفى اي لقربى ومكانة وحسن
مآب اي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته
ثلاثين سنة لا يرقى دمعه ليلا ولا نهارا وكان قد اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد
الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي و
السواحل ويوم يخلو في دار له فيها اربعة الاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم
على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته ويبكي ويبكي
معه الشجر بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل
الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى
يسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي فيبكي معه الحيتان ودواب
البحر وطير الماء فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح
داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش
من مسوح حشوها الليف فيجلس عليها ويجيء اربعة الاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون

داوده

في تلك الليالي ديب ثم يرفع صوته بالبكا والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجي ابنه سليمان فيحمله وياخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكا داود ببكا اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود كالقربتين ينطفان ما ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الما في الارض وقال وهب لما تاب الله على داود قال يا رب غفرت لي خطيئتي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخاطيين الى يوم القيمة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكا اذا راها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدا اذا دعا استغفر للخاطيين قبل نفسه وعن الحسن كان داود بعد الخطية لا يجالس الا الخاطيين يقول تعالوا الى داود الخاطي ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته فلا يزال يبكي عليه حتى تبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا اكل الخاطيين قال وكان داود قبل الخطية يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يسدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراته وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي لتدبر امر الناس بامرنا فاحكم بين الناس بالحق اي بالعدل ولا تتبع الهوى اي لا تمل مع ما تشتهي اذا خالف امر الله فيضلك عن سبيل الله اي عن دين الله وطريقه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بان تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضا قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس لا لثواب ولا عقاب وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشي ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انا خلقناهما لغير شي وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض قيل ان كفار قريش قالوا للمومنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين يعني الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالفجار يعني الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء في الاخرة كتاب انزلناه اليك اي هذا كتاب يعني القران انزلناه اليك مبارك اي كثير خيره ونفعه ليدبروا اياته اي ليتدبروا اياته ويتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر اياته اتباعه في اوامره ونواهيه وليتذكر اي وليتعظ اولوا الالباب اي ذووا العقول والبصاير قوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل ان سليمان غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان العصر الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعماية فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا غربت الشمس وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها ماية فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انها من

الشمس قدم

لنسل تلك الماية فلما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شا وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القايمة على ثلث قوايم واقامت الرابعة على طرف الحافر من رجل او يد وقيل الصافن القايم وجا في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوا مقعده من النار اي قياما الجياد اي الخيار السراع في الجري واحدها جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق فقال اني احببت حب الخير اي اثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه عن ذكر ربي يعني صلاة العصر حتى توارت اي استترت الشمس بالحجاب اي ما يحجبها عن الابصار ويقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورايه ردوها علي اي ردوا الخيل علي فطفق مسحا بالسوق جمع ساق والاعناق اي جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله على عقر الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي انه قال معنى قوله ردوها علي يقول بامر الله للملايكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القران ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرايها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم ان عليه السلام امر باعدايها وجريها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه فكان يمسح ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق عليه لفظ القران ولا يلزمنا شي من تلك المنكرات والمحذورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الاية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ها هنا مقامات المقام الاول ان ندعي ان لفظ الاية لا يدل على شي من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الاية يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس وان الدلايل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبيا ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل ولقد فتنا سليمان اي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد اتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شي في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الما حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واستبا ما فيها واصاب فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها

سهو

الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها حباً لم يحبه شيئاً من نسائه وكانت على منزلتها
عنده لا يذهب حزنها ولا يرقى دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب
والدمع الذي لا يرقى قالت ان ابي اذكره واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد
ابدلك الله به ملكاً هو اعظم من ملكه وسلطاناً هو اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من
ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا
صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشياً لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسليني عن بعض
ما اجد في نفسي فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه
لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثياباً مثل ثيابه التي
كان يلبس ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن له كما كانت
تصنع به في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحاً وبلغ ذلك اصف
ابن برخيا وكان صديقاً وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول شيء من بيوته دخل حاضراً
سليمان او غائباً فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت ان
اقوم مقاماً قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض
ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من
انبياء الله واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك في صغرك
واورعك في صغرك وافضلك في صغرك واحكم امرك في صغرك وابعدك من كل ما يكره الله في صغرك ثم انصرف
فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى ملأ غضباً فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا اصف ذكرت
من مضى من انبياء الله فاثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت
تثني علي خيراً في صغري وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في اخر امري فقال اصف ان
غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحاً في هوى امراة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فانا لله
وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك
الصنم وعاقب تلك المراة وولائدها ثم امر بثياب الطهرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا يمسها
امراة قد رات الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائباً
الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللاً لله وتضرعاً اليه يبكي ويدعو ويستغفر
مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة
كان اذا دخل الخلاء او اراد اصابة امراة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس
خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان
اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً فقال خاتمي يا امينة فناولته اياه فجعله في
يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج
سليمان فاتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من راه فقال يا امينة خاتمي قالت
من انت قال انا سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه
فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على الدور دور بني اسرائيل فيقول انا
سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان

فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا
امسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين صباحاً عدة ما
كان يعبد الوثن في داره ثم ان اصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال
اصف يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايت قالوا نعم فقال امهلوني حتى ادخل على نسائه
فاسالهن هل انكرن في خاصة امره ما انكرنا في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن
من ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون
قال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نبيه عليه السلام قال وهب ثم ان اصف خرج على
بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى اربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر
فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه
سمكتيه فباع احدهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في
يده ووقع لله ساجداً وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعرف ان الذي كان قد دخل عليه لما
كان احدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر فطلبوه حتى اخذوه
فاتي به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر وقيل
في سبب فتنة سليمان ان جرادة كانت اثر نسائه عنده وكان ياتمنها على خاتمه فقالت له يوماً ان اخي
بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وقيل
ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فسقط وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط فايقن سليمان بالفتنة
فاتاه اصف فقال لسليمان انك مفتون بذلك الخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائباً فاني اقوم مقامك
واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله هارباً واعطى اصف الخاتم فوضعه في يده فثبت
فاقام اصف في ملك سليمان بسيرته اربعة عشر يوماً الى ان رد الله على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع
الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروي عن سعيد
ابن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم
تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي
عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله الانبياء من مثل هذا
والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن الا
امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل
الله فرساناً اجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امراة قال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء
والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما
استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ امر الله ومراده
فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال
بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان

نار السيب بمخلة فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ الق ذلك
الولد ميتاً على كرسيه فعاتبه الله تعالى فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب اي
رجع الى ملكه بعد الاربعين يوماً وقيل اناب الى الاستغفار وهو قوله قال رب اغفر لي اي سأل ربه العفو وهب
لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري
انك انت الوهاب ٥ فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر على الحرص والحسد على الدنيا
قلت لم يقل ذلك حرصاً على طلب الدنيا ولا نفاسة فيها ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان
مرة اخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علماً واية
لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودالة على قبول توبته حيث اجاب الله دعاءه ورد ملكه اليه وزاده
فيه وقيل كان سليمان ملكاً ولكنه احب ان تخص بخاصية كما خص داود بلانه الحديد وعيسى باحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيئاً يختص به كما ورد في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه
الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكاً لا ينبغي
لاحد من بعدي فرددته خاسئاً قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة ليست بعاصفة
حيث اصاب اي حيث اراده والشياطين اي وسخرنا له الشياطين وهم مردة الشياطين ٥ مقرنين في الاصفاد
اي مشدودين في القيود سخرنا له حتى قرنهم في الاصفاد ٥ هذا عطاؤنا اي وقلنا له هذا عطاؤنا
فامنن اي احسن الى من شئت او امسك اي عمن شئت ٥ بغير حساب اي لا حرج عليك فيما اعطيت
ولا فيما امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم
يعط لم يكن عليه تبعة وقيل هذا في امر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت
منهم فخل عنه وامسك اي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما
تتعاطاه ٥ وان له عندنا لزلفى وحسن مآب لما ذكر الله ما انعم به عليه في الدنيا اتبعه بما انعم
عليه في الآخرة قوله عز وجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
اي بمشقة وعذاب اي ضر وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة ايوب ٥ اركض يعني انه لما
تمت الاية قيل له اركض اي اضرب برجلك يعني الارض ففعل فنبعت عين ماء ٥ هذا مغتسل
بارد فامره الله ان يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة
فركض برجله الارض مرة اخرى فنبعت عين ماء عذب اخرى فشرب منه فذهب كل داء كان
في باطنه فذلك قوله وشراب ٥ ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا اي انما فعلنا ذلك معه على
سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم ٥ وذكرى لاولي الالباب يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم
ازلنا عنه البلاء وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر ٥ وخذ بيدك
ضغثاً اي ملء كفك من حشيش او عيدان او ريحان ٥ فاضرب به ولا تحنث وكان قد حلف
ان يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه في حال ضره فافتاه وسهل له الامر وامره
بان يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ذلك ولم يحنث في
يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء ابن ابي رباح والثاني
انه خاص لايوب فالذي هو اخلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه

اخرين

وقرناء في الاصفاد

لنضربه واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه واحدة
فاصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الاية ٥ انا وجدناه صابراً اي على البلاء الذي ابتليناه
به نعم العبد انه اواب قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اي اذكر صبرهم فابراهيم القي في
النار فصبر واسحق ذهب بصره فصبر واضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر
اولي الايدي قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله ٥ والابصار اي في المعرفة بالله وقيل باليد اكثر
الاعمال وبالبصر اقوى الادراكات فعبر عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عاملية
وعالمية فاشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى واشرف ما يصدر عن القوة العاملية
طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدي والابصار ٥ انا اخلصناهم اي اصطفيناهم وجعلناهم
لنا خالصين ٥ بخالصة ذكرى الدار وقيل معناه اخلصناهم بذكر الآخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل
نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل اخلصوا
بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل اخلصناهم بافضل ما في الآخرة ٥ وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار ٥
واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل اي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم ٥ وكل من الاخيار
قوله عز وجل هذا ذكر اي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به ٥ وان
للمتقين لحسن مآب اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الآخرة ثم ذكر ذلك
فقال جنات عدن مفتحة لهم الابواب قيل تفتح ابوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالامر يقال لها
انفتحي انغلقي ٥ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ٥ وعندهم قاصرات الطرف اتراب
اي مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متواخيات لا يتباغضن
ولا يتغايرن ولا يتحاسدن ٥ هذا ما توعدون ليوم الحساب اي قل للمؤمنين هذا ما توعدون
وقيل هذا ما يوعدون ٥ ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اي دائم ما له من فناء
وانقطاع بل هو دائم كلما اخذ منه شيء عاد مثله في مكانه قوله تعالى هذا اي الامر الذي ذكرناه
وان للطاغين يعني للكافرين ٥ لشر مآب يعني لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم
يصلونها اي يدخلونها ٥ فبئس المهاد اي الفراش ٥ هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا
حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو
ما يسيل من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق
عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه ٥ وآخر من شكله اي
مثل الحميم والغساق ازواج اي اصناف اخر من العذاب ٥ هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس
هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة
الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها
بانفسهم خوفاً من تلك المقامع قالت القادة ٥ لا مرحباً بهم اي بالاتباع ٥ انهم صالوا النار
اي داخلوها كما صليناها نحن ٥ قالوا اي الاتباع للقادة بل انتم لا مرحباً بكم اي لا رحبت بكم الارض
والعرب تقول مرحباً واهلاً وسهلاً اي اتيت رحباً وسعة ٥ انتم قدمتموه لنا تقول الاتباع للقادة
انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم لنا وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر

يعني

فبئس القرار فبئس دار القرار جهنم ﴿قالوا﴾ يعني الأتباع ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ أي شرعه وسنه لنا ﴿فزده
عذابا ضعفا في النار﴾ أي ضعّف عليه العذاب في النار قال ابن مسعود حيات وأفاعي ﴿وقالوا﴾ يعني
كفار قريش وصناديدها وأشرافها وهم في النار ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم﴾ أي في الدنيا ﴿من الأشرار﴾
يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وإنما سموهم أشرارا لأنهم كانوا على خلاف
دينهم ﴿أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار﴾ يعني أن الكفار إذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها
الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها
فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أهم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل
معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا ﴿إن ذلك﴾
أي الذي ذكرت ﴿لحق﴾ ثم بين ذلك فقال تعالى ﴿تخاصم أهل النار﴾ أي في النار وإنما سماه تخاصما لأن
قول القادة للأتباع لا مرحبا بهم وقول الأتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل
﴿قل﴾ أي قل يا محمد لمشركي ﴿إنما أنا منذر﴾ أي مخوف ﴿وما من إله إلا الله الواحد﴾ يعني الذي لا شريك له في ملكه ﴿
القهار﴾ أي الغالب وفيه إشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى ﴿رب
السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ فكونه ربا يشعر بالتربية والإحسان والكرم والجود وكونه غفارا
يشعر بأنه يغفر الذنوب وإن عظمت ويرحم ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة ﴿
أنتم عنه معرضون﴾ أي لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وأن ما جئت به لم أعلمه إلا بوحي من الله تعالى ﴿
ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ يعني الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ يعني في شأن آدم حين قال الله إني جاعل في
الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فإن قلت كيف يجوز أن يقال إن
الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله لا تليق ولا
تمكن قلت لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو على الجواز
المجاز فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه ﴿إن يوحى إلي﴾ أي إنما علمت هذه المخاصمة بوحي
من الله تعالى إلي ﴿إلا أنما أنا نذير مبين﴾ يعني إلا أنما أنا نبي أنذركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ربي في أحسن صورة قال أحسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم
يختصم الملأ الأعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما
في السماوات وما في الأرض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت نعم في الكفارات والمكث
في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإبلاغ الوضوء في المكاره ومن فعل ذلك عاش
بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل اللهم إني أسألك فعل
الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون قال
والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت
لبيك وسعديك في المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب فصل في الكلام على معنى هذا الحديث وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله
من أحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف إمرارها كما جاءت من غير تكييف
ولا تشبيه ولا تعطيل والإيمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد
بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب الثاني وهو تأويل الحديث وقبل

الكلام

الكلام على معنى الحديث نتكلم على إسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في إسناده فرواه
زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد بن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن
بن عايش الحضرمي عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف
العمي عن يحيى بن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل
فيه غير ذلك ورواه أبو أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال في المنام ورواه
قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس قال البيهقي وعبد الرحمن بن عايش
الحضرمي له حديث واحد إلا أنهم يختلفون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من أوجه
كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف
وفيها ما يدل على أن ذلك كان في المنام فإن ثبت فتأويله فإن الصورة هي التركيب والمصور هو
هو المركب ولا يجوز أن يكون الباري تعالى مصورا ولا أن يكون له صورة لأن الصور مختلفة والهيئات
متضادة ولا يجوز إضافة ذلك إليه فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق الباري المصور فقوله
أتاني ربي في أحسن صورة كأنه زاده كمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفنا أن الله
تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وإنما التغيير وقع بعده لشدة الوحي وثقله
الوجه الثاني أن الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك إلى الله تعالى والمعنى أنه رآه في أحسن
صفاته من الإنعام عليه والإقبال والاتصال إليه وأنه تلقاه بالإكرام والإعظام والإجلال
وقد يقال في صفات الله تعالى أنه جميل ومعناه أنه مجمل في أفعاله وذلك نوع من الإحسان
والإكرام فذلك حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع إلى صفاته
العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعزة والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية
وراءه ويكون معنى الحديث على هذا أنه عرفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند
رؤيته ربه عز وجل فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وجلاله وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه
عن صفات النقص وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده
بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله أن المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك
شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الإخبار بإكرام الله إياه وإنعامه عليه بأن
شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور
قلبه وشرح صدره فعلم ما في السماوات وما في الأرض بإعلام الله إياه فأما أمره إذا أراد شيئا
أن يقول له كن فيكون إذ لا يجوز ذلك على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو
نقص وهذا هو الذي تنزهه وحمل الحديث عليه وإذا حملنا الحديث على المنام وأن ذلك كان
في المنام فقد زال الإشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا إلى التأويل لأن رؤية الباري
عز وجل في المنام على الصفة الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب
اختصام الملأ الأعلى وهم الملائكة في الكفارات وفي الخصال المذكورة في الحديث
في أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لأنها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من

باب تسمية الشيء باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة
فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله اعلم قوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا
من طين يعني آدم فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت فيه من روحي اضاف الروح الى نفسه اضافة
ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسي يسري في الابدان الانسانية
كسريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
استكبر اي تعظم وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي توليت خلقه
استكبرت اي تعظمت بنفسك عن السجود له ام كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت
عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله انا خير منه يعني لو كنت مثله وبالله في الشرف لكان يقبح ان
اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين
وافضل منه واخطأ ابليس في القياس لان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين اصل كل ما هو نام
نابت كالانسان والشجر المثمر ومعلوم ان الانسان والشجر المثمر خير من الرماد وافضل وقيل هب ان
النار خير من الطين في خاصيته فالطين خير منها وافضل بخواص وذلك مثل شريف نسيب لكنه عار عن
كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون
افضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة قال فاخرج منها اي من الجنة وقيل من السماء وقيل
من الخلقة التي كان فيها وذلك ان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه
ونورانيته فانك رجيم اي مطرود وان عليك لعنتي الى يوم الدين فان قلت اذا كان الرجيم
بمعنى المطرود كذلك اللعنة لزم التكرار فالفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من
الجنة او السماء ويحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فيكون ابلغ ويحصل الفرق وزال التكرار
فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم الدين
قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة انواع
من العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني النفخة الاولى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول اي انا اقول الحق وقيل الاول قسم اي فبالحق
وهو الله اقسم بنفسه لاملأن جهنم منك اي بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم اجمعين
يعني من بني آدم قل ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين
اي المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له ق عن
مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم
فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما
اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين لفظ البخاري ان هو يعني القرآن الا ذكر اي موعظة
للعالمين اي للخلق اجمعين ولتعلمن يعني انتم يا اهل مكة نبأه اي خبر صدقه بعد حين قال
ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علم
بعد الموت قال الحسن ابن آدم يأتيك الخبر اليقين والله اعلم

تفسير سورة الزمر

نزلت بمكة الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله الله نزل احسن الحديث وقيل يا عبادي
الذين آمنوا اتقوا ربكم عوض قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من
قوله يا عبادي الذين اسرفوا الى قوله لا تشعرون وهي ثمان وقيل خمس وسبعون آية والف ومائة
واثنتان وسبعون كلمة واربعة آلاف وسبعمائة وثمانية احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

تنزيل الكتاب اي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق اي لم ننزله باطلا لغير شيء فاعبد الله مخلصا له الدين اي الطاعة الا لله الدين
الخالص اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص
من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان راس العبادات الاخلاص في التوحيد
واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله اولياء يعني
الاصنام ما نعبدهم اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده ان
الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين ان الله لا يهدي اي لا يرشد لدينه من هو كاذب
اي قال ان الالهة تشفع له كفار اي باتخاذه الالهة دون الله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
اي لاختار مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها له عن ذلك
وعما لا يليق بطهارة قدسه هو الله الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار اي
الغالب الكامل القدرة قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل يعني يغشى هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الآخر وقيل ينقص احدهما
ويزيد في الآخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في النهار وما
نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة
ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما على الآخر وذلك بتقدير قادر
عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الى يوم القيامة الا هو العزيز
الغفار معناه ان خلق هذه الاشياء وان دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة
مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني آدم ثم جعل منها
زوجها يعني حواء ولما ذكر دلائل قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم
اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يعني
الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال
وجوه وقيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات
لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذي يعيش به الانعام وقيل
ان اصول هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم انزلت الى الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر
الله تعالى اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان
والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل
ولشرف الانسان على سائر الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث

قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن
ذلكم الله ربكم أي الذي خلق هذه الأشياء ربكم له الملك أي لا لغيره لا إله إلا هو أي لا خالق لهذا الخلق
ولا معبود لهم إلا الله فأنى تصرفون أي عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل إن تكفروا فإن
الله غني عنكم يعني أنه تعالى ما كلف المكلفين ليجر إلى نفسه نفعا أو ليدفع عن نفسه ضررا وذلك لأنه
تعالى غني على الإطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولأنه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصا
والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أن جميع العالمين لو كفروا وأصروا عليه فإن الله غني
عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر يعني أنه تعالى وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفر إلا أنه لا
يرضى لعباده بالكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى إن عبادي
ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها
عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية
لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وإن كان بإرادته لأن الرضى
عبارة عن مدح الشيء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه إلا ما أراد
وقد لا يرضى به والمدح عليه فقد بان الفرق بين الإرادة والرضى وإن تشكروا أي تؤمنوا بربكم وتطيعوه
يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى تقدم بيانه ثم إلى ربكم مرجعكم أي في الآخرة فينبئكم
بما كنتم تعملون أي في الدنيا إنه عليم بذات الصدور أي بما في القلوب قوله تعالى وإذا مس الإنسان
ضر أي شدة وبلاء دعا ربه منيبا إليه أي راجعا إليه مستغيثا به ثم إذا خوله نعمة منه نسي أي ترك
ما كان يدعو إليه من قبل معناه نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه وجعل لله أندادا يعني
الأصنام ليضل عن سبيله أي ليرد عن دين الله قل أي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا أي
في الدنيا إلى انقضاء أجلك إنك من أصحاب النار قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة
المخزومي وقيل هو عام في كل كافر أمن هو قانت آناء الليل قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت
وقيل مجازه الذي جعل لله أندادا خير أم من هو قانت وقيل معنى الآية تمتع بكفرك إنك من أصحاب
النار يا من هو قانت إنك من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في أبي بكر وعمر وعن ابن عمر أنها نزلت في
عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة
وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه آناء الليل أي
ساعات الليل أوله وأوسطه وآخره ساجدا وقائما أي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح
قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه وذلك لأن الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولأن ظلمة
الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر إلى الأشياء وإذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالأحوال الخارجية
رجع إلى المطلوب الأصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لأن الليل وقت
النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر يحذر الآخرة أي عذاب
الآخرة ويرجو رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهي أنه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة
فلم يضف الحذر إلى نفسه وقال في مقام الرجاء يرجو رحمة ربه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل
وأولى أن ينسب إلى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم

أي أعطاه

دخل

دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وإني أخاف ذنوبي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو
منه وأمنه مما يخاف أخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون أي ما وعد الله من الثواب
والعقاب والذين لا يعلمون أي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار وأصحابه والذين لا يعلمون
أبو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الآية بالعمل وختمها بالعلم لأن العمل من باب المجاهدات والعلم
من باب المكاشفات وهو النهاية فإذا حصلا للإنسان دل ذلك على كمال فضله إنما يتذكر أولوا
الألباب قوله تعالى قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم أي بطاعته واجتناب معاصيه للذين
أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني أحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل يعني الصحة
والعافية في هذه الدنيا وأرض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث
على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلده فليهرب منه وقيل
نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل
بهم من البلاء وصبروا وهاجروا إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال علي بن أبي طالب
كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فإنه يحثى لهم حثيا وروي أنه يؤتى بأهل
البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية
في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قوله عز وجل قل إني
أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أي مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا وأمرت لأن أكون أول المسلمين
أي من هذه الأمة وقيل أمر أولا بالإخلاص وهو من عمل القلب ثم أمر ثانيا بعمل الجوارح ولأن شرائع
الله لا تستفاد إلا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيه وإنما خص
الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره قل إني أخاف
إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي
أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله هذه الآيات ومعنى الآية زجر
الغير عن المعاصي لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته إذا كان خائفا حذرا
من المعاصي فغيره أولى بذلك قل الله أعبد مخلصا له ديني فإن قلت ما معنى التكرار في قوله قل
أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرار
لأن الأول الإخبار بأنه مأمور من جهة الله بالإتيان بالعبادة والإخلاص والثاني أنه أخبار
بأنه أمر أن يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لأن قوله أمرت
أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا
سواه ثم أتبعه بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس بأمر بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ
ثم بين كمال الزجر بقوله قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يعني أزواجهم وخدمهم
يوم القيامة قال ابن عباس وذلك أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله
كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة
الله فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين
أهله ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار أي أطباق وسرادقات ومن تحتهم ظلل أي

هزام

فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمي
ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر الثاني ان الذي تحته من
النار يكون ظلة لاخر تحته في النار لان النار دركات الثالث ان الظلة التحتانية اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية
في الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ اي المومنين لانهم اذا سمعوا
حال الكفار في الاخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله وهو قوله ﴿يا عبادي فاتقون﴾ اي فخافون قوله تعالى
﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ يعني الاوثان ﴿ان يعبدوها وانابوا الى الله﴾ اي الذين رجعوا الى عبادة الله بالكلية
وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ﴿لهم البشرى﴾ اي في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فالثناء عليهم
بصالح اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الاخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف
للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم
البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول﴾ يعني القرآن
﴿فيتبعون احسنه﴾ اي احسن ما يومرون به فيعملوا به وهو ان الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم
وذكر العفو عنه والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزايم والرخص فيتبعون العزايم وقيل يستمعون القرآن
وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لان كله حسن وقال ابن عباس لما اسلم ابو بكر الصديق جاءه عثمان
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزلت
فيهم ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه﴾ وقيل نزلت هذه في ثلثة نفر كانوا في الجاهلية
يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسي ﴿اولئك الذين هداهم الله﴾ اي لعبادته وتوحيده
﴿واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب﴾ قال ابن عباس سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة
قوله لاملان جهنم وقيل قوله هولاء في النار ولا ابالي ﴿افانت تنقذ من في النار﴾ اي لا يقدر عليه قال
ابن عباس يريد ابا لهب وولده ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ اي منازل في
الجنة رفيعة وفوقها منازل هي ارفع منها ﴿تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾ اي
وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا خلف فيه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في
الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم
قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر اي الباقي في الافق اي في
ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى ﴿الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه﴾ اي ادخل ذلك الماء
﴿ينابيع في الارض﴾ اي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل
ما في الارض فمن السماء نزل ﴿ثم يخرج به﴾ اي بالماء ﴿زرعا مختلفا الوانه﴾ اي مثل اصفر واحمر واخضر
وابيض وقيل اصنافه مثل البر والشعير وساير انواع الحبوب ﴿ثم يهيج﴾ اي ييبس ﴿فتراه مصفرا﴾
اي بعد خضرته ونضرته ﴿ثم يجعله حطاما﴾ اي فتاتا متكسرا ﴿ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب﴾ قوله عز وجل
﴿افمن شرح الله صدره للاسلام﴾ اي وسعه للاسلام وقبول الحق كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد ﴿فهو على
نور من ربه﴾ اي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال تلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره
قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي

عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ القسوة جمود وصلابة
تحصل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب من ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انه
كما تلي عليهم ذكر الله الذي يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة
الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر
الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فلذلك القرآن يلين قلوب المومنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين
الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم
الا نزع منهم الرحمة ﴿اولئك في ضلال مبين﴾ قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق وفي ابي بن خلف
وقيل في علي وحمزة وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل قوله عز وجل
﴿الله نزل احسن الحديث﴾ يعني القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والاخر من
جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من
جنس الخطب والرسايل بل نوع يخالف الكل في اسلوبه واما الوجه الثاني وهو كون القرآن من احسن
الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتملا على اخبار الماضين وقصص
الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار ﴿كتابا متشابها﴾ يشبه
بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا ﴿مثاني﴾ اي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر
والنهي والاخبار والاحكام ﴿تقشعر﴾ اي تضطرب وتشمئز ﴿منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ والمعنى تاخذهم
قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود
القلوب اي قلوب الذين يخشون ربهم ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ اي لذكر الله تعالى قيل
اذا ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخايفين لله واذا ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت
جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجا
روي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من
خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال بعض
العارفين السايرون في ميدان جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم اثر من
عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت اولياء الله الذي نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمين
قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من
الشيطان وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر الصديق
كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم
الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ
عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي ان ابن عمر
مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن او سمع ذكر الله سقط
قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا
صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن
فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسط رجليه ثم يقرأ عليهم القرآن من اوله الى
اخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت لها

الباليه

القلوب ثانيا في الرجا قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في
اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة
لينا في جلودهم وقيل ان الكاشعة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات
والخوف للبين مطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الخوف اقشعرت الجلود من ذكر آيات
الوعيد في اول وهلة الى الرجا اطمان اليه القلب ولان الجلد ذلك اي القران الذي هو احسن الحديث هدى الله
يهدي به من يشاء اي هو الذي شرح الله صدره لقبول الهداية ومن يضلل الله اي يجعل قلبه قاسيا منافيا للقبول
الهداية فما له من هاد اي لهديه قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي شدته يوم القيمة قيل يخر على
وجهه في النار وقيل يرمى به في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل
النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يده وعنقه ومعنى
الآية افمن يتقي سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب وقيل للظالمين اي تقول لهم الخزنة ذوقوا اي وباله
ما كنتم تكسبون في الدنيا من المعاصي كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل فاتاهم
العذاب من حيث لا يشعرون اي غافلون آمنون من العذاب فاذاقهم الله الخزي اي العذاب والهوان
في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل
مثل لعلهم يتذكرون اي يتعظون قرانا عربيا اي فصيحا اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته غير ذي
عوج اي منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق وروي
ذلك عن مالك بن انس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران ليس بخالق ولا مخلوق
لعلهم يتقون اي الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة في تقدم التذكر في الآية الاولى على التقوى في هذه الآية
قلت سبب تقدم التذكر ان الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشي واحتاط بمعناه اتقاه
واحترز منه قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون اي متنازعون مختلفون
سيئة اخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف ورجلا سلما لرجل اي خالصا
له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه
شركا بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى فاذا عنت له حاجة
يتدافعونه فهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي رجل آخر مملوك قد سلم
لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعينه على خدمته في حاجاته فاي هذين العبدين احسن
حالا واحمد شانا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي يعبد الله وحده فكان
حال المؤمن الذي يعبد الها واحدا احسن واصلح من حال الكافر الذي يعبد آلهة شتى وهو قوله هل يستويان
مثلا وهذا استفهام انكار اي لا يستويان في الحال والصفة قال تعالى الحمد لله اي لله الحمد كله وحده دون
غيره من المعبودين وقيل انه لما ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق بالدلايل الظاهرة والامثال الباهرة
قال الحمد لله اي على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات بل اكثرهم لا يعلمون اي ان المستحق
للعبادة هو الله وحده لا غيره قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون اي ستموت ويموتون وذلك انهم كانوا يتربصون
برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل
نعى الى نبيه صلى الله عليه وسلم نفسه واليكم انفسكم والمعنى انك واياهم ميتون وان كنتم احيا فانكم في عداد الموتى
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير

قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان
بيننا في الدنيا قال نعم قال ان الامر اذا لشديد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر عشنا
برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قلنا
كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انه فينا نزلت
وعن ابي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما
كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابرهيم قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة
عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله
اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس فينا من لا درهم من
امتي يأتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك
دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما
عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب على الله اي فزعم
ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق اذ جاءه اي بالقران وقيل بالرسالة اليس في جهنم
مثوى اي منزل ومقام للكافرين قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اي والذي صدق به
قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله
ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقران وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله والذي صدق به ابو بكر الصديق وقيل وصدق به المؤمنون
وقيل الذي جاء بالصدق الانبيا وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق اهل القران
وهو الصدق يجيئون به يوم القيمة وقد ادوا حقوقه فهم الذين صدقوا به اولئك هم المتقون اي الذين
اتقوا الشرك لهم ما يشاؤن عند ربهم اي من الجزاء والكرامة ذلك جزاء المحسنين اي في
اقوالهم وافعالهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا اي يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم باحسن
الذي كانوا يعملون اي يجزيهم بمحاسن اعمالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الانبيا عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم
الله شر من عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة الاوثان
وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون ومن يضلل الله فما له من
هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام اي منتقم من اعدائه ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله يعني ان هؤلا المشركين مقرون بوجود الاله
القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة العقل شاهدة بصحة
هذا العلم فان من تامل عجايب السموات والارض وما فيها من انواع الموجودات علم بذلك
انها من ابتداع قادر حكيم ثم امر الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا
قدرة لها على جلب خير ودفع ضر وهو قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام

اي منيع في ملكه

ان ارادني الله بضر اي بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة اي بنعمة وخير وبركة هل
هن ممسكات رحمته فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
قل حسبي الله اي هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه يتوكل المتوكلون اي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم اي اجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم وهو امر تهديد وتقريع اني عامل اي فيما امرت به من
اقامة الدين فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اي انا وانتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم وهو
تهديد وتخويف انا انزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس بالحق اي ليهتدي به كافة الخلق
فمن اهتدى فلنفسه اي يرجع فائدة هدايته عليه وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولا تؤخذ
بهم قيل هذا منسوخ باية القتال قوله تعالى الله يتوفى الانفس اي الارواح حين موتها
اي فيقبضها عند فناء اكلها وانقضاء اجالها وهو موت الاجساد والتي لم تمت في منامها والنفس
التي يتوفاها عند النوم هي التي تكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هي التي تكون بها
الحياة وتفارقه عند الموت وبزوالها يزول الحياة والنفس الاخرى هي التي تكون بها التمييز وهي التي
تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها النفس فيمسك التي قضى عليها الموت اي فلا يردها الى جسدها
ويرسل الاخرى اي ويرد النفس التي لم يقض عليها الموت الى جسدها الى اجل مسمى اي الى ان
يأتي وقت موتها وقيل ان للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن
ابي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم
عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف
ما شاء الله تعالى فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل
ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء مدة اجالها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك
ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت
وبين قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك
الموت هو القابض للروح باذن الله ولملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح
من ساير البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في البعث
وذلك ان توفي النفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك دليل على قدرتنا
حيث لم نغلط في امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها قوله ام اتخذوا من دون
الله شفعاء يعني الاصنام قل يا محمد اولو كانوا يعني الالهة لا يملكون شيئا اي من الشفاعة ولا يعقلون
اي انكم تعبدونهم وانتم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة قل لله الشفاعة جميعا اي لا يشفع احد الا
باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى لانه هو الشفيع على الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن
يشاء من عباده له ملك السموات والارض اي لا ملك لاحد فيهما سواه ثم اليه ترجعون اي
في الاخرة قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن
التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة قيل اذا اشمأز القلب من
عظم غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل الغبرة والظلمة واذا ذكر

الذين

الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون اي يفرحون والاستبشار ان يمتلي القلب سرورا حتى
يظهر على الوجه يعني مقولة عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة وصف نفسه
بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين م عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
قال سألت عائشة بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان
اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم
قوله عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا انه نازل بهم في الاخرة وقيل
ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا
عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا وروي ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك
فقال اخشى ان يبدو لي ما لم احتسب وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك
وظلم اولياء الله وحاق بهم اي نزل بهم ما كانوا به يستهزءون فاذا مس الانسان ضر اي شدة
دعانا ثم اذا خولناه اي اعطيناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اي من الله اني له اهل وقيل
على خير علمه الله عندي بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من الله وامتحان وبلية ولكن اكثرهم
لا يعلمون يعني انه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندي
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما اغنى الكفر من العذاب شيئا فاصابهم سيئات ما كسبوا
اي جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما
كسبوا وما هم بمعجزين اي بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر اي يقتر ويضيق على من يشاء ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قوله تعالى قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله روي عن ابن عباس في سبب نزول
هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملناه كفارة فنزلت والذين
لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله شركهم ايمانا وزناهم
احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائي وعن ابن عباس
ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني
الى دينك وانت تزعم انه من قتل او اشرك او زنى يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت
ذلك كله فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد فلعلي لا اقدر
عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي
اراني بعد في شبهة فلا ادري يغفر لي ام لا فانزل الله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه
الاية في عياش ابن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا
فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه

موسع الرزق لمن يشاء

فانزل الله هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا راينا من اصاب شيا منها قلنا هلك حتى نزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا راينا احدا اصاب شيا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيا رجونا له وقوله اسرفوا على انفسهم اي تجاوزوا الحد فيه كل فعل مذموم وقيل هو ارتكاب الكبائر والفواحش لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تياسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها اغرا بالمعاصي واطلاقا في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة يعني قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشيئة الله فيه فان شا غفر له وعفا عنه وان شا عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل احد وخوف العقاب قائم فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم

فصل في ذكر احاديث تتعلق بالآية روي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسال فاتى راهبا فساله فقال له توبة قال لا فقتله وجعل يسال فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد الى هذه اقرب بشبر فغفر له لفظ البخاري ولمسلم فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل يسرف على نفسه وفي رواية

لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم اذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله الارض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب او قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والاخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الاخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك او قال لا يدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب للمجتهد اكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة تكلم والله بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي قوله عنان السما العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملاها قوله عز وجل وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة واسلموا له اي اخلصوا له التوحيد من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي لا تمنعون منه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران لان كله حسن ومعنى الآية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل في القران ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وتاخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون يعني غافلين عنه ان تقول نفس اي لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوفا ان تقول تحسر الحال ان تقول نفس يا حسرتا اي يا ندامتا ويا حزنا والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت في جنب الله اي على ما قصرت في طاعة الله وقيل في امر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل على ما قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضا الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله والمؤمنين وقيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها او تقول لو ان الله هداني اي ارشدني الى دينه وطاعته لكنت من المتقين اي الشرك او تقول حين ترى العذاب اي عيانا لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين اي الموحدين ثم اجاب الله تعالى هذا القائل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل هو قوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي يعني القران فكذبت بها اي قلت ليست من الله واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم اي فزعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم اي بنجاتهم يفوزون بالاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء اي مما هو كائن او يكون في الدنيا والاخرة وهو على كل شيء وكيل اي ان

الآن كلها هو كولي البيت فهو القائم بحفظها ۝ له مقاليد السموات والأرض أي مفاتيح خزاين السموات والأرض
واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل إقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز لم يؤذها
الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقا بإقليد والمعنى الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية
لأن حافظ الخزاين ومدبر أمرها هو الذي بيده مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزاين الرحمة والرزق والمطر
ومقاليد الأرض النبات والذين كفروا بآيات الله أي جحدوا بآيات الله الظاهرة الباهرة ۝ أولئك هم الخاسرون
قوله عز وجل قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه ووصفهم
بالجهل لأن الدليل القاطع قد قام بأن هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ۝ ولقد أوحي إليك وإلى الذين
من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد
منه غيره لأن الله عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه إقناط لغيره ۝ ولتكونن من الخاسرين بل الله
فاعبد وكن من الشاكرين أي لإنعامه عليك قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق عظمته
حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته حين أشركوا به غيره فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ق عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع وساير الخلق على إصبع ثم يقول أنا
الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفي رواية والماء والثرى على
إصبع وساير الخلق على إصبع ثم يهزهن وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون
المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفي رواية ويقول أنا الله
ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني أقول أساقط
هو برسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات
بيمينه ويقول أنا الملك خ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الأرض
ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل
من صفة اليدين شمال لأن الشمال محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد
الجارحة إنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت به ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى بنا
الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل
ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل ۝ ونفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الأرض أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الأولى ۝ إلا من شاء الله تقدم في سورة
النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن إلا من شاء الله يعني الله وحده ۝ ثم نفخ فيه أخرى أي مرة أخرى

اي في الصور

وهي النفخة الثانية ۝ فإذا هم قيام أي من قبورهم ۝ ينظرون أي ينتظرون أمر الله فيهم ق عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون
شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل
وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله تعالى
وأشرقت الأرض بنور ربها وذلك حين يتجلى الرب تعالى لفصل القضاء بين خلقه فما تضارون في نوره

كما لا تضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها والمراد بالأرض عرصات القيامة ۝ ووضع الكتاب
أي كتاب الأعمال وقيل اللوح المحفوظ لأن فيه أعمال الخلق من المبتدأ إلى المنتهى ۝ وجيء بالنبيين يعني
ليكونوا شهداء على أممهم والشهداء قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة
وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة وقضي بينهم بالحق أي بالعدل ۝ وهم لا يظلمون أي لا يزاد
في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ۝ ووفيت كل نفس ما عملت أي ثواب ما عملت ۝ وهو أعلم بما يفعلون
يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بأفعالهم لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد قوله تعالى وسيق الذين كفروا إلى جهنم يعني
سوقا عنيفا ۝ زمرا يعني أفواجا بعضهم على إثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات في تفرقة
واحدتها زمرة ۝ حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة ۝ وقال لهم
خزنتها يعني توبيخا وتقريعا ۝ ألم يأتكم رسل منكم أي من أنفسكم ومن جنسكم ۝ يتلون عليكم آيات
ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب أي وجبت على الكافرين وهي قوله
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ۝ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا فإن قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق
فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير
إذا سيق إلى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم لا يذهبون إليها إلا راكبين والمراد
بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين ۝ حتى إذا جاؤوها وفتحت
أبوابها فإن قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه
وجوه أحدها أنها زائدة والثاني أنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فدخل الواو لبيان
أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم إليها وحذف الواو في الآية الأولى لبيان أن أبواب جهنم كانت مغلقة
قبل مجيئهم إليها ووجه الحكمة في ذلك أن أهل الجنة إذا جاؤوها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل السرور
والفرح وأهل النار إذا جاؤوها وهي مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث دخول الواو هنا لبيان
أن أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لأن أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو على ما فوق السبعة
تقول سبعة وثمانية فإن قلت حتى إذا جاؤوها شرط فأين جوابه قلت فيه وجوه أحدها أنه محذوف
والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره الثاني أن الجواب هو قوله
وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة
الكلام عليه ۝ وقال لهم خزنتها سلام عليكم أي أبشروا بالسلامة من كل الآفات ۝ طبتم قال ابن عباس
معناه طاب لكم المقام وقيل إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم
من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم ۝
فادخلوها خالدين وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا
عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره ويشرب من
الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة فيقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين ۝ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده أي بالجنة ۝ وأورثنا الأرض أي أرض الجنة
نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله نتبوأ من الجنة أي من الجنة
حيث نشاء فإن قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره قلت يكون لكل أحد

منهم جنة لا يوصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة يتبوءون من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل
ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاءوا ثم تنزل الامم بعدهم
فيما فضل منها قال الله عز وجل فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين
من حول العرش اي محدقين محيطين بالعرش مطيفين بحافته وجوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا التسبيح
تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق اي قضي بين اهل الجنة واهل
النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقوله اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدا
الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار
الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله اعلم

تفسير سورة حم المومن وتسمى غافر وهي مكية قيل غير ايتين

وهما الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون اية والف ومايه وتسعة وتسعون كلمة
واربعة الاف وتسع مايه وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود قال ان مثل صاحب القران كمثل
رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينا هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات
دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب واعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل
عظم القران وان مثل هولا الروضات الدمثات مثل ال حم في القران وعن ابن عباس قال لكل
شي لباب ولباب القران الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في ال حم وقعت في روضات اتانق
فيهن وقال سعد بن ابرهيم كن ال حم يسمين العرايس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم
الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحا
افتتاح اسمايه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمايه ملك ومجيد ومنان وقيل
حم معناه حم بضم الحا اي قضي ما هو كاين تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب القادر وقيل
الذي لا مثل له العليم اي بكل المعلومات غافر الذنب اي ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة قال
ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول
لا اله الا الله ذي الطول اي ذا السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم واصل الطول الانعام الذي تطول
مدته على صاحبه لا اله الا هو اي هو الموصوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره اليه المصير
اي المصير العباد اليه في الاخرة قوله تعالى ما يجادل اي ما يخاصم ويحاج في ايات الله اي في دفع ايات الله
بالتكذيب والانكار الا الذين كفروا قال ابو العاليه ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القران
قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القران كفر اخرجه ابو داود وقال المرا في
القران كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون
فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما نزل الكتاب يصدق
بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه الى عالمه م عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال هجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا
في اية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم نعرف في وجهه الغضب فقال انما اهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب

فلا يغررك

فلا يغررك تقلبهم اي تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبتهم العذاب
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا على انبيايهم بالتكذيب من
بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه
وجادلوا اي خاصموا بالباطل ليدحضوا به اي ليبطلوا به الحق الذي جاءت به فاخذتهم فكيف
كان عقاب اي انزلت بهم الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم اليس
كان مهلكا مستاصلا وكذلك حقت اي وجبت كلمة ربك اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة
حقت على الذين كفروا من قومك انهم اي بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين يحملون العرش
قيل هم حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم الله باربعة اخر كما قال ويحمل عرش ربك
فوقهم يوميذ ثمانية وهم من اشراف الملايكة وافضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صور الاوعال
وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم اربعة
اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفوا بهما في الهوا ليس لهم
كلام الا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين السما الى السما وقال
ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمس مايه عام ويروى ان اقدامهم
في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان
ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملايكة والروح وقيل ارجلهم في الارض
السفلى وروسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد من اهل السما السابعة خوفا ويروى
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة العرش ان
ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مايه عام اخرجه ابو داود واما صفة العرش فقيل
انه جوهرة خضرا وهو من اعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال
ان ما بين القايمة من قوايم العرش والقايمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلثين الف عام ويكسى
العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشيا كلها في العرش كحلقة
في فلاة وقال مجاهد بين السموات السبع وبين العرش سبعون الف حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب
نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السما كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض قوله ومن
حوله يعني الطايفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملايكة قال وهب بن منبه ان حول العرش
سبعون الف صف من الملايكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هولا ويدبر هولا فاذا
استقبل بعضهم بعضا هلل هولا وكبر هولا ومن ورايهم سبعون الف صف قيام ايديهم
الى اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اوليك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا
سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله الا انت الاكبر والخلق كلهم اليه راجعون ومن ورا
هولا وهولا مايه الف صف من الملايكة قد وضعوا اليمين على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد
لا يسبحه الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلثمايه عام وما بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه
اربع مايه عام واحتجب الله من الملايكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من
ظلمة وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين
حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ما وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل قوله تعالى

نور وسبعين حجابا من

يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون الله عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق ٥ ويؤمنون
به اي يصدقون بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت الذين يسبحون بحمد ربهم يؤمنون به فلا
يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدة التنبيه على شرف الايمان وفضل
والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محجوب عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن
حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك وعلمك واربعة منهم
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وكانهم يرون ذنوب بني ادم ٥ ويستغفرون للذين
قاله
امنوا اي يسالون الله طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم اولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم في
على كل من تكلم في احد بشيء يكرهه ان يستغفر له ٥ ربنا اي ويقولون ربنا ٥ وسعت كل شيء رحمة
وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله بما هو اهله قبل المطلوب
بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي دينك ٥ وقهم
عذاب الجحيم قال مطرف انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين ٥
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم
قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال اين ابي اين امي اين ولدي اين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك
فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله كان اكمل لسروره ولذته ٥ وقهم
السيئات اي عقوبات السيئات بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب ٥ ومن تق
السيئات يومئذ اي تقه في الدنيا ٥ فقد رحمته اي في القيمة ٥ وذلك هو الفوز العظيم اي النعيم
الذي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون
اي يوم القيمة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم
لمقت الله اي اياكم في الدنيا ٥ اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اليوم عند حلول العذاب بكم ٥ قالوا ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين قال ابن عباس كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة
التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهذه موتتان وحياتان وقيل اميتوا في الدنيا ثم احيوا
في القبر للسؤال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث في الاخرة وذلك لانهم عددوا اوقات البلاء والمحنة
وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التي
في الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من اقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القبر
وموتتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا احياء السؤال
لقصر مدتها ٥ فاعترفنا بذنوبنا يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم
ثم سالوا الرجعة بقولهم فهل الى خروج اي من النار ٥ من سبيل والمعنى فهل من رجوع الى الدنيا
من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط من الخروج
وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو
قوله تعالى ذلكم الله وحده كفرتم معناه فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا الخلود والعذاب في
بانه اذا دعي
النار بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك ٥ وان يشرك به اي غيره تؤمنوا
اي تصدقوا ذلك المشرك ٥ فالحكم لله العلي اي الذي لا اعلى منه ٥ الكبير اي لا اكبر منه قوله عز وجل هو

الذي

الذي يريكم اياته اي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته ٥ وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر الذي هو
سبب الارزاق ٥ وما يتذكر اي يتعظ بهذه الايات ٥ الا من ينيب اي يرجع الى الله في جميع اموره ٥ فادعوا الله
مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله تعالى رفيع الدرجات اي رافع درجات
الانبياء والاولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع اي انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في
صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن من سواه وكل الخلق فقراء اليه ٥ ذو العرش اي خالقه
ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لانه اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال
القدرة فكلما كان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى ٥ يلقي الروح يعني ينزل الوحي سماه روحا لانه
به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح ٥ من امره قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من
قوله على من يشاء من عباده يعني الانبياء ٥ لينذر يوم التلاق يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي
يوم التلاق وهو يوم القيمة والمعنى يلتقي اهل السماء واهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي
العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء بعمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم ٥ يوم هم بارزون اي
خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء ٥ لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم فان قلت
ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض سائر الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم وهم في ذلك اليوم صائرون من
الانكشاف الى حال لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا ٥ لمن الملك اليوم اي يقول الله عز وجل
في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم ولا احد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول لله
الواحد القهار اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون والاخرون في يوم القيمة نادى مناد
لمن الملك اليوم فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيمة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث
كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار
والندامة حيث لم يقولونه في الدنيا ٥ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزي المحسن باحسانه
والمسيء باساءته ٥ لا ظلم اليوم اي ان الخلق امنون في ذلك اليوم من الظلم لان الله ليس بظلام للعبيد ٥
ان الله سريع الحساب اي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق كله في وقت واحد قوله تعالى
وانذرهم يوم الازفة يعني يوم القيمة سميت ازفة لقربها وكل ما هو ات قريب ٥ اذ القلوب لدى الحناجر
وذلك انها تزول عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من افواههم
فيموتوا ويستريحوا ٥ كاظمين اي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه ٥ ما للظالمين
من حميم اي من قريب ينفعهم ٥ ولا شفيع اي يشفع لهم ٥ يطاع اي فيهم ٥ يعلم خائنة الاعين اي
خيانتها وهي مسارقتها النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه ٥ وما تخفي
الصدور اي يعلم مضمرات القلوب ٥ والله يقضي بالحق اي يحكم بالعدل ٥ والذين يدعون من
دونه يعني الاصنام ٥ لا يقضون بشيء لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء ٥ ان الله هو السميع اي لاقوال
الخلق البصير بافعالهم ٥ اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا
هم اشد منهم قوة واثارا في الارض اي فالمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار
كانوا اشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم ٥ فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق اي يدفع
عنهم العذاب ٥ ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله

انه قوي شديد العقاب. قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب. فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا ابناء الذين امنوا
معه قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى
اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل واستحيوا نساءهم اي استحيوا النساء ليعني
ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين اي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم
الا في ضلال اي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى. وقال فرعون اي لملائه ذروني اقتل
موسى وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه من قتله لانه
كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب
سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه. وليدع ربه اي وليدع
موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا. اني اخاف ان يبدل دينكم يعني يقول فرعون
يغير دينكم الذي انتم عليه او ان يظهر في الارض الفساد يعني بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره
وقال موسى يعني لما تواعده فرعون بالقتل اني عذت بربي وربكم يعني ان موسى لم يات في دفع شره الا
بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلاجرم صانه الله عن كل بلية من كل متكبر اي متعظم عن الايمان
لا يؤمن بيوم الحساب. قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه قال كان ابن عم فرعون
وقيل كان من القبط وقيل كان من بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم
ايمانه من ال فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحق
كان اسمه جبريل وقيل حبيب. اتقتلون رجلا ان يقول اي لان يقول ربي الله وهذا استفهام انكار
وهو اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار
المعجزة والمعنى وقد جاءكم بالبينات من ربكم بما يدل على صدقه وان يك كاذبا فعليه كذبه اي لا يضركم
ذلك انما يعود وبال كذبه عليه وان يك صادقا اي فكذبتموه يصبكم بعض الذي يعدكم قيل معناه
يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصلها ومعناه كانه قال على طريق
الاحتجاج اقل ما في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل
ان الله لا يهدي اي الى دينه من هو مسرف كذاب اي على الله عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله
ابن عمرو بن العاص عن اشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه
في عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم. قوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في
الارض اي غالبين في الارض اي ارض مصر فمن ينصرنا اي يمنعنا من باس الله ان جاءنا والمعنى لكم الملك فلا
تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم. قال فرعون
ما اريكم اي من الراي والنصيحة الا ما ارى اي لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد اي ما
ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى انه من ال فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه
ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى

مثل ما

اتاهم

اتاهم العذاب وما الله يريد ظلما للعباد اي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم. ويا قوم اني اخاف عليكم
يوم التناد يعني يوم القيامة سمي يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل اناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا
فينادي اصحاب الجنة اصحاب النار واصحاب النار اصحاب الجنة وينادي فيه بالسعادة والشقاوة
الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد
بعدها ابدا وينادى حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت
وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه وقيل يوم التناد
يعني يوم التنافر من ند البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا وهربوا فلا
ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه.
يوم تولون مدبرين اي منصرفين عن موقف الحساب الى النار ما لكم من الله من عاصم اي يعصمكم
من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد اي لهديه. ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف بن يعقوب من قبل
من قبل موسى بالبينات يعني قوله ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قيل مكث فيهم عشرين
سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون اخر فما زلتم في شك مما
جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في نبوته لم
ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها حتى اذا هلك يعني مات قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا اي اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي
والتمني من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا في تكذيب الانبياء الذين ياتون
بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها
وانما هو تكذيب رسالة من بعده مضموما الى التكذيب برسالته كذلك يضل الله من هو مسرف
اي مشرك وعصيانه مرتاب اي في دينه الذين يجادلون في ايات الله قيل هذا التفسير للمسرف
المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال ايات الله بالتكذيب بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان
اتاهم من الله كبر مقتا اي ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار قوله عز وجل وقال فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي صرحا اي بناء ظاهرا
لا يخفى على الناظر وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
اي طرقها وابوابها من سماء الى سماء فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا اي فيما يدعي ويقول ان له
ربا غيري. وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل قال ابن عباس صده الله عن سبيل
الهدى وقرئ وصد بالفتح اي وصد فرعون الناس عن السبيل. وما كيد فرعون الا في تباب
وما كيده في ابطال ايات موسى الا في خسار وهلاك قوله تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم
سبيل الرشاد اي طريق الهدى يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي متعة تنتفعون بها
مدة ثم تنقطع وان الاخرة هي دار القرار اي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة ولا
منفعة فيها وان الاخرة هي دار باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت
الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان
والاخرة ذهب باق من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها قيل معناه من عمل بالشرك فجزاؤه جهنم خالدا
فيها ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون

هو بناء

يوسف

شاهد

يعني موسى

الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق
صبا بغير تقتير ۝ ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار معناه انا ادعوكم الى النجاة الايمان
الذي يوجب النجاة من النار وانتم تدعونني الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال تدعونني
لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم اي لا اعلم ان هذا الذي تدعونني اليه بالله وما ليس بالله ليس
يعقل جعله شريكا للاله الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله
وانا ادعوكم الى العزيز اي في انتقامه ممن كفر ۝ الغفار اي لذنوب اهل التوحيد ۝ لا جرم يعني
حقا ۝ انما تدعونني اليه يعني الصنم ۝ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة يعني ليست له استجابة
دعوة لاحد في الدنيا ولا في الاخرة يعني ليست وقيل ليست له دعوة الى العبادة في الدنيا لان
الاصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الاخرة تتبرا من عابديها ۝ وان مردنا الى الله اي
مرجعنا الى الله اي فيجازي كلا بما يستحقه ۝ وان المسرفين يعني المشركين ۝ هم اصحاب النار ۝ فستذكرون
ما اقول لكم اي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ۝ وافوض امري الى الله اي ارد امري الى الله
وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم ۝ ان الله بصير بالعباد يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن
من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا اي ما ارادوا به من
الشر قيل انه نجا مع موسى وكان قبطيا ۝ وحاق بآل فرعون سوء العذاب يعني الغرق في الدنيا
والنار في الاخرة وذلك قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود
ارواح آل فرعون في اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار
ويقال يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا
ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الاية على اثبات عذاب القبر اعاذنا الله منه بمنه وكرمه ق
عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة
والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك
حتى يبعثك الله يوم القيامة ثم اخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى ويوم تقوم الساعة
ادخلوا آل فرعون اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب قال ابن عباس الوان العذاب
غير الذي كانوا يعذبون به منذ اغرقوا قوله تعالى واذ يتحاجون اي اذكر يا محمد لقومك اذ يتحاجون
يعني اهل النار في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا اي في الدنيا ۝ فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعني الرؤساء والقادة ۝ انا كل فيها يعني نحن وانتم ۝
ان الله قد حكم بين العباد اي قضى علينا وعليكم ۝ وقال الذين في النار يعني حين اشتد عليهم العذاب ۝
لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ۝ قالوا يعني الخزنة ۝ اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
يعني لا عذر لكم بمجيء الرسل ۝ قالوا بلى اعترفوا بذلك ۝ قالوا فادعوا يعني انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا
انه لا يخفف عنهم العذاب ۝ قال الله وما دعاء الكافرين الا في ضلال يعني يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل
انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل
بالانتقام من الاعداء في الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم
قائم وقد نصرهم بالقهر على من ناواهم واهلك اعداءهم بالانتقام منهم كالنفر يحيى بن زكريا لما قتل فانه
قتل به سبعين الفا ۝ ويوم يقوم الاشهاد يعني ويوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من

الملائكة

الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب ۝ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اي اعتذارهم
عن كفرهم لم يقبل منهم ۝ ولهم اللعنة اي البعد من الرحمة ۝ ولهم سوء الدار يعني جهنم ۝ ولقد آتينا موسى
الهدى يعني النبوة وقيل التوراة ۝ واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة وقيل سائر الكتب
المنزلة على انبيائهم ۝ هدى وذكرى لاولي الالباب ۝ قوله تعالى فاصبر اي يا محمد على اذاهم ۝ ان وعد
الله حق اي في اظهار دينك واهلاك اعدائك قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر ۝ واستغفر
لذنبك يعني الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء وقيل يعني على ترك الاولى والافضل
وقيل على ما كان قد صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده به درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات
محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني
الاشتغال بالطاعات وهو قوله وسبح بحمد ربك اي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك
بالعشي والابكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ۝ ان الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان اتاهم يعني كفار قريش ۝ ان في صدورهم اي ما في قلوبهم ۝ الا كبر قال ابن عباس
ما حملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ۝ ما هم ببالغيه اي ما هم ببالغي مقتضى
ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم
ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن
داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى
فاستعذ بالله اي من فتنة الدجال ۝ انه هو السميع ۝ لاقوالهم ۝ البصير اي بافعالهم قوله تعالى
لخلق السموات والارض اي مع عظمها ۝ اكبر من خلق الناس اي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون
ان الله خلق السموات والارض وذلك اعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث
بعد الموت ۝ ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حين لا يستدلون بذلك على توحيد
خالقها وقال قوم معنى اكبر من خلق الناس اي اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني
اليهود الذين يخاصمون في امر الدجال **فصل في ذكر الدجال** م عن هشام بن عامر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال
معناه اكبر فتنة واعظم شوكة من الدجال ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه
اعور عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في
الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه وما من نبي الا وقد انذره قومه لقد
انذره نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور ق
عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه
اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم مكتوب بين عينيه ك ف ر ثم
تهجاها ك ف ر يقرأه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها
والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله

فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلك من شدة فتنته ان ياتي الاعرابي فيقول ارايت
ان احييت لك ابلك الست تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيمثل له نحو ابله كاحسن ما يكون ضروعا واعظمه اسنمة
ويأتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك اباك واخاك الست تعلم اني ربك فيقول
بلى فيمثل له الشياطين نحو ابيه واخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم
في اهتمام وغم مما حدثهم قالت ثم اخذ بلحمتي الباب فقال مهيم اسما قلت يا رسول الله قد خلعت افئدتنا
بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل مومن قالت اسما فقلت يا رسول
الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمومنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من
التسبيح والتقديس وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة
السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث اخرجه
البغوي بغير سنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض قال اربعون
يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي
كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال
كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف
فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عند المنارة البيضا شرقي دمشق فيدركه عند باب
لد فيقتله ق عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج ماء
ونارا فاما الذي يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذي يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك
ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ماء عذب بارد ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجي بمثال الجنة والنار
فالتي يقول انها الجنة هي النار واني انذركم كما انذر نوح قومه ق عن المغيرة بن شعبة قال ما سال احد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر مما سالته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه
جبل خبز ونهر ما قال هو اهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سمع بالدجال فلينا منه فوالله ان الرجل لياتيه وهو يحسب انه مومن فيتبعه مما يبعث به من
الشبهات او قال لما يبعث به من الشبهات اخرجه ابو داود ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس من بلد الا سيطاه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملايكة صافين
يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة باهلها ثلث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة
حتى ينزل دبر احد ثم تصرف الملايكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك عن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان
يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة
عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب
لد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محي الدين النووي قال القاضي عياض

هذه

هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه
ابتلى الله به عباده واقدره على اشياء من المقدورات من احيا الميت الذي يقتله ومن ظهور
زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وامره السما ان تمطر فتمطر والارض
ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على قتل
ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقها خلافا لمن انكره وابطل امره من
الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح
الوجود لكن الذي ياتي به مخاريق وخيالات لا حقايق لها وزعموا انها لو كانت حقا لالتبست
بمعجزات الانبيا وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما
يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلايل الحدوث فيه ونقص
صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه
ولهذه الدلايل لا يغتر به الا رعاع من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق
او خوفا من اذاه لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبيا
من فتنته فاما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله
ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم
يقولون ان معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون على الله من ذلك معناه هو اهون على
الله من ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمومنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله
الله له ليزداد الذين امنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه
ليس معه شي من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله اعلم
قوله عز وجل وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسي اي لا يستوون قليلا ما تتذكرون ان الساعة لاتية لا ريب فيها لا شك
في قيامها ومجيها ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى
وقال ربكم ادعوني استجب لكم اي اعبدوني دون غيري اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة
بالدعا جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
على المنبر الدعا هو العبادة ثم قال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لم يسال الله يغضب عليه اخرجه الترمذي
وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شي اكرم على الله من الدعا اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ العبادة اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا
فلا يستجاب له قلت الدعا له شروط منها الاخلاص في الدعا وان لا يدعو وقلبه
لاه مشغول بغير الدعا وان يكون المطلوب بالدعا مصلحة للانسان وان لا يكون
فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعا بهذه الشروط كان حقيق الاجابة فاما ان يعجلها له واما ان

يوخرها له يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله
بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر
ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي
فما استجاب لي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال ان الذين
يستكبرون عن عبادتي اي عن توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين
ذليلين قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي ليحصل لكم فيه سكنة التصرف في
حوائجكم الراحة بسبب النوم والسكون والنهار مبصرا اي ليحصل لكم فيه مكنة التصرف في
حوائجكم ومهماتكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم
خالق كل شيء لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخالق الاشياء
كلها وانه لا شريك له في ذلك فانى تؤفكون اي فانى تصرفون عن الحق كذلك اي كما افكتم عن
الحق مع قيام الدلائل كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا اي
فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت والسماء بناء اي سقفا مرفوعا
كالقبة وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما
معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه ورزقكم من الطيبات قيل هو ما
خلق الله لعباده من المآكل والمشارب من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب
العالمين هو الحي وهذا يفيد الحصر اي لا حي الا هو فوجب ان يحمل ذلك على الذي يمتنع ان يموت امتناعا
تاما ثابتا وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو المدرك الفعال وهذا اشارة الى العلم
التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله لا اله الا هو فادعوه مخلصين
له الدين الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من
ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين وذلك حين دعي الى الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك قوله تعالى هو
الذي خلقكم من تراب يعني اصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لانه خلق من النطفة
وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية
وهي حال النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد ثم من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهو الشيخوخة
ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يصير شيخا ولتبلغوا اي جميعا اجلا مسمى اي وقتا
محدودا لا تجاوزونه يعني اجل الحياة الى الموت ولعلكم تعقلون اي ما في هذه الاحوال العجيبة
من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون اي يكونه كيف شاء من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته فانه من
الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله يعني القرآن
انى يصرفون اي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية انى يصرفون اي عن دين الحق وقيل نزلت في الكذبة
الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون وعيد وتهديد ثم وصف ما اوعدهم به فقال
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار
يسجرون اي توقد بهم النار ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا

ضلوا عنا اي فقدناهم فلا نراهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا قيل انهم انكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعوا
شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها كانا لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله
الكافرين اي كما اضل هؤلاء ذلكم اي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الايمان قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي بنصرك على الاعداء فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب
في حياتك او نتوفينك اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك اي خبره وحاله في القرآن ومنهم من لم نقصص عليك اي
لم نذكر لك حال الباقين وليس منهم احد الا اعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه
وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي بامره وارادته فاذا جاء امر الله اي قضاؤه بين
الانبياء والامم قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون اي الذين يجادلون في آيات
الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها
ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها
حاجة في صدوركم اي تحمل اثقالكم من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم وعليها وعلى الفلك
تحملون اي على الابل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم آياته اي دلائل قدرته فاي آيات الله
تنكرون يعني ان هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره قوله تعالى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض
يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المنكرين المتمردين
الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعددا واموالا من هؤلاء فما اغنى عنهم اي لم ينفعهم
ما كانوا يكسبون اي اي شيء اغنى عنهم كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا اي رضوا
بما عندهم من العلم وقيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سموه ذلك
علما على ما يزعمونه ويدعونه وهو في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما
راوا باسنا اي عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل
بالله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده يعني ان سنة الله
قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة الباس وهو العذاب يعني تلك السنة
انهم اذا راوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك الكافرون
اي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا راى العذاب والله اعلم

تفسير سورة حم السجدة وتسمى فصلت

وسورة المصابيح وهي مكية وهي اربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل
من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته اي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من احكام وامثال
ومواعظ ووعد ووعيد قرآنا عربيا اي باللسان العربي لقوم يعلمون اي انا انزلناه على العرب

بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقرآن اي بشيرا لاولياء الله بالثواب
ونذيرا لاعدائه بالعقاب فاعرض اكثرهم اي عنه فهم لا يسمعون اي لا يصغون اليه تكبرا وقالوا يعني مشركي مكة
قلوبنا في اكنة اي اغطية مما تدعونا اليه فلا نفقه ما تقول وفي آذاننا وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا
في ترك القبول عندك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين وحاجز في الملة
فلا نوافقك على ما تقول فاعمل اي انت على دينك اننا عاملون اي على ديننا قل انما انا بشر مثلكم اي
كواحد منكم يوحى الي اي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله التواضع انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه
اي توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه اي من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من
الشرك بالتوحيد وقيل لا يؤمنون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن
قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون
اعمالهم وهم بالآخرة هم كافرون اي جاحدون بالبعث بعد الموت ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب
قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كاصح ما
كانوا يعملون فيه (خ) عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان
العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم
قوله عز وجل قل أئنكم استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيئين منكرين احدهما الكفر بالله وهو
قوله لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وثانيهما وتجعلون له اندادا اي شركاء واشباها والانداد
والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين
يعني الاحد والاثنين ذلك رب العالمين اي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الانداد المتخذة
من الخشب والحجر وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت من فوقها اي من فوق الارض وبارك فيها
اي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق
اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها اقواتها اي قسم في الارض ارزاق العباد والبهائم
وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز
لاهل قطر والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل
ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال الله تعالى وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام اي مع الاولين فخلق الارض في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم
الاربعاء فصارت اربعة ايام رد الآخر على الاول في الذكر سواء للسائلين معناه سواء لمن سأل
عن ذلك فهكذا الامر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات
ثم استوى الى السماء اي عمد الى خلق السماء وهي دخان يعني ان ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان
العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض امر الريح
فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم ايبس الماء فخلقه ارضا واحدة ثم فتقها
فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض
بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى

اليومين م

خلق الار

خلق الارض اولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحى الارض ومدها وجواب آخر وهو ان يقال ان خلق
السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين ليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين
فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فيكون المعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى
هذا يزول الاشكال والله اعلم بالحقيقة فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اي ائتيا ما امرتكما اي افعلاه
وقيل افعلا ما امرتكما طوعا والا الجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع قالتا اتينا طائعين
معناه اتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقبول اجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى اما
اخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد اما انت يا سماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وانت
يا ارض فشقي انهارك واخرجي ثمارك ونباتك وقوله فقضاهن سبع سموات اي اتمهن وفرغ من
خلقهن في يومين وهما الخميس والجمعة واوحى في كل سماء امرها قال ابن عباس خلق في كل سماء
خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله وقيل اوحى الى كل سماء ما اراد
من الامر والنهي وزينا السماء الدنيا اي التي تلي الارض بمصابيح اي بكواكب تشرق كالمصابيح
وحفظا اي وجعلناها يعني الكواكب حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع ذلك
اي الذي ذكر من صنعه وخلقه تقدير العزيز اي في ملكه العليم اي بخلقه وفيه اشارة الى كمال
القدرة والعلم قوله تعالى فان اعرضوا يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم
اي خوفتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من
كل شيء اذ جاءتهم الرسل يعني الى عاد وثمود من بين ايديهم يعني الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم ومن
خلفهم يعني ومن بعد الرسل الذين ارسلوا الى آبائهم وهم الرسل الذين ارسلوا اليهم وهم هود وصالح
وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم ان لا اي بان لا تعبدوا الا
الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لانزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل فانا
بما ارسلتم به كافرون روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش
وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فاتاه فكلمه ثم
اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك
علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فلما خرج اليه قال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام
عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كنت انما بك الرياسة عقدنا لك الوية فكنت
رأسنا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من اي ابيات قريش وان
كان بك المال جمعنا لك ما تستغني انت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت
لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت آياته الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل
يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة
اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك
صبوت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام

محمد فغضب عتبة واقسم لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت
عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت
ان ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في
نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد فقال يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه
واعرض عليه امورا لعله يقبل منها بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة وراوا اصحاب
محمد يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن اخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم
فرقت به جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك
امورا تنظر فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به
مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا
الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب او لعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري بني
عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا نقدر عليه حتى اذا فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد فرغت
يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته ثم مضى فيها يقراها فلما سمعها عتبة انصت له والقى يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال سمعت يا ابا الوليد
فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي
ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني قد سمعت قولا والله ما سمعت
بمثله قط ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على
العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال
هذا رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا
من اشد منا قوة وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا
بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال قال الله ردا عليهم اولم يروا اي اولم يعلموا ان الله
الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي عاصفا
شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة وقيل ان الرياح ثمانية فاربع منها عذاب وهي الريح
العرص والعاصف والقاصف والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات
والذاريات قيل ارسل عليهم من الريح على قدر الخاتم فاهلكوا جميعا في ايام نحسات اي
نكدات مشؤومات ذات نحوس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه ولا يتصرف فيه
وقيل امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودابت عليهم الريح من غير مطر لنذيقهم عذاب
الخزي اي عذاب الذل والهوان وهذا مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق في الحياة
اي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى اي اشد اهانة

وهم لا ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واما ثمود فهديناهم قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى
وقيل دللناهم على الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون اي ذي الهوان بما كانوا يكسبون اي من الشرك ونجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون اي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن امن معه من قومه قوله تعالى
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم على اخرهم ليلحق
اخرهم حتى اذا ما جاءوها يعني النار شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم اي بشراتهم وقيل
فروجهم بما كانوا يعملون معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم م عن انس قال
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من
مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول اني لا اجيز اليوم على نفسي الا
شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا
قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا يعني الكفار الذين يجرون الى النار لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في
الدنيا وانطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل تم الكلام عند قوله الذي انطق كل شيء ثم ابتدا
بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل لانه ليس من جواب الجلود وما كنتم
تستترون اي تستخفون وقيل معناه تظنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قال ابن عباس كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم
ما في انفسنا ولكنه يعلم ما يظهر ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اجتمع عند البيت
ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون
ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع
اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو عبد ياليل وختناه
القرشيان ربيعة وصفوان ابن امية قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله لا يعلم
ما تعملون ارداكم اي اهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار فاصبحتم من الخاسرين ثم اخبر عن حالهم
بقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن وان يستعتبوا اي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب
هو الذي قبل عتابه واجيب الى ما سال فما هم من المعتبين اي المرضيين وقيضنا لهم اي بعثنا
ووكلنا وقيل هيانا وسببنا لهم قرناء اي نظراء من الشياطين حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين
ايديهم اي من امر الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم اي فدعوهم الى التكذيب بالاخرة وانكار
البعث وقيل حسنوا لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اي وجب
في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني
مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة

الاصوات كان بعضهم يوصي الى بعض لعلكم اذا رايتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون يعني محمدا على قرائته ٥

فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي في الدنيا وهو الشرك اي الذي ذكر من العذاب ٥ جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد اي دار الاقامة لا انتقال لهم عنها ٥ جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ٥ وقال الذين كفروا ربنا اي يقولون في النار ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون ابليس وقابيل ابن ادم الذي قتل اخاه لانهما سنا الفعل المعصية ٥ نجعلهما تحت اقدامنا اي في النار ٥ ليكونا من الاسفلين اي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لا لاجل العمل به وراس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله وراس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في امر الدين والتوحيد وتكون في الاعمال الصالحة سئل ابو بكر الصديق عن الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان استقاموا اخلصوا في العمل وقال علي بن ابي طالب ادوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة ٥ تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ٥ ان لا تخافوا اي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ٥ ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا نغفرها لكم ٥ وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا اي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اي انصاركم واحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم في الحياة الدنيا ونحن اولياؤكم في الاخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ٥ ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اي من الكرامات واللذات ٥ ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون ٥ نزلا اي رزقا والنزل رزق النزيل وهو الضيف ٥ من غفور رحيم قال اهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الاية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه ٥ وعمل صالحا في اجابته وقالت عائشة ارى هذه الاية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل في الاية وللدعوة الى الله تعالى مراتب الاولى دعوة الانبياء الى الله بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبياء المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله والى طاعته ٥ وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر

الطاعات

الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة ق عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة بين كل اذانين صلاة قال في الثالثة لمن شاء ٥ عن انس بن مالك قال قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن ٥ وقال انني من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة ٥ ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس امر بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة ٥ فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي الصديق القريب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وذلك انه كان للمسلمين بعد شره عداوة بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالمصاهرة ٥ وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا اي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ٥ وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة ٥ واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه اي يبعثه على ما لا ينبغي ومعنى الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن ٥ فاستعذ بالله اي من شره ٥ انه هو السميع اي لاستعاذتك العليم باحوالك قوله تعالى ومن اياته اي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اي لانهما عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم ٥ واسجدوا لله الذي خلقهن اي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر ٥ ان كنتم اياه تعبدون وذلك ان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود لهذه الوسائط وامروا بالسجود لله تعالى وحده الذي خلق هذه الاشياء كلها ٥ فان استكبروا اي عن السجود ٥ فالذين عند ربك يعني الملائكة ٥ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا يفترون ولا يملون فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعي احدهما انه عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح عند اصحاب الشافعي وكذا نقله الرافعي انه عند قوله وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن ابي حنيفة لان عنده يتم الكلام ٥ ومن اياته انك ترى قوله تعالى ان الذين يلحدون اي يميلون عن الحق في اياتنا اي في ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون في اياتنا ويعاندون ويشاقون ٥ لا يخفون علينا فهو تهديد ووعيد قيل نزلت في ابي جهل ٥ افمن يلقى في النار وهو ابو جهل ٥ خير ام من ياتي امنا يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل

بالقرابة

عثمان وقيل عمار بن ياسر ﴿اعملوا ما شئتم﴾ امر تهديد ووعيد ﴿انه بما تعملون بصير﴾ اي انه عالم باعمالكم
فيجازيكم بها ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ يعني القران وفي جواب ان وجهان احدهما انه محذوف
تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه اولئك ينادون من مكان بعيد
ثم اخذ في وصف الذكر فقال تعالى ﴿وانه لكتاب عزيز﴾ قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم
النظير وذلك لان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا
وهو قوله تعالى ﴿لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع
ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه
الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا ياتيه التكذيب
من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا
يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم
من الزمان ولا فيما تاخر ﴿تنزيل من حكيم﴾ اي في جميع افعاله ﴿حميد﴾ اي الى جميع خلقه
بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل
﴿ما يقال لك﴾ اي من الاذى والتكذيب ﴿الا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ يعني انه قد قيل للانبياء
قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ﴿ان ربك لذو مغفرة﴾ اي لمن تاب وامن بك ﴿وذو عقاب
اليم﴾ اي لمن اصر على التكذيب قوله عز وجل ﴿ولو جعلناه﴾ اي هذا الكتاب الذي تقرؤه
على الناس ﴿قرانا اعجميا﴾ اي بغير لغة العرب ﴿لقالوا لولا فصلت اياته﴾ اي هلا بينت اياته
حتى نفهمها ﴿ءاعجمي وعربي﴾ يعني اكتاب اعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار المعنى لو نزل الكتاب
بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربي والمنزل اعجمي وقيل في معنى الاية انا لو انزلنا هذا
القران بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى القوم العرب ولصح قولهم ان يقولوا
قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لما انزلت هذا القران بلغة العرب
وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى ابا فكيهة
فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني
فانزل الله هذه الاية ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هو﴾ يعني القران ﴿للذين امنوا هدى﴾ اي من الضلالة ﴿وشفاء﴾ اي لما في
القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام ﴿والذين لا يؤمنون في
اذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾ اي صموا عن استماع القران وعموا عنه فلا ينتفعون به ﴿اولئك ينادون من مكان
بعيد﴾ اي كان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون
به كانهم ينادون من حيث لا يسمعون ﴿ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ فمن
اي مصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ اي في تاخير
العذاب عن المكذبين بالقران ﴿لقضي بينهم﴾ اي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم ﴿وانهم لفي شك
منه مريب﴾ اي من هذا بك وصدقك ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ اي يعود نفعه ايامه وعمله على نفسه
﴿ومن اساء فعليها﴾ اي جزاء اساءته وكفره يعود على نفسه ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ يعني فيعذب

عز

عن السائل قوله عز وجل ﴿اليه يرد علم الساعة﴾ يعني اذا سال عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة
الا الله ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك ﴿وما تخرج من ثمرة من اكمامها﴾ اي من اوعيتها وقال ابن عباس
هو الكفرى قبل ان ينشق ﴿وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه﴾ اي يعلم عدد ايام الحمل وساعاته
ومتى يكون الوضع وذكر هو ام انثى ومعنى الاية كما يرد عليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم
ما يحدث من شيء كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من اصحاب الكشوف
قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من
الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذي يرد اليه واما الكهان والمنجمون
فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قل ما يصيب
وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه احد ﴿ويوم يناديهم﴾ اي ينادي
الله المشركين ﴿اين شركائي قالوا اذناك﴾ اي اعلمناك ﴿ما منا من شهيد﴾ اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما راوا
العذاب تبرؤوا من الاصنام ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ اي يعبدون في الدنيا
﴿وظنوا ما لهم من محيص﴾ اي مهرب قوله تعالى ﴿لا يسام الانسان﴾ اي لا يمل الكافر ﴿من دعاء الخير﴾
يعني لا يزال يسال ربه الخير وهو المال والغنى والصحة ﴿وان مسه الشر﴾ اي الشدة والفقر
﴿فيئوس﴾ اي من روح الله ﴿قنوط﴾ اي من رحمته ﴿ولئن اذقناه رحمة منا﴾ اي اتيناه خيرا
وعافية وغنى ﴿من بعد ضراء مسته﴾ اي من بعد شدة وبلاء اصابه ﴿ليقولن هذا لي﴾ اي استحقه
بعملي ﴿وما اظن الساعة قائمة﴾ اي ولست على يقين من البعث ﴿ولئن رجعت الى ربي﴾ يقول هذا الكافر
فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي ﴿ان لي عنده للحسنى﴾ اي الجنة والمعنى كما اعطاني في
الدنيا سيعطيني في الاخرة ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي
اعمالهم ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ ﴿واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه﴾ اي ذهب
بنفسه وتكبر وتعظم ﴿واذا مسه الشر﴾ اي الشدة والفقر ﴿فذو دعاء عريض﴾ اي كثير
﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ارايتم ان كان من عند الله﴾ يعني هذا القران ﴿ثم كفرتم به﴾ اي جحدتموه
﴿من اضل ممن هو في شقاق بعيد﴾ اي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم
﴿سنريهم اياتنا في الافاق﴾ قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية ﴿وفي انفسهم﴾ اي بالبلايا
والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الافاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على
محمد والمسلمين وفي انفسهم هو فتح مكة ﴿حتى يتبين لهم انه الحق﴾ يعني دين الاسلام وقيل
يتبين القران انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى
وقيل في الافاق اي اقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات
وفي انفسهم يعني من لطف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعني لا يقدر على هذه الا الله تعالى
﴿اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد﴾ يعني ليشهدوا ان القران من عند الله وقيل اولم يكفهم هذه
الدلائل الكثيرة التي اوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شيء ﴿الا انهم في مرية
من لقاء ربهم﴾ اي في شك عظيم من البعث والقيامة ﴿الا انه بكل شيء محيط﴾ اي عالم بجميع المعلومات
التي لا نهاية لها احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا والله اعلم

تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى

وهي مكية في قول ابن عباس وقول الجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع ايات نزلت بالمدينة اولها
قل لا اسالكم عليه اجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور وقوله
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهي ثلث وخمسون آية وثمانمائة وست وستون
كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم عسق سئل
الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور
اوايلها حم فجرت مجرى نظايرها فكان حم مبتدا وعسق خبره لان حم عسق عدت ايتين وعدت
اخواتها التي لم تقطع اية واحدة وقيل لان اهل التاويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها
انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها
حم الامر اي قضي وبقي عسق على اصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته
اقسم الله بها وقيل ان العين من العزيز والسين من القدوس والقاف من القاهر وقيل ح حرب
في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم
س سنين كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم
فالحا حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناه المشهود والقاف
قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد
اوحي اليه حم عسق فلذلك قال تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل معناه كذلك
يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك ۝ الله العزيز في ملكه ۝ الحكيم في صنعه والمعنى
كانه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين وقيل
تتفطر كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا
والملايكة يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ۝ ويستغفرون
لمن في الارض اي من المومنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان تستغفر له الملايكة وقيل
يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما في حق الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون
المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المومنين فبالتجاوز عن سياتهم وقيل
استغفارهم لمن في الارض هو سوال الرزق لهم فيدخل فيه المومن والكافر ۝ الا ان الله هو الغفور
الرحيم يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سالوها ويضم اليها الرحمة وكرمه الرحمة التامة الشاملة
قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء وانداداً ۝ الله حفيظ عليهم
اي رقيب على احوالهم واعمالهم ۝ وما انت عليهم بوكيل اي لم نوكلك بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير
وكذلك اي ومثل ما ذكرنا اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى يعني مكة والمراد اهلها
ومن حولها يعني قرى الارض كلها ۝ وتنذر يوم الجمع وهو يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل
السموات واهل الارض ۝ لا ريب فيه اي لا شك في الجمع انه كاين ثم بعد الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى

فريق

فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول
الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء ابايهم وعشايرهم وعدتهم
قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس
بزايد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيمة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من
رب العالمين باسماء اهل النار واسماء اباهم وعشايرهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان
يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله
عليهم الى يوم القيمة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب
الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل
ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى
ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام ۝ ولكن
يدخل من يشاء في رحمته اي في دينه الاسلام ۝ والظالمون اي الكافرون ۝ ما لهم من ولي يدفع
عنهم العذاب ۝ ولا نصير اي يمنعهم من العذاب ۝ ام اتخذوا اي بل اتخذ الكفار ۝ من دونه اولياء فالله هو
الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك ۝ وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني من
يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي ۝ وما اختلفتم
فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل
علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على
حكومته ۝ ذلكم الله اي الذي يحكم بين المختلفين ۝ هو ربي عليه توكلت اي في جميع اموري ۝ واليه انيب اي
واليه ارجع في كل المهمات ۝ فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ۝ ازواجا اي حلايل
وقيل انما قال من انفسكم لان الله تعالى خلق حوا من ضلع ادم ۝ ومن الانعام ازواجا اي اصنافا
ذكرانا واناثا ۝ يذرؤكم فيه اي يخلقكم وقيل يكثركم فيه اي في الرحم وقيل في البطن لانه قد
تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان من ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل
وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم
العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل في معنى البا اي يذرؤكم به اي يكثركم بالتزويج ۝ ليس
كمثله شيء المثل صلة اي ليس هو كشيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال ابن عباس
ليس له نظير فان قلت هذه الاية دالة على نفي المثل في الرزق قلت المثل هو الذي يكون
مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شيء معناه ليس له نظير
كما قاله ابن عباس او يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله ولله المثل الاعلى
معناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد ظهر بهذا التفسير
معنى الايتين وحصل الفرق بينهما ۝ وهو السميع اي لساير المسموعات ۝ البصير اي لساير
المبصرات ۝ له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض
النبات يدل عليه قوله ۝ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه يوسع على من يشاء ويضيق
على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده ۝ انه بكل شيء عليم اي من البسط والتضييق قوله عز وجل

شرع لكم من الدين اي بيّن وسنّ لكم طريقا واضحا من الدين اي دينا تطابقت على صحته الانبياء
وهو قوله ما وصى به نوحا يعني انه اول الانبياء اصحاب الشرايع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا
واحدا والذي اوحينا اليك اي من القرآن وشرايع الاسلام وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
انما خص هولاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرايع العظيمة والاتباع الكثيرة واولي
العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هولاء الاعلام من رسله بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه والمراد من اقامة الدين توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في اوامره ونواهيه
وساير ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة
متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام
وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه
باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله بالتوحيد والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة
الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي من التوحيد ورفض الاوثان
الله يجتبي اليه من يشاء اي يصطفي لدينه من يشاء من عباده ويهدي اليه من ينيب اي يقبل
الى طاعته وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتاب الا من بعد
ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم اي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على
محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يعني الى
يوم القيمة لقضي بينهم اي بين من آمن وكفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وان الذين
اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى من بعدهم اي من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية لفي شك
منه اي من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به مريب يعني مثل ما بين شاكين فيه فلذلك اي الى
ذلك فادع اي الى ما وصى الله به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث من الاختلاف الكثير في الدين
فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم كما امرت اي اثبت على الدين الذي امرت به
ولا تتبع اهواءهم اي المختلفة الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي آمنت بكتب الله
المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قال ابن عباس
امرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال
والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الي الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
يعني ان الاله الكل واحد وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله لا
حجة بيننا اي في المعاد لفصل القضاء والله المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله اي يخاصمون
في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه
خصومتهم من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجاب الناس
لدين الله فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة اي
خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي في الآخرة الله الذي
انزل الكتاب بالحق اي بالكتاب المشتمل على انواع الدلايل والاحكام والميزان اي العدل
سمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن
البخس وما يدريك لعل الساعة قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة

وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى يكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها اي ظنا منهم انها غير آتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون اي يخاصمون في الساعة وقيل يشكون
فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس
حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله
يرزق من يشاء يعني ان الاحسان والبر العام في حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من
رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه وقيل اللطف في الرزق
من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو
القوي اي القادر على كل شيء ما يشاء العزيز اي الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد
حرث الآخرة اي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف
بالواحد عشرة الى ما شاء الله من الزيادة وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل
سبيل الخيرات والطاعات عليه ومن كان يريد حرث الدنيا يريد بعمله الدنيا مؤثرا
لها على عمل الآخرة نؤته منها اي ما قدر وقسم له منها وما له في الآخرة من نصيب
يعني لانه لم يعمل لها عن ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا
والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب
ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى احد الكتب الستة واخرجه البغوي باسناده قوله تعالى
ام لهم يعني كفار مكة شركاء يعني الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال
ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ما لم يأذن به الله يعني ان تلك الشرايع
باسرها على خلاف دين الله الذي امر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم
لا يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني ان الله حكم بين الخلق بتاخير العذاب عنهم الى يوم
القيمة لقضي بينهم اي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا وان الظالمين يعني
المشركين لهم عذاب اليم اي في الآخرة ترى الظالمين يعني يوم القيمة مشفقين اي وجلين
خايفين مما كسبوا اي من الشرك والاعمال الخبيثة وهو واقع بهم اي جزاء كسبهم واقع
بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كأن هذه الروضات اطيب بقاع
الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل
غير الروضات هي لمن دون هولاء الذين عملوا الصالحات من اهل القبلة لهم ما يشاؤون
عند ربهم اي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير اي الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني
الذي ذكر من نعيم الجنة الذي يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل
قل لا اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة اجرا اي جزاء الا المودة في القربى خ عن ابن عباس
انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا
ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا في قوله الا المودة في القربى يعني ان تحفظوا
قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي

والثعلبي خ عن ابن عمر ان ابا بكر قال ارقبوا محمدا في اهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن
والحسين رضي الله عنهم وقيل اهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب
الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام م عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم
ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه
ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال حصين ومن اهل بيته يا زيد اليس نساؤه
من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر
وآل عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الانبياء ما
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة
بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا اطلب منكم الا هذا وهذا
في الحقيقة ليس باجر لقول الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب معناه
اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين امر واجب واذا
كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اولى فقوله قل لا اسالكم عليه اجرا
الا المودة في القربى والمودة في القربى ليست اجرا فثبت ان لا اجر البتة والوجه الثاني ان هذا
استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله لا اسالكم عليه اجرا ثم ابتدا فقال الا المودة في القربى اي لكن
اذكركم المودة في القربى واذكركم قرابتي منكم في الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه منسوخة
وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فامرهم
فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة واواه الانصار ونصروه
احب الله ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله
فصارت هذه الاية ناسخة لقوله قل ما اسالكم عليه من اجر الا المودة في القربى والى هذا ذهب الضحاك
والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الاية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه
ومودة اقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الاية وروي عن ابن
عباس في معنى الاية قول آخر قال الا ان تودوا الله وتتقربوا الى الله تعالى بطاعته وهو قول الحسن قال
هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقوله تعالى ومن
يقترف حسنة اي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا اي بالتضعيف ان الله غفور للذنوب
شكور اي للقليل من الاعمال حتى يضاعفها ام يقولون اي بل يقولون كفار مكة افترى
على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجري على لسانهم ان ينسبوا مثله الى الكذب
وانه افترى على الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب فان يشا الله يختم على قلبك اي يربط على قلبك
بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن
وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما اخبر في هذه الاية ويمح الله الباطل اخبر الله تعالى
انما يقولونه باطل والله يمحوه ويحق الحق بكلماته اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك
فمحا باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس يريد اولياءه واهل
طاعته فصل في ذكر التوبة وحكمها قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية

بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثاني
ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت
التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة
هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرا من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة ترك
المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة
الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة م عن
الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب
في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح
بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع
راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما
شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت
فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من
هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على
راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع
في ظلها وقد ايس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال
من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال
المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين
عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض
آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع
الشمس من مغربها وقوله عز وجل ويعفو عن السيئات اي يمحوها اذا تابوا ويعلم ما يفعلون
يعني من خير او شر فيجازيهم عليه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المؤمنين
الله فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه يجيب للذين آمنوا اذا دعوه وقال ابن عباس
ويثيب الذين آمنوا ويزيدهم من فضله اي سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال
ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم والكافرون
لهم عذاب شديد قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الارت فينا نزلت
هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى
ولو بسط الله الرزق لعباده اي وسع الله الرزق لعباده لبغوا في الارض قال ابن عباس لبغيهم

اي لطغوا وعتوا

عليهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا
وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى خلقته وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه ومفقر انكسر
فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان
النفس مايلة الى الشر لكنها اذا كانت واجدة كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان
ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله انه بعباده خبير بصير والمعنى
ان الله تعالى عالم باحوال عباده وطباعهم وبعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم
يدل على ذلك ما روي انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول
الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث
الحرد وما تقرب الي عبدي المومن بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا ان دعاني اجبته
وان سالني اعطيته وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المومن يكره
الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المومنين لمن يسالني الباب من العبادة
فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه
الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو
اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك
وان من عبادي المومنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر
عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي باسناده قوله تعالى وهو الذي ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا اي ياس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر
عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرج تحمد النعم
بعد الشدة اتم وينشر رحمته يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب
وهو الولي اي لاهل طاعته الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته
ومن اياته خلق السموات والارض وما بث اي اوجد فيهما اي في السموات والارض من دابة
فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملايكة قلت الدبيب في اللغة المشي مع الطيران
موصوفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق في السموات انواعا
من الحيوان يدبون دبيب الانسان وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يعني يوم القيمة قوله عز وجل
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يعني المراد بهذه المصايب الاحوال المكروهة
نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصايب
فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعاصي ويعفو عن كثير قال لما نزلت هذه الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم
ولا خدش عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي
سخيلة قال قال علي بن ابي طالب الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسافسرها
لك يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله عز وجل

اكرم

اكرم من ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعود
بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا
بها او درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها ق عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يصيب المومن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيية
وما انتم بمعجزين اي بفايتين في الارض هربا يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير قوله تعالى ومن اياته الجوار يعني السفن في البحر كالاعلام
اي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم ان يشا يسكن الريح اي التي تجري بها السفن
فيظللن رواكد اي ثوابت على ظهره اي على ظهر البحر لا تجري ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
وهذه صفة المومن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء او يوبقهن اي يغرقهن ويهلكهن
بما كسبوا اي بما كسبت ركبانها من الذنوب ويعف عن كثير اي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون بالقران اذا صاروا الى
الله ما لهم من مهرب من عذابه فما اوتيتم من شيء اي من زينة الدنيا فمتاع الحيوة
الدنيا اي هو شيء زاد العاد وما عند الله اي من الثواب خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون والمعنى ان المومن والكافر يستويان في متاع الدنيا فاذا صار الى الله تعالى
كان ما عند الله من الثواب خير للمومنين والذين يجتنبون كباير الاثم يعني كل ذنب يعظم
عقوبته كالقتل والسرقة والزنا وغير ذلك والفواحش يعني ما عظم قبحه من الافعال
والاقوال واذا ما غضبوا هم يغفرون يعني يكظمون الغيظ ويحلمون والذين استجابوا
لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته واقاموا الصلوة يعني المفروضة وامرهم
شورى بينهم يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون براي ما لم يجتمعوا
عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم ومما رزقناهم ينفقون والذين
اذا اصابهم البغي يعني الظلم والعدوان هم ينتصرون يعني ينتقمون من ظالمهم من غير
تعد قال ابن زيد جعل الله المومنين صنفين صنف يعفون عن من ظلمهم فبدا بذكرهم
وهو قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالميهم وهم الذين ذكروا
في هذه الاية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل
ان العفو اغرى للسفيه قال عطاء هم المومنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا
عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعية الانتصار
مشروطة برعاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي الجزاء سيية وان لم يكن
سيية لتشابههما في الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من ينزل به قيل هو جواب القبيح اذا
قال اخزاك الله فقل له اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو
في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جني عليه وقيل ان الله لما رغب في الانتصار
بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى فمن عفا اي عمن ظلمه واصلح اي بالعفو
بينه وبين الظالم فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على
الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرا هذه الاية انه لا يحب الظالمين قال ابن عباس الذين

ينتصرون بالظلم ٥ ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ظلم الظالم اياه ٥ فاولئك يعني المنتصرين ٥ ما عليهم من
سبيل اي بعقوبة ومواخذة ٥ انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي يبدؤن بالظلم
ويبغون في الارض بغير الحق اي يعملون فيها بالمعاصي ٥ اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر اي لم ينتقم
وغفر اي تجاوز عن ظالمه ٥ ان ذلك اي الصبر والتجاوز ٥ لمن عزم الامور يعني ترك الانتصار
لمن عزم الامور الجيدة التي امر الله بها وقيل ان الصابر يؤتى بجميع الثواب فالرغبة في الثواب
اتم عزم ٥ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده يعني ما له من احد يلي هدايته بعد اضلال
الله اياه او يمنعه من عذابه ٥ وترى الظالمين لما راوا العذاب يعني يوم القيمة ٥ يقولون هل الى مرد من
سبيل يعني هل سبيل الى الرجعة الى الدنيا ٥ وتراهم يعرضون عليها اي على النار ٥ خاشعين
من الذل اي خاضعين متواضعين ٥ ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر الى النار
خوفا منها وذلة في انفسهم وقيل ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من الذل وقيل ينظرون
الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي ٥ وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين
خسروا انفسهم يعني بان صاروا الى النار ٥ واهليهم يوم القيمة يعني وخسروا اهليهم بان
صاروا لغيرهم في الجنة ٥ الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من
دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل اي وصول الى الحق في الدنيا والى الجنة في
العقبى قد انسد عليهم طرق الخير ٥ استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيمة وقيل هو يوم
الموت ٥ ما لكم من ملجا يومئذ اي ما لكم من تخلص من العذاب وقيل من الموت ٥ وما لكم من
نكير اي من منكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا يقدرون ان تنكروا من اعمالكم شيا ٥
فان اعرضوا اي عن الاجابة ٥ فما ارسلناك عليهم حفيظا اي تحفظ اعمالهم ٥ ان عليك الا البلاغ
اي ليس عليك الا الابلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ٥ وانا اذا اذقنا الانسان منا
رحمة قال ابن عباس يعني الغنى والصحة ٥ فرح بها وان تصبهم سيئة اي قحط ٥ بما قدمت ايديهم
اي من الاعمال الخبيثة ٥ فان الانسان كفور لما تقدم من نعم الله عليه قوله عز وجل لله ملك
السموات والارض يعني له التصرف فيهما بما يريده ٥ يخلق ما يشاء اي لا يقدر احد ان يعترض
عليه في ملكه وارادته ٥ يهب لمن يشاء اناثا اي فلا يولد له ذكر ويهب لمن يشاء الذكور اي
لا يولد له انثى ٥ او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث ٥ ويجعل من
يشاء عقيما اي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم السلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا
يعني لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابرهيم عليه السلام لم
يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات
ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل الا
فالاية عامة في جميع الناس ٥ انه عليم اي بما خلق قدير اي على ما يريد ان يخلق قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قيل في سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله فانزل
الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحى اليه في المنام او بالالهام كما راى ابرهيم

في المنام

في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت ام موسى ان تقذفه في البحر ٥ او من وراء حجاب اي يسمعه كلامه
من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى ٥ او يرسل رسولا يعني من الملائكة اما جبريل او غيره ٥ فيوحي باذنه ما يشاء
يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الاية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء
حجاب في الدنيا وياتي بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى في سورة النجم ٥ انه علي اي عن صفات المخلوقين
حكيم اي في جميع افعاله قوله عز وجل وكذلك اوحينا اي وكما اوحينا الى سائر رسلنا اوحينا ٥ اليك روحا
من امرنا قال ابن عباس نبوة وقيل قرانا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل ٥ ما
كنت تدري اي قبل الوحي ٥ ما الكتاب يعني القران ٥ ولا الايمان اختلف العلماء في هذه الاية مع
اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا مومنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي
شرايع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان في هذا الموضع الصلاة دليله وما كان
الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان قبل النبوة يوحد الله ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان
يتعبد على دين ابرهيم عليه السلام ولم يتبين له شرايع دينه الا بعد الوحي اليه ٥ ولكن جعلناه نورا
نورا قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القران لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله
نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي اي لتدعو ٥ الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام ٥
صراط الله يعني الذي شرعه لعباده ٥ الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور يعني
امور الخلايق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله اعلم

تفسير سورة الزخرف وهي مكية

وهي تسع وثمانون اية وثمان مائة وثلث وثلثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة حرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب
المبين اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان طريق الهدى من طريق الضلالة وابان ما يحتاج اليه
الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم ٥ انا جعلناه اي صيرنا
قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل انزلناه
وقيل انزلناه ٥ قرانا عربيا لعلكم تعقلون يعني معانيه واحكامه ٥ وانه يعني القران ٥ في ام
الكتاب اي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان
يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب لدينا فالقران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ
لعلي حكيم اخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا اهل مكة بالقران فانه عندنا
لعلي اي رفيع شريف وقيل علي على جميع الكتب ٥ حكيم اي محكم لا يتطرق اليه الفساد
والبطلان قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا معناه افنترك عنكم الوحي ونمسك عن
انزال القران فلا نامركم ولا ننهاكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله ان
اي لان كنتم قوما مسرفين والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع
حين رده اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد بعائدته ورحمته فكرره عشرين سنة او
ما شاء الله وقيل معناه انضرب عنكم تذكرنا اياكم صافحين اي معرضين عنكم وقيل معناه افنطوي
عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم ٥ وكم ارسلنا من نبي

ام

في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون يعني كما يستهزئ قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فاهلكنا اشد منهم بطشا اي اقوى من قومك قوة ومضى مثل الاولين اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا
في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل
ولئن سألتهم اي سألت يا محمد قومك من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم يعني انهم
اقروا بان الله تعالى خالقها واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط
جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا
وافقه ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فكذلك جعل الارض مهادا لكثرة
ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون يعني الى مقاصدكم في اسفاركم
والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم فانشرنا به اي بالمطر
بلدة ميتا اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احياء والذي خلق الازواج
كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد
والزوجية وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون يعني في البحر والبر لتستووا على ظهوره اي على ظهور الفلك
والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعني بتسخير المركب في البر والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا لمنقلبون لمنصرفون
(م) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا
ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا
البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة
في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع
قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته
ومشقته وكآبة المنظر الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره حزينا كئيبا او يصادف ما يحزنه
في اهله وماله عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن ابي طالب وقد اتي بدابته ليركبها فلما وضع رجله
في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين من اي شيء ضحكت قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت
ثم ضحك فقلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر
الذنوب غيرك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا
يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا
ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله عليه ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ
يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا الى الله من كان حاله
ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل وجهه اي
صار وجهه مسودا وهو كظيم اي ممتلئ حزنا وغيظا قيل ان بعض العرب ولدت له انثى فهجر بيت امرأته التي
ولدت فيه الانثى فقالت المرأة ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا

امرنا ما شئنا وانما نأخذ ما اعطينا قوله عز وجل او من ينشأ يعني او من يربى في الحلية يعني الزينة
والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من الولد من هذه المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين
نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله وهو في الخصام اي المخاصمة غير مبين للحجة وذلك
لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قل ما تكلمت امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها
وجعلوا اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وفي قراءة عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم اي حضروا
خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملائكة انهم
بنات الله ويسألون اي عنها فقيل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم
انهم اناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون
عنها في الآخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا
اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يعني
ما هم الا كاذبين في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم ان الملائكة اناث وانهم
بنات الله ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون
اي يأخذون بما فيه بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اي على دين وملة وانا على آثارهم مهتدون
يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال
هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي
اغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون اي بهم قل اولو
جئتكم باهدى اي بدين هو اصوب مما وجدتم عليه آباءكم فابوا ان يقبلوا وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون
فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء اي بريء
مما تعبدون الا الذي فطرني معناه انا ابرأ مما تعبدون الا من الله الذي خلقني فانه سيهدين اي
يرشدني الى دينه وجعلها اي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في
عقبه اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعلهم يرجعون اي لعل من
اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه
من الشرك الى دين ابراهيم بل متعت هؤلاء يعني كفار مكة وآباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم اعاجلهم
بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق يعني القرآن وقيل الاسلام ورسول هو محمد صلى الله عليه وسلم
مبين اي يبين لهم الاحكام وقيل مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من
حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ولما جاءهم
الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف
عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم
فقيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة
وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف
حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم اهم يقسمون رحمة ربك معناه ابايديهم
مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعراضهم وتحكمهم

وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
اي نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا
قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن
الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والغنى كما فضلنا بعضهم على بعض
كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره
وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فينتفع
الاغنياء باعمال الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بالمال وهذا بالعمل فيلتئم
قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ورحمة ربك يعني الجنة خير للمؤمنين مما يجمعون
اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الآباد قوله عز وجل
ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر يرغبون فيه اذا راوا الكفار
في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج يعني مصاعد ودرجات من فضة وسررا اي وجعلنا لهم سررا من فضة
عليها يتكئون وزخرفا اي وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء وان
كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال
والذهاب والآخرة عند ربك للمتقين يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
ماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد احد بني فهر قال كنت في الركب
الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه
هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من
هذه على اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى
ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن
نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين يعني لا يفارقه
يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل يعني يمنعونهم
عن الهدى ويحسبون انهم مهتدون يعني ويحسب كفار بني آدم انهم على الهدى حتى اذا جاءنا يعني
الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة قال
الكافر لقرينه الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب
اسم احدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين
مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول اصح فبئس القرين يعني الشيطان قال ابو سعيد
الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار ولن ينفعكم
اليوم اذ ظلمتم يعني اشركتم انكم في العذاب مشتركون يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم

لان كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم
اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر افانت تسمع الصم او تهدي
العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون قوله عز وجل
فاما نذهبن بك اي بان نميتك قبل ان نعذبهم فانا منهم منتقمون اي بالقتل بعدك او نرينك
اي في حياتك الذي وعدناهم اي من العذاب فانا عليهم مقتدرون اي قادرون على ذلك متى شئنا
عذبناهم واراد بهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه وعده الانتقام له منهم يوم بدر اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل
عنى به ما يكون في امته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فما روي ضاحكا بعد منبسطا حتى قبضه الله تعالى
فاستمسك بالذي اوحي اليك يعني القرآن انك على صراط مستقيم اي على دين مستقيم لا يميل عنه
الا ضال وانه لذكر لك اي لشرف عظيم لك ولقومك وسوف تسألون يعني عن حقه واداء شكره وروي عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك فلم يخبر بشيء حتى نزلت
هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان خ عن معوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم
هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى
يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك اي في ذلك الشرف لك بما اعطاك من العلم والحكمة ولقومك
يعني المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسألون يعني عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه
قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
اختلفوا في هؤلاء المسؤولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
بعث الله له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما
فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا
جمع له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم
هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه
سل مؤمني اهل الكتاب الذين ارسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد
وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن
والمقاتلين ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يات رسول ولا كتاب بعبادة
غير الله عز وجل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين
فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون اي استهزاء وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها
التي قبلها اي قرينتها التي قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة

يعني القرآن

الخبر من التي قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس
فكانت هذه ايات ودلالات لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون اي عن كفرهم
وقالوا يعني لموسى لما عاينوا العذاب يا ايها الساحر اي الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا له

العالم

لان السحر كان عندهم علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه يا ايها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك
بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا العذاب فسله ان يكشف اننا
لمهتدون اي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله فلما كشفنا عنهم العذاب
اذا هم ينكثون اي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك
مصر وهذه الانهار تجري من تحتي يعني انهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين
يدي في جناني وبساتيني وقيل تجري بامري افلا تبصرون اي عظمتي وشدة ملكي ام انا اي بل
انا خير وليس بحرف عطف على قول اكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه افلا تبصرون ام لا تبصرون ثم ابتدا
فقال انا خير من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين يفصح بكلامه للثغة التي كانت
في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه اولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي
ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام فلولا القي عليه اي ان كان صادقا اساورة من ذهب قيل انهم كانوا
اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال
فرعون هلا القى رب موسى عليه اسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته او جاء معه الملائكة
مقترنين اي متتابعين يقارن بعضهم بعضا ليشهدوا له بصدقه ويعينوه على امره قال الله تعالى
فاستخف قومه يعني القبط اي على امره قال الله تعالى فاستخف اي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة

يعني فرعون

والجهل فاطاعوه اي على تكذيب موسى انهم كانوا قوما فاسقين يعني حيث اطاعوا فرعون فيما
استخفهم به فلما اسفونا اي اغضبونا وهو في حق الله تعالى ارادة العقاب وهو قوله انتقمنا منهم
فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة
لمن يجي من بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا قال ابن عباس نزلت هذه الاية في مجادلة عبد الله
ابن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى بن مريم عليه السلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبيا ومعنى الاية ولما ضرب عبد الله
ابن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شان عيسى بن مريم عليه السلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما
تعبدون عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك يعني قريشا
منه اي من المثل يصدون اي يرتفع لهم صخب وصياح وفرح وقيل يقولون ما يريد محمد منا الا
ان نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا االهتنا خير ام هو يعنون محمدا صلى
الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك الهتنا وقيل معناه ام هو يعني عيسى قالوا يزعم محمد ان كل
ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا ان تكون الهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار
قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل لك الا جدلا اي خصومة بالباطل وقد علموا ان المراد
من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام بل هم قوم خصمون اي بالباطل
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا
الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون اخرجه الترمذي

وقال

وقال حديث حسن صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير اب ولو نشاء لجعلنا
منكم الخطاب لاهل مكة ملائكة معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلفون
اي يكونون خلفا منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وانه
يعني عيسى لعلم للساعة يعني نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وفي رواية ابي داود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاذا رايتموه فاعرفوه
فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل
فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في
زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه
المسلمون ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفي رواية
فامكم منكم قال ابن ابي ذيب فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى انه ينزل
عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتاخر
الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب
ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل في معنى الاية وانه اي وان القران
لعلم للساعة اي يعلم قيامها ويخبركم باحوالها واهوالها فلا تمترن بها اي لا تشكون فيها
وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون اي على التوحيد هذا اي الذي انا عليه صراط مستقيم
ولا يصدنكم اي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي امر به انه يعني الشيطان لكم عدو
مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة اي بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون
فيه اي من احكام التورية وقيل اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى وقيل الذي جاء به
عيسى الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم عيسى في غير الانجيل ما احتاجوا اليه
فاتقوا الله واطيعون اي فيما امركم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من
عذاب يوم اليم هل ينظرون اي ينتظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاة والمعنى
انها تاتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الاخلاء اي على الكفر والمعصية في الدنيا يومئذ يعني
يوم القيمة بعضهم لبعض عدو اي ان الخلة اذا كانت على الكفر صارت عداوة يوم القيمة الا المتقين
اي الا الموحدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته روي عن علي بن ابي طالب في الاية
قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات احد المؤمنين فقال يا رب ان فلانا كان
يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله
بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل
واحد منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت احد الكافرين فيقول
رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك

فيقول بيس الاخ وبيس الخليل وبيس الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف عليكم اليوم قيل ان الناس
حين يبعثون ليس احد منهم الا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها
الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم
ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اي تسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة
وهو القصعة الواسعة واكواب جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس
وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني احب الخيل فقال
ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذي وانتم فيها خالدون
وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ورد في الحديث انه لا ينزع
رجل من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعني المشركين في عذاب جهنم
خالدون لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون اي ايسون من رحمة الله تعالى وما
ظلمناهم اي وما عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين اي لانفسهم بما جنوا عليها ونادوا يا
مالك يعني يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون ليقض علينا ربك اي ليميتنا ربك فيريحنا
والمعنى انهم توسلوا به ليسال الله لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قال ابن عباس وقيل بعد ماية سنة
وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم
عليهم قال انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب
مقيمون في العذاب لقد جيناكم بالحق يقول ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم
للحق كارهون ام ابرموا امرا اي احكموا امرا في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون
امرا في مجازاتهم ان كادوا الذهم مثله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرونه من غيرهم وما يتناجون
به بينهم بلى نسمع ذلك ونعلمه ورسلنا يعني الحفظة من الملايكة لديهم يكتبون قوله عز وجل
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من
عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الانفين اي انا اول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا اول
من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الاية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان
صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل
ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد
والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه عن الولد فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
اي عما يقولون من الكذب فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
يعني يوم القيامة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي هو الاله الذي يعبد في السماء وفي الارض لا اله الا هو
وهو الحكيم اي في تدبير خلقه العليم اي بمصالحهم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده
علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها ان النضر
ابن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملايكة وهم احق بالشفاعة من محمد
فنزلت هذه الاية واراد بالذين يدعون من دونه الهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملايكة بقوله
الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى
وعزير والملايكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هولاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي كلمة

وقرأ عاصم ونافع وابن عامر وحمزة ... بالتاء على الالتفات للتهديد

...

كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهد بها بقلبه شفعوا له وهو قوله وهم يعلمون اي يعلمون ما شهدوا
به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خلق عيسى والعزير والملايكة ويعلمون انهم عباده ولئن سالتهم من
خلقهم ليقولن الله يعني انهم اذا اقروا بالله خالق العالم باسره فكيف اقدموا على عبادة غيره فانى يوفكون
اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يا رب يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يا رب ان هولاء
قوم لا يومنون قال ابن عباس شكى الى الله تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو
قومه الى ربه فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب وقل
سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وفيه
تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق قال مقاتل نسختها اية السيف والله اعلم

تفسير سورة الدخان وهي مكية

وهي سبع وقيل تسع وخمسون اية وثلثمايه وست واربعون كلمة والف واربع مايه واحد وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب
المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام انا انزلناه
في ليلة مباركة قيل هي ليلة القدر انزل الله فيها القران جملة من اللوح المحفوظ الى السماء
الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقايع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من
شعبان عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف
من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب اخرجه الترمذي انا كنا منذرين
اي مخوفين عقابنا فيها اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي محكم قال ابن عباس
يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما هو كاين في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى
الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ
الاموات من الاحياء وروى البغوي بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال من شعبان
الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اخرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس ان الله
يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي انزلناه
امرا من عندنا انا كنا مرسلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء رحمة من ربك قال
ابن عباس رافة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه في ليلة
مباركة رحمة من ربك انه هو السميع اي لاقوالهم العليم اي باحوالهم رب السموات والارض
والارض وما بينهما ان كنتم اي ان الله رب السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب
اباءكم الاولين قوله تعالى بل هم في شك اي من هذا القران يلعبون اي يهزؤون به لاهون عنه
فارتقب اي يا محمد يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم قال عن مسروق
قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان
قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجي فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المومنين
منها كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم شيا
فليقل به ومن لا يعلم شيا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل

قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من الناس
ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعني عليهم بسبع
كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصّت كل شيء حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى السماء احدهم فيرى كهيئة
الدخان فاتاه ابو سفيان فقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم
قال الله عز وجل فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انكم عائدون قال عبد الله افيكشف عذاب الاخرة
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا واخذ عاريه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر
فذلك قوله فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصّت كل شيء بالحاء والصاد
المهملتين اي حلقت واهلكت واستاصلت كل شيء ق عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام
والروم والبطشة والقمر والدخان وقيل اصابهم من اصابهم الجوع كالظلمة في ابصارهم وسبب ذلك ان
في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان
وقيل هو دخان يجي قبل قيام الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون راسه
كراس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار
وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين
تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية
يوم تاتي السماء بدخان مبين يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
منه كهيئة الزكام واما الكافر فيكون كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره ۝ انى لهم الذكرى اي كيف
يتذكرون ويتعظون لهذه الحالة ۝ وقد جاءهم رسول مبين معناه وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل
في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والبينات
الباهرات ۝ ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه ۝ وقالوا معلم مجنون اي يلقون اليه الجن هذه الكلمات حال
ما يعرض له الغشي ۝ انا كاشفوا العذاب اي الجوع ۝ قليلا اي زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر ۝
انكم عائدون اي الى كفركم ۝ يوم نبطش البطشة الكبرى هو يوم بدر ۝ انا منتقمون اي منكم
في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيمة قوله تعالى
ولقد فتنا قبلهم اي قبل هؤلاء ۝ قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اي على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام
ان ادوا الي عباد الله اي اطلقوا الي بني اسرائيل ولا تعذبوهم ۝ اني لكم رسول امين اي على الوحي ۝ وان
لا تعلوا على الله اي لا تتجبروا عليه بترك طاعته ۝ اني اتيكم بسلطان مبين اي برهان بين على
صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلون
وقال ابن عباس تشتمون وتقولون هو ساحر وقيل ترجمون بالحجارة ۝ وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
اي فاتركوا لا معي ولا علي وقال ابن عباس فاعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا فدعا ربه ان هؤلاء
قوم مجرمون اي مشركون ۝ فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاءه وامره ان يسري ببني اسرائيل بالليل
انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه ۝ واترك البحر رهوا اي اذا قطعته انت واصحابك رهوا اي ساكنا
والمعنى لا تامره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك

اي يعلمه بشر

انه

رهواً منفرجاً

انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما
هو ۝ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم اي مجلس شريف حسن ۝ ونعمة اي وعيش لين رغيد
كانوا فيها اي في تلك النعمة ۝ فاكهين اي ناعمين وقرئ فكهين اي اشرين بطرين ۝ كذلك اي افعل بمن عصاني ۝
واورثناها قوما آخرين يعني بني اسرائيل ۝ فما بكت عليهم السماء والارض وذلك ان المؤمن اذا مات
تبكي عليه السماء والارض اربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا
لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا
وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله فما بكت عليهم
السماء والارض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا
الوجه وقيل بكاء السماء حمرة اطرافها قال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض اربعين
صباحا فقيل له او تبكي قال وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي
على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل المراد اهل السماء واهل الارض ۝ وما كانوا
منظرين اي لم يمهلوا حين اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرائيل من
العذاب المهين اي من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل ۝ من فرعون انه كان عاليا
اي جبارا ۝ من المسرفين ۝ ولقد اخترناهم على علم اي علمه الله تعالى فيهم ۝ على العالمين اي
عالمي زمانهم ۝ واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين اي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى والنعم التي انعمنا بها عليهم وقيل ابتلاهم بالرخاء والشدة ۝ ان هؤلاء
يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اي لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا
بعث بعدها وهو قوله وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد موتتنا هذه ۝ فاتوا بآبائنا اي الذين
ماتوا قبل ۝ ان كنتم صادقين اي انا نبعث احياء بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم
ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى اهم خير ام قوم تبع اي ليسوا
خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي
تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار
فاسلم ودعى قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه قد كان اسلم اخرجه احمد بن حنبل في مسنده وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبع نبيا كان او غير نبي وعن عائشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا
صالحا وكان من قصته على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الاخر وهو ابو كرب
اسعد بن مليكرب وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل
طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين اظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع
خرابها واستئصال اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله
فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك
اذ جاءه حبران عالمان من احبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما كعب والاخر اسد حين سمعا ما
يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينها
ولم نامن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده

بمكة وهذا دار هجرته ومثى لكالذي انت فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم والنبي من يقاتله وهو نبي قالا يسير اليه قومه فيقتلون ها هنا فتناهى لقولهما عاكان يريد بالمدينة انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وما اراد القوم الا هلاكك وما ناواه احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنع اهله فلما قالوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب شعب المطابخ وكسى البيت الوصايل وهي برود تصنع باليمن وهو اول من كسى البيت ونحر بالشعب ستة الاف بدنة واقام به ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا انك قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم فقالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه تاكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في اعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشيتهم فاكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان اصل اليهودية باليمن قال الرهاوي كان ابو كرب اسعد بن الحميري من التبابعة ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى والذين من قبلهم اي من الامم الكافرة اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق اي بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم الفصل ميقاتهم اي الذي يفصل الله فيه بين العباد ميقاتهم اجمعين اي يوافي يوم القيمة الاولون والآخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله يعني المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اي في انتقامه من اعدائه الرحيم اي باوليائه المؤمنين قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي ذي الاثم وهو ابو جهل كالمهل اي كدردي الزيت اسود يغلي في البطون اي في بطون الكفار كغلي الحميم يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى خذوه اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اي ادفعوه وسوقوه بالعنف الى سواء الجحيم اي الى وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب راسه عن دماغه ثم يصب فيه حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق اي هذا العذاب انك انت العزيز الكريم

اي عند قومك بزعمك وذلك ان ابا جهل كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى ان المتقين في مقام امين اي في مجلس امنوا فيه من الغير في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبره فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على وجه الاعراب متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا كذلك اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البياض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العين يدعون فيها بكل فاكهة يعني ارادوها واشتهوها امنين اي من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت في الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك لهم تفضلا ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اي سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون اي يتعظون فارتقب اي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب انهم مرتقبون اي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة باية السيف عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن ابي خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذي وقال هشام ابو المقدام احد رواته ضعيف والله اعلم

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة

وهي مكية وهي سبع وثلثون اية واربعمائة وثمانون كلمة والفان ومائة واحد وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات اي ان في خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله لآيات للمؤمنين وفي خلقكم اي وفي خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان تصير انسانا ذا عقل وتمييز وما يبث من دابة اي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها

في الخلق والشكل والصورة آيات اي دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله القادر المختار
لقوم يوقنون يعني انه لا اله غيره واختلاف الليل والنهار يعني بالظلام والضياء والطول والقصر
وما انزل الله من رزق يعني المطر الذي هو سبب ارزاق العباد فاحيا به اي بالمطر الارض بعد
موتها اي يبسها وتصريف الرياح اي في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها
الحار والبارد وغير ذلك آيات لقوم يعقلون فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله للمؤمنين
ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلائل
النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فامنوا به واقروا انه الاله القادر على كل
شيء ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة
العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في اسرار كتابه تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث
بعد الله اي بعد كتاب الله وآياته يؤمنون قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم اي كذاب صاحب اثم
يعني النضر بن الحرث يسمع آيات الله يعني آيات القرآن تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها
فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيئا يعني آيات القرآن اتخذها هزوا اي سخر منها اولئك
اشارة الى من هذه صفته لهم عذاب مهين ثم وصفه فقال تعالى من ورائهم جهنم يعني امامهم جهنم
وذلك انهم في الدنيا وهم في الاخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا اي من الاموال ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء اي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الالهة ولهم عذاب عظيم
هذا يعني القرآن هدى اي هو هدى من الضلالة والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من
رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله اي بسبب التجارة
واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمته على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض يعني
انه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة
منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل
للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس
نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الاية
وامر ان يعفو عنه وقيل نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا
في اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية ثم نسختها اية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي من الاعمال ثم فسر
ذلك فقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد
آتينا بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة والحكم يعني معرفة احكام الله والنبوة ورزقناهم من
الطيبات اي الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل
عليهم المن والسلوى وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد
من العالمين في زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم وآتيناهم بينات من الامر اي بيان الحلال
والحرام وقيل العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما
جاءهم العلم بغيا بينهم معناه البغي من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف
وههنا صار مجيء العلم سبب لحصول الاختلاف وذلك لانه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم

وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد
والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة
اي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر اي من الدين فاتبعها اي اتبع شريعتك
الثابتة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع
الى دين ابائك فانهم كانوا افضل منك فقال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لن يدفعوا
عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض يعني ان الظالمين
يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الاخرة والله ولي المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم
في الاخرة هذا يعني القرآن بصائر للناس اي معالم للناس في الحدود والاحكام يبصرون
بها وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات اي اكتسبوا المعاصي
والكفر ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين
لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا في الدنيا سواء محياهم ومماتهم معناه
احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم في الدنيا والاخرة والكافر كافر كحياة المؤمنين وموتهم سواء
كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والاخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا
والاخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمال ساء ما يحكمون اي بئس ما يقضون قال مسروق
قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد رايته قام ذات ليلة حتى اصبح
او قرب ان يصبح يقرا آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات
الاية وخلق الله السموات والارض بالحق اي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
ومعنى الاية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل
التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه
هواه قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا
يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما يهواه لنفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة
والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الاخر
قيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار واضله الله على علم اي على علم منه بعاقبة امره على ما
سبق في علم الله انه ضال قبل ان يخلقه وختم على سمعه وقلبه اي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه
وجعل على بصره غشاوة اي ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله
الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله تعالى
صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث
ما هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا اي يموت الاباء ويحيا الابناء وقيل
تقديره نحيا ونموت وما يهلكنا الا الدهر اي وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار
وما لهم بذلك من علم اي لم يقولوه عن علم ان هم الا يظنون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل
والنهار وفي رواية يؤذيني ابن ادم ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر
بيدي الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل

لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصايب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم
الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدايد
سبوا فاعلها فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر
لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر مصرف فيه
وتقع به التاثيرات كما تقع بكم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان
قالوا ائتوا باباينا ان كنتم صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا
باباينا الذين ماتوا ليشهدوا ان البعث حق قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
يعني في ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار وترى كل امة جاثية اي باركة
على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضا قال سلمان الفارسي ان في القيمة ساعة
عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابرهيم ينادي ربه لا اسالك الا نفسي كل امة تدعى الى
كتابها اي الذي فيه اعمالها ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي من خير وشر هذا كتابنا اي
ديوان الحفظة فان قلت كيف اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا
بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافته اليه
لانه تعالى هو امر الحفظة بكتبه ينطق عليكم بالحق اي يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق
وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر الملائكة بنسخ
اعمالكم وكتابتها عليكم وقيل نستنسخ اي ناخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان
فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل
الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ
لا يكون الا من اصل فينسخ كتاب من كتاب فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته اي جنته ذلك هو الفوز المبين اي الظفر الظاهر واما الذين كفروا اي فيقال
لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم يعني ايات القران فاستكبرتم اي عن الايمان بها وكنتم قوما
مجرمين يعني كافرين متكبرين قوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق اي البعث كاين والساعة
لا ريب فيها اي لا شك في انها كاينة قلتم ما ندري ما الساعة اي انكرتموها وقلتم ان
نظن الا ظنا اي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين انها كاينة وبدا لهم
اي في الاخرة سيات ما عملوا اي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزا سياتهم وحاق بهم اي نزل بهم ما
كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا
اليوم وماواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لكم من مانع يمنعكم من العذاب ذلكم اي هذا
الجزاء بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا يعني قلتم لا بعث ولا حساب
فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة
الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب
العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شي من السموات والارض والعالمين وان
مثل الربوبية العامة يوجب الحمد والثنا على كل احد وله الكبريا اي وكبروه فان له الكبريا

والعظ

والعظمة في السموات والارض وحق لمثله ان يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم عن ابي سعيد وابي هريرة
قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبريا رداه فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم واخرجه البرقاني وابو
مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبريا ردائي فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار
شرح الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون
عن الصفة اللازمة بالثوب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار
والردا مثلا له في انفراده بصفة الكبريا والعظمة والمعنى انهما ليستا كسائر الصفات التي يتصف
بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والردا لان المتصف بهما
يشتملانه كما يشتمل الردا الانسان ولانه من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره والله اعلم

تفسير سورة الاحقاف وهي مكية

قيل غير قوله قل ارايتم ان كان من عند الله وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فانها نزلت بالمدينة وهي
اربع وقيل خمس وثلثون اية وستماية واربع واربعون كلمة والفان وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل واجل مسمى يعني
يوم القيمة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فنا السموات والارض والذين كفروا عما انذروا اي عما
خوفوا به في القران من البعث والحساب معرضون اي لا يؤمنون به قل ارايتم ما تدعون
من دون الله يعني الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب
من قبل هذا اي بكتاب جاءكم من الله قبل القران فيه بيان ما تقولون او اثارة من علم اي
بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم ويؤثر عنهم وقيل برواية عن علم الانبيا وقيل علامة
من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض وهو العيافة ان كنتم صادقين اي ان لله
شريكا ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شي يسالونها
الى يوم القيمة يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون يعني لانها جماد لا تسمع ولا
تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين سموا القران سحرا ام يقولون افتريه اي
اختلق القران محمد من قبل نفسه فقال الله عز وجل قل يا محمد ان افتريته فلا تملكون
لي من الله شيا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني على افترايي فكيف افتري على الله
من اجلكم هو اعلم اي الله اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب بالقران والقول فيه انه
سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم اي ان القران جا من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير
العذاب عنكم وقيل هو دعا لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالى قل يا محمد
ما كنت بدعا اي بديعا من الرسل اي لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبيا فكيف تنكرون نبوتي وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلما في معنى هذه الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيمة
فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا
من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا

يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وانزل وبشر
المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتاده والحسن وعكرمه قالوا
انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبيه فنسخ ذلك خ عن خارجه بن زيد بن ثابت
ان ام العلا امراة من الانصار وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت
فطار لنا عثمن بن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في
اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت رحمة الله عليك ابا السايب فشهادتي عليك لقد اكرمك
الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي انت يا رسول الله فمن يكرمه
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاه اليقين والله اني لارجو له الخير والله ما ادري
وانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفعل بي قالت فوالله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت
ورايت لعثمان في النوم عينا تجري فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي روايه
عن البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينه اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن
مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما يفعل بي ولا بكم
هذا في الدنيا اما في الاخره فقد علم انه في الجنه وان من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال
ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكه
ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه متى تهاجر الى الارض التي اريت فسكت فانزل الله
هذه الآيه وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اتركني في مكاني ام اخرج وايا كم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا ادري
الى ماذا يصير امري وامركم في الدنيا فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبيا من قبلي واما انتم ايها المصدقون
فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل بكم ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون ام تاذ اتقتل
بالحجاره من السما ام تخسف بكم ام اي شي يفعل بكم ما فعل بالامم المكذبه ثم اخبره الله عز وجل انه يظهر دينه
على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل معناه
لا ادري الى ما يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر دينه على الاديان وامته على ساير
الامم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه ما اتبع غير القرآن الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيا
وما انا الا نذير مبين اي انذركم العذاب وابين لكم الشرايع قل ارايتم اي اخبروني ماذا يقولون ان كان
من عند الله يعني القرآن وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله اي انه من عند الله
فامن يعني الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم
ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام امن بالنبي
صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يومنوا يدل عليه ما روي عن انس بن مالك
قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينه وهو في ارض يخترف فاتاه وقال اني سايلك
عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعه وما اول طعام ياكله اهل الجنه ومن اي شي ينزع الولد
الى ابيه ومن اي شي ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرني بهن انفا جبريل قال فقال عبد الله
ذاك عدو اليهود من الملايكه فقرا هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعه فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل

الجنة

الجنة فزيادة كبد حوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماوه كان الشبه له
واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان
علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجات اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم قالوا اعاذه الله من ذلك زاد في روايه فاعاد عليهم
فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقالوا اشرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في روايه فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت اخاف
يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه ق عن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لحي يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد
من بني اسرايل على مثله قال الراوي لا ادري قال مالك الآيه او في الحديث وقيل الشاهد هو موسى
ابن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الآيه والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل
حم نزلت بمكه وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينه ونزلت الآيه في محاجة كانت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوريه ومحمد على القرآن وكل
يصدق الاخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوريه التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد
محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله فامن من امن بموسى والتوراه واستكبرتم انتم يا معشر العرب
ان تومنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قايم مقام جواب الشرط المحذوف
والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله تعالى
وقال الذين كفروا يعني من اليهود للذين آمنوا لو كان خيرا يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه يعني
عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكه قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا
اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينه ومزينه لو كان ما
جا به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعا البهم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به اي بالقرآن كما اهتدى به اهل
الايمان فسيقولون هذا افك قديم اي كذب متقدم ومن قبله اي من قبل القرآن كتاب
موسى يعني التوراة اماما اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة اي من الله لمن امن به وهذا
كتاب يعني القرآن مصدق اي للكتب التي قبله لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا يعني مشركي مكة
وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنه
خالدين فيها جزا بما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا
اي يحسن اليهما احسانا وهو ضد الاساه حملته امه كرها يعني حين اثقلت وثقل عليها الولد
ووضعته كرها يريد شدة الطلق وحمله وفصاله ثلثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المراة
تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت سته اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا
حتى اذا بلغ اشده اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوايه وهو ما بين ثماني عشره سنه الى اربعين سنه
وهو قوله وبلغ اربعين سنه قيل نزلت هذه الآيه في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصه
وقيل انها على العموم وقيل انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه صحب النبي صلى
الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنه والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنه في تجارة الى الشام فنزلوا

القرآن انهم

منزلا فيه سمرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك يساله عن الدين فقال له
الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن المطلب فقال الراهب هذا والله نبي
وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق
وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه
الله تعالى بنبوته واختصه برسالته آمن به ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلثين فلما بلغ اربعين سنة دعا
ربه عز وجل قال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي بالايمان والهداية
وقال علي بن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد
من المهاجرين ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس
اجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيا من الخير
الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا
آمنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابواه ابو قحافة عثمان بن عمرو واسمه ام الخير بنت صخر بن عمرو
وابن ابي بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابو عتيق محمد فهولاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن
ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله اني
تبت اليك اي رجعت اليك والى كل ما تحبه واني من المسلمين اي واسلمت بقلبي ولساني اولئك الذين
نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن
فيثيبهم عليها ونتجاوز عن سياتهم اي فلا يواخذهم بها في اصحاب الجنة اي مع اصحاب الجنة وعد الصدق
اي الذي وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سياتهم وعده صادق وقيل وعدهم بان يدخلهم
الجنة الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي قال لوالديه
يعني اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت اف لكما وهي كلمة كراهية اتعدانني ان
اخرج اي من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي اي فلم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله
اي يستصرخان بالله عليه ويقولان له ويلك امن ان وعد الله حق اي بالبعث فيقول ما هذا اي الذي
تدعونني اليه الا اساطير الاولين قال ابن عباس نزلت في ابي بكر الصديق قبل اسلامه وكان
ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ
قريش حتى اسالهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر خ عن
يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معوية لكي يبايع
له فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا الذي
انزل الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القرآن
الا ان الله انزل عذري في سورة النور من برائتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص معين بل المراد كل
شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر
وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه
يبطله قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول اعلم الله ان هولاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن
مومن من افاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اولئك الذين حق عليهم القول اي
وجب عليهم العذاب في امم اي مع امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات

صدق م

عبد الرحمن م

ما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من
الفريقين المومنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيمة باعمالهم فيجازيهم
عليها وقيل درج الجنة تذهب الى علو ودرج النار تذهب الى اسفل وليوفيهم اعمالهم اي جزاء اعمالهم
وهم لا يظلمون قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها يعني وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء فاليوم تجزون
عذاب الهون اي الذي فيه ذل وخزي بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون علل
هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي
والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات
آثر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الاخرة ق عن
عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكي على رمال حصير قد اثر في جنبه
فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر
الا اهبة ثلثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى
جالسا ثم قال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت
استغفر لي يا رسول الله ق عن عائشة قالت ما شبع ال محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عنها قالت كان ياتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان
التمر والماء الا ان نوتى باللحيم وفي رواية اخرى قالت ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال في شهرين
وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار فقال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان
التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذي
وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اخفت في الله ما لم يخف احد واوذيت في الله ما لم
يوذ احد ولقد اتت علي ثلثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام الا شيء يواريه ابط بلال خ
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما
كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية
ان ترى عورته خ عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب
ابن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا راسه قال واراه
قال وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد
خشيت ان يكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن
عبد الله راى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته
فقال عمر او كلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الاية اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله تعالى
واذكر اخا عاد يعني هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف قال ابن عباس الاحقاف
واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل
عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا

الي م

احقاف باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل
من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقد
خلت النذر اي مضت الرسل من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي بعده الا
تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل
الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجئتنا لتأفكنا
اي لتصرفنا عن آلهتنا اي عن عبادتها فأتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من الصادقين
يعني ان العذاب نازل بنا قال يعني هودا انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب وابلغكم
ما ارسلت به يعني من الوحي الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه اليكم ولكني اراكم قوما تجهلون
يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم فلما رأوه يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى عارضا
يعني رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم تطبق السماء مستقبل اوديتهم وذلك
انه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة
فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله ردا عليهم بل هو ما استعجلتم
به يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال
تعالى تدمر كل شيء بامر ربها يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك الريح كانت تحمل
الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت
الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع
ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل
ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح
تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود
عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم
الله بهذا القدر في اظهار كمال القدرة ق عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا
قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا رأى غيما عرف في وجهه قالت
يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رأيته عرف في وجهك
الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا
هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة في السماء اقبل وادبر ودخل
وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال
قوم فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن
فيه مطرا وتخيلت السماء اذا تغيمت وقوله سري عنه اي كشف وازيل عنه ما كان من الغم والحزن
وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ يرى بالياء
المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة
كذلك نجزي القوم المجرمين خوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخطاب
لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا

وأبصـ

وابصارا وافئدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في امر الدين فما استعملوها
الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء يعني انه نزل
بهم العذاب ما اغنى ذلك عنهم شيئا اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء ولقد اهلكنا ما حولكم من
القرى الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام
وقرى قوم عاد باليمن يخوف اهل مكة بذلك وصرفنا الآيات يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على
التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر
فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة
يتقربون بعبادتها الى الله والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت الآلهة
عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم
الى الله وتشفع لهم عنده وما كانوا يفترون يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم
قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية ذكر القصة في ذلك قال المفسرون
لما مات ابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروى محمد بن
اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من
وهم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعندهم
امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه
على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر اما وجد
الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم
خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم
فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيدهم ذلك في تجرئهم عليه فلم يفعلوا واغروا
به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤوه الى حائط لعتبة
وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة
من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت
رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى عدو يتجهمني ام الى عبد ملكته امري ان لم يكن
بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات
وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول
ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس
فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه

فمفعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما وضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلد
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس ابن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن
متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل راسه
ويديه وقدميه قال ما يبكيك ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقالا ويحك
يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف
راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من
جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا
له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم
عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية وقول آخر سياتي في سورة الجن وهو حديث مخرج
في الصحيحين من حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف
الخبر فكان اول بعث بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وسادتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة
الثمالي بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم
قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرا
عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا الثالثة فتبعه عبد الله
ابن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلا مكة دخل
نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت
لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم
اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
مع الفجر فانطلق الي فقال لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت يا رسول الله مرارا ان استغيث
بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يتخطفك
بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بياض قال اولئك جن
نصيبين سالوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله
يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله
وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها
حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل قتل بينهم
فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء
قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضا
وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة فراى شيوخا شمطا
من الزط فافزعوه حين راهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم

بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث الوضوء بنبيذ التمر ضعيف ذكره
البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود
هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد فقال ما صحبه منا احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات
لها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة
بات بها قوم قال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم
وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة
اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر
اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن
نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن
حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروي ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم
لهم اجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم
ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى
والمجوس وعبدة اصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب
والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال
نعم لهم ثواب وعليهم عقاب فلما حضروه الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا استماع القرآن وقيل
يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع
القرآن قالوا انصتوا يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه
شيء فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه فلما
قضي اي فرغ من قراءته ولوا اي رجعوا الى قومهم منذرين يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين
لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وذلك يعرفوا انهم لا يؤمنون غيرهم الى سماع
القرآن والتصديق به الا بعد ايمانهم وتصديقهم له قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى مصدقا قال عطاء كان دينهم اليهودية لذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا
لما بين يديه يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة
الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل
على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فلذلك هو مصدق لما بين يديه من الكتب يهدي الى الحق والى
طريق مستقيم يعني يهدي الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة يا قومنا
اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على انه كان مبعوثا
الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله وآمنوا به فان قلت
قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ
التعيين قلت انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المامور به واشرفها فلذلك ذكره على التعيين
فهو من باب ذكر العام ثم عطف عليه اشرف انواعه يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال بعضهم

لفظه من هنا زايده والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على اصلها وذلك ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل
الاسلام فاذا اسلموا جرت عليهم احكام الاسلام فمن اتى بذنب اخذ به ما لم يتب منه او يبقى تحت خطر
المشية ان شا الله غفر له وان شا اخذه بذنبه واختلف العلما في حكم مومن الجن فقال قوم ليس لهم ثواب
الا نجاتهم من النار وتاولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكي عن الليث
قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس
قيل لمومني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال اخرون لهم الثواب
في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه
ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون وياكلون ويشربون وقال ارطاه بن المنذر سالت ضمرة
ابن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات
للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض يعني لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اوليا يعني انصارا يمنعونه
من الله اوليك يعني الذين لم يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه بقادر
على ان يحيي الموتى يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه
هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله بلى انه على كل شي قدير يعني من اماتة الخلق واحيايهم لانه قادر
على كل شي ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار تقديره فيقال لهم اليس هذا بالحق يعني هذا العذاب
هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا بلى وربنا هذا اعتراف منهم على انفسهم بعد ما كانوا انكروا
لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك يقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتدا باولي العزم من الرسل في الصبر على اذى
قومه قال ابن عباس ذووا الحزم وقال الضحاك ذووا الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من هم من الرسل
فقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل وهذا
القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض
كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم
لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبيا كلهم اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه الا ترى
انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم هم نجبا الرسل
المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اوليك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة لاعدا الله وقيل هم ستة نوح وهود
وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعرا وقال
مقاتل هم ستة نوح وابرهيم وموسى وعيسى صبر على اذى قومه وابرهيم صبر على النار
واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر
على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابرهيم
وموسى وعيسى اصحاب الشرايع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد
ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح

وابرهيم

وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روى البغوي بسنده
عن عايشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا
لال محمد يا عايشة ان الله لم يرض من اولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض
الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله
لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى ولا تستعجل لهم يعني اصبر على اذاهم ولا
تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان
ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال
تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب في الاخرة لم يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار لان
ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يقدم عليهم من العذاب وهو ابد الابدين بلا انقطاع ولا فنا وتم
الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدا فقال تعالى بلاغ اي هذا القران وما فيه من البيان والهدى
بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون يعني الخارجين
عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة الله آية اقوى من هذه الاية والله اعلم بمراده

وفضله ولهذا قال فهل يهلك الا القوم الفاسقون ما من تفسير اعلى من هذا رحمه الله

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله اضل اعمالهم يعني ابطلها ولم يتقبلها منهم واراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من اعمال البر من اطعام
الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم اول هذه السورة
متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قايلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال من صالحة
كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان
الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره
انما فعلوها من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل
كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدبرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم
الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم روسا كفار قريش منهم ابو جهل والحرث بن هشام وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام
يدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام
او منعوا انفسهم من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والذين امنوا وعملوا الصالحات قال ابن عباس
الذين كفروا مشركوا قريش والذين امنوا هم الانصار وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل
فيه كل مومن امن بالله ورسوله فهذا هو الاولى ليشمل جميع المومنين وامنوا بما نزل على محمد
يعني القران الذي انزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع
ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما لشان القران الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان
الا به واكد ذلك بقوله وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق
لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله وامنوا بما نزل على محمد

رضي لم يخالفوه في شيء كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي
لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم واصلح بالهم يعني حالهم وشأنهم وامرهم بالتوفيق في
امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدائهم وقيل اصلح بالهم يعني قلوبهم
لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود
الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوه ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين
امنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن ومعنى الاية ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات
المومنين الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم يعني امثال انفسهم او انه راجع الى الفريقين على معنى انه
تعالى ضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا وقال الزجاج كذلك يضرب الله امثال حسنات المومنين
واضلال اعمال الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا من اهل الحرب فضرب
الرقاب يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب فقط
دون سائر الاعضاء وانما خص دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان
اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس من اشرف اعضاء
البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء حتى اذا اثخنتموهم
يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ من الشيء الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل
والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة فشدوا الوثاق يعني في الاسر والمعنى فاسروهم وشدوا
وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به فاما منا بعد واما فداء
يعني بعد الاسر اما ان تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

فصل في حكم الاية اختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما
تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة
والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الراي قالوا لا يجوز المن
على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل او الاسترقاق ايهما راى الامام ونقل
صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز
ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية ان كانوا من اهل الذمة
ويراد بالفداء ان يفادي باساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة
والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلماء
الى ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم
فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء واكثر
الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد
سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح
ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ق عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا
قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج
اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان

اليوم

تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل
ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثما
حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل
ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا
ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك
احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الدين كله الي
والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد كلها الي وان خيلك اخذتني
وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت
قال لا ولكني اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واخرجه البخاري عن عمران بن حصين
قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت
رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما
ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالى حتى
تضع الحرب اوزارها يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعني حتى يضعوا اسلحتهم ويمسكوا
عن القتال واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمي الاسلحة اوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم
المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الاثام ومعناه حتى يضع المحاربون اوزارهم
بان يتوبوا من كفرهم فيومنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار
المشركين وقبائح اعمالهم بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل
الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى
ابن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان
يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او
يسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم ذلك يعني الذي ذكرت من حكم الكفار
ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم ولكن يعني ولكن
امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل من المومنين الى الثواب ومن قتل من
الكافرين الى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون
في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى
قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم
يعني ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى ويصلح بالهم ويرضي اعمالهم
ويقبلها ويدخلهم الجنة عرفها لهم بين منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون
عليها كانهم سكنوها منذ خلقوا افيكون المومن اهدى الى درجته ومنزلته وزوجته وخدمه منه الى منزله

واهلها في الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة
وطعام معرف اي مطيب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل
تنصروا اولياء الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه ينصركم يعني على عدوكم ويثبت اقدامكم يعني عند
القتال وعلى الصراط والذين كفروا فتعسا لهم قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا
لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي
في النار ويقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وفي هذا اشارة الى لطيفة وهي انه تعالى لما
قال في حق المومنين ويثبت اقدامكم يعني في القتال والحرب كان من الجايز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا
يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المومنون ولهم العثار والزوال
والهلاك وقال في حق المومنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شي وقال في حق الكفار بصيغة
الدعا عليهم واضل اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان ذلك يعني التعس والاضلال
بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القران الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة
لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد
في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها في غير طاعة
الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة دمر الله عليهم يقال دمره الله يعني اهلكه
ودمر عليه اذا اهلك ما يختص به والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص به من انفسهم واموالهم واولادهم
وللكافرين يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم امثالها يعني ان لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله
وهذا التضعيف انما يكون في الاخرة ذلك يعني الاهلاك والهوان بان اي بسبب ان الله مولى الذين
امنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار
لما عبدوا الاصنام وهي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان
الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى
الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال
المومنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الاخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا لهم في الاخرة والذين كفروا يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها
ولذاتها وياكلون كما تاكل الانعام يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما
يراد بهم في غدهما شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره
ولا ينفعه وقيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في
الدنيا لانها جنته وهي سجن المومن بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من النعيم العظيم الدايم
والنار مثوى لهم يعني مقام الكافر في الاخرة والثوى المقام في المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافر
ومستقرهم قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني اخرجك اهلها والمراد
بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هم اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله اهلكناهم
ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال

الكفارة

ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب
بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية افمن كان على بينة من ربه يعني
على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون معه كمن زين له سوء عمله وهو الكافر ابو جهل
ومن معه من المشركين واتبعوا اهواءهم يعني في عبادة الاوثان قوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون
لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الاية ما اعد لكل واحد من الفريقين فبين
الله عز وجل ما اعد للمومنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه
حيث قال المثل هو الوصف ومعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابها به وقيل المماثل به محذوف
غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشي عظيم وقيل المماثل به مذكور وهو
قوله كمن هو خالد في النار فيها يعني في الجنة التي وعد المتقون انهار من ما غير اسن يعني غير
متغير ولا منتن يقال اسن الما واجن اذا تغير طعمه وريحه وانهار من لبن لم يتغير طعمه يعني كما يتغير
البان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم وانهار من خمر لذة للشاربين يعني ليس
فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس في شربها ذهاب
عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط وانهار من عسل مصفى يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا
ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوايب عسل الدنيا
عن حكيم بن معوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الما وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق
الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم
سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار
الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر اذنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان
هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة
ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة
اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم
ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله
البغوي عنه وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان
ماكول اهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة ومغفرة من
ربهم فان قلت المومن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها مغفرة قلت ليس
بلازم ان يكون المعنى لهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات
ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب اخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما
ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب
عليه ولا عقاب فيه وقوله تعالى كمن هو خالد في النار يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدايم كمن
هو خالد في النار لا يخرج من جحيمها وهو قوله وسقوا ماء حميما يعني شديد الحرارة قد اسعرت عليه
جهنم منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رووسهم فاذا شربوه فقطع امعاءهم
يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو

ذكر اللبن

خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد
في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب
على روسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد
كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى
من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه
فاذا شربه قطع امعاءه يقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال
حسن غريب قوله تعالى ومنهم يعني ومن هولاء يعني الكفار من يستمع اليك وهم المنافقون يستمعون
قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه حتى اذا خرجوا من عندك يعني ان هولاء المنافقون
الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك قالوا يعني المنافقين للذين اوتوا
العلم يعني من الصحابة ماذا قال انفا يعني ما الذي قال محمد الان وهو من الايتناف يقال ايتنفت
الامر اي ابتداته قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا
خرجوا من المسجد سالوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وقد
سيلت فيمن سيل اولئك يعني المنافقين الذين طبع الله على قلوبهم يعني فلم يومنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا اهواءهم يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق امات
الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل والذين اهتدوا يعني المومنين لما بين
الله تعالى ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المومن المهتدي الذي يسمع
ما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله اياهم الى الايمان زادهم هدى يعني انهم كلما سمعوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم
وايمانا مع ايمانهم واتاهم تقواهم يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير اتاهم
ثواب تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل فهل ينظرون الا
الساعة ان تاتيهم بغتة يعني ان الكافرين والمنافقين الذين تعدوا عن الايمان فلم يومنوا بالساعة
تاتيهم بغتة تفجاهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة
والساعة اتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا
مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غايب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى
وامر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى فقد جاء اشراطها اي اماراتها وعلاماتها
واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستبعدا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان قايلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها
قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن سهل بن سعد
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الابهام وقال بعثت انا وال
ساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما ق عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية
قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ما بين

بعثه

بعثته صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة
ق عن انس رضي الله عنه قال عند قرب وفاته الا احدثكم حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به احد
غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويقل
ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي
رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من
اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما
الهرج قال القتل القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل او قال ويظهر الجهل خ عن ابي هريرة قال بينا
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل
لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السايل عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة
فانتظر الساعة وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يعني فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة
اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة بغتة فلا تنفعهم الذكرى
ولا يقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت فاعلم انه لا اله الا الله الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فايدة
هذا التكرير الامر واجيب عنه بان معناه دم على ما انت عليه من العلم فهو كقول القايل
للجالس اجلس اي دم على ما انت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا
الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته قال ابو العالية وسفيان بن عيينة
هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجا ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي
لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا
الله تعالى الذي لا اله الا هو واستغفر لذنبك امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع
انه مغفور له ليستن به امته وليقتدوا به في ذلك م عن الاغر المزني اغر مزينة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر في اليوم مائة مرة وفي رواية قال توبوا الى ربكم
فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على
قلبي الغين على قلبي الغين التغطية والستر اي يلتبس على قلبي ويغطي وسبب ذلك ما اطلع عليه من
احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين ومصالحهم
حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو
التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شي سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم
يستغفر الله فان حسنات الابرار سيات المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق
الذي يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره لها اظهارا للعبودية والافتقار الى الله تعالى
وحكى الشيخ محيي الدين النواوي عن القاضي عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر
الذي كان شانه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر او غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى

الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحارث المحاسبي خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام واجلال وان
كانوا امنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة خشية واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره
شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل في معنى الاية استغفر لذنبك اي لذنوب اهل بيتك وللمومنين والمومنات
يعني من غير اهل بيته وقيل هذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر
لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ه والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني
منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى الجنة او الى النار وقيل متقلبكم في اشغالكم
بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الاباء الى ارحام الامهات
وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شي منها وان دق
وخفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة وذلك ان المومنين كانوا حراصا على الجهاد في
سبيل الله وقالوا هلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد لكنا نجاهد ه فاذا انزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين
رايت الذين في قلوبهم مرض يعني نفاقا وهم المنافقون ه ينظرون اليك يعني شزرا وكراهية منهم للجهاد
وجبنا عن لقاء العدو نظر المغشي عليه من الموت يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت
فاولى لهم فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد اولى لك اي وليك وقاربك ما تكره وتم
الكلام عند هذا ثم ابتدا فقوله طاعة وقول معروف فعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره
طاعة وقول معروف امثل لهم واولى لهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا كان امثل واحسن وقيل
هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة
والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت الطاعة والاجابة اولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه
فاذا عزم الامر فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومعناه كقولك جاء الامر ودنا
الوقت وهذا الامر متوقع ومعنى الاية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به ه فلو صدقوا
الله لكان خيرا لهم يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا في اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا
لهم ه فهل عسيتم اي فلعلكم ه ان توليتم يعني اعرضتم عن سماع القران وفارقتم احكامه ه ان تفسدوا
في الارض يعني تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدم
وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام ه وتقطعوا ارحامكم قال قتادة كيف رايتم
القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك
وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ
منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم
اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقرءوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم
الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة
المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ومعاقد

الرحم

الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب
من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ
المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني ليست
بجسم وانما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني
لا يتاتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة
على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصليها وعظم اثم قاطعيها
ولهذا سمي العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام
ملك من الملائكة وتعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله عز وجل هذا كلام القاضي
عياض في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الاية في قوله ان توليتم هو من الولاية يعني فهل
عسيتم ان وليتم امر الناس ان تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى
الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت
عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شي فما معناه قلت قال بعضهم
معناه نفعل بكم فعل المترجي المبتلي وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع منهم
ذلك وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم احقة بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف
تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هولاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم
عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا اولئك
اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع الارحام ه الذين لعنهم الله يعني ابعدهم
من رحمته وطردهم عن جنته ه فاصمهم يعني عن سماع الحق ه واعمى ابصارهم يعني عن طريق
الهدى وذلك انهم لما سمعوا القران فلم يفهموه ولم يومنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه
فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر ه افلا يتدبرون القران
يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشي وما يؤول اليه
امره وتدبر القران لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل
الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية ه ام على قلوب اقفالها يعني بل على قلوب اقفالها
وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل يقال فلان مقفل عن كذا
بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم وقفل على قلوبهم
وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم التدبر للقران مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق
جائز عندنا لان الله امر بالايمان لمن سبق في علمه انه لا يومن فكذلك هذا والله يفعل ما يريد
لا اعتراض عليه لاحد وقيل قوله افلا يتدبرون القران المراد به التاسي وقيل ان هذه
الاية محققة للاية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى
ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القران كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي
استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده روى البغوي
باسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القران ام على
قلوب اقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها او يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى

وفي فاستعان به عمر هذا حديث مرسل عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلتهم لم يدرك النبي صلى
الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم
يعني رجعوا القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية
قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم
وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون ذلك انهم امنوا اولا ثم كفروا ثانيا الشيطان
سول لهم يعني زين لهم القبيح حتى راوه حسنا وأملى لهم قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على
ما لم يسم فاعله يعني امهلوا ومد لهم في العمر وقرئ واملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى واملى لهم الشيطان
بان مد لهم في الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكون الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان
فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول هو الله تعالى في الحقيقة
وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه
فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر
ذلك اشارة الى التسويل والاملاء بانهم يعني بان اهل الكتاب او المنافقين قالوا للذين كرهوا
ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم
وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم
ثم قال والله يعلم اسرارهم يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية من امرهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يعني
فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك يعني ذلك الضرب بانهم يعني
بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس بما كتموا
من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان
والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبط اعمالهم يعني فابطل اعمالهم التي عملوها
من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره ام حسب الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وهم المنافقون
ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم
واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم
بسيماهم لما قال تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا قال
لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشية لا لخوف منهم فقال تعالى
ولو نشاء لاريناكهم اي لا مانع لنا من ذلك والارادة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة
فايدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته لم يعرف فكان المعنى
هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه
وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم اي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول
يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطا فصرف الكلام وازالته
عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل
بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو
صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى الاية وانك يا محمد لتعرفن

المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا
لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل عليه بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه
ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم يعني اعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى ولنبلونكم يعني
ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين يعني انا نامركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر اليه منكم ويصبر عليه
من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور ونبلوا اخباركم يعني نظهرها ونكشفها
ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول يعني خالفوه فيما يامرهم به من الجهاد وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما
ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا الله شيئا يعني انما يضرون انفسهم
بذلك والله تعالى منزه عن ذلك وسيحبط اعمالهم يعني وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها
ثوابا في الاخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر نظيره قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لما ذكر الله الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ثم قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم قال
عطا يعني بالشك والنفاق والمعنى داوموا على ما انتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا
فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب
اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا اعمالكم بالرياء
والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا
اعمالكم بالمعاصي والكبائر قال ابو العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع
الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكبائر بعده ان تحبط الاعمال
واستدل بظاهره من يرى احباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله يقول
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فالله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين
كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولة
حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش
حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول
وكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الاية من لا يرى
ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج
منه ولا دليل لهم في الاية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم اصبح صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيح ايضا ان
سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فاني صائم قال لست باكل
حتى تاكل فاكل معه وقال مقاتل في معنى الاية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا اعمالكم نزلت
في بني اسد وسنذكر القصة في تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت في اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر

والقوا في القليب وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فان الله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿فلا تهنوا﴾ الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا ايها المؤمنون ﴿وتدعوا الى السلم﴾ يعني لا تدعوا الكفار
الى الصلح ابتداء منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا ﴿وانتم الاعلون﴾ يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخر الامر ان الامر للمسلمين والنصر
والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات ﴿والله معكم﴾ يعني بالنصر والمعونة ومن كان
الله معه فهو العالي الغالب ﴿ولن يتركم اعمالكم﴾ يعني لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم
وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها ثم حض على طلب
الاخرة بذم الدنيا فقال تعالى ﴿انما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ يعني باطل وغرور يعني كيف تمنعكم
الدنيا عن طلب الاخرة وقد علمت ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل
وطاعته واللعب ما اشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان
ولم يشغله عن غيره ولم ينبه اشتغاله المهم فهو اللعب وان شغله عن مهمات نفسه
فهو اللهو ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم﴾ يعني يؤتكم جزاء اعمالكم في الاخرة ﴿ولا يسألكم اموالكم﴾
يعني ان الله لا يسال من العباد اموالهم لاجل الاجر عليهم بل يامرهم بالايمان والتقوى والطاعة
ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه لا يسالكم محمد اموالكم وقيل معناه لا يسالكم الله ورسوله اموالكم
كلها في الصدقات انما يسالكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهي زكاة اموالكم ثم ترد عليكم
ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله في اموال الاغنياء ويردها على الفقراء فطيبوا باخراج
الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى
﴿ان يسألكموها﴾ يعني جميع الاموال ﴿فيحفكم﴾ يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في الالحاح
وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسالة اذا لم يترك شيئا من الالحاح ﴿تبخلوا﴾ يعني بالاموال
فلا تعطوها ﴿ويخرج اضغانكم﴾ يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم
الله ان في سؤال الاموال خروج الاضغان ﴿ها انتم هؤلاء﴾ يعني انتم يا هؤلاء [illegible]
ثم استانف وصفهم فقال تعالى ﴿تدعون﴾ الى [illegible] ﴿لتنفقوا في سبيل الله﴾ قيل اراد به النفقة
في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة او جميع وجوه البر ﴿فمنكم من يبخل﴾ يعني
بالصدقة واداء الزكاة [illegible] ﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني﴾ يعني عن
صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض ﴿وانتم الفقراء﴾ يعني اليه
والى ما عنده من الخير والثواب في الدنيا والاخرة ﴿وان تتولوا﴾ يعني عن طاعة الله وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امركم به والزمكم اياه ﴿يستبدل قوما غيركم﴾ يعني يكونون اطوع منكم لله
ورسوله قال الكلبي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ﴿وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا امثالكم﴾ قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا
وقومه اخرجه الترمذي وقال هذا غريب وفي اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا

قال

قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال
هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا
الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفتح مدنية

خ عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا
فساله عمر عن شيء فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك عمر نزرت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس
وخشيت ان ينزل في قران فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون
قد نزل في قران فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة
لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا واخرجه الترمذي وزاد فيه فقال
في بعض اسفاره بالحديبية ق عن انس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت
علي الليلة اية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال
الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت
فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه الترمذي
عن قتادة عن انس قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه
من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي اية احب الي مما على الارض ثم قراها النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فما ذا يفعل بنا فنزلت عليه
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا
بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد
هو فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى له فان قلت
على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم يكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا
لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا
على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال
انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد
بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب
وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله
بقدرته ولطفه وعن البراء قال تعدون انتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان
يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك

[illegible]

النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضا ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها
غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا قال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب
على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن
الاسلام من قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة
تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر وليدخل المومنين والمومنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا
ليغفر لك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك وهديناك صراطا
مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد
لعدوه وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة
والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الاية ليغفر الله لك جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل
النبوة وما تاخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغاير على الانبيا وقال عطا الخراساني ما تقدم من
ذنبك يعني ذنب ابويك ادم وحوا ببركتك وما تاخر ذنوب امتك بدعائك لهم وقال سفين الثوري ما تقدم من
ذنبك ما كان منك قبل النبوة وما تاخر يعني كل شي لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التاكيد كما تقول اعطى
من راه ومن لم يره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل
المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتاول لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر
الذنب هنا ما عسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيات المقربين فسماه ذنبا
فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه
وهو قوله تعالى ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر والتمكين ويهديك صراطا
مستقيما يعني ويهدي بك الى صراط مستقيم ويثبتك عليه والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى
صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي بك الى صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا
ذا عز ومنعة وظهور على الاعدا وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله فان قلت
وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عز
كقوله عيشة راضية اي ذات رضى وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال
هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا
واختصارا وقيل لا يحتاج الى هذه التقديرات اذ كان العز من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا
ان العزيز هو النفيس القليل او العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذي هو من
الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله فصح وصفه كونه نصرا عزيزا قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب
المومنين يعني المومنين الطمانينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في
القران طمانينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا

بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي الطمانينة والثبات في قلوب المومنين
ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقا في الحروب وغيرها فكان ذلك سبب النصر الذي وعد الله به
صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وذلك انه جعل السكينة والطمانينة في قلوب
المومنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم امر او فرض امنوا به وعلى مقتضا كان
ذلك زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما امنوا به وصدقوه
زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشي وصدقوه ازدادوا
تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله
رسوله الرويا بالحق وقيل لما امنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم
فيما اخبرهم به عن الله عز وجل وامنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وامنوا بالفروع وهي جميع التكاليف
البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم وقوله ولله جنود السموات والارض لما قال الله عز وجل وينصرك الله
نصرا عزيزا وكان المومنون في قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله تعالى ان
له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على
ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينته في قلوبكم ايها المومنون
ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدايه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب
وفي جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملايكة السموات والارض الثاني ان جنود السموات الملايكة وجنود
الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض
مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكان الله عليما يعني بجميع جنوده الذين في السموات والارض
حكيما يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المومنون حكيما حيث جعل النصر على ايديكم قوله عز وجل
ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار فقوله ليدخل المومنين ليستند على سابق
تقديره هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته
ان سكن قلوب المومنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ما روي عن انس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال الصحابة هنيا مريا قد بين الله ما
يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله الاية التي بعدها ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سياتهم فان قلت تكفير السيات انما يكون قبل
دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيات
والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة وكان
ذلك عند الله فوزا عظيما يعني ان ذلك الادخال والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات يعني المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات
من اهل مكة انه قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المومنين
من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد
فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر اولى الظانين بالله ظن السوء يعني انهم ظنوا

ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ۝ عليهم دائرة السوء يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك وغضب
الله عليهم زيادة في تعذيبهم وهلاكهم ۝ ولعنهم يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته واعد لهم جهنم يعني في
الآخرة ۝ وساءت مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ۝ ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره فان قلت
ما فائدة التكرار ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم اخر ذكر جنود السموات
والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتاكيد وجنود السموات والارض
منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة
ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله
ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء واخر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين
ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت قال في الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه
وكان الله عزيزا حكيما فما معنا قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم
الله ضعف المؤمنين ناسب ان يكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر
والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذي
انتقام وقوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا
يعني على اعمال امته ۝ ومبشرا يعني لمن آمن به واطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى امره بالعقاب
ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله الضمير فيه للناس المرسل اليهم ۝ ويعزروه يعني
ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم ۝ ويوقروه يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل ۝ ويسبحوه من
التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص او من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى
والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه
ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ
بقوله ويسبحوه بكرة واصيلا على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني ويصلوا لله او ويسبحوا
الله بالغداة والعشي قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني ان الذين يبايعونك يا محمد
بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي
يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه
البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت
ببير هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بير قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل
ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها ق عن يزيد بن ابي عبيد
قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت م عن معقل بن يسار قال
لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشرة
مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه
جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة
منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية

تفرقوا

تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى يد الله
فوق ايديهم قال ابن عباس يد الله بالوفاء وبما وعدهم من الخير فوق ايديهم وقال السدي كانوا ياخذون
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم
في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها
وذلك ان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى
واحد ففيه وجهان احدهما يد الله يعني نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما يقال بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان ۝ وثانيهما يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال
اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله بمعنى الحفظ
وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما
يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير
ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من
يطع الرسول فقد اطاع الله ۝ هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف
السكوت عن التاويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه
ولا تكييف ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه يعني فمن نقض العهد الذي
عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله يعني من البيعة ۝ فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الآخرة وهو الجنة
قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام
الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش
ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بعمرة وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد
حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول لك يا
محمد المخلفون من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه
وعاتبتهم على التخلف عنك ۝ شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا
من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك ۝ فاستغفر لنا يعني انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا
بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب
الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا ۝ قل فمن يملك لكم من الله
شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوءا او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد
شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب
الاستغفار واخفائكم النفاق ۝ بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ۝ وزين ذلك

في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان
قد يوسوس في قلب الانسان الشيء ويزينه له حتى يقطع به وظننتم ظن السوء يعني وظننتم ان الله لا يخلف وعده
وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون معهم انظروا
ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله عز وجل حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن
الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين
سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر انه له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء
بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة بقوله وكان الله غفورا رحيما
قوله عز وجل سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها
المؤمنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من
غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية
خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر
لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا
اذ لم يكن هناك طمع في غنيمة وههنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون ان يبدلوا
كلام الله يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة
وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا
يسير معه منهم احد الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فان استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
معي ابدا والقول الاول اصوب قل اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من
قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل
تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا يعني الا قليلا منهم وهو من
تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن
تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف
الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم
اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا
واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله
ستدعون الى قوم اولي باس شديد من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب
هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن
وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب
قال رافع بن خديج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم

وقال ابن

وقال ابن جريج دعاهم عمر الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يات تاويل هذه الاية بعد واقوى هذه الاقوال
قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم بنو حنيفة
اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول هو ان العرب كان قد ظهر امرهم في اخر الامر
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي طاهر او كافر مجاهر واما المنافقون فكان قد علم حالهم
لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من
خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي
صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم
فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم لن تتبعونا وقال لن تخرجوا
معي ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد ولم يبق للنبي
صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول
الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا فكيف
كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب
كافة فنقول الجواب ما دمتم على ما انتم من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لان من
اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم
الجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها
كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم
لو لم يدعهم الى الجهاد ومعه او منعهم من الخروج الى الجهاد ومعه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في
الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من
اخذها واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولي
باس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال
ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم
فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار
وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام او القتل فان
تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يعني الجنة وان تتولوا يعني تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من
قبل يعني عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما يعني النار ولما نزلت هذه الاية قال اهل الزمانة
والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا
يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه
والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض
صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار
مانعة من الجهاد ظاهرة ومن ذلك اعذار اخر وهي ما ذكر وهو الفقر الذي لا يمكن صاحبه
ان يستصحب معه ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض

المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه وتحمل ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب ومن يطع الله ورسوله يعني في امر الجهاد وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق يعذبه عذابا اليما يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك يعني بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت هذه الشجرة سمرة ق عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لقد رايت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم يقول هاهنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة خ ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله م عن ابي الزبير انه سمع جابرا يسال كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد ابن قيس اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرج الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروي سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الاية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحق عن اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد ابن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم ردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم

جابر بن عبد الله يقول قال لنا

ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل ابن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وقد تقدم ايضا الجمع بين هذا وقول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها الا جد ابن قيس اخو بني سلمة قال جابر لكاني انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي ذكر من امر عثمان باطل م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم يعني من الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق فانزل السكينة يعني الطمانينة عليهم يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الاية لطيفة وهي ان البيعة كان فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب للدخول ويدل عليه قوله في الاية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضى لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله صدقهم والفاء في قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل السكينة عليهم وقوله تعالى واثابهم فتحا قريبا يعني خيبر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا يعني منيعا كامل العز غنيا عن اعانتكم حكيما حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على ايديكم قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لهم الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لكم هذه كمعجلة الراكب يعجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من بني اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل

هي امام

عليهم

ان الله كف ايدي اهل مكة بالصلح عنكم لتمام النعمة عليكم ولتكون اية للمومنين هو عطف على ما تقديره تغنموا فعجل لكم المغانم لتسعوا لها ولتكون ايدي المومنين يعني وليحصل لمن بعدكم اية تدلهم على ان ما وهبكم الله يحصل مثله لهم وقيل ولتكون اية للمومنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا وايقينا الى يقينهم ويعلموا ان الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ويهديكم صراطا مستقيما يعني ويهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر ذكر غزوة خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغير بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس قال فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين م عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن من فضلك ما استغنينا فثبت الاقدام ان لاقينا وانزلن سكينة علينا فقال من هذا قالوا عامر فقال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا امتعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب قال وبرز له عمي عامر فقال قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فاتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرا واعطاه الراية وخرج مرحب فقال قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب فقال علي انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات كريه المنظره اوفيهم بالصاع كيل السندره قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه اخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روي حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس وابو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تاخذه الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ ابو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فاتى مدينة خيبر فخرج اليه مرحب صاحب الحصن وعلى راسه

قالوا محمد والخميس ما رايهم النبي صلى الله عليه وسلم

على يمان تحاخد اتشبه وشعر ار طالب وضربه فقد الحجر والمغفر وفلق راسه الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه

مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت امه صفية بنت عبد المطلب ايقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذراري ويحوز الاموال قال ابن اسحق فكان اول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت اليهود عليه حجرا فقتلته ثم فتح القموص حصن ابن ابي الحقيق فاصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيي بن اخطب جاء بها بلال واخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى اليهود فلما راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما راى من تلك اليهودية ما راى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رات في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسالها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فساله فجحد ان يكون يعلم مكانه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان وجدناه عندك انقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم ساله ما بقي فابى ان يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام ان يعذبه حتى يستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى اشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني انظر الى بياض فخذ النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عبد الله ابن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال اخرون نهى عنها البتة ق عن البراء

محمد

ساعين

ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك
فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في
مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم خ
عن عائشة رضي الله عنها قالت لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر ق عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض
الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على
ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى
اجلاهم عمر في امارته الى تيما واريحا قال محمد بن اسحق لما سمع اهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل ثم ان اهل خيبر سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر
للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت
له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسالت اي عضو من الشاة احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن
معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت
بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر
التي اكلت مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم
فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت
قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة اوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح
قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة اخرجه ابو داود قوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها
يعني وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها يعني حفظها لكم حتى تفتحوها
ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس
هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله
عليها بالاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها
ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى اخر
الزمان وكان الله على كل شيء قديرا اي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك ولو قاتلكم الذين
كفروا يعني اسد وغطفان واهل خيبر لولوا الادبار اي لانهزموا عنكم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يعني

من تولى

من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد سنة الله التي قد خلت من قبل يعني هذه سنة الله في نصر اوليائه وقهر
اعدائه ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم سبب نزول هذه
الاية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل
التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن
مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القران وعلى ظهره غصن
من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا
ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله
بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم
احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الاية ان الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين
حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح وهو قوله وهو الذي كف ايديهم
عنكم يعني ايدي اهل مكة وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة ببطن مكة
قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي مكنكم
منهم حتى ظفرتم بهم وكان الله بما تعملون بصيرا قوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام ذكر صلح الحديبية روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن
مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق
معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة
قلد الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه الخزاعي
وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن
البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هولاء
الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله اوترون
ان نام البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت
لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين
فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال
الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصواء
وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يدعوني قريش
اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها
فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس

تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه
رجلا من اصحابه فيقال له ناجية بن عمير وهو سايق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البير فغرزه في الركية فجاش فوالله
ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت
خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا
اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا لم نجي لقتال احد ولكنا جينا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاءوا ماددتهم
مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم
ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل
سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جيناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول
قولا فان شيتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشي وقال ذووا الراي منهم
هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود
الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا
قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جيتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا
بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه
فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك
اي محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان
تكن الاخرى فاني والله لا ارى وجوها واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك
فقال له ابو بكر الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر قال اما
والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قايم على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه
المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال
اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة
فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ
اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في
شي ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره
واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر
اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم والله ان رايت يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب
محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا
امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل
من كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس
يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهولاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت
البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ
سيد الاحابيش فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتالهون فابعثوا الهدي
في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلايده وقد اكل اوباره من طول
الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما راى فقال يا معشر قريش اني
قد رايت ما لا يحل صد الهدي في قلايده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما
انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم
ولا على هذا عاقدناكم ايصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين
محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ
لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا ائته
فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى
الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة
انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري
في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب
فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو
كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري
وذلك لقوله لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا
ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين
يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا
وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك
من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته
الينا فقال المسلمون كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وروي عن البراء قصة الصلح
وفيه قالوا انك رسول الله ما منعناك شيا ولكن انت محمد بن عبد الله قال فارنيه فاراه
اياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس
يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلثة اشيا على ان
من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من
قابل ويقيم ثلثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت

عن البراء ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم
ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم
فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا الى حديث الزهري قال فبينما هم
كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من اسفل مكة حتى
رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول من اقاضيك عليه ان ترده
الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل
ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما
الا ترون ما لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا
انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشي الى جنب ابي جندل
ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون ودم احدهم دم كلب ويدني قائم السيف
منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما راوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكوا وزادهم امر ابي جندل شرا الى ما
بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ قاله الزهري في حديثه عن مروان
والمسور ورواه ابو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل
قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو
ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك
انك تاتيه العام قلت لا قال فانك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به
قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه
وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انه سياتي
البيت ويطوف به قال عمر فعملت لذلك اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك
ثلث مرات فلما لم يقم احد منهم قام فدخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت
ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك
فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فلما راوا ذلك
قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عمر
وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر اخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت

الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف
بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في راسه برة
من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امراتين كانتا له في الشرك فتزوج
احداهما معوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية قال فنهاهم ان يردوا النساء وامر برد الصداق
قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه ابو بصير عتبة بن اسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان
ممن حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا
في طلبه رجلا من بني عامر بن لوي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا العهد
الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت
ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا
ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد
الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به
ثم جربت به فقال ابو بصير ارني انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة
فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى
النبي صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير
متوشح السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوفى الله ذمتك فقد رددتني
اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فلما
سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا
بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بصير ويل امه مسعر حرب لو كان معه احد فخرج عصابة
منهم اليه فانفلت ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين
رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا
اموالهم فارسلت قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن
اتاه فهو امن فارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة وانزل الله عز وجل
وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا
انه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت هذا الحديث اخرجه البخاري
بطوله سوى الفاظ منه وهي مستثناه في الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته واعطاه
رجلا من اصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن
علقمة الى قوله فقالوا له كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به ومنها قوله هذا ما
قاضى عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى ان تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروي
عن البراء قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث ان رسول الله
قال يا ابا جندل الى قوله قال عمر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا
ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات

فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه شرح غريب الفاظ الحديث قوله في بضع عشرة
البضع في العدد بالكسر وقد يفتح وهو ما بين الثلاثة الى التسعة وقيل ما بين الواحد الى العشرة
قوله وبعث عينا له اي جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم احياء من القارة انضموا الى
بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد
مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك وقيل هو اسم
واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين
اي منقوصين قوله فتنفذوا اي مضوا وخلصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع
ومنه كراع الغميم طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على اخبار العدو
وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث
قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصوا يعني انها لما توقفت عن المشي وقصرت ظنوا
ذلك خلاء في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت ليس ذلك من خلقها
ولكن حبسها حابس الفيل اي منعها من المسير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصوا
اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الاذن قوله خطة اي حالة وقضية
يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه وصاحب الفتح يريد بذلك حرمة الحرم
ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببير
هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل قال مالك
وهي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي لا
مادة له والتبرض اخذ الشيء قليلا قليلا قوله فما زال يجيش بالري يقال جاشت البير بالماء
اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود قوله وكانت خزاعة عيبة
نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته في ذلك
قوله نزلوا اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله
ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهي الناقة اذا وضعت الى ان يقوى ولدها وقيل هي
كل انثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وهذه
استعارة استعار ذلك للناس واراد به ان معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا
قد نهكتهم الحرب اي اضرت بهم واثرت فيهم وقوله ماددتهم اي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد
جموا اي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب وقوله تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان
صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق الذي بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت
لانها لا تنفرد عنه الا بالموت قوله اي استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ
اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة وقوله بلحوا علي فيه لغتان التخفيف والتشديد واصل التبلح الاعيا
والفتور والمراد امتنعوا من اجابته ايقاع المكروه بالانسان ومنه اي يجتاح والاستئصال والاجتياح متقاربان
في مبالغة الاذى قوله اني لارى وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع
يقال فلان خليق بذلك اي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات هو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر

ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من اللحمة التي تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في السنتهم قوله لولا يد لك
عندي اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله اي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض عليكم
خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا
في هداه واستقامته قوله وهو من قوم يعظمون البدن اي الابل تهدى الى البيت في حج او عمرة وتقليدها هو ان
يجعل في رقابها شيء كالقلادة من لحا الشجر او نعل او غيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار هو ان يشق جانب
السنام فيسيل الدم عليه وقوله فلما رأى الهدي يسيل عليه اي يقبل عليه كما يسيل من عرض الوادي
اي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا ما
قاضى عليه اي فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه
قوله ضغطة هو كناية عن القهر العنيف قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى
بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق في آخرة الرحل
قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان فهو المشي المقيد قوله فاجزه لي قال ابن الاثير يجوز ان يكون
بالزاي والراء اما الزاي فمن الاجازة اي اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لي وان كان بالراء المهملة
فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطي الدنية اي الخصلة التي لا يرضى
لها ولا يراد اي لم نرضى بالدون والاقل في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز للكور الناقة كالركاب
للسرج الفرس والمعنى فاستمسك به والتفارقه قال وفيه رضي الله عنه فقال قد علمت خيرا الى عامرتها
ساعة كما لا يفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه كلمة
تقال للواقع فيما يكره ويتعجب لها ايضا ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا
اوقدتها والسعر الخشب الذي يوقد له النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله اعلم
واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام كفار مكة وصدوكم
اي منعوكم عن المسجد الحرام اي ان تطوفوا به والهدي اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا اي محبوسا ان يبلغ محله اي منحره وحيث
يحل نحره وهو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعني المستضعفين بمكة لم تعلموهم اي لم
تعرفوهم ان تطؤوهم اي بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل
غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم
ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة
المشقة يقول لولا ان تطأوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلمونهم فيلزمكم به كفارة او سبة
وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة لكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب ليدخل
الله في رحمته اي في دين الاسلام من يشاء اي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها لو تزيلوا
اي تميزوا يعني المؤمنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اي بالسبي والقتل بايديكم
وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته
من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته اي في جنته قال قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين
عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم

بعض

الحمية اي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم
يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون
علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انافنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه حمية
الجاهلية التي دخلت قلوبهم فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين اي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا
الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس واكثر المفسرين كلمة التقوى لا اله الا الله وعن ابي بن كعب عن
النبي صلى الله عليه وسلم والزمهم كلمة التقوى قال لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر
كلمة التقوى هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله
محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا احق بها اي من كفار مكة واهلها اي كانوا اهلها
في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شيء عليما
يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق سبب نزول
هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه يدخل
المسجد الحرام هو واصحابه امنين ويحلقوا رؤسهم فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة
عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رؤياه التي راى فانزل
الله هذه الاية ودخلوا في العام المقبل وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا اوحي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع
الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر افتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي
بيده ففيه دليل ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اخبر ان الرؤيا التي اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه
المسجد حق وصدق بالحق الذي راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما فان الحق من
اسماء الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك ان شاء
الله امنين قيل انما استثنى مع علمه بدخولها تعليما لعباده الادب وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما يقع الدخول عام الحديبية
وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة
الله تعالى وقيل الا استثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم
وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت محلقين روسكم اي كلها ومقصرين اي اخذين
بعض شعوركم لا تخافون اي من عدوكم في رجوعكم لان قوله امنين اي في حال الاحرام لانه لا قتال فيه
وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني علم ان الصلاح كان
في الصلح وتاخير الدخول وكون ذلك سببا لوطء المومنين والمومنات وقيل علم ان دخولكم في السنة
الثانية ولم تعلموا انتم وظننتم انه في السنة الاولى فجعل من دون ذلك اي من قبل دخولكم الحرم
فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله

بالهدى

بالهدى ودين الحق هذا البيان صدق الرؤيا وذلك ان الله لا يري رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيتحدث الناس
فيقع خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فحقق الله امر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
وبقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى
ليظهره على الدين كله اي ليعليه ويقويه على الاديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا اي في انه رسول الله وفيه تسلية
لقلوب المومنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال تعالى وكفى بالله
شهيدا انه رسول الله ثم قال تعالى محمد رسول الله اي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال
شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى والذين معه يعني اصحابه المومنين اشداء على الكفار اي غلاظ اقوياء كالاسد
على فريسته لا تاخذهم فيهم رافة رحماء بينهم اي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالوالد مع الولد كما قال في
حقهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا اخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون
فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا اي ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب اجره من الله تعالى
والمرائي بعمله لا يبتغي له اجرا وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني ابا بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب
رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة
سيماهم في وجوههم اي علامتهم في وجوههم من اثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين احدهما ان
المراد به يوم القيامة انهم يسجدون لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود من
وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثاني
ان ذلك في الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن
والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته
وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من
سهر الليل في الصلاة ويعرف ذلك في رجلين احدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والاخر في اللهو
واللعب فاذا اصبح ظهر الفرق بينهما فيظهر على وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وغبار
وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراساني
دخل في هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس ذلك مثلهم في التوراة يعني ذلك الذي ذكر من
صفتهم في التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدا بذكر نعتهم وصفتهم في الانجيل فقال تعالى
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي فراخه وقيل هو نبت يخرج بعده فهو شطاه
فازره اي قواه واعانه وشد ازره فاستغلظ اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي تم وتلاحق
نباته وقام على سوقه جمع ساق اي على اصوله يعجب الزراع اي يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا
مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون
ويكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه
والمومنون وقيل كزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ
اي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى اي تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق اي على اصوله
يعجب الزراع اي يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتاده مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاستوى على سوقه على يد علي بن ابي طالب يعجب الزراع يعني جميع المومنين ٥ ليغيظ بهم الكفار قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكه بعد ما اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار وقال مالك بن انس من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الآيه فصل في فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم عن عائشه رضي الله عنها قالت سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابه ثم التابعين وتابعيهم والقرن اهل كل زمان قيل هو اربعون سنه وقيل ثمانون وقيل مايه سنه عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنه وعمر في الجنه وعثمان بن عفان في الجنه وعلي بن ابي طالب في الجنه وطلحه في الجنه والزبير في الجنه وعبد الرحمن ابن عوف في الجنه وسعد بن ابي وقاص في الجنه وسعيد بن زيد في الجنه وابو عبيده بن الجراح في الجنه اخرجه الترمذي واخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح من حديث الاول عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتي بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واشدهم حياء عثمان واقضاهم علي واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن ثابت واقراهم ابي ابن كعب ولكل قوم امين وامين هذه الامه ابو عبيده بن الجراح وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق من لهجه من ابي ذر اشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذي مختصرا فيه هو صحيح احدهما الى قوله ابو عبيده بن الجراح والآخر عن ابي ذر ح عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت احد اه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقتدوا باللذين من بعدي من اصحابي ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود اخرجه الترمذي وقال حديث غريب ق عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عايشه فقلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجره وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملايكه رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبه وبرا النسمه انه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم الي انه لا يحبني الا مومن ولا يبغضني الا منافق عن عبد الله بن بريده عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت من اصحابي بارض الا بعث قايدا ونورا لهم يوم القيمه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابن بريده مرسل وهو اصح ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده

الامي

لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابي هريره رضي الله عنه نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم لفظه من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآيه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم من جنس الصحابه وقال ابن جرير يعني من الشطا الذي اخرج الزرع وهم الداخلون في الاسلام الى يوم القيمه ورد الهاء والميم على معنى الشطا لا على لفظه ولذلك لم يقل منه مغفره واجرا عظيما يعني الجنه وقيل ان المغفره جزاء الايمان فان لكل مومن مغفره والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله اعلم

تفسير سورة الحجرات مدنيه

وهي ثمانيه عشر آيه وثلاثمايه وثلاثه واربعون كلمه والف واربعمايه وسته وسبعون حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله من التقديم اي لا ينبغي ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي امر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشاره الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم او يفعل وقيل لا تقولوا خلاف الكتاب والسنه واختلفوا في معنى الآيه فروي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يعيدوا الذبح ق عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر من فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شي زاد الترمذي في اوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن عايشه انه في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآيه ما روي عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زراره وقال عمر امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في روايه فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الآيه في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا او صنع كذا او كذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآيه لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي حتى يقضيه الله على لسانه وقيل يعني في القتال وشرايع الدين لا تقضوا امرا دون الله ورسوله واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفه امره ان الله سميع اي لاقوالكم عليم اي بافعالكم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قله الاحتشام وترك الاحترام وقوله

لا تقدموا الخ نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض امرهم
ان يجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد
بل يقولوا يا رسول الله يا نبي الله ان تحبط اعمالكم اي لا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم وانتم لا
تشعرون باي ذلك ق عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الاية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسال
النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ يا ابا عمرو ما شان ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى
فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انزلت هذه الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم ورد وللبخاري
نحوه وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال
هذه الاية اتخوف ان تكون قد نزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امراته
جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار وقال لا
اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال
اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي راه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
يبكيك يا ثابت قال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية قال انس فلما كان
يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء
ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا
وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال
له ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن
في طيله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا
فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال
مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت
هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه
الاية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض
صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجلالا له وتعظيما
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه
لهم مغفرة واجر عظيم قوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية الى بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم

ان م

فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم وكان لكل امراة من نساء رسول الله صلى
الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى
ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل
بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو
على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى
ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق
نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة
العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله
وهم الاكثر ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاوا به من سوء الادب
وطلب العجلة في الخروج لكان خيرا لهم اي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان
حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من الاعراب بني تميم وكان فيهم
الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال
جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا
جئنا لنشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا
فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس
وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اجبه فاجابه فقال الاقرع بن حابس فقال ان محمدا المؤتى له تكلم خطيبنا
فكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الايات الى قوله والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم وقال زيد
بن ارقم جاء ناس من العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل
فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا
محمد فانزل الله هذه الايات قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية نزلت
في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه
وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان
انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم
وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلناه من

يعقلون

حق الله فيبدأ لك الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله
من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وامره ان يخفي عليهم
قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما
تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم
الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق يعني الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو اولى
من حمل الآية على رجل بعينه بعيد لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم
فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ اي بخبر فتبينوا وفي قراءة فتثبتوا اي فتوقفوا واطلبوا
بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق ان تصيبوا اي كي لا تصيبوا بالقتل والسبي
قوما بجهالة اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا على ما فعلتم اي من اصابتكم بالخطأ نادمين
واعلموا ان فيكم رسول الله اي فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا
لو يطيعكم اي الرسول في كثير من الامر اي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم لعنتم اي لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد
الخدري انه قرأ واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو
اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ولكن الله
حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه في قلوبكم اي حسنه وقربه منكم وادخله في قلوبكم
حتى اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه تقلب منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا
وثباتا ولذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق قال ابن عباس يعني الكذب والعصيان
جميع المعاصي هذا لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة اشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في
القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان
فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو
الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار باللسان
بشهادة الحق والصدق وهي لا اله الا الله والعصيان جعله في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان
وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى اولئك هم الراشدون واشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان
المزين في قلوبهم ان اولئك هم المهتدون الى محاسن الافعال ومكارم الاخلاق فضلا من الله اي فعل ذلك بكم فضلا
منه ونعمة عليكم والله عليم اي بما في قلوبكم حكيم في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه
من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكمة قوله عز وجل وان
طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ق عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت
عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي
ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار
منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما
فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طايفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا

وكف بعضهم عن بعض ق عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته
قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال
فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي واذا في المجلس اخلاط
من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة
الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل
فدعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان
حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله
فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون
فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة
نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مماراة في حق بينهما فقال احدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة
عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول
بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها ام زيد
تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية وحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه
فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا قيل المراد من الطايفتين
الاوس والخزرج فاصلحوا بينهما بالعدل اي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله واقسطوا اي
اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين انما المؤمنون اخوة اي في الدين والولاية وذلك ان
الايمان قد عقد بين اهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب
والاسلام لهم كالاب قال بعضهم ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم فاصلحوا
بين اخويكم اي اذا اختلفا واقتتلا واتقوا الله اي فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان
الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله
يوم القيامة فصل في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على ان البغي لا يخرج
عن اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه
ما روي عن علي بن ابي طالب وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون
هم فقال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا
قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على امام العدل فاذا
اجتمعت طايفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة امام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم
فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة
واصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم فيهم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا
يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير ولا يذفف
على جريح قوله ولا يذفف هو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتي علي يوم صفين
باسير فقال لا اقتلك صبرا اني اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطايفتين على الاخرى في

حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دما يعرف في بعضها
القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما
علمته اقتص من احد ولا اغرم مالا اما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاث بان كانوا جماعة قليلين لا منعة
لهم او لم يكن لهم تاويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا
ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي
كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفي ما دامت ايديكم
مع ايدينا ولا نبداكم بقتال قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم الاية نزلت في ثلاثة اسباب السبب
الاول من اوله الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في
اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع
ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة
اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد وكان اذا جاء فلم يجد مجلسا
قام قايما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول
تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له
تفسح فقال الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل
فقال من هذا قال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر اما كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل
راسه واستحيى فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزيون
بفقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما راوا
من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزي غني بفقير ولا مستور
عليه ذنبه بمن لم يستتر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه
وهو قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم السبب الثاني قوله تعالى ولا نسا من نسا اي ولا يستهزي
نسا من نسا عسى ان يكن خيرا منهن روي عن انس انها نزلت في نسا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نسا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل
عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انك لابنة نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتق الله يا حفصة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب عن ابي جبيرة بن
الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك الانصاري قال فينا نزلت هذه الاية بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
منا رجل الا وله اسمان او ثلثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب
من هذا الاسم فانزل الله هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق اخرجه ابو داود وللترمذي
قال كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الاية ولا
تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا
ولا يطعن بعضكم على بعض والمراد بالانفس الاخوان ههنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين

لانهم

لانهم كانفسكم فاذا عاب عايب لاحد بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون
حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العايب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يدعو الانسان بغير ما سمي به
قال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من
عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني
يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك يا كلب يا
حمار يا خنزير قال العلما المراد بهذه الالقاب ما يكره المنادى به او يفيد ذما له فاما الالقاب
التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا باس به اذا لم يكره المدعو به واما
الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا يكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق
ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك بيس الاسم الفسوق بعد الايمان
اي بيس الاسم ان تقول له يا يهودي او يا نصراني بعد ما اسلم او يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه
ان من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبيس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا
ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم يتب اي من ذلك كله فاوليك هم الظالمون اي الضارين
لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل هم اظلم من الذين قالوا اثم ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيي لهما
ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان
الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيي لهما شيا فلما قدما قالا له ما صنعت شيا قال لا غلبتني
عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجا سلمان الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل
له ان كان عنده فضل من طعام وادام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شي فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن
بخل فبعثا سلمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بير سميحة
لغار ماوها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا
هذا لحما قال ظللتم تاكلون لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوا فنهى الله المومن ان يظن باخيه المومن شرا وقيل هو
ان يسمع من اخيه المومن كلاما لا يريد به سوا او يدخل مدخلا لا يريد به سوا فيراه اخوه المومن
فيظن به سوا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون
فاعله ساهيا او يكون الرايي مخطيا فاما اهل السو والفسق المجاهرين بذلك فلنا ان نظن
فيهم مثل الذي يظهر منهم ان بعض الظن اثم قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما
اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع فمنه
واجب وماموز به وهو حسن الظن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو حسن الظن بالاخ المسلم

الطعام العذ الذ ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم ولا تجسسوا اي لا تبحثوا
عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا
ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم الله المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا
يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر
ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى احسابكم ولا الى صوركم
واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التحسس بالحاء التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر وقيل التحسس
بالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار قوله ولا تنافسوا
اي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها
قوله ولا تدابروا اي لا يعطي كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان
الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته
ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما
اعظمك واعظم حرمتك والمومن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
عن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا
عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء ناخذ به اخرجه ابو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من راى عورة فسترها كان كمن احيا موءودة ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا
يعني لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال ارايت
ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم
عن عائشة قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة
فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان
لي كذا وكذا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته اي خالطته
مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر عن الغيبة
قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان
ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تاويله
ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان
كلحمه ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتالم جسمه اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم
فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه اكد في المنع لان العدو
قد يحمله الغضب على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ في الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت

من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه ابو داود وقال ميمون
ابن سياه بينا انا نائم اذا انا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت يا عبد الله ولم اكل قال بما اغتبت عبد فلان
قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا
يدع احدا يغتاب عنده احدا قوله تعالى واتقوا الله اي في امر الغيبة واجتناب نواهيه ان الله تواب رحيم
قوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة فقال ثابت انا يا رسول
الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال فانك
لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزل في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح له يا ايها الذين
آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله
الذي قبض ابي ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود
مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان
يخبر به رب السماء فنزل جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فدعاهم وسالهم عما قالوا
فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء
فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني آدم وحواء والمعنى انكم متساوون في النسب
فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم ابناء رجل واحد وامراة واحدة وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقناكم
كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل
واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا
جمع شعب بفتح الشين وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا
لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم وقبائل اي جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر
من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العماير البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولؤي
من قريش ودون البطون الافخاذ واحدها فخذ بفتح الفاء وهم كبني هاشم وبني امية
بني لؤي ودون الافخاذ الفصائل واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس بني هاشم
ثم بعد ذلك العشاير واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف وقيل
الشعوب من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعوب
الذين لا يعتزون الى احد بل ينتسبون الى المداين والقرى والقبائل للعرب الذين ينتسبون
الى آبائهم لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب
ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال ان
اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوى والام اللوم الفجور وقال ابن عباس كرم
الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب
المال والكرم التقوى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ق عن ابي هريرة قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس

عن هذا اسألكم قال فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن
معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف على
المشهور وحكي كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح
على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله
واثنى عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس رجلان بر تقي وفاجر
شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم المحجن
عصا محنية الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها ان الله عليم اي بظواهركم
(انسابكم) خبير اي ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل المتقي هو
العالم بالله المواظب لبابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر
والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق ان يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة
وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقي يأتي بالاوامر
ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاشع لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه واهله
وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر عنه ربه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين قوله عز وجل قالت
الاعراب امنا الاية نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا
الاسلام ولم يكونوا مومنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون
اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليأمنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا
عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا اي صدقنا قل لم تؤمنوا اي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن
قولوا اسلمنا اي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي ولما يدخل الايمان في قلوبكم اخبر ان حقيقة
الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون
التصديق بالقلب والاخلاص ق عن سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا
جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو اعجبهم الي فقمت فقلت مالك عن فلان والله
اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا واجابه بمثل ذلك ثم
قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال
الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم ان الاسلام هو
الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان
والجنان لقوله عز وجل لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد
باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان
هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من ان
يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف

والاسلام

بينهما ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل
بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون
امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم وقوله تعالى وان تطيعوا
الله ورسوله اي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا الايمان لا يلتكم اي لا ينقصكم
من اعمالكم شيئا اي من ثواب اعمالكم ان الله غفور رحيم ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك
هم الصادقون اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم
مومنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرون الله
بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض اي لا يخفى عليه خافية والله بكل شيء عليم
اي لا يحتاج الى اخباركم يمنون عليك ان اسلموا اي هو قولهم اسلمنا ولم نقاتلك يمنون بذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيبين بذلك ان اسلامهم لم يكن لله خالصا قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعتدوا
علي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اي لله المنة عليكم ان ارشدكم وامدكم بتوفيقه
حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ان كنتم صادقين اي انكم مومنين ان الله
يعلم غيب السموات والارض اي انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم
بل يعلم سركم وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اي يجازي حكم الظاهر والباطن والله اعلم بمراده

تفسير سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ق
قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو اسم من اسماء القران وقيل هو
مفتاح اسمه القدير والقادر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر
او قضي ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي
عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما
وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة والقران
المجيد اي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف
تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا وقيل معناه بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان خوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته
فيهم وعدالته وامانته وصدقه فقال الكافرون هذا شيء عجيب اي معجب غريب
اذا متنا وكنا ترابا اي احين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد
اي يبعد ان نبعث بعد الموت قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل الارض
من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شيء وعندنا اي مع علمنا بذلك كتاب حفيظ
بمعنى محفوظ اي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم واسمائهم ولما
تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد ثبت فيه ما يكون بل كذبوا بالحق اي بالقران لما جاءهم

قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم فهم في امر مريج اي مختلط ملتبس قيل معنى
اختلاط امرهم هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون في القران
مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الآية من ترك الحق
مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظم قدرته
فقال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها اي بغير عمد وزيناها اي بالكواكب وما لها
من فروج اي شقوق وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء والقينا
فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل صنف حسن كريم بهيج اي
يبتهج به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي تذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى والمعنى
ليتبصر ويتذكر به من اناب ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شيء وهو
المطر فانبتنا به اي بذلك الماء جنات اي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وساير
الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات لها طلع نضيد اي ثمر يطلع وانما
يسمى طلعا قبل ان ينشق نضيد اي متراكب بعضه على بعض في اكمامه فاذا انشق وخرج من
اكمامه فليس بنضيد رزقا اي جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا
فيها الكلا والعشب كذلك الخروج اي من القبور احياء بعد الموت قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح
واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة قيل كان لوط مرسلا الى طايفة من
قوم ابرهيم قال واخوان لوط وقوم تبع هو ابو كرب اسعد تبع الحميري وقد تقدم قصص جميعهم قيل
ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا خص بالذكر دونهم كل كذب
الرسل فحق وعيد اي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم فحق وعيد اي وجب لهم عذابي وقيل
فحق وعيدي للرسل بالنصر افعيينا بالخلق الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى
اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث
بل هم في لبس اي شك من خلق جديد وهو البعث قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه اي ما تحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرايره وضمايره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال
علمنا اي نحن اعلم به منه والوريد الذي يجري فيه الدم ويتصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم
والعلباوين ومعنى الاية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيئا
وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه
اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه
عن اليمين وعن الشمال يعني ان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات
وصاحب الشمال يكتب السيئات قعيد اي قاعد لان كل واحد منهم قعيد فاكتفى بذكر احدهما
عن الآخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام فيخرج
من فيه الا لديه رقيب اي حافظ عتيد اي حاضر اينما كان سوى وقت الغايط وعند جماعه فانهما
يتاخران عنه فلا يجوز للانسان ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملايكة بدنوهم منه وهو على تلك
الحال حتى يكتبان ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل

العرق م

لا يكتبان الا ماله فيه اجر وثواب وما عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن
البصري يعجبه ان ينظف عنفقته روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت
سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق اي حقيقة الموت وقيل
بالحق من امر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة
والشقاوة ذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل
تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي ذلك اليوم الذي
وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت اي في ذلك اليوم كل نفس معها سايق اي يسوقها الى المحشر
وشهيد اي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السايق من الملايكة والشاهد من انفسهم الايدي
والارجل ويقول الله تعالى لصاحب تلك النفس لقد كنت في غفلة من هذا اي من هذا
اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك اي الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا
فبصرك اليوم حديد اي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا فبصرك اليوم حديد وقيل
ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك وقال قرينه
يعني الملك الموكل به هذا ما لدي اي عندي عتيد اي معد محضر قيل يقول الملك هذا الذي وكلتني
به من بني ادم قد احضرته واحضرت ديوان عمله القيا في جهنم اي يقول الله تعالى لقرينه وقيل
هذا امر للسايق والشهيد كل كفار اي بتوحيد الله عنيد اي عاص معرض عن الحق معاند لله
فيما امره به مناع للخير اي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله معتد اي ظالم لا يقر
بتوحيد الله مريب اي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد
يعني النار قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ربنا ما اطغيته قيل هذا جواب
لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا ما اطغاني شيطاني فيقول الشيطان
ربنا ما اطغيته يعني ما اضللته وقال ابن عباس قرينه يعني الملك قيل يقول الكافر رب ان الملك
زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن
كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله تعالى قال لا تختصموا لدي اي لا تعتذروا عندي
بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنايهم وقد قدمت اليكم بالوعيد اي بالقران وانذرتكم على
السن الرسل وحذرتكم عذابي في الآخرة لمن كفر ما يبدل القول لدي اي لا تبديل لقولي
وهو قوله لاملان جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب
عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه
انه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي وما انا بظلام للعبيد اي فاعاقبهم بغير جرم
وقيل معناه فازيد على اساءة المسيء او انقص من احسان المحسن قوله عز وجل يوم نقول لجهنم
هل امتلات بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملاها من الجنة والناس وهذا السؤال
من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول يعني جهنم هل من مزيد يعني تقول قد امتلات

لسان م

يقل ما م

ولم يبين في موضع لم تمتلئ فهو استفهام انكار وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس
فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع اهلها فيها وروي عن ابن عباس ان الله
تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج
الا ذهب فيها ولا يملأها شي فتقول الست قد اقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها ثم يقول هل امتلأت
فتقول قط قط قد امتلأت فليس في مزيد ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال جهنم
يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض
وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة وفي رواية
نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا فصل هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات
وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين
انه لا يتكلم في تاويلها بل نؤمن بانها حق على ما اراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى
يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب
ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تاويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المتقدم وهو سائغ في اللغة
والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين
فيعود الضمير في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من يسمى بهذه
التسمية وخلقها لها قال القاضي عياض اظهر التاويلات انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال
المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى
والله اعلم قوله قط قط اي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها
منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه احدا يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه
بغير ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى قوله تعالى وازلفت الجنة اي قربت وادنيت للمتقين اي الذين
اتقوا الشرك غير بعيد يعني انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها اهل الموقف فقيل ان يدخلوها
هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على السنة الانبياء لكل اواب اي
رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب
وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل
هو المصلي حفيظ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها
ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد
لها المراقب وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر من خشي الرحمن بالغيب اي خاف الرحمن
فاطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة حيث لا يراه احد اذا ارخى الستر واغلق الباب وجاء
بقلب منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله ادخلوها اي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا
الجنة بسلام اي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل
بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود اي في الجنة لانه لا موت فيها لهم ما يشاؤن فيها وذلك انهم
يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤا ثم يزيدهم من عنده ما لم يسألوه مما لم يخطر ببال
بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر الى وجه الله الكريم وقيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى

في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم اي من قبل كفار مكة
من قرن هم اشد منهم بطشا يعني سطوة والبطشة الاخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد
اي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق هل من محيص اي فلم يجدوا لهم محيصا من
امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف
لاهل مكة انهم على مثل سبيلهم ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة
وموعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله او القى
السمع اي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد اي حاضر القلب ليس
بغافل ولا ساه قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من
لغوب اي اعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام اولها الاحد واخرها يوم الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش
فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله
تعالى وما مسنا من لغوب قال فخر الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشرك
والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله وما مسنا من لغوب اي ما تعبنا
بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا كما قال تعالى افعيينا بالخلق الاول الآية واما ما قاله
اليهود ونقلوه من التورية فهو اما تحريف منهم او لم يعلموا تاويله وذلك لان الاحد والاثنين
ازمنة متميز بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات ابتدأ يوم الاحد لكان الزمان قبل
الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام لان اليوم عبارة عن زمان
سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق
وقد يراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان اي مدة كانت قوله عز وجل فاصبر
على ما يقولون اي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد ربك اي صل
حمدا لله قبل طلوع الشمس يعني صلاة الصبح وقبل الغروب يعني صلاة العصر وقال ابن عباس
صلاة الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشاء وقيل يعني صلاة الليل
اي وقت صلى وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وغيرهما ادبار السجود
الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس
ويروى مرفوعا ق عن عائشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شي من النوافل اشد
تعاهدا منه على ركعتي الفجر م عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من
الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح
باللسان في ادبار الصلوات المكتوبات خ عن ابن عباس قال امره ان يسبح في ادبار الصلوات
الصلوات كلها يعني قوله وادبار السجود م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلثا

وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر عن ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قال صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال فلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي هو اسرافيل يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيمة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى من مكان قريب قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وقيل وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق اي الصيحة الاخيرة ذلك يوم الخروج اي من القبور انا نحن نحيي اي في الدنيا ونميت يعني عند انقضاء الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله ذلك حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني كفار مكة في تكذيبك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يومر بقتالهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظ بالقران من يخاف وعيد والله اعلم

تفسير سورة الذاريات وهي مكية

وهي ستون اية وثلثماية وستون كلمة والف ومايتان وتسعة وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذرو التراب فالحاملات وقرا يعني السحاب تحمل ثقلا من الماء فالجاريات يسرا يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا فالمقسمات امرا يعني الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشئ السحاب وتشيعه ثم تحمله وتنقله ثم تجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى انما توعدون اي من الثواب والعقاب في يوم القيمة لصادق اي لحق وان الدين اي الحساب والجزاء لواقع اي لكاين ثم ابتدا قسما اخر فقال تعالى والسماء ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة اي حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرايق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس

وجواب القسم قوله انكم يعني يا اهل مكة لفي قول مختلف يعني في القران وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر شاعر مجنون وقيل لفي قول مختلف اي مصدق ومكذب يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله تعالى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به قتل الخراصون اي الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا اعقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة الذين هم في غمرة وعماية وجهالة ساهون اي لاهون غافلون عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه يسالون ايان يوم الدين اي يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعني القيمة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى يوم هم اي يكون هذا الجزاء في يوم هم على النار يفتنون اي يدخلون ويعذبون وتقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا الذي كنتم به تستعجلون اي في الدنيا تكذيبا به قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون يعني انهم في خلال الجنات عيون جارية اخذين ما اتاهم اي ما اعطاهم ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيا اما من اولها او من وسطها وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله قليلا اي من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلاة والعبادة وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا في الاستغفار وقيل يستغفرون من تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم فصل هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان المقصود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخر من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عنه وعن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة القبول الاجابة

والله اعلم ق عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد
انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت مالك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد
الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد
حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت
فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد في رواية وما انت اعلم به مني انت
المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت او لا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم خ عن عبادة
ابن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت
قوله عز وجل وفي اموالهم حق اي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما او يقرون به ضيفا او يحملون به كلا او
يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة للسائل اي الذي يسأل
الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء قال ابن عباس
المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم ومعناه الذي حرم الخير والعطا وقيل المحروم المتعفف
الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقيل هو المحارف
المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب واظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل
والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ وفي الارض آيات
اي عبر من الجبال والبحار والاشجار والثمار وانواع النبات للموقنين اي بالله الذين يعرفونه ويستدلون
عليه بصنائعه وفي انفسكم اي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان نفخ فيه الروح
وقال ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول
ياكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق
والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم افلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته
على البعث وفي السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر الذي هو سبب الارزاق وما توعدون يعني من الثواب
والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال فورب السماء
والارض انه لحق اي ما ذكرت من امر الرزق وغيره مثل ما انكم تنطقون اي بلا اله الا الله وقيل
شبه تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الآدمي ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل معناه في صدقه ووجوده كالذي
تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه ان ينطق بلسان غيره
كذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر ان ياكل رزق غيره قوله تعالى هل اتاك حديث
ضيف ابرهيم يعني هل اتاك يا محمد حديث الذين جاؤوا ابرهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم
ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود المكرمين قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله
وقيل لانهم كانوا ضيف ابرهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان
ابرهيم عليه السلام اكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس
سماهم مكرمين لانهم جاؤوا غير مدعوين ق عن ابي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم
منكرون اي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم

لانهم

لانهم دخلوا عليه بغير استئذان وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض فراغ اي فعدل
ومال الى اهله خفيا بعجل سمين اي حنيذ وقيل مشوي قيل كان عامة مال ابرهيم البقر فجاء بعجل
فقربه اليهم هذا من ادب المضيف ان يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعي اليه فلما لم يأكلوا
قال الا تأكلون يعني انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يأمرهم فاوجس اي فاضمر
منهم خيفة لانهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وقيل عليم اي
نبي فاقبلت امرأته قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل
اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه في صرة اي في صيحة والمعنى انها اخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا
سمعن شيئا فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت اصابعها وضربت
وجهها جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء ايضا اذا انكرن شيئا وقالت عجوز عقيم معناه اتلد
عجوز عقيم وذلك ان سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك اي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين
غلاما انه هو الحكيم العليم ثم ان ابرهيم عليه السلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة قال فما خطبكم اي
فما شأنكم وما طلبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة
من طين قيل هو الآجر مسومة اي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل
على انها ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك
اسرف الذنوب واعظمها فاخرجنا من كان فيها اي في قرى قوم لوط من المؤمنين فما وجدنا فيها
غير بيت اي اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله بالايمان والاسلام جميعا لانه ما
من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا
سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها اي في مدينة قوم لوط آية اي
عبرة للذين يخافون العذاب الاليم والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون
مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى اي وتركنا في ارسال موسى آية وعبرة اذ ارسلناه الى
فرعون بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة فتولى اي اعرض عن الايمان بركنه اي بجمعه وجنوده الذين
كان يتقوى بهم وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فاغرقناهم في البحر وهو
مليم اي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفي عاد اي وفي اهلاك عاد
ايضا عبرة وآية اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم يعني التي لا خير فيها ولا بركة لا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا
ما تذر من شيء اتت عليه اي من انفسهم واموالهم وانعامهم الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك البالي
وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه واصله من رم العظم اذا بلي وفي ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام
فعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن طاعة ربهم فاخذتهم الصاعقة يعني بعد مضي ثلاثة ايام فعتوا عن
امر ربهم من وقت عقر الناقة وهو الموت في قول ابن عباس وقيل الصاعقة كل عذاب
مهلك وهم ينظرون اي يرون ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام اي فما قاموا بعد
نزول العذاب بهم ولا قدروا على النهوض من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين اي منتقمين منا
وقيل ما كانت عندهم قوة ولا منعة يمتنعون بها من امر الله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه

ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح من قبل أي من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم
فرعون إنهم كانوا قوماً فاسقين أي خارجين عن الطاعة قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وقدرة
وإنا لموسعون قيل هو من السعة أي أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من السماء والفضاء
بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون
أي الرزق على خلقنا وقيل معناه وإنا لذو السعة والغنى والأرض فرشناها أي بسطناها ومهدناها
لكم فنعم الماهدون أي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين أي صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض
والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والإنس والذكر
والأنثى والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض لعلكم تذكرون
أي فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا إلى الله أي قل يا محمد ففروا إلى الله أي فاهربوا
من عذابه إلى ثوابه بالإيمان والطاعة له قال ابن عباس فروا منه إليه واعملوا بطاعته قال سهل بن عبد الله
فروا مما سوى الله إلى الله إني لكم منه نذير أي مخوف مبين أي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجز الباهر
والبرهان القاطع ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر أي وحدوه ولا تشركوا به شيئاً إني لكم منه نذير مبين قيل
إنما كرر قوله إني لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل
كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما كذلك ما أتى أي كما كذبك قومك
وقالوا ساحر أو مجنون كذلك ما أتى الذين من قبلهم أي من قبل كفار مكة والأمم الخالية من رسول
يعني يدعوهم إلى الإيمان والطاعة إلا قالوا ساحر أو مجنون قال الله تعالى أتواصوا به أي أوصى أولهم
آخرهم وبعضهم بعضاً بالتكذيب وتواطؤوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا
بهذا القول لأنهم لم يتلاقوا لأن الزمان واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل
لهم على ذلك القول فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي لا لوم عليك فقد أديت الرسالة
وبذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتد على الصحابة وظنوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى
عنهم فأنزل الله عز وجل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقيل هذا خاص وذكر فإن الذكرى
تنفع المؤمنين فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فإن الذكرى تنفع من علم الله أنه
يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم قوله عز وجل
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قيل هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين يدل عليه
قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون وقيل معناه وما
خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه
من الشقاوة والسعادة وقال علي بن أبي طالب إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدون
وأدعوهم إلى عبادتي وقيل معناه إلا ليعرفون وهذا حسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده
وتوحيده وقيل معناه إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا لأن معنى العبادة في اللغة التذلل
والانقياد وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه
خروجاً عما خلق له وقيل معناه إلا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده اختياراً في

الشدة

ابن عباس

اقتضى به

الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطراراً في الشدة والبلاء دون النعم والرخاء ما أريد
منهم من رزق أي ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم لأني أنا الرزاق المتكفل لعبادي
بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما أريد أن يطعمون أي أن يطعموا أحداً من خلقي وإنما أسند
الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه كما صح من حديث أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب
كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني
قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت
أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب
العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي أخرجه مسلم
ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى إن الله هو الرزاق يعني لجميع خلقه ذو القوة المتين
يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة
فإن للذين ظلموا أي من أهل مكة ذنوباً أي نصيباً من العذاب مثل ذنوب أصحابهم أي مثل
نصيب من العذاب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا يستعجلون
أي بالعذاب لأنهم أخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله أعلم

تفسير سورة الطور وهي مكية

وهي تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

والطور أراد به الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة وقيل
بمدين وكتاب مسطور أي مكتوب في رق يعني الأديم الذي يكتب فيه الصحف منشور
أي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى
يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشوراً
فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والأهل وهو بيت
في السماء الرابعة بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في
الأرض وصح في حديث المعراج من أفراد مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور
في السماء السابعة قال وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه وفي رواية أخرى
قال فانتهيت إلى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون
ألف ملك يقدسون الله ويسبحونه لا يعودون فيه وفي أفراد البخاري عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك والسقف المرفوع
يعني السماء والبحر المسجور يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك
ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن
عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر إلا غازياً أو معتمراً أو حاجاً فإن

تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل
هو المختلط العذب بالملح وروي عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات
الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا
فينبتون في قبورهم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما فيها من عظم قدرته وجواب القسم قوله ان عذاب
ربك لواقع يعني انه حق وكائن ونازل بالمشركين في الآخرة ما له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم
قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت له وهو يصلي باصحابه المغرب
وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع
قلبي حين سمعت ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني
حتى يقع بي العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء مورا اي تدور كدور الرحا وتتكفأ
باهلها تكفي السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها في بعض وتضطرب وتسير الجبال
سيرا اي تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الايذان والاعلام
بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك
انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازالها الله تعالى وذلك لخراب
الدنيا وعمارة الآخرة فويل اي فشدة عذاب يومئذ للمكذبين اي بيوم القيامة الذين هم في خوض
اي يخوضون في الباطل يلعبون يعني غافلين لاهين عما يراد بهم يوم يدعون اي يدفعون
الى نار جهنم دعا يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم
ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم حتى يردوا
النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي في الدنيا افسحر هذا
وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل
لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها اي قاسوا شدتها فاصبروا اي على العذاب او لا تصبروا
عليه سواء عليكم اي الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب في الدنيا
قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين اي معجبين بذلك ناعمين بما آتاهم ربهم اي من الخير والكرامة
ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اي مأمون العاقبة من التخمة والسقم
بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اي موضوعة بعضها الى بعض
وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعني اولادهم الصغار والكبار فالكبار
بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين الحقنا بهم
ذريتهم يعني المؤمنين في الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك
اعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم
يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم اخبر الله تعالى
انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الله الجنة بفضله
ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينقص الآباء من اعمالهم شيئا وذلك قوله تعالى وما التناهم من
عملهم من شيء يعني وما انقصنا الآباء من اعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا
واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية عن علي قال سألت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم
عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما رأى الكراهة
في وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة وان المشركين
واولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم
ذرياتهم اخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي كل امرئ اي كافر بما كسب اي عمل من الشرك
رهين اي مرهون بعمله في قوله تعالى في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة الا اصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى وامددناهم بفاكهة يعني زيادة
على ما كان لهم ولحم مما يشتهون اي من انواع اللحمان يتنازعون اي يتعاطون ويتناولون فيها
في الجنة كأسا لا لغو فيها اي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ولا
تأثيم اي لا يكون منهم ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل
لا يأثمون في شربها ويطوف عليهم اي للخدمة غلمان لهم كانهم اي في الحسن والبياض والصفاء لؤلؤ
مكنون اي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه
الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا
الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل ليلة القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس
يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا قالوا انا كنا قبل في اهلنا اي في الدنيا
مشفقين اي خائفين من العذاب فمن الله علينا اي بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني
عذاب النار وقيل هو اسم من اسماء جهنم انا كنا من قبل اي في الدنيا ندعوه اي نخلص
الدعاء والعبادة انه هو البر قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل
البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم ببره جميع خلقه الرحيم قوله عز وجل فذكر
يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة فما انت بنعمة ربك يعني برحمته وعصمته وقيل بانعامه
عليك بالنبوة بكاهن ولا مجنون وهو الذي يوهم انه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى
انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن ومجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا
عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون ام يقولون
يعني هؤلاء المقتسمين شاعر اي هو شاعر نتربص به اي ننتظر به ريب المنون يعني حوادث
الدهر وصروفه فيموت فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء او يتفرق عنه اصحابه وان اباه
مات وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون اسم للموت وللدهر واصله
القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل قل تربصوا اي انتظروا بي الموت فاني معكم من المتربصين
اي من المنتظرين حتى يأتي امر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسيف ام تأمرهم احلامهم اي
عقولهم بهذا وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين
لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ام هم قوم طاغون اي متجاوزون الحد في الطغيان والكفر لا يشتغل

الافك الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون اي بالقرآن استكبارا ثم الزمهم الحجة فقال تعالى
فليأتوا بحديث مثله اي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه ان كانوا صادقين يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم
تقوله من قبل نفسه ام خلقوا من غير شيء خالقهم قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى خلقوا
من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان
انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون اي لانفسهم وذلك في البطلان اشد لان ما
لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه
وقيل معنى الآية اخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ام هم الخالقون اي لانفسهم فلا يجب
عليهم لله امر ام خلقوا السموات والارض يعني ليس الامر كذلك بل لا يوقنون اي بالحق وهو توحيد
الله وقدرته على البعث وان الله هو خالقهم ام عندهم خزائن ربك يعني النبوة ومفاتيح الرسالة
فيضعونها حيث شاؤوا وقيل خزائن المطر والرزق ام هم المسيطرون اي المسلطون الجبارون
وقيل ارباب قاهرون فلا يكونوا تحت امر ولا نهي يفعلون ما يشاؤون ام لهم سلم يعني مرقى ومصعدا
الى السماء يستمعون فيه اي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به متمسكون
فليأت مستمعهم اي ان ادعوا ذلك بسلطان مبين اي بحجة بينة ام له البنات ولكم البنون هذا
انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ام تسألهم اجرا اي جعلا على ما جئتهم به من النبوة
ودعوتهم اليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني اثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فمنعهم عن الاسلام
ام عندهم الغيب اي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم الرسول من امر القيامة والبعث باطل
وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبون اي يحكمون
وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون
كيدا اي مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون اي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم
يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله
يعني يرزقهم وينصرهم سبحان الله عما يشركون المعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى وان يروا
كسفا اي قطعة من السماء ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول
لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم هذا سحاب مركوم
اي بعضه على بعض يسقينا فذرهم حتى يلاقوا اي يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون
اي يموتون ويهلكون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون اي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا
يمنعهم من العذاب مانع وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك اي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة
قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب
القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل واصبر لحكم ربك اي الى ان يقع
بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به فانك باعيننا اي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل
معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه وسبح بحمد ربك حين تقوم اي من كل حين
تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير
ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه

فقال

فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا الله وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك الا كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم
من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان من حين تقوم من الفراش الى ان تدخل في الصلاة عن عاصم بن
حميد قال سألت عائشة باي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح قيام الليل فقالت سألتني عن
شيء ما سألني عنه احد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وكبر وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر
عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه
ابو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن
عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي وابو داود وقال فقد تكلم في احد رواته وقوله تعالى ومن الليل
فسبحه اي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك
حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان قبل
الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار
النجوم هي فريضة صلاة الصبح عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب
بالطور والله اعلم

تفسير سورة النجم وهي مكية وهي اثنتان وستون
اية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنجم
اذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا
نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا
ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها
وهويها غروبها فعلى لفظه واحد ومعناه الجمع وفيه روي عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهي
ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد
بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل
النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله
عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى ما ضل صاحبكم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى اي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال
والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق
الى مقصد مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى اي بالهوى
والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه ان هو اي ما هو يعني القرآن
وقيل نطقه في القرآن الا وحي من الله يوحى اليه علمه شديد القوى يعني جبريل علم محمدا
صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله عز وجل اليه ومن شدة قوته انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها
على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على

الانبيا امس من رجعة الطرف ذو مرة اي ذو قوة شديدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل
حسن فاستوى يعني جبريل عليه السلام وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة
المعراج بالافق الاعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اي قام
في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذكر ان جبريل عليه السلام كان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صورة الادميين كما كان ياتي الانبيا قبله فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على
صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما التي في الارض فبالافق
الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل
عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل
جبريل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى اختلف العلما في معنى هذه الاية فروي عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعايشة
فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وفي قوله ما كذب الفواد ما راى وفي قوله لقد
راى من ايات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال راى جبريل عليه السلام له ستمائة
جناح زاد في رواية راى جبريل في صورته اخرجه مسلم وللبخاري في قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنى جبريل بعد استوائه بالافق
الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى
وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلي سبب
الدنو وقال اخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فقرب منه حتى كان
منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد في الصحيحين في حديث المعراج من رواية شريك بن ابي نمر عبد الله
عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة
عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين
الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير
معروفة وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة
يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى في صحيح في رواية شريك وقدموا واخروا وزادوا ونقص فيحتمل
ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل
فتدلى اي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس الذي يرمى به
وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد
صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذا اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا
اذا ارادا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران
يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس
الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس او ادنى بل اقرب فاوحى اي اوحى الله الى عبده محمد ما
اوحى وعن ابن عباس في رواية عنه قال اوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه
عز وجل قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل

ادنى

تدلي م

هو م

اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله عز وجل ما كذب
الفواد قرى بالتشديد اي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راى اي بعينه تلك الليلة بل صدقه
وحققه وقرى بالتخفيف اي ما كذب فواد محمد الذي راه بل صدقه وحققه وقرى بالتخفيف اي
ما كذب فواد محمد الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفواد فيما راى واختلفوا في الذي راه فقيل
راى جبريل وهو قول ابن مسعود وعايشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الاية الروية
فقيل جعل بصره في فواده وهو قول ابن عباس م عن ابن عباس ما كذب الفواد ما راى ولقد
راه نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين وذهب جماعة الى انه راه بعينه حقيقة وهو قول انس
ابن مالك والحسن وعكرمة قالوا راى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال
ان الله عز وجل اصطفى ابرهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالروية وقال كعب
ان الله تعالى قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين اخرجه
الترمذي باطول من هذا وكانت عايشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على روية
جبريل عن مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك ولكنه راى جبريل في صورته مرتين اخرجاه في الصحيحين م عن ابي ذر قال سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى اراه قوله عز وجل افتمارونه على ما يرى يعني افتجادلونه
على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به وقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا
في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه ولقد
راه نزلة اخرى يعني راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السما نزلة اخرى يعني
راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السما نزلة اخرى وذلك انه راه في صورته مرتين
مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى م عن ابي هريرة ولقد راه نزلة اخرى قال راى جبريل
وعلى قول ابن عباس معنى نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه في تلك الليلة عرجات
لمسالة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه عز وجل في بعضها وروي عن ابن عباس
انه راى ربه بفواده مرتين وعنه انه راى بعينه عند سدرة المنتهى م عن ابن مسعود قال لما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة واليها ينتهي
ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية للترمذي انتهى اليها علم الخلايق لا علم لهم فوق ذلك وفي
حديث المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الى السما السابعة ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى
فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفي افراد
مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الى السما السابعة وذكره الى ان قال فيه ثم ذهب الى
السدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل

وما ادريك ما يفعل بي ولا بكم
ومن حدثك انه يكتم
شيئا من الوحي فقد كذب ثم قرات

ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا
عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤوس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق
وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل وعن اسماء بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة
المنتهى قال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش الذهب
كان ثمرها القلال مخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان ولو ان
ورقة وضعت منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد عندها
جنة المأوى قال ابن عباس جنة المأوى يأوي اليها جبريل والملائكة وقيل يأوي اليها ارواح الشهداء
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة امثال الغربان وقيل
امثال الطيور وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى امثال الغربان حتى يقعن
عليها وقيل نور رب العزة فاستنارت وروي في الحديث قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما
يسبح الله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وفي
تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا ولا شمالا او ما جاوز ما رأى وقيل ما امر به وهذا وصف ادبه صلى
الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شيء سوى ما امر به وقيل في معنى الآية ان قلت الذي
يغشى السدرة فراش من ذهب اي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان ادبه صلى الله
عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلت الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه
وجهان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك
النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما اخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا
وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل فانقطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم
تثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزول فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف
الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى م عن عبد الله بن مسعود لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى
جبريل له ستمائة جناح خ عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا اخضر سد افق السماء

قال م

فصل من كلام الشيخ محيي الدين النووي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى وهل رأى
النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله
عن ابي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن
ابن عباس انه رآه بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله
عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجماعة
من اصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل
في الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز او يمتنع على ربه
واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه عز وجل ليلة الاسراء بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري
وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس
وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالاكثرون على ان هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل

والنبي

والنبي صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الآخر او من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن
كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله فعلى هذا القول يكون الدنو
والتدلي متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود
فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه
واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار
ذلك له وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين او ادنى على هذا عبارة
عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة
الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين واما صاحب
التحرير فلكنا لا نتمسك الا باقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم
والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس
هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روي بسند لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن انس
قال رأى محمد ربه وكان المعول في المسألة حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات
وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره
انه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لم ار ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره
منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير
الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما تتلقى بالسماع ولا يستجيز
احد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد
حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس
اثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير قال الشيخ محيي الدين
والحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة
الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات
وسنوضح الجواب عنها اما احتجاج عائشة بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر
فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه
نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره واما احتجاجها
بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من اوجه احدها انه لا يلزم
من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الثاني انه عام مخصوص
بما تقدم من الادلة الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة
وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحي هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما

وكلامه يسمى وحيا واما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم
بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا بل يسمعون كلامه
سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة
ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في اول الحديث لقد قف شعري معناه
قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال تقول العرب عند انكار الشيء قف
شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر نور اني اراه
فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في اني وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور
فكيف اراه قال المازري الضمير في اراه عائد على الله تعالى ومعناه ان النور منعني
من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حالت بين
الرائي والمرئي وفي رواية رايت نورا معناه رايت النور فحسب ولم ار غيره وفي رواية نوراني اراه
معناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون ذات
الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع ائمة المسلمين والله اعلم
قوله عز وجل افرايتم اللات والعزى هذه اسماء اصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها اسماء
من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تانيث الاعز والمعنى
اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف
بها رب العزة شيء وقيل كانت اللات بالطائف وقيل بيت بنخلة كانت قريش تعبده
وقرئ اللات بالتشديد عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج
قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في راس جبل له غنيمة يسلا منها
السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة
فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه وهو اللات وقيل كان رجل من ثقيف يقال له صرمة بن غنم
وكان يسلا السمن فيضعه على صخرة فتاتيه العرب فتلت به اسوقتهم فلما مات الرجل
حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها فعمد الطائف على موضع اللات واما العزى فقيل
هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها ويقال ان
خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رايت فقال ما رايت شيئا
فقال ما قطعتها فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها امراة
عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد
ابدا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة
فراى الصفا والمروة وراى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه
ان لاهل مكة الصفا والمروة وليست لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تامرنا قال
انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلها الى نخلة فوضع الذي اخذ

من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذي اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة احجار
فاسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقيل هي بيت
بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله ومناة قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة في الانصار
كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم
هذيل وخزاعة تعبدها اهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في
جوف الكعبة يعبدونها الثالثة الاخرى الثالثة نعت لمناة اذ الثالثة للصنم في الذكر
واما الاخرى فان العرب لا تقول الثالثة اخرى وانما الاخرى هنا نعت للثالثة قال الخليل
فالها لوفاق رؤوس الاي كقوله مآرب اخرى ولم يقل اخر وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره
افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هو صفة ذم كانه تعالى قال ومناة
الثالثة الاخرى المتاخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتيب مراتب وذلك لان اللات كان
وثنا على صورة ادمي والعزى شجرة فهي نبات ومناة صخرة فهي جماد فهي في اخريات المراتب ومعنى
الاية هل رايتم هذه الاصنام حق الرؤية فان رايتموها علمتم انها لا تصلح للالهية ولا تنفع وقيل
افرايتم انها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله الكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون
بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله كان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل
منكرا عليهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قال ابن عباس اي قسمة جائرة حيث جعلتم
لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة ان هي اي ما هي هذه الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه
قلتم لبعضها عزى ولا عز فلا يكون لها مسمى حقيقة ما انزل الله بها من سلطان اي
حجة بما تقولون انها آلهة ان يتبعون الا الظن اي في قولهم انها آلهة وما تهوى الانفس
يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي
ينبغي ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا باتباع هوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى
اي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح
الا لله الواحد القهار قوله تعالى ام للانسان ما تمنى معناه ايظن الكافر ان له ما يتمنى ويشتهي
من شفاعة الاصنام اي ليس الامر كما يظن ويتمنى فلله الاخرة والاولى اي لا يملك احد فيهما شيئا
الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الاخرة
والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا والاخرة وان شاء امهله الى الاخرة وكم من ملك
في السموات اي ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا
يعني ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم
اخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى اي من اهل
التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضي الله عنه وقيل الا من بعد ان ياذن الله
لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ان الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني الكفار

الدنيا انكروا البعث ٥ ليسمون الملائكة تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث اي بتسمية الانثى حيث
قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف تسميه الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس
وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبة رؤس الاي وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية
الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما
لهم به من علم اي بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث ٥
ان يتبعون الا الظن اي في تسمية الملائكة بالاناث ٥ وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي لا يقوم
الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا
بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون ٥
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا يعني القرآن وقيل عن الايمان ٥ ولم يرد الا الحياة الدنيا يعني انهم لا يؤمنوا
بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رايهم فقال تعالى ذلك مبلغهم
من العلم اي ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم ان اثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا
من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم يشفعوا لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القرآن
والايمان ٥ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اي هو عالم بالفريقين فيجازيهم
باعمالهم ٥ ولله ما في السموات وما في الارض وهذا اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين
الآية الاولى وبين قوله تعالى ليجزي الذين اساءوا بما عملوا والمعنى انه اذا كان اعلم بهم جازى كلا بما يستحقه
فيجزي الذين اساءوا اي اشركوا بما عملوا اي من الشرك ويجزي الذين احسنوا اي وحدوا ربهم ٥ بالحسنى
يعني الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما
في السموات وما في الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم قيل الاثم
الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل
هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه اثام والكبيرة متعارفة
في كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الافعال
والاقوال وقيل هو ما يفحش من الكبائر ٥ الا اللمم اي الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هو
مقاربة المعصية من قولك المت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل
هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب
او يقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن ابن عباس قال عبد الله
ابن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم
فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس
في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قيل اصل
اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء
منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو
ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به في الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس

يعملون

يعملون فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب
كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابي هريرة ومسروق والشعبي
والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا
العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم
قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع
واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق
ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا
ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي يكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش
الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب
اي خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان عاد النظر فليس بلمم بل هو ذنب ٥

فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلماء اكبر الكبائر الشرك
بالله وهذا ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ما
سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق والسحر
وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد النص
بها ولها تفاصيل واحكام يعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة
عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من اكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن
عباس انه سئل عن الكبائر اسبع هي فقال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة اقرب
وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فعن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه
فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون
بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من
جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة
واستعمال سلف الامة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها
فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وعن الحسن
نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه بحد في الآخرة او حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط
الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف او احداث
ندم كالمتهاون بها والمتجرئ عليها اعتيادا فان اشعر هذا الاستخفاف والتهاون
فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به
تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام
في كتابه القواعد اذا اردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على
مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر
وان ساوت ادنى مفاسد الكبائر او زادت عليه فهي من الكبائر فمن امسك امراة محصنة

لمن يزني بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك اعظم ممن اكل درهما من مال اليتيم
مع كونه من الكباير وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستاصلونهم بدلالته فان نسبته
الى هذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكباير وكذلك لو كذب على انسان
كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يوخذ منه تمرة بسبب كذبته لم يكن ذلك من
الكباير قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه ان يطلق
عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها ايجاب الحد ومنها
الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب او السنة ومنها ما وصف فاعلها بالفسق
او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى ان ربك
واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب روي عن عمر بن الخطاب وابن عباس
قالا لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة
تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل في حد الاصرار هو ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة
مبالاته بدينه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال تعالى هو اعلم بكم اي
قبل ان يخلقكم وهو قوله اذ انشاكم من الارض اي خلق اباكم ادم من التراب واذ انتم اجنة جمع جنين
في بطون امهاتكم سمي جنينا لاستتاره في بطن امه فلا تزكوا انفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها
وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صايرة فلا تزكوا انفسكم فلا تبروها
من الاثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل في معنى الاية هو اعلم بكم ايها المومنون علم حالكم من اول
خلقكم الى اخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك
او انا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان
الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى هو اعلم بمن اتقى اي بمن بر واطاع واخلص العمل
وقيل في معنى الاية فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل
لا تنسبوها الى الزكا والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم
والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل
نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الاية
قوله عز وجل افرايت الذي تولى نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه
فعيره بعض المشركين وقال له اتركت دين الاشياخ وضللتهم قال اني خشيت عذاب الله فضمن
له الذي عاتبه ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد
الى الشرك واعطى الذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذي تولى
اي ادبر واعرض عن الايمان واعطى اي لصاحبه الذي عيره قليلا واكدى اي بخل بالباقي وقيل
اعطى الوليد قليلا اي من الخير بلسانه واكدى اي قطعه وامسك ولم يقم بالعطية وقيل نزلت في
العاص بن وايل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت
في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا واكدى اي لم يومن
به ومعنى اكدى اي قطع واصله من الكدية وهي حجر تظهر في البير تمنع من الحفر اعنده علم الغيب فهو يرى

اي ما

اي ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يحمل عنه عذابه ام لم ينبا اي يخبر بما في صحف موسى يعني صحف موسى
يعني اسفار التورية وابرهيم اي وبخبر بما في صحف ابرهيم الذي وفى اي كمل وتمم ما امر به وقيل عمل بما امر به
وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى سهام الاسلام بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل
الطاعة وقيل وفى سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام
وقيل وفى شان المناسك روى البغوي بسنده عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابرهيم
الذي وفى قال اربع ركعات اول النهار وعن ابي الدردا وابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الله تبارك وتعالى انه قال ابن ادم اركع لي اربع ركعات من اول النهار اكفك اخره اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا
تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد
ابن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابرهيم ياخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل
يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامراته وعبده حتى كان ابرهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك
وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى اي عمل وهذا في صحف
ابرهيم وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم
ذريتهم فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا وقيل كان ذلك لقوم ابرهيم وموسى فاما هذه
الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت
يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان امي توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة اخا بني ساعدة
وذكر نحوه اخرجه البخاري وعن عايشة ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت
نفسها واظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين في
حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد
صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وانما
يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الاخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت
ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذا اجمعوا على وصول الدعا وقضاء الدين للنصوص
الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحج تطوع على الاصح عند
الشافعي واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة
فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراة القران لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه
يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلاة وساير التطوعات فلا تصله عند الشافعي
والجمهور وقال احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس
له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له
في الاخرة خير روي ان عبد الله بن ابي سلول كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل
ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجايز ان يزيده الله ما يشا

من فضله وكرمه ۝ وان سعيه سوف يرى اي يرى في ميزانه يوم القيمة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى
يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ۝ ثم يجزاه اي السعي الجزاء
الاوفى اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه بالجزاء الاوفى من قوله عز وجل ۝ وان الى ربك المنتهى
اي منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الآخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام
تقديره وان الى ربك ايها السامع او العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد
للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي
صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى
وقيل في معنى الآية منه ابتدا المنة واليه انتهاء الآمال روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة
مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه
لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت انه لا بد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى
فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى ۝ وانه هو اضحك وابكى اي هو
القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكا ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان
فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكا قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار
وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن
يجلب البكا عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون
الشعر ويتذاكرون اشيا من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وفي رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل
ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبال
عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة اي بكاء مع صوت يخرج
من الانف ۝ وانه هو امات واحيا اي امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الآباء واحيا الابناء وقيل
امات الكافر بالنكرة واحيا المؤمن بالمعرفة ۝ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو
ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا ويخلق بعضها انثى وهذا شيء
لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة ۝ من نطفة اذا
تمنى اي تصب في الرحم وقيل تقدر وهذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شيء واحد خلق الله منها
اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال
قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد انه خلق نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم
يقدر احد ان يدعي خلق السموات والارض ۝ وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني بعد
الموت للبعث يوم القيمة ۝ وانه هو اغنى واقنى اي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهي اصول
الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى اي اعطى
الرضى وقيل اغنى يعني دفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شيء لان الغنى ضد الفقر واقنى اي زاد فوق

الغنى ۝ وانه هو رب الشعرى اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل
من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي
مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن
ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب مضي خلف
الجوزا ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحدهما العبور وللاخرى الغميصا
سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد هاهنا الشعرى العبور ۝ وانه اهلك عادا
الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل
الاولى يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح ۝ وثمود وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة ۝ فما ابقى يعني منهم
احدا ۝ وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق ۝ انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني
لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب ۝ والمؤتفكة يعني قرى قوم لوط ۝ اهوى اي
اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهواها ۝ فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة
المنضودة المسومة ۝ فباي آلاء ربك يعني نعم ربك ۝ تتمارى اي تشك ايها الانسان وقيل اراد
الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اي تكذب ۝ هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ۝ من
النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل
انذر محمد صلى الله عليه وسلم كما انذر الرسل من قبله ۝ ازفت الآزفة اي دنت القيمة واقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة اي مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة
على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعاقبة والمعنى
لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها
لم يكشفها ولم يردها عنهم احد قوله تعالى ۝ افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون تنكرون ۝ وتضحكون اي
استهزاء ۝ ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد ۝ وانتم سامدون اي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه
ان السمود هو الغنا بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا واصل السمود في اللغة رفع الراس
ماخوذ من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل معناه اشرون بطرون
وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض ۝ فاسجدوا لله يعني ايها المؤمنون شكرا على
الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلاة ۝ واعبدوا اي اعبدوا
الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى ق
عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان
شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد
رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره
وهو امية بن خلف خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون
والجن والانس ق عن زيد بن ثابت قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا
الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله
لم يكتبها علينا الا ان نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارى والمستمع وهو قول سفين واصحاب الراي والله اعلم

تفسير سورة القمر مكية

وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقتربت الساعة
أي دنت القيامة وانشق القمر قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من
آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر إلى قوله سحر مستمر يقول ذاهب (ق) عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية أخرى قال بينا نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذ انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا (ق) عن ابن عباس قال إن القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر قال انشق
القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم
لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان
فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم
ابن أبي كبشة فسألوا السفار فقالوا نعم قد رأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فإنه أدل دليل
وأقوى مثبت له وإمكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الإيمان به واعتقاد وقوعه قال
الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة
وذلك لما أعمى الله قلبه ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره
في آخر أمره فأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم في رؤيته
ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم
الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها
إلا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من
العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به إلا الآحاد من الناس ولا علم عند غيرهم بذلك
لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا
رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض
أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم
وقيل في معنى الآية سينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لإجماع المفسرين على خلافه
ولأن الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر إلى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفي
قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
في قوله تعالى وإن يروا آية أي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق
بها ويقولوا سحر مستمر أي دائم مطرد وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات

وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد يعلو على كل سحر وقيل مستمر
أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى إنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم
وما عاينوا من قدرة الله واتبعوا أهواءهم أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم إنه سحر القمر
وكل أمر مستقر أي لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف
وقيل وكل أمر مستقر فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار وقيل يستقر قول
المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى
وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس الأمر كما
زعموا بل كل أمر من أموره مستقر وإن أمر محمد صلى الله عليه وسلم سيظهر إلى غاية يتبين أنه حق ولقد
جاءهم يعني أهل مكة من الأنباء أي من أخبار الأمم المكذبة في القرآن ما فيه مزدجر أي متناهى ومتعظ
حكمة بالغة يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فما تغني النذر يعني أي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم
فتول عنهم أي أعرض عنهم نسختها آية القتال يوم يدع الداعي أي اذكر يا محمد يوم يدعو الداعي
هو إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس إلى شيء نكر أي منكر فظيع لم يروا
مثله فينكرونه استعظاما له خشعا وقرئ خاشعا أبصارهم أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب
يخرجون من الأجداث أي من القبور كأنهم جراد منتشر مثل كونهم في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى
فزعين مهطعين أي مسرعين مادين أعناقهم مقبلين إلى الداعي أي إلى الصوت وهو إسرافيل وقيل
ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر أي صعب شديد وفيه إشارة إلى أن ذلك
اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين قوله تعالى كذبت قبلهم أي قبل أهل مكة قوم نوح فكذبوا
عبدنا يعني نوحا وقالوا مجنون وازدجر أي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم
تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا يعني نوحا ربه وقال إني مغلوب أي مقهور فانتصر أي
فانتقم لي منهم ففتحنا أبواب السماء قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك
لأنه قد صح في الحديث أن للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فإن الظاهر أن يكون المطر من السحاب
بماء منهمر أي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما وفجرنا الأرض عيونا أي وجعلنا
الأرض كلها عيونا تنبع بالماء فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر أي
قضي عليهم في أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الماءان سواء فكانا على ما قدر وحملناه
يعني نوحا على ذات ألواح أي سفينة وأراد بالألواح خشب السفينة العريضة ودسر أي
مسامير التي تشد بها الألواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة وأضلاعها
وقيل الألواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها تجري يعني السفينة بأعيننا أي بمرأى
منا وقيل بحفظنا وقيل بأمرنا جزاء لمن كان كفر يعني فعلت ذلك به وبهم من إنجاء نوح وإغراق
قومه ثوابا لنوح لأنه كفر به وجحد أمره وقيل من بمعنى ما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند
الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه ولقد تركناها آية يعني الفعلة التي فعلنا لهم آية
يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بباقردى من أرض الجزيرة
عبرة حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة فهل من مدكر أي متذكر معتبر متعظ خائف مثل

عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من مذكر فرده علي مدكر وفي رواية
اخرى سمعته يقول مدكر دالا فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري ولقد يسرنا القرآن اي سهلنا القرآن
للذكر اي ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله
ظاهرا الا القرآن فهل من مدكر اي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد سهله
الله ويسره على عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديدة
الهبوب في يوم نحس اي في يوم شؤم مستمر اي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق
منهم احد الا اهلكه فيه قيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر تنزع الناس اي الريح
تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من قبورهم كأنهم اعجاز نخل قال ابن عباس
اصول نخل منقعر من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤوسهم فتبقى اجسام بلا رؤوس
كعجز النخلة الملقاة فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت
ثمود بالنذر اي بالانذار الذي جاءهم به صالح فقالوا أبشرا منا واحدا يعني آدميا واحدا منا نتبعه
اي ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال اي خطأ وذهاب عن الصواب وسعر قال ابن عباس عذاب
وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي
بعد عن الحق أألقي الذكر عليه يعني انزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب اشر اي بطر متكبر يريد
ان يتعظم علينا بادعائه النبوة سيعلمون غدا اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة وقيل
انما ذكر الغد للتقريب من الكذاب الاشر اي اصالح ام من كذبه انا مرسلوا الناقة اي باعثوها
ومخرجوها من الهضبة التي سالوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء
عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة اي محنة واختبارا لهم فارتقبهم اي
فانتظر ما هم صانعون واصطبر اي على اذاهم ونبئهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم
اي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى تغليبا للعقلاء كل شرب اي نصيب من
الماء محتضر اي يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا
شربهم وقيل يعني يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن فنادوا صاحبهم
يعني قدار بن سالف فتعاطى اي فتناول الناقة بسيفه فعقر يعني الناقة فكيف كان
عذابي ونذر ثم بين عذابهم فقال تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يعني صيحة جبريل
فكانوا كهشيم المحتظر قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع
فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالي الذي هشم حين ذرته
الريح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلي وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب
يتناثر من الحائط ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله عز وجل كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا يعني الحصباء وهي الحجارة التي دون ملء الكف وقد يكون الحاصب
الرامي فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اي يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال
تعالى الا آل لوط يعني لوطا وابنتيه نجيناهم يعني من العذاب بسحر نعمة من عندنا اي جعلناه

نعمة منا عليهم حيث نجيناهم كذلك نجزي اي كما انعمنا على آل لوط كذلك نجزي من شكر يعني من
وحد الله لم يعذبه مع المشركين ولقد انذرهم اي لوط بطشتنا يعني اخذنا اياهم بالعقوبة
فتماروا بالنذر اي شكوا بالانذار وكذبوا ولم يصدقوه ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه
ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم
فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم
جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب فاخرجهم لوط عميا
باذن الله يترددون لا يبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم اي صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها
شق وقيل طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا قد رأيناهم حين دخلوا فاين
ذهبوا فلم يروهم فذوقوا عذابي ونذر يعني ما انذركم به لوط من العذاب ولقد صبحهم بكرة
اي جاءهم وقت الصبح عذاب مستقر اي دائم استقر بهم حتى افضى بهم الى عذاب الاخرة
فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى ولقد جاء آل فرعون
النذر يعني موسى وهارون عليهما السلام وقيل النذر الآيات التي انذرهم بها موسى كذبوا باياتنا
كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اي بالعذاب اخذ عزيز مقتدر اي غالب في انتقامه
قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أكفاركم خير من اولئكم يعني اقوى
واشد من الذين احللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا
استفهام انكار اي ليسوا باقوى منهم ام لكم براءة في الزبر اي الكتب اي لن يصيبكم ما
اصاب الامم الخالية ام يقولون يعني كفار مكة نحن جميع اي امرنا منتصر اي [illegible] والمعنى
نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي وقيل
معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى سيهزم
الجمع يعني كفار مكة ويولون الدبر اي الادبار فوحد لاجل رؤوس الآي وقيل في الافراد اشارة
الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم
في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني
انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك
يا رسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر اي اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل
ان المجرمين يعني المشركين في ضلال في الدنيا ونار مسعرة في الآخرة وقيل في ضلال اي عن طريق
الجنة وعذاب في الآخرة ثم بين عذابهم فقال يوم يسحبون اي يجرون في النار على وجوههم ويقال
لهم ذوقوا مس سقر اي ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر انا كل شيء
خلقناه بقدر اي مقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شيء من خلقه
قدره الذي ينبغي له وقال ابن عباس كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك فصل
في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه (م) عن ابي هريرة قال جاءت مشركو مكة
الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين في ضلال وسعر الى

اي من العذاب

وسعر

قريش

قوله انا كل شيء خلقناه بقدر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء
م عن طاووس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال
وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او الكيس
والعجز عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد مؤمن حتى يؤمن باربع
يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر
اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره
وشره حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث حسن غريب لا نعرفه
الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفي حديث جبريل المتفق وتؤمن بالقدر خيره وشره
قال صدقت ه ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس
هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم
وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود وله عن ابي هريرة مثله
وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم في الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان
من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق
يوم القيامة امر مناديا فنادى نداء اسمع الاولين والاخرين اين خصماء الله فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى
النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال ابن الجوزي وانما قيل خصماء الله
لانهم يخاصمون في انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروي عن الحسن قال
والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن
والمقام لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر قال
الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر
الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى
صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه
وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اي انما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا
على الله سبحانه وجل عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال
اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل
ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتاخرة تعتقد اثبات القدر
ولكن يقولون الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتابه
غريب الحديث وابو المعالي امام الحرمين وهذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل
الحق يفوضون امورهم الى الله ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى
انفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه
قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم

الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء باختصاص
هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابو داود في سننه والحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين
ان صح سماع ابي حازم من ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم
مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا
ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر جميعا
لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده
فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار
الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمون وانما معناه الاخبار عن تقدم
علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها
قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل
بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن
وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل
من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير
بالادلة القطعية السمعية والعقلية والله اعلم ه واما معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جاء
مشركوا قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله
وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله
كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء
المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل القدر فان ذلك ازلي لا
اول له وقوله وعرشه على الماء اي قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى
العجز والكيس او الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف
به وتاخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في امور الدنيا والاخرة
والكيس ضد العجز عن الطاعات وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز
قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة وقيل معناه وما امرنا للشيء
اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا اراد الله شيئا قال له كن فهنا
شيئان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير
القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر كلمح بالبصر قال ابن عباس يريد ان قضائي في خلقي اسرع من لمح
البصر وعن ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر ولقد اهلكنا
اشياعكم اي اشباهكم ونظراءكم في الكفر من الامم فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك حق
فيخاف ويعتبر وكل شيء فعلوه في الزبر يعني الاشياع من خير وشر في الزبر اي في كتب الحفظة
وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم مستطر اي مكتوب
قوله عز وجل ان المتقين في جنات اي بساتين ونهر اي انهار وانما وحده لموافقة رؤوس

الاي وارادانها الجنة من الما والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في جنات وسعة ومنه النهار
والمعنى لا ليل عندهم في مقعد صدق اي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وقيل في مجلس حسن وقيل
في مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صادق عند مليك قيل
معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان مقتدر اي قادر لا يعجزه شي وقيل مقربين عند
مليك امره في الملك والاقتدار اعظم شي فلا شي الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة
واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا
يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم

تفسير سورة الرحمن عز وجل

مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من احد القولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون اية
وثلثماية واحدى وخمسون كلمة والف وستماية وستة وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القران قيل
لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني
الذي انكرتموه هو الذي علم القران وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى
الرحمن علم القران يعني علم محمدا القران وقيل علم القران ليسر للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل
عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القران العزيز لانه اعظم وحي الله الى انبيائه
واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب
السماوية المنزلة على افضل البرية خلق الانسان يعني ادم عليه السلام قاله ابن عباس علمه البيان
يعني اسما كل شي وقيل علمه اللغات كلها فكان ادم يتكلم بسبعماية لغة افضلها العربية وقيل الانسان
اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان اي النطق الذي يتميز به عن ساير
الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم
الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون
وما كان لانه كان صلى الله عليه وسلم يبين عن خبر الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان
الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس بجريان بحسبان
ومنازل لا يعدوانها وقيل يعني بهما حساب الاوقات والاجال ولولا الليل والنهار والشمس
والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحا
وهو ما يدور بدورانه والنجم والشجر يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق من النبات
كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتا وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده
طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما ارضيان في مقابلة
سماويين والسماء رفعها اي فوق الارض ووضع الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه الة
العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله الا تطغوا في الميزان ان لا تجاوزوا العدل وقيل
اراد به الالة التي يوزن بها ليتوصل بها الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لا
تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا او تظلموا او تجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن بالقسط
اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب

ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي
هو اعتدا وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية
به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي
للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون
فوقها فيها اي في الارض فاكهة اي من انواع الفواكه وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى
والنخل ذات الاكمام يعني الاوعية التي تكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما
لم ينشق وكل شي ستر شيا فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين ساير الشجر
لانها اعظمها واكثرها بركة والحب يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما
وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقا الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن
ذو العصف قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع روسه ويبس وقيل
هو ورق الزرع وقيل العصف ورق كل شي يخرج منه الحب يبدو اولا ورقا وهو العصف
ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس
كل ريحان في القران فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان
ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس والجن فقال تعالى فباي الا ربكما تكذبان
يعني ايها الثقلان يريد من هذه الاشيا المذكورة وكرر هذه الاية في هذه السورة في احد وثلثين
موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا في التذكير بها عدد على الخلق الاه وفصل بين كل نعمتين بما نبههم
عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن اليه وتابع عليه بالايادي وهو ينكرها
ويكفرها الم تك فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تك عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تك خاملا
فعززتك افتنكر هذا ومثل هذا الكلام سايغ في كلام العرب حسن تقريرا وذلك ان الله تعالى
ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر
والسما والارض الى غير ذلك مما انعم به على خليقته خاطب الانس والجن فقال فباي الا ربكما تكذبان
من الاشيا المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه
فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن
فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي الا ربكما تكذبان قالوا ولا بشي من نعمك
ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية عنه كانوا احسن منكم ردا
وفيه ولا بشي قوله تعالى خلق الانسان من صلصال يعني من طين يابس له صلصلة وهو
الصوت منه اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت
العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو ادم فقال تعالى من تراب وقال من حما مسنون
وهو الطين الاسود وقال من طين لازب وقال من ما مهين وقال هنا من صلصال
كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه
اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالما ثم حما مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار
صلصالا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل هو ابليس من مارج من نار يعني الصافي من لهب

النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر
الذي يعلو النار اذا اوقدت ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ رب المشرقين﴾ يعني مشرق الصيف وهو
غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتا وهو غاية انحطاط الشمس ﴿ورب المغربين﴾ يعني مغرب الصيف
ومغرب الشتا وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر ﴿فبأي
آلاء ربكما تكذبان ۝ مرج البحرين﴾ يعني ارسل البحرين العذب والمالح وتركهما متلاقيين لا فصل بين
الماءين لان من شانهما الاختلاط وهو قوله ﴿يلتقيان﴾ لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما ﴿بينهما برزخ﴾ وهو قوله
بينهما اي حاجز من قدرة الله ﴿لا يبغيان﴾ اي لا يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران
وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل ﴿مرج البحرين﴾ يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما
وقيل بحر فارس والروم ﴿بينهما برزخ﴾ يعني الجزاير وقيل بحر السماء وبحر الارض ﴿يلتقيان﴾ يعني كل عام ﴿فبأي
آلاء ربكما تكذبان ۝ يخرج منهما﴾ قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل
اراد يخرج من احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشي الواحد جاز ان يقال يخرج
منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء
البحر قيل اذا امطرت السماء فتحت الاصداف افواهها فحيث ما وقعت قطرة كانت لولوة على قدر القطرة ﴿اللولو
والمرجان﴾ قيل هو ما عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر
﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ وله الجوار﴾ يعني السفن الكبار ﴿المنشآت﴾ اي المرفوعات وهي التي رفع
خشبها بعضها على بعض وقيل هي ما رفع قلعها من السفن اما ما لم يرفع قلعها فليس من
المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات ﴿في البحر كالاعلام﴾ اي كالجبال جمع
علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبل في البر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قوله عز وجل ﴿كل من عليها
فان﴾ اي هالك لان وجود الانسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث
على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة ﴿ويبقى وجه ربك﴾ يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة
وفي المخاطب وجهان احدهما انه مع كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني
انه يحتمل ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ذو الجلال﴾ اي ذو العظمة والكبريا ومعناه
الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه ﴿والاكرام﴾ اي المكرم لانبيايه واوليايه وجميع خلقه بلطفه
واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظوا بيا ذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي قال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه
الدعوة واكثروا منها قوله تعالى ﴿يسأله من في السموات والارض﴾ يعني من ملك وانس وجن ولا يستغني
عن فضله اهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسالونه المغفرة واهل الارض يسالونه
الرزق والمغفرة وقيل كل احد يساله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه او دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة
الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز الى تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى ﴿كل
يوم هو في شان﴾ قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيا قال
المفسرون من شانه انه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويمرض صحيحا
ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من افعاله

واحداثه في خلقه ما يشا سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق
الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمرا قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثماية
وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله ﴿كل يوم هو في شان﴾ قال
سفين بن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيمة والشان الذي
هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع وشانه
يوم القيمة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت
ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كاين فاذا جا ذلك الوقت تعلقت ارادته
بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال ابو سليمن الداراني في هذه الاية له في كل يوم الى العبيد بر جديد
وقيل شانه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآبا الى ارحام الامهات وعسكرا
من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرحلون جميعا الى الله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ سنفرغ
لكم ايها الثقلان﴾ قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى لا
يشغله شان عن شان فهو كقول القايل لمن يريد تهديده لافرغن لك وما به شغل وهذا قول
ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال
ونأخذ في امركم فهو كقول القايل الذي لا شغل له قد فرغت الي وقيل معناه ان الله وعد اهل
التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز
لكم ما وعدناكم فيتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا
ثقلين لانهما ثقل على الارض احيا وامواتا وقيل كل شي له قدر ووزن يتنافس فيه فهو ثقل
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين
اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب
﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان ۝ يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض﴾ اي
من جوانبها واطرافها ﴿فانفذوا﴾ اي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت والخروج من
اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيمة
والمعنى ان استطعتم ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا
وقيل معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضايي وتخرجوا من ملكي ومن سمايي وارضي فافعلوا
وقدم الجن على الانس في هذه الاية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على ذلك ثم قال تعالى
﴿لا تنفذون الا بسلطان﴾ يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك لانكم حيث
ما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات
والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وفي الخبر يحاط
على الخلق بالملايكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض الاية فذلك قوله تعالى ﴿يرسل عليكما شواظ من نار﴾ قال اكثر المفسرين هو
اللهب الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ﴿ونحاس﴾ قيل هو الدخان
وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس

وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهم هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان يرسلا معا
من غير ان يمتزج احدهما بالآخر فلا تنتصران اي لا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه فباي
الآء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملايكة وقيل المراد منه
خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشار الى اهل الارض ذكر في هذه الاية بيان حال سكان
السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس
والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى فكانت وردة كالدهان جمع دهن شبه تلون
السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تلون
يومئذ الوانا كلون الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وفي اول الشتاء احمر فاذا اشتد البرد صار اغبر
السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان اي كعصير الزيت وقيل لانه
يتلون في الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذايب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان
اي كالاديم الاحمر فباي الآء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قيل لا يسالون عن
ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبته الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس
وعنه لا تسال الملايكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس ايضا
في الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين قال لا يسالهم هل عملتم كذا وكذا
لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسالهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسال في بعضها ولا يسال في
بعضها وعن ابن عباس ايضا قال لا يسالون سوال شفقة ورحمة انما يسالون سوال تقريع وتوبيخ
وقيل لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم فباي الآء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني
بسواد وجوههم وزرقة عيونهم فيوخذ بالنواصي والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة الى
النواصي من خلف ظهورهم وقيل تجعل روسهم على ركبهم ونواصيهم في اصابع ارجلهم مربوطة
وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون في النار فباي الآء ربكما تكذبان
هذه جهنم اي يقال لهم اذا القوا فيها هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يعني المشركين
يطوفون بينها وبين حميم آن يعني قد انتهى حره والمعنى انهم يسعون بين الجحيم وبين الحميم
فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآن الذي صار كالمهل وقال كعب الاحبار
آن واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه
حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك
قوله يطوفون بينها وبين حميم آن فباي الآء ربكما تكذبان فان قلت هذه الامور المذكورة
في هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف قال في هذه الآيات فباي
الآء ربكما تكذبان قلت المذكور في هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى
لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فباي الآء ربكما تكذبان
ثم ذكر ما اعده لمن اتقاه وخافه من عباده المومنين فقال عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان
يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه
عليه وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله

في السر

في السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير اخلصه لله ولا يحب
ان يطلع عليه احد وقيل ان المومنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودابوا الليل
والنهار جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية
الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير آخر
الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في اول الامر فان من سار في اول الليل كان جديرا
ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن ابي الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص
على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنا وان
سرق يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدرداء فباي الآء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى
ذواتا افنان اي اغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل
الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان يعني الوان الفواكه وجمع عطا بين القولين
فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فباي الآء ربكما
تكذبان فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان
بالماء الزلال احداهما التسنيم وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين
فباي الآء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما
من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في
الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فباي الآء ربكما تكذبان متكئين على فرش جمع فراش بطاينها
جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة من استبرق وهو ما غلظ من الديباج
قال ابن مسعود وابو هريرة هذه البطاين فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطاين
من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه
ايضا قال بطاينها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطاين
وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو
الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر بطاينها من الاستبرق
ولا بد ان تكون الظهاير خيرا من البطاين مفهوما لا يعلمه البشر وجنا الجنتين دان يعني ان
ثمرها قريب يناله القايم والقاعد والنايم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب
قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قايما وان شاء قاعدا وقيل
لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك فباي الآء ربكما تكذبان فيهن فان قلت الضمير الى
ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور
ومجالس قاصرات الطرف اي غاضات الاعين قصرن طرفهن على ازواجهن فلا
ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة

شيئاً احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك «لم يطمثهن» اي لم يجامعهن ولم يفتضهن والعرب
لم يطمثهن بالجماع وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق خرجن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من
بيض النعام اي لم يمسسهن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن «انس قبلهم» اي قبل ازواجهن من اهل الجنة «ولا
جان» وقيل انه نفى الجن لان لهم ازواجاً في الجنة منهم وفي الآية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي
وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات
للجن وقال مجاهد في هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجن على احليله فجامع معه واختلف
في هؤلاء اللواتي لم يطمثهن فقيل هن الحور لانهن خلقن في الجنة فلم يمسسهن احد قبل ازواجهن
وقيل هن من نساء الدنيا المنشآت خلقاً آخر ابكاراً كما وصفهن لم يمسسهن منذ انشئن خلقاً آخر
احد وقيل هن الادميات اللاتي متن ابكاراً ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك اقر
لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم «فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان»
اراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ واشده بياضاً وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ
مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب حمرة والاصح انه شبههن ببياض بالياقوت
لصفائه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن
ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب
الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة
من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله يقول كانهن
الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه اخرجه
الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح ق عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة يلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم
على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب
والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى
مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون
الله بكرة وعشياً وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة
يعني بخورهم العود «فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان» اي ما جزاء من احسن
في الدنيا الا ان يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء
من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه
جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى في مقابلته
بفعل حسن وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو
الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك

الاحسان اليه فلا تكليف «فباي آلاء ربكما تكذبان» قوله عز وجل «ومن دونهما جنتان» اي ومن دون
الجنتين الاوليين جنتان اخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابو موسى
الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن اربع
جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين
فيهما فاكهة ونخل ورمان ق عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من
فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلهما
يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد
وهما افضل من الاوليين «فباي آلاء ربكما تكذبان» ثم وصف الجنتين فقال تعالى «مدهامتان»
اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد
«فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان» اي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس
ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله وقال انس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل
الجنة كنضخ المطر «فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان» يعني فيهما من انواع الفواكه
كلها وانما افرد النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيهاً على فضلهما وشرفهما
على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما افردهما بالذكر للتخصيص
والتفضيل فهو كقوله من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فافردهما وان كانا
من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفاكهة لان ثمرة النخل
فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف
لا يأكل الفاكهة فاكل رطباً او رماناً لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف اهل اللغة
ولا حجة له في الآية روى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفاً قال نخل الجنة جذوعها زمرد
اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمارها مثل القلال او
الدلاء اشد بياضاً من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم
وروي ان الرمانة من رمان اهل الجنة كجلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد
وثمرها كالقلال كلما نزعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعاً «فباي آلاء
ربكما تكذبان فيهن» اي في الجنان الاربع «خيرات حسان» روي ان ام سلمة قالت قلت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه
«فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات» اي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما
بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن
طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلاً «في الخيام» قيل هي البيوت قال
ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها
من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها وقيل هي خيام من در ولؤلؤ وزبرجد

مجوفة تضاف الى المقصور في الجنة عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمومن
في الجنة لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلاً للمومن فيها اهلون
يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
تقدم تفسيره فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة
ويروى هذا عن ابن عباس وقيل الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط
منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند
العرب فهو رفرف وعبقري حسان قيل هي الزرابي والطنافس المخملة الى الرقة ما هي وقيل كل ثوب موشى
عند العرب عبقري وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال او غيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها
الجن فصار مثلاً لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب بليغ فبأي آلاء ربكما تكذبان وذلك ان العرب تعتقد
في الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل امر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليها كل
شيء عجيب بليغ فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قيل لما ختم نعم الدنيا
بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا
فانية ختم نعم الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده م عن ثوبان قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة
لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والاكرام اخرجه
ابو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم

تفسير سورة الواقعة مكية وهي تسع وتسعون آية

وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي طيبة
عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة
لم تصبه فاقة ابدا قال وكان ابو طيبة لا يدعها ابدا واخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم
يعزه بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة وقيل
الواقعة اسم للقيامة كالآزفة ليس لوقعتها اي لمجيئها كاذبة اي ليس لها كذب والمعنى انها تقع صدقا
وحقا وقيل معناه ليس لوقعتها قضية كاذبة اي كل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها فهو صادقة
غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب
لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها خافضة رافعة اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة
وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما بالطاعة اذا رجت
الارض رجا اي اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا
قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها
وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت

كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى
ذهبت فكانت هباء منبثا اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء
وكنتم ازواجا اي اصنافا ثلاثة ثم فسر الازواج فقال تعالى فاصحاب الميمنة يعني اصحاب اليمين والميمنة
ناحية اليمين وهم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين
اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هولاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم
وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله تعالى وهم
التابعون باحسان ما اصحاب الميمنة تعجيب من حالهم في السعادة والمعنى اي شيء هم واصحاب المشأمة
يعني اصحاب الشمال وهم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم كانوا على شمال
آدم عند اخراج الذرية وقال الله لهم هولاء الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يوتون كتبهم بشمائلهم
وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى
والسابقون السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة هم السابقون في الآخرة الى الجنة
وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار
وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى
ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيمة فان قلت لم اخر
ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر
في اول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد
رغبة في الثواب واما مسيء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب
اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم
الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى اولئك
المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله في جنات النعيم قوله تعالى
ثلة من الاولين اي جماعة غير محصورة العدد من الاولين اي من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن
نبينا صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني من هذه الامة وذلك ان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية
اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني التابعين
لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين اي ممن جاء بعدهم من الصحابة على سرر
موضونة اي منسوجة بالذهب والجواهر وقيل موضونة يعني مصفوفة متكئين عليها اي على السرر متقابلين يعني لا
ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجلس وقيل الاسرة صارت ارواحا نورانية صافية
ليس لها ادبار وظهور يطوف عليهم اي للخدمة ولدان اي غلمان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون
ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الاذن واختلفوا
في هولاء الولدان فقيل هم اولاد المومنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله اخبر انه يلحقهم بآبائهم
ولان من المومنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان فيه منقصة بابي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين
ماتوا قبل التكليف وهذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب
فقال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقفت فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي

ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا ولم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معول عليه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وهم وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت ﴿باكواب﴾ جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا اذان لها ولا عرى ﴿واباريق﴾ جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها ﴿وكاس من معين﴾ اي من خمر جارية ﴿لا يصدعون عنها﴾ اي لا تصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها ﴿ولا ينزفون﴾ اي لا تغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ اي يأخذون خيارها ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فياكل منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار واهل الجنة انما ياكلون لا عن جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله اعلم ﴿وحور عين﴾ اي ويطوف عليهم وقيل ولهم حور عين وجاء في تفسير حور اي بيض عين اي ضخام العيون ﴿كامثال اللؤلؤ المكنون﴾ اي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في غاية الصفاء روي انه يسطع نور في الجنة فيقال ما هذا فيقال ضوء ثغر حوراء وروي ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ اي يفعلون ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته ﴿لا يسمعون فيها﴾ اي في الجنة ﴿لغوا﴾ قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع ﴿ولا تاثيما﴾ قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا ياتون تاثيما اي ما هو سبب التاثيم من قول او فعل قبيح ﴿الا قيلا﴾ معناه لكن يقولون قيلا او يسمعون قيلا ﴿سلاما سلاما﴾ يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم او يرسل الرب بالسلام عليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شانهم فقال تعالى ﴿واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين﴾ لما بين حال السابقين شرع في بيان حال اصحاب اليمين فقال تعالى ﴿في سدر مخضود﴾ اي لا شوك فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمرها اعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فانزل الله هذه الآية ﴿وطلح﴾ قيل هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك

ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا ﴿منضود﴾ اي متراكم قد نضد بالحمل من اوله الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كلها ماكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه ﴿وظل ممدود﴾ اي دائم لا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك ان الجنة ظل كلها لا شمس فيها (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم ﴿وظل ممدود﴾ وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا ﴿وماء مسكوب﴾ اي مصبوب يجري دائما في غير اخدود لا ينقطع ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من احد اذا اراد اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا في الشتاء وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عز وجل مكانها ضعفين ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال علي مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم معنى هذا الحديث وارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل اراد بالفرش النساء والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة اي رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا ويدل على هذا التاويل قوله عقبه ﴿انا انشاناهن انشاء﴾ اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر ﴿فجعلناهن ابكارا﴾ يعني عذارى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انشاناهن انشاء قال ان من المنشآت اللائي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال اتت عجوز النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز قال فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل وروي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشاناهن انشاء قال هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز عمشا رمصا فجعلهن ابكارا قال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين انشاهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع ﴿عربا﴾ جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قال ابن عباس في رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة ابن زيد عن ابيه عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه انها

المتقنة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام اترابا يعني مشاكلات في الخلق
وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين او قال ثلاث وثلاثين سنة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ٥ لاصحاب اليمين يعني انشاناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا
لاصحاب اليمين ٥ ثلة من الاولين يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة ٥ وثلة من الآخرين يعني
من مؤمني هذه الامة يدل على ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما انزل الله عز وجل
على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله آمنا برسول
الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيمة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة
الابل ممن قال لا اله الا الله ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فرايت
النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم
فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه
امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس
في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشيا فخرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم
ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط
وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين ق عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا
ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك
ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما انتم في اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود
او كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون
ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطا بن ابي رباح
والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هما جميعا من امتي وهذا القول اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وعاينه
وجماعة ممن امن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الاية الاولى وقليل من الآخرين
وقال في هذه الاية وثلة من الآخرين قلت الاية الاولى في السابقين وقليل من يلحق بهم من الآخرين وهذه
الاية في اصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين وحكي عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل
بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الاثنين خبر والخبر لا يدخله النسخ

الاولي هم

قوله تعالى

قوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال قد تقدم انه يعني التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم
بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى في سموم اي في حر النار وقيل في
ريح شديدة الحرارة وحميم اي ماء حار يغلي ٥ وظل من يحموم يعني في ظل من دخان شديد السواد
قيل ان النار سوداء واهلها سود وكل شي فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار ٥ لا بارد ولا كريم يعني
لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر
وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانه في ظل من دخان اسود حار ثم بين
بم استحقوا ذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا ٥ مترفين يعني منعمين ٥
وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس
وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى وكانوا
يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون فرد الله تعالى عليهم
بقوله قل ان الاولين والآخرين يعني الآباء والابناء ٥ لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يعني
انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب ٥ ثم انكم ايها الضالون اي عن الهدى ٥ المكذبون اي بالبعث
والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب ٥ لآكلون من شجر من زقوم يعني تقدم
تفسيره ٥ فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم يعني الابل
العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى بالماء فيبتلى على اهل النار
العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون ٥ هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم
والحميم اي رزقهم وغذاؤهم وما اعد لهم ٥ يوم الدين يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم
في البعث بقوله تعالى [illegible] نحن خلقناكم يعني ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك ٥ فلولا اي فهلا ٥
تصدقون يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل افرايتم ما تمنون يعني ما تصبون في الارحام من النطف
ءانتم تخلقونه اي انتم تخلقون ما تمنون بشرا ٥ ام نحن الخالقون اي انا خلق النطفة وصورها واحياها
فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشاكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء
الخلق ٥ نحن قدرنا بينكم الموت يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا
وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض
فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا ٥ وما نحن بمسبوقين
يعني لا يفوتني شي اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم
وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى على ان نبدل امثالكم اي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في
اسرع حين ٥ وننشئكم اي نخلقكم فيما لا تعلمون اي من الصور والمعنى نغير خلقتكم الى ما هو اسمج
منها من خلق شيئا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم
ان اردنا ان نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون يعني في حواصل
طير سود كانها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على
المسخ وعلى انه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بني ادم لقدر لو شاء ان يمسخهم في غير صورهم قدر
وقال بعض اهل المعاني هذا يدل على النشاة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد

ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاة الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن
بمسبوقين على ان ننشيكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والقيامة وفيه فايدة وهي
التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشا هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في زمان
لا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ٥ ولقد علمتم
النشاة الاولى اي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيا وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيمة ٥
فلولا تذكرون اي ذلك بانى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدايكم اول مرة قوله تعالى
افرايتم ما تحرثون لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلايل الوحدانية ذكر بعد
الرزق لان به البقاء وذكر امورا ثلاثة الماكول والمشروب وما به اصلاح الماكول ورتبه
ترتيبا حسنا فذكر الماكول اولا لانه هو الغذا واتبعه المشروب لانه به الاستمراء ثم النار
التي بها الاصلاح وذكر من انواع الماكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الما لانه
ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله افرايتم ما
تحرثون اي تثيرون من الارض وتلقون فيها البذر ٥ انتم تزرعونه اي تنبتونه وتنشيونه
حتى يشتد ويقوم على سوقه ٥ ام نحن الزارعون معناه انتم فعلتم ذلك ام الله ولا اشكال
في ان ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان القا البذر من
فعل الناس ٥ لو نشا لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه البذر ٥ حطاما اي تبنا
لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن
نحرث وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعل ولا بفعل غيري فرد الله تعالى على هذا المعاند بقوله
لو نشا لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه او هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك
الافات التي تصيبه ولا يشك احد في ان دفع الافات ليست الا باذن الله وحفظه ٥ فظلتم تفكهون
اي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم
من المعاصي التي اوجبت لكم العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات
انا لمغرمون اي ويقولون انا لمغرمون بحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه
لمولع بنا قال ابن عباس لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فايدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي
بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع
في الزرع ٥ افرايتم الما الذي تشربون انتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون ذكرهم الله تعالى نعمته
بانزال المطر الذي لا يقدر عليه احد الا الله عز وجل ٥ لو نشا جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد
الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه ٥ فلولا تشكرون يعني نعمه عليكم ٥ افرايتم النار التي تورون يعني
تقدحون من الزند ٥ انتم انشاتم شجرتها يعني التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما
شجرتان تقدح منها النار وهما رطبان وقيل اراد جميع الشجر الذي يوقد به النار ٥ ام نحن المنشيون
نحن جعلناها يعني نار الدنيا ٥ تذكرة اي للنار الكبرى اذا راى الرايي هذه النار ذكر بها نار جهنم
فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المومن ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال

فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها ٥ ومتاعا اي بلغة ومنفعة ٥ للمقوين يعني
للمسافرين والمقوي النازل في الارض القوا وهي القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع
بها اهل البوادي والاسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع
ويهتدي بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل المقوين المستمتعين
بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل
المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى
فيها متاع ومنفعة للفقرا والاغنيا جميعا لا غنى لاحد عنها ٥ فسبح باسم ربك العظيم لما
ذكر على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون
خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي برئ الله ونزهه عما يقول
المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم
قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة موكدة وقيل لا على اصلها وفي معناها وجهان احدهما
انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج ٥
الوجه الثاني ان لا رد لما قاله الكفار في القران من انه شعر وسحر وكهانة والمعنى ليس الامر
كما تقولون ثم استانف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل لان لا هنا
معناها النفي فهو كقول القايل لا تسال عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهي عن السوال ٥
بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القران فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا
وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها
يوم القيمة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم ٥ وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا
يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القران والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون
عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم
عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم انه لقران كريم اي ان الكتاب الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
قران كريم اي عزيز مكرم لانه كلام الله ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شانه
ان يعطي الكثير وسمي القران كريما لانه يفيد الدلايل التي تودي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع
لما يحمد والقران كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به وياخذ
منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل علمه منه
وقيل سمي كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب
وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسمه السامعون وتلفظه الاعين وتمله الاذان والقران كريم عزيز
لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يملك السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض
طري يبقى ابد الدهر كذلك ٥ في كتاب مكنون اي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ
من الشياطين من ان يناله بسو وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل
والتحريف والقول الاول اصح ٥ لا يمسه اي ذلك الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملايكة الموصوفون بالطهارة
من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابي العالية وقتادة ٥

وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل
معنى لا يمسه الا المطهرون اي من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى
من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقرأه الا الموحدون
وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية نفي ومعناها النهي
قالوا لا يجوز للجنب والحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم
واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقهاء يدل عليه ما روى مالك في الموطا عن عبد الله بن ابي بكر
ابن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهر
اخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع
كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف [illegible]
وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح
ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد
نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يجوز للمحدث مس المصحف
قلت من قال ان الشافعي اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من
الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال اذ نفى المس بغير طهر صفة دالة على التعظيم
والمس بغير طهر نوع استهانة وهو لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة
ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم وقوله تنزيل من رب العالمين صفة للقرآن اي القرآن
منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق
وفيه رد على من قال بان القرآن شعر او سحر او كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين
قوله عز وجل افبهذا الحديث يعني القرآن انتم اي يا اهل مكة مدهنون قال ابن عباس مكذبون وقيل
كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا اصله
ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم
من القرآن انكم تكذبون قال الحسن في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب
وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي بنعمة الله عليكم وهو في الاستسقاء
بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله ورحمته فذلك
توبيخ عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اي شكركم بما رزقكم التكذيب في نسب الانزال الى النجم فقد كذب
برزق الله ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى تجعلون بدل الشكر التكذيب ق عن زيد بن خالد الجهني
قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل
على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا
فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ورواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله

قال م

وزاد

وزاد فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون م عن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله
الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله على اثر سماء اي اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء
النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث وكفر
من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن
ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض اهل الجاهلية
يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول الذي ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو
ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات
له ومراده انا مطرنا في وقت نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم
نادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها
فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة انه اذا
تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا في كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيه ولا
تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار
الجاهلية ومن سلك مسالكهم والقول الثاني في تاويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى
لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكوكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤيد هذا
التاويل حديث ابي هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق بها كافرين فقوله بها
يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله تعالى فلولا اي فهلا اذا بلغت الحلقوم اي النفس والروح
الى الحلقوم عند الموت وانتم يعني يا اهل الميت حينئذ تنظرون يعني الى الميت متى تخرج نفسه
وقيل تنظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا ونحن اقرب اليه منكم
اي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم
ولكن لا تبصرون اي الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون
ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين اي مملوكين وقيل محاسبين وقيل مجزيين
ترجعونها ان كنتم صادقين اي تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم
فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب
واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله مجازي
فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر
الى غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى
فاما ان كان من المقربين يعني السابقين فروح اي فله روح وهو الراحة وقيل فله روح
وقيل رحمة وريحان اي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال
ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه

وجنة نعيم اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الاخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار
واما ان كان يعني المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم
سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم ويتقبل حسناتهم
وقيل معناه مسلم لك انك من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام
عليك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين اي بالبعث الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال فنزل من
حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم اي وادخال نار عظيمة ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين
لهو حق اليقين اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصت عليك في هذه السورة من الاقاصيص وما
اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته تعالى لا شك
فيه فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره عن عقبة بن
عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم
ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول
في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على اية رحمة الا وقف وسال وما اتى على اية عذاب
الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال
سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب
الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان
خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
هذا الحديث اخر حديث في صحيح البخاري والله اعلم ؞

تفسير سورة الحديد مدنية

وهي تسع وعشرون اية و[illegible] واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
سبح لله ما في السموات والارض يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله
عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد واختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته
على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم
والحق ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي
تسبيحه وجهان احدهما انه يدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها
كيف شاء فان حملت التسبيح المذكور في الاية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملائكة
ومسبحون الارض هم المؤمنون العارفون بالله وان حملت التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات
وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب
وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال الله تعالى منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت
قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة
الى كون الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة
ابدا في المستقبل وهو العزيز اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء الحكيم الذي جميع خلقه
وكلهم يحتاجون اليه يحيي ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وهو على كل شيء قدير

جميع

قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن يعني هو الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجود
والاخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم
بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شيء والاخر ليس بعده شيء وقيل هو الاول
بوجوده في الازل وقبل الابتداء والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على
وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول السابق وجوده كل موجود والاخر
الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابو بكر بن الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته من
العلم والقدرة وغيرها التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم
وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء
الاجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل
السنة بخلاف ذلك وان المراد الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال اخر من بقي من بني ادم
فلان يراد حياته ولا يراد فناء الاجسام موتاهم وذهابها بالكلية هذا اخر كلام ابن الباقلاني
وقيل هو الاول السابق للاشياء والاخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه
النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا يستولي
عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره
اذ عرفك توحيده والاخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك
للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والاخر
بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب سال عمر كعبا عن هذه الاية فقال
معناه ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شيء عليم م عن سهيل
ابن ابي صالح قال كان ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم
رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التورية
والانجيل والقران اعوذ بك من شر كل شيء انت اخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة انت اخذ
بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء
وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا
الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها
الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم
وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة
حتى عد سبع سموات ما بين كل سمائين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا
الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السمائين ثم قال هل تدرون ما
الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم
قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة

ثم قال والذي نفسي بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث
انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف
نفسه في كتابه. العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء
الدنيا قوله عز وجل هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها تقدم تفسيره وهو معكم اينما كنتم اي بالعلم والقدرة فليس
ينفك احد من تعلق علم الله وقدرته اين ما كان من ارض او سماء بر او بحر وقيل وهو معكم بالحفظ
والحراسة وقوله والله بما تعملون بصير يدل على صحة القول الاول له ملك السموات والارض والى الله ترجع
الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم تفسيره قوله تعالى آمنوا بالله
ورسوله لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع في خطاب كفار قريش وامرهم
بالايمان بالله ورسوله وامرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي كان بيد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم في ذلك المال خلفا
عن من مضى فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم يعني واي عذر لكم في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب
الناطق بالبرهان والحجج وقد اخذ ميثاقكم اي اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام
بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج
التي تدعو الى متابعة الرسول ان كنتم مؤمنين اي يوما ما لان هذا احرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج
والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم آيات بينات يعني القرآن ليخرجكم يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة من الظلمات الى
النور اي من ظلمات الشرك الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم قوله تعالى وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل
الله ولله ميراث السموات والارض يقول اي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله تعالى وانتم ميتون
تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل
من سبق بالانفاق في سبيل الله والجهاد فقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من انفق ماله وقاتل
العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق وقاتل بعد الفتح اولئك اعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي ان هذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق لانه اول من اسلم واول
من انفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه
سبعة منهم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر قال
كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره فنزل جبريل فقال
ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله عز وجل
يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا بكر ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض انت في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر أأسخط

على ربي اني على ربي راض اني على ربي راض وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة
قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح في افضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا اي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمي هذا الانفاق قرضا من حيث
ان الله وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة
وهي ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف
صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد
بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وان تستحقر ما تعطي وان تصدق به وان كان كثيرا وان يكون
من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت
في الصدقة كانت قرضا حسنا فيضاعفه له يعني يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا وله
اجر كريم يعني وذلك الاجر كريم في نفسه قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يعني على
الصراط يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض
عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين
من يضيء نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره
الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى
نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ
مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الآية يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم
الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم
يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا نقتبس من نوركم
اي نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المؤمنين نورا
على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون
اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأ نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب
نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون
وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم قال ابن عباس
يقول لهم المؤمنون وقيل تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم اي من حيث جئتم وقيل ارجعوا
الى الدنيا فاعملوا اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم
فالتمسوا اي اطلبوا لانفسكم هناك نورا اي لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فرجعوا
في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين وهو قوله تعالى
فضرب بينهم اي المؤمنين والمنافقين بسور وهو حائط بين الجنة والنار له اي لذلك السور
باطنه فيه الرحمة اي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب اي
من قبل الظاهر العذاب وهو النار روي عن عبد الله بن عمرو قال ان السور الذي ذكر الله
في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي

جلدهم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى
فضرب بينهم بسور له باب الاية ٥ ينادونهم يعني ينادي المنافقون المومنين من وراء ذلك السور حين حجز
بينهم وبقوا في الظلمة الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم ٥ قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها
بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة ٥ وتربصتم اي بالايمان والتوبة
وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه ٥ وارتبتم اي شككتم في
نبوته وفيما وعدكم به ٥ وغرتكم الاماني اي الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمومنين
حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل هو الغاء وقتهم في النار وهو قوله تعالى وغركم بالله الغرور يعني الشيطان
قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار ٥ فاليوم لا يوخذ منكم فدية
اي عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة ٥ ولا من
الذين كفروا يعني المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان
المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق ٥ ماواكم النار
اي مصيركم ٥ هي مولاكم اي وليكم وقيل هي اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي
تلي عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شي وقيل معنى الاية لا مولى لكم
ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له ٥ وبيس المصير قوله تعالى الم يان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان
الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجايب فنزلت نحن نقص عليك
احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره فكفوا عن سوال سلمان ما شا الله ثم
عادوا فسالوا فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون تاويل قوله الم يان للذين امنوا
يعني في العلانية باللسان ولم يومنوا بالقلب وقيل نزلت في المومنين وذلك انهم لما قدموا المدينة
اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك الم يان
الاية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين اخرجه مسلم
وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول
القران فقال الم يان يعني اما حان ٥ للذين امنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله
اي لمواعظ الله ٥ وما نزل من الحق يعني القران ٥ ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى
فطال عليهم الامد اي الزمان الذي بينهم وبين انبيايهم ٥ فقست قلوبهم قال ابن عباس مالوا الى الدنيا
واعرضوا عن مواعظ القران والمعنى ان الله نهى المومنين ان يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين قست قلوبهم
لما طال عليهم الدهر روي عن ابي موسى الاشعري انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلثماية رجل قد
قراوا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب
من كان قبلكم ٥ وكثير منهم فاسقون يعني الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليهما
قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض اي بالمطر ٥ بعد موتها اي يخرج منها النبات بعد يبسها
فكذلك يقدر على احيا الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي
القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احيا الارض بالمطر مشاهدة ٥ قد بينا لكم الايات

اي الوالد على وحدانيتنا وقدرتنا ٥ لعلكم تعقلون ٥ ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا
حسنا اي بالنفقة والصدقة في سبيل الله ٥ يضاعف لهم اي ذلك القرض ٥ ولهم اجر كريم اي ثواب
حسن وهو الجنة ٥ والذين امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون اي الكثيرو الصدق قال
مجاهد كل من امن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الاية فعلى هذا الاية عامة في كل من امن بالله
ورسوله وقيل ان الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام
وهم ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم
لما عرف من صدق نيته ٥ والشهدا عند ربهم قيل اراد بالشهدا المومنين المخلصين قال
مجاهد كل مومن صديق شهيد وتلا هذه الاية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل
تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدا والشهدا عند ربهم وهم الانبيا الذين يشهدون على
الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله ٥ لهم اجرهم اي بما عملوا
من العمل الصالح ٥ ونورهم اي على الصراط ٥ والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
لما ذكر حال المومنين اتبعه بحال الكافرين قوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا اي هذه الحياة في هذه
الدار وانما اراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته
خير كلها ثم وصفها بقوله ٥ لعب اي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ٥ ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي
عن قريب ٥ وزينة اي منظر يتزينون به ٥ وتفاخر بينكم يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم
على بعض ٥ وتكاثر في الاموال والاولاد اي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل
له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اوليا الله واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى
كمثل غيث اعجب الكفار اي الزراع وانما سمي الزراع كفارا لسترهم البذر في الارض ٥ نباته اي ما
نبت بذلك الغيث ٥ ثم يهيج اي ييبس ٥ فتراه مصفرا اي بعد خضرته ٥ ثم يكون حطاما اي
يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ٥ وفي الاخرة عذاب شديد اي لمن كانت حياته بهذه الصفة
قال اهل المعاني زهد الله بهذه الاية في العمل للدنيا وهي صفة حياة الكافر وحياة من يشتغل
باللعب واللهو ورغب في العمل للاخرة بقوله ومغفرة من الله ورضوان اي لاوليايه واهل طاعته وقيل
عذاب شديد لاعدا الله ومغفرة من الله ورضوان لاوليا الله لان الاخرة اما عذاب واما
جنة ٥ وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن عمل لها ولم يعمل للاخرة وقيل متاع الغرور
لمن لم يشتغل فيها بطلب الاخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الاخرة فهي له بلاغ الى ما هو خير منه
قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم معناه ليكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل
احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الاخرة والمعنى سارعوا مسارعة السابقين في
المضمار الى مغفرة الى ما يوجب المغفرة وهو التوبة من الذنوب وقيل سارعوا الى ما كلفتم به
من الاعمال فيدخل فيها التوبة وغيرها ٥ وجنة عرضها كعرض السما والارض قيل ان السموات
السبع والارضين السبع لو جعلت صفايح والزقت بعضها ببعض لكان عرض الجنة في عرضها
جميعها وقال ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل انما
شبه عرض الجنة بعرض السموات والارض ولا شك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها

علي ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر
ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس
اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم
يذكر مع الايمان شيا اخر يدل عليه قوله في سياق الاية ذلك فضل الله يوتيه من يشاء فبين انه لا يدخل الجنة احد
الا بفضل الله لا بعمله والله ذو الفضل العظيم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا
منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة قد تقدم الكلام على
معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل قوله تعالى ما اصاب من
مصيبة في الارض يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد الاولاد
الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها اي من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس
من قبل ان نبرا المصيبة ان ذلك على الله يسير اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل لكيلا
تاسوا اي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا اي لا تبطروا بما اتاكم اي اعطاكم قال عكرمة ليس احد
الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن ادم
ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت والله لا يحب كل مختال
اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور اي بذلك الذي اوتي على الناس الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل وقيل ان الاية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله انها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو الغني اي
غني عن عباده الحميد اي الى اوليائه قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالايات
والحجج وانزلنا معهم الكتاب اي المتضمن للاحكام والشرائع الدين والميزان يعني العدل اي وامرنا
بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الالة يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط
اي ليتعاملوا بينهم بالعدل وانزلنا الحديد قيل ان الله تعالى انزل مع آدم عليه السلام لما اهبط
الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروي عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السماء
الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشانا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى
اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه فيه باس شديد اي قوة شديدة
فمنه جنة وهو آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب ومنافع للناس اي ومنه ما ينتفعون
به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه وليعلم
الله اي وارسلنا وانزلنا معهم هذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله من ينصره
اي ينصر دينه ورسله بالغيب اي الذين لم يروا الله ولا الاخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب
وقيل ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي اي في امره عزيز اي في ملكه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب معناه انه تعالى شرف نوحا وابرهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما
النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما فمنهم اي من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا
اي اتبعنا على آثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت الرسالة الى عيسى
ابن مريم وهو قوله وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه

اي على

اي على دينه رافة ورحمة يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطفا على
ما قبله والمعنى انهم جاوا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والعزلة عن الناس فارين
من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب
والملبس مع التقلل من ذلك ما كتبناها اي ما فرضناها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله اي لكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها
وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى
ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فامنوا به فذلك قوله فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم الذين ثبتوا على
الدين الصحيح وكثير منهم فاسقون وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام روى
البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود
اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة ازت الملوك وقاتلوهم
على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم
الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن
لم يومن بي فاولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي
يا ابن ام عبد هل تدري من اين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت
عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان
ثلث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهولاء افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا
نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران
الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية
ابتدعوها فاتينا الذين امنوا منهم يعني من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام
عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج
والعمرة والتكبير على التلاع وروي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية
هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام
بدلوا التورية والانجيل وكان فيهم مومنون يقرؤون التورية والانجيل ويدعونهم الى دين الله
فقيل لملوكهم لو جمعتم هولاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض
عليهم القتل او يتركوا قراءة التورية والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا
نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم اعطونا شيا نرفع به طعامنا
وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش
فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث
البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى
اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون
في مكان فلان فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على

بشركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون
فما رعوها حق رعايتها يعني الاخرين الذين جاوا من بعدهم فاتينا الذين آمنوا منهم اجرهم يعني الذين
ابتدعوها ابتغا رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجا سايح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا
به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانكم
بعيسى وبالتورية والانجيل وبايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم وقال يجعل لكم نورا تمشون به القران
واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لا يقدرون على شي
من فضل الله الاية اخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم
قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فاكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل
من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فاتينا الذين
امنوا منهم اجرهم وهم اهل الرافة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا
الرهبانية ويكون معنى قوله الا ابتغا رضوان الله على هذا التاويل ما كتبناها عليهم الا ابتغا
رضوان الله وابتغا رضوان الله اتباع ما امروا به دون الترهيب لانه لم يامر به قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى اتقوا
الله في محمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وهو قوله وامنوا برسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يوتكم كفلين
اي نصيبين من رحمته يعني يوتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لهم اجران رجل من اهل
الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده
امة يطاها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران
ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القران وقيل هو الهدى
والبيان اي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم
قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم
يومن من اهل الكتاب قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله
اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يومن فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اهل
الكتاب اي ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعني الذين لم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المومنين
ان لا يقدرون على شي من فضل الله والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين
لم يومنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب في فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اولئك يوتون اجرهم
مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المومنين
منهم ان لا يقدرون على شي من فضل الله وان الفضل بيد الله يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على
جميع الخلايق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان
يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الاية فعلى هذا
يكون معنى الفضل النبوة يوتيه من يشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله

الله

ملكه

في تصرفه يوتيه من يشا لانه قادر مختار والله ذو الفضل العظيم خ عن عبد الله بن عمر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر يقول انما بقاوكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين
صلاة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التورية التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا
قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا
القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت
هولا قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيا
قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشا وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر
الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل الى نصف
النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت ثم قال من يعمل لي من
نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على
قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين
يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن
اكثر عملا واقل عطا قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيا قالوا لا قال فانه فضلي اعطيه من
شيت خ عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى
كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة
لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا
فابوا وتركوا واستاجر اخرين بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا
حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم
فان ما بقي من النهار شي يسير فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم
حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم

تفسير سورة المجادلة وهي ثنتان وعشرون اية

واربعماية وثلث وسبعون كلمة والف وسبعماية واثنتان وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها
اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت حسنة الجسم فارادها
فابت عليه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلا من طلاق اهل الجاهلية
فقال ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة
تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة
غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد
ندم فهل من شي يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت
يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس
الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت

حيـ

اهل

لذ صحبتي وحفظت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت
تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى
الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها
الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك وكان هذا اول ظهار في الاسلام فقامت عائشة
تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك
اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك
فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك الاية خ عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع
سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل
الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الاية واما تفسير الاية فقوله تعالى قد
سمع الله قول التي تجادلك اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها اي امر زوجها وتشتكي الى الله اي
شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن
يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم
يعني يقولون لهن انتن كظهر امهاتنا ما هن امهاتهم اي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات
بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم يعني المظاهرين وانهم
ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول
وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك
منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم فصل
في احكام الظهار وفيه مسائل المسألة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وقيل انه مشتق من الظهر
العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من سائر الاعضاء التي هي مواضع التلذذ والمباشرة
فثبت بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امراة الرجل مركب له وظهر ويدل عليه قول العرب في الطلاق
نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك
وعلوي عليك حرام كعلوي على امي وملكها علي حرام المسألة الثانية كان الظهار من اشد طلاق اهل
الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا
لان النسخ انما يدخل في الشرائع لا في احكام الجاهلية وعادتهم المسألة الثالثة في الالفاظ المستعملة لهذا العقد
الشريعة وعرف الفقهاء الاصل في هذا قوله انت علي كظهر امي او انت مني او معي او عندي كظهر امي
وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس امي او كيد امي او قال بطنك او راسك او يدك علي كظهر امي او شبه عضوا
منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها
يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال انت علي كامي او كروح امي
واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي
يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي
او شبهها بامراة محرمة بالرضاع يكون ظهارا على الاصح المسألة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الشافعي
الضابط في هذا ان كل من يصح طلاقه يصح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح احتج

الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين
فلم قلتم انه مختص بالمومنين قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم يعني يمتنعون لهذا اللفظ من جماعهن
ثم يعودون لما قالوا اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون ولا بد اولا من بيان اقوال اهل
العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا
وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله واوحي الى نوح وان ربك اوحى لها واما لفظة ما
في قوله لما قالوا ففيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد لما
قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى
هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى شيء وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم
اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني
يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك لان من فعل شيئا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد
عاد اليه وكذا من فعل شيئا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم
يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوه مثله مرة اخرى ويحتمل ان يكون
المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه
الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها
فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم
ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذاك يدل على انه ندم على ابتداء من التحريم فحينئذ تجب عليه
الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير
العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة
وذلك لانه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر
امي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من
قول ابي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها
عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطاها قال العلماء والعود المذكور هنا انه صالح للجماع
او للعزم عليه او لاستباحته الا ان الذي قاله الشافعي هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه
لانه هو الذي يتحقق فيه مسمى العود والقدر الباقي زيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول في قوله ثم يعودون
اي يفعلون مثل ما فعلوا وعلى هذا الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثوري العود
هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتجب الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه
في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف
حكمه عندهم ومعنى ثم يعودون لما قالوا اي في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون
في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان
لم يكرر لم يكن عودا وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا
يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى
فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امراته التي ظاهر منها ما

لم يكن ذلكم توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله بما تعملون
خبير اي من التكفير وتركه خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين
اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اي الصيام
فكفارته اطعام ستين مسكينا ذلك اي الفرض الذي وصفنا لتؤمنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا
الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله تعالى وتلك حدود الله يعني ما وصف
من الكفارة في الظهار وللكافرين اي لمن جحد هذا وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم يوم القيمة

فصل في احكام الكفارة وما يتعلق بالظهار وفيه مسائل المسئلة الاولى اختلفوا فيما
يحرم بالظهار فللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات
الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسئلة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي في الجديد
لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار التاكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من
ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة المسئلة الثالثة الاية تدل على ايجاب
الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير
بالاطعام يجوز له الوطي قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من
قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع
قبل ان يكفر يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي في احد قوليه
وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدي المسئلة
الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزي
سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب دليلنا
انا اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى
المسئلة الخامسة الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما
متعمدا او نسي النية يجب عليه استيناف الشهرين فلو شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل
عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استيناف الشهرين وعند ابي حنيفة يجب
عليه استيناف الشهرين المسئلة السادسة فان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا
يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام الذي يقتات به اهل
البلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين نصف صاع
من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزي عند
الشافعي وقال ابو حنيفة يجزي حجة الشافعي ظاهر الاية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا
فوجب رعاية ظاهر الاية وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه
بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد
المسئلة السابعة ان كانت له رقبة الا انه محتاج الى خدمتها او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته
ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها
وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا

اليه

اليه وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة الثامنة قال اصحاب
الشافعي الشبق المفرط والغلمة الهايجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ما روي عن سلمة بن
صخر البياضي قال كنت امرا اصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت
ان اصيب من امراتي شيئا يتتابع بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينا هي
تخدمني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شيء فلم البث ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومي
فاخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك يا سلمة قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم في ما اراك
الله قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين
متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا
قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما لنا طعام قال فانطلق الى صاحب صدقة
بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي
فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي
وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق اخرجه ابو داود قوله نزوت عليها اي وثبت
عليها واراد به الجماع وقوله يتتابع بي التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله
وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك
ابن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القران قد
سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض فقال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين
قالت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء
يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله واني اعينه بعرق اخر قال قد احسنت
اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية قالت ان
اوسا تظاهر مني وذكرت ان به لمما فقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان له في منافع
وذكرت نحو العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا
وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان
به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والتوق
والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون
امرهما كبتوا اي ذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اي كما اخزي من كان قبلهم من اهل
الشرك وقد انزلنا ايات بينات يعني فرائض واحكاما وللكافرين اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها
عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله اي حفظه الله عليهم ونسوه اي
نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا والله على كل شيء شهيد قوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض يعني انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات

ثم اكد ذلك بقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة اي من سرار ثلاثة وهي المشاورة والمسارة والمعنى ما من
شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم اي بالعلم
يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا
خمسة الا هو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت قيل اقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة
حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فتحمد
تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما
بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة
ثم قال تعالى ولا ادنى من ذلك ولا اكثر من العدد الا هو معهم اين ما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم
ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم قوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت
في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين
ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوؤهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم الا قد
بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين ذلك
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى اي المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة
التي نهوا عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين
او شيء يسوؤهم وكلاهما اثم وعدوان ومعصية الرسول وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن
النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول واذا جاؤوك يعني
اليهود حيوك بما لم يحيك به الله وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام
عليك والسام هو الموت وهم يوهمونه انهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم
ويقولون في انفسهم يعني اذا خرجوا من عنده قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول يريدون لو كان نبيا
لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير المعنى ان تقديم
العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب
جهنم يوم القيامة كافيهم ق عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع
ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم وللبخاري ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال
اولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي
عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث
يثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف

الواو

الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو يجمع بين الشيئين والعنف
ضد الرفق واللين والفحش الرديء من القول قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول في المخاطبين بهذه الآية قولان احدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين
على التناجي بالاثم ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم ويفعلوا كفعلهم فقال لا
تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدي الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا
عليه والقول الثاني وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم
كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى اي بالطاعة وترك
المعصية واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان اي من تزيين الشيطان وهو ما يامر
به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول ليحزن الذين آمنوا اي انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين ق عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في
رواية فان ذلك يحزنه هذه الزيادة لابي داود وليس بضارهم شيئا يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان
ليس بضارهم شيئا الا باذن الله اي الا بما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله في الضرر وعلى الله
فليتوكل المؤمنون اي فليكل المؤمنون امرهم الى الله وليستعيذوا به من الشيطان فان
من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس
فافسحوا قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار
في ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم وسلموا
عليه فرد عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم
ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن
حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين قاموا بين يديه من اهل
بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل
الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات
وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا
من جاءهم مقبلا ضنوا بمجالسهم فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة
في الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين
بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في
الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا
اي فاوسعوا في المجلس امروا بان يوسعوا في المجلس لغيرهم يفسح الله لكم اي يوسع الله لكم الجنة
والمجالس فيها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يقيم احدكم رجلا من مجلسه
ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم م عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم
الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا
على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية ان هذا في مجلس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل ياتي

القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمروا أن يوسعوا
لإخوانهم لأن الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرًا عن الصف الأول والحاجة داعية إلى تقدمه فلا بد من
التفسح ثم يقاس على ذلك سائر المجالس مجالس العلم والقراءة والحديث والذكر ونحو ذلك لأن كل من وسع
على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة ﴿وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾ أي إذا
ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في
الجماعة إذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى إذا نودي للصلاة فانهضوا إليها وقيل إذا قيل لكم
انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فقوموا مسرعين ولا تقصروا عنه ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ أي
بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعهم لإخوانهم ﴿والذين أوتوا العلم﴾
أي ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم ﴿درجات﴾ أي على من سواهم في الجنة
وقيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم إذا انتهى إلى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس
فأخبر الله عز وجل أن رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا
وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الإكرام ﴿والله بما تعملون خبير﴾ قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه
الآية وقال أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم فإن الله يقول يرفع المؤمن العالم فوق الذي
ليس بعالم درجات وقيل إن العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لأنه يقتدى
بالعالم في أقواله وأفعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق
فقال ما أقدمك يا أخي قال حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما جئت لحاجة
قال لا قال أما قدمت لتجارة قال لا قال ما جئت إلا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فإني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها
رضى لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم
على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا
إنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه الترمذي ولأبي داود نحوه ق عن معاوية
ابن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وعن ابن عباس
مثله أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه
فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه
وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهو الأفضل وإنما بعثت معلمًا ثم جلس فيهم
قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ يعني إذا أردتم
مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك إعظام مناجاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإن الإنسان إذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وإن وجده بسهولة استحقره وينتفع
كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس إن الناس سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شقوا عليه فأراد الله تعالى أن يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم
ويقطعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك

بما تعملون م

وقيل نزلت في الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء
على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة عند مناجاته
فأما الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئًا وأما الأغنياء وأهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا
فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول آية في كتاب
الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال لما نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ قال لي النبي صلى
الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد قال فنزلت ﴿أأشفقتم
أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ الآية قال فبي خفف الله عن هذه الأمة أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أي وزن شعيرة من ذهب وقوله إنك لزهيد يعني
قليل المال فقدرت على قدر حالك فإن قلت في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي
الله عنه إذ لم يعمل بها أحد غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه
ذلك أن الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير
اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك إنما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به
لو احتاجوا إلى المناجاة فيكون ذلك سببًا لحزن الفقراء إذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند
مناجاته ووجه آخر وهو أن هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات
ولا من الطاعات المندوب إليها بل إنما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة
ولما كانت هذه المناجاة أولى بأن تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم وقوله ﴿ذلك خير لكم﴾ يعني
تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله ﴿وأطهر﴾ أي لذنوبكم ﴿فإن لم تجدوا﴾ يعني الفقراء
الذين لا يجدون ما يتصدقون به ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ يعني أنه تعالى عفا عنهم ذلك ﴿أأشفقتم أن تقدموا
بين يدي نجواكم صدقات﴾ قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم وهو قوله إن
تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴿فإذ لم تفعلوا﴾ أي ما أمرتم به ﴿وتاب الله عليكم﴾ أي تجاوز عنكم ونسخ
الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت إلا ساعة من نهار ثم نسخ
﴿فأقيموا الصلاة﴾ أي المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ أي الواجبة ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي فيما أمر ونهى ﴿والله
خبير بما تعملون﴾ أي إنه محيط بأعمالكم ونياتكم قوله عز وجل ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قومًا غضب الله عليهم﴾
نزلت في المنافقين وذلك أنهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بقوله غضب الله
عليهم اليهود ﴿ما هم﴾ يعني المنافقين ﴿منكم﴾ أي من المؤمنين في الدين والولاء ﴿ولا منهم﴾ يعني ولا من اليهود
﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ أي أنهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم
الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق
العينين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا
بالله ما سبوه فأنزل الله هذه الآية ﴿أعد الله لهم عذابًا شديدًا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم﴾

يعني الكاذبة جنة يعني يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله
يعني انهم صدوا الناس عن دين الله الذي هو الاسلام فلهم عذاب مهين اي في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم يعني يوم القيمة من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا
انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شيء يعني من ايمانهم الكاذبة الا انهم هم الكاذبون يعني في اقوالهم
وايمانهم الكاذبة الا انهم هم الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى
عليهم وملكهم فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون
الله ورسوله اولئك في الاذلين اي في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز
الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية كتب الله لاغلبن انا
ورسلي اي قضى الله ذكر قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من بعث بالحرب ومنهم من لم
يومر بالحرب فهو غالب بالحجة ان الله قوي اي على نصر رسوله واوليائه عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى
لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المومنين يفسد
بموادة الكافرين وان من كان مومنا لا يوالي من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت
قد اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت
المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فما سوى ذلك فلا حظر فيه
ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل
الى هولاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هولاء والمودة لهم بسبب الدين
قيل نزلت هذه الاية في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وسياتي قصته في سورة الممتحنة وروي
عن عبد الله ابن مسعود في هذه الاية قال ولو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله
ابن الجراح يوم احد او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني
اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعني مصعب
ابن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام
ابن المغيرة يوم بدر وعلي ابن ابي طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة
يوم بدر اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مومنة موقنة مخلصة وقيل
حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصر منه وانما سماه روحا
لان امرهم يحيا به وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل برحمة منه ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه انه كرر ذكر رضوان الله عليهم بعد
دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء
الله فقال اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والله اعلم

تفسير سورة الحشر قال سعيد بن جبير قلت

لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية وهي اربع وعشرون اية واربعمائة
وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال المفسرون
نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طايفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة
صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه للنبي الذي نجد نعته في التورية
لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين
ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين
راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد
صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود المسجد
الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة
ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل
كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة ال عمران وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين الذين قتلهما
عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بير معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن
فعصمه الله تعالى منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المايدة فلما قتل كعب
ابن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية
يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب فقالوا يا محمد واعية
على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ايتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس
المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم
ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا
الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلثين رجلا من اصحابك وليخرج منا
ثلثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وامنوا بك امنا
كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلثين من اصحابه وخرج اليه ثلثون حبرا من اليهود حتى كانوا
في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلثون رجلا من اصحابه
كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك
ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان امنوا بك امنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم في ثلثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول
الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار
فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان

من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب
وايسوا من نصر المنافقين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة
على ما يامرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي
السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل
بيت على بعير ما شاوا من متاعهم ولنبي الله صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر
بعيرا وسقا ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم
آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن
اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما
سنتان لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم
الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرا هذه الآية
فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر
المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل
الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من
المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من ارض الشام في ايام عمر
وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث
باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المؤمنين ان يخرجوا اي من المدينة لعزهم
ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار كثيرة وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي
وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله فاتاهم الله اي اتاهم امر الله وعذابه من حيث
لم يحتسبوا وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف
في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين
قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى
الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوا منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون
باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون
حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها
وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل
اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما
يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا يا اولي الابصار
اي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولي الابصار اي ذوي العقول والبصائر ولولا ان
كتب الله عليهم الجلاء يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل
ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله

اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة
على اصولها فباذن الله الآية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا في حصونهم امر بقطع نخيلهم
واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل
وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون
ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم
بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله
عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة
او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير ولها يقول حسان
لهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع
نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها الا العجوة والبرنية
وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه هي لون من النخل وقيل
كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب
فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف واحب
اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم
تفسدون دعوا هذا النخل فانما هو لمن غلب عليها فاخبر الله ان قطعها كان باذنه وليخزي الفاسقين
يعني اليهود والمعنى وليذل اليهود وان الله في قطعها احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار
وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق وترمى بالمناجيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها قوله عز وجل وما افاء الله
على رسوله اي ما رده الله على رسوله منهم اي من اليهود بني النضير فما اوجفتم عليه يعني اوضعتم وهو سرعة السير
من خيل ولا ركاب يعني الابل التي تحمل القوم وذلك ان بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى في هذه الآية انها لم يوجف المسلمون عليها
خيلا ولا ركابا وانما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان على جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي من اعدائه والله على كل شيء قدير فهي له
خاصة يضعها حيث شاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا
ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة عن مالك
ابن اوس بن الحدثان النصري ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن
ابن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك في العباس
وعلي يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال
القوم اجل يا امير المؤمنين فاقض بينهما وارح احدهما من الآخر فقال مالك بن اوس يخيل الي انهم قدموهم
لذلك فقال عمر اتئدوا انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس وعلي فقال
انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما
تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله كان خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره

وفي ذلك نزل ...

فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الآية فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم
أموال بني النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقته سنة ثم ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا
وعليا بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ وأقبل على علي
والعباس تذكران أن أبا بكر فيه كما تقولان والله يعلم أنه فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر
فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم أني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما
جميع فقلت لكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعه
إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلا فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان مني قضاء
غير ذلك فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنه فادفعاه
إلي فإني أكفيكماه قوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى يعني من كفار أهل القرى قال ابن عباس
هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة فلله وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني عبد المطلب
واليتامى والمساكين وابن السبيل قد تقدم في سورة الأنفال حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم الفيء فإنه كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل
ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قوم هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما هو للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين
ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب إلى أنه يخمس فخمسه لأهل خمس
الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة أو للمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين
فيه حق قرأ عمر بن الخطاب وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين إلى قوله والذين جاؤوا
من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق إلا ما
ملكت أيمانكم كي لا يكون دولة والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم بين الأغنياء منكم يعني بين الرؤساء
والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها
لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد المرباع منه ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمر به
وما آتاكم الرسول فخذوه أي من مال الفيء والغنيمة وما نهاكم عنه أي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في
أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو
مستحب أو نهي عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره ق عن عبد الله بن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت
تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله وما لي لا ألعن
من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال

إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز
العضو من الإنسان بالإبرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هي التي تطلب أن يفعل لها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر
من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيها فكل ذلك منهي عنه
ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل
عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته
يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي
وقال حديث حسن الأريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة ونحو ذلك واتقوا الله أي في أمر الفيء إن
الله شديد العقاب أي على تركهم ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء
فقال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يعني أخرجهم كفار مكة إلى المدينة
يبتغون فضلا من الله أي رزقا من الله وقيل ثوابا من الله ورضوانا أي خرجوا من ديارهم طلبا لرضى
الله عز وجل وينصرون الله ورسوله أي بأنفسهم وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه وإعلاء كلمته أولئك هم
الصادقون أي في إيمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبا لله
ولرسوله واختاروا الإسلام على ما كان فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على
بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها م عن عبد الله بن
عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم
القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا صعاليك المهاجرين
بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه
أبو داود قوله عز وجل والذين تبوؤوا الدار والإيمان يعني الأنصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا
من قبلهم يعني أنهم أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين
والمعنى والذين تبوؤوا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ يحبون من
هاجر إليهم وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
أي حزازة وغيظا وحسدا مما أوتوا أي أعطي المهاجرون من الفيء دونهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا الثلاثة فطابت أنفس الأنصار بذلك
ويؤثرون على أنفسهم أي ويؤثرون الأنصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون به ق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ثم أرسل
إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله
فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت
لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فإذا أهوى بيده ليأكل
فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة
زاد في رواية فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لفظ خ عن أبي هريرة قال قالت الأنصار

للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا
واطعنا خ عن انس بن مالك رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا
لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم اثرة بعدي
وفي رواية ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء وضبطه
بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستيثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا ويفضل
غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من اثر اذا اعطى اراد انه يستاثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه
من الفيء والاستيثار الانفراد بالشيء وقيل الاثرة الشدة والاول المشهور وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم
كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة
ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال البخل نفس
المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله
تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفائزون بما ارادوا وروي ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود
اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ولكن
الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل
ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على
ارتكاب المحارم وقيل من لم ياخذ شيئا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله باعطائه فقد
وقاه الله شح نفسه م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا
الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود الهلع اشد
الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته او يخرج من يده والخالع الذي
خلع فؤاده لشدة خوفه وعنه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل
الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا اخرجه النسائي قوله تعالى
والذين جاءوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا اي غشا وحسدا وبغضا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف
رحيم فكل من كان في قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن
عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين ثم من بعدهم التابعين
الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين وليس
له في فيء المسلمين نصيب وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرون والذين
تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل

ق

ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه م عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله
الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذي قال مالك
بن انس من ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في
فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى والذين جاءوا من بعدهم الى رؤوف رحيم
وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت
اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حواري
عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا
لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله
واياكم من الاهواء المضلة وروي عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى ابا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لا
يقطع عنهم الاجر وروي ان ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد انك لست من التابعين
لهم باحسان قوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يعني اظهروا خلاف ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي ابن
سلول واصحابه يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود من بني قريظة والنضير
وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن معكم اي
منها ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني ان سالنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم
لننصرنكم اي لنعينكم ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم يعني المنافقين لكاذبون اي فيما قالوا
ووعدوا ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار يعني لو قدر وجود نصرهم او لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا ينصرون يعني
بني النضير لا يصيرون منصورين اذا انهزم ناصرهم لانتم يعني يا معشر المسلمين اشد رهبة
في صدورهم من الله الرهبة اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى
انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون
يعني عظمة الله لا يقاتلونكم يعني اليهود جميعا الا في قرى محصنة لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم
متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدر وفي قراءة جدار باسهم بينهم شديد
اي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم لبعض شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان
والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي
متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم

يفقهون

وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين واراهم يخالف دين اليهود واراهم ذلك
بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا
وبال امرهم يعني القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني
قينقاع وقيل مثل بني قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم في الاخرة ثم ضرب
مثلا اخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى كمثل الشيطان اي مثل
المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وذلك ما روي عطا
وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم
يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم
يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاء في صورة
جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند فقال
الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا
فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام ولا يفطر الا في كل عشرة ايام مرة فلما راى الابيض
انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته
فراى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه اي لام نفسه
حين لم يجبه فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتي اني احببت
ان اكون معك فاتادب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا
اني لفي شغل عنك فان كنت مومنا فان الله سيجعل لك فيما ادعو للمومنين نصيبا ان استجاب لي ثم
اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما
فلما انفتل بعدها راه قائما يصلي فلما راى برصيصا شدة اجتهاده قال له ما حاجتك
قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر
الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده
تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان
لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يبلغنا عنك غير الذي رايت فدخل
من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما راى من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض
قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي
بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم
الناس شغلوني عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله
اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لاهله
ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يغن فقال لهم اني لا اقوى على جنيته ولكن سارشدكم
الى من يدعو الله فيه فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به اجيب
قال فانطلقوا اليه وسالوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض
يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض

فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه
وكان عم تلك الجارية ملك بني اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جا اليهم كما كان ياتي الناس في صورة متطبب
فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى من تثقون
به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة
قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا بان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شانا من ذلك قال
فانطلقوا فابتنوا صومعة الى جانب صومعته وتكون لزيقة صومعته حتى تشرف عليه فان
قبلها والا فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا
فسالوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية في
صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل
برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه امر عظيم
فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل
برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا
ثم جاء الشيطان وقال له ويحك واقعها فلن تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر
فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له
الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك فقل ذهب بها
شيطانها فلم اقو عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها
بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل
على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسالون عنها ويوصونه
بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا
فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم في منامه فقال له ويحك ان برصيصا فعل باختك
كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا فقال هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع
عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر
ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال
الاوسط وانا والله قد رايت مثله فقال الاكبر وانا والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا
يا برصيصا ما فعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني فقالوا لا والله لا
نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وان طرف
ازارها خارج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوا في النوم فمشوا اليه مواليهم
وغلمانهم معهم الفوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا
به الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك
امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه
الابيض فقال يا برصيصا اتعرفني فقال لا قال انا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب
لك ويحك اما اتقيت الله في امانة خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بني اسرائيل اما استحييت

فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك
وفضحت أشباهك من الناس فإن مت على هذه الحالة لن يفلح أحد من نظرائك قال فكيف أصنع قال تطيعني
في خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه فآخذ أعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي
قال أفعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك فلما
كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين قال الله تعالى فكان عاقبتهما يعني الشيطان وذلك الإنسان
أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل لليهود بني النضير والمنافقين
من أهل المدينة وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإجلاء بني النضير فدس المنافقون إلى اليهود
وقالوا لا تجيبوا محمدا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فإن قاتلكم فإنا معكم وإن أخرجكم خرجنا
معكم فأجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم
فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب فخذلوهم
وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان
الرهبان بعد ذلك لا يمشون في بني إسرائيل إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسق والفجور في الأحبار
ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من أمر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به انبسطت
الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا
فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل
على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على
صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقالت يا جريج فقال أي رب أمي وصلاتي فأقبل على
صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت
امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت
راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من
جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه
البغي فولدت منك فقال أين الصبي فجاؤوا به فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي
فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون
به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل
راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل عليه
فنظر إليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت
وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها
فقال اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله
فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل
ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال إن ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وإن

هذه

هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها أخرجه مسلم بتمامه وهذا
لفظه وأخرجه البخاري متفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزواني
جمع مومسة وهي المرأة الفاجرة والبغي الزانية أيضا وقوله يتمثل بحسنها أي يعجب منه ويضرب به
المثل وقوله ذو شارة حسنة أي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب وقوله ذو شارة حسنة
أي صاحب جمال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد أي لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه من الأعمال
أعمالا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه والغد يوم القيامة وقربه على الناس كأن يوم القيامة يأتي غدا وكل ما هو
آت فهو قريب واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون قيل كرر الأمر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الأول
اتقوا الله في أداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله فلا تأتوا المنهيات ولا تكونوا كالذين نسوا الله
أي تركوا أمر الله فأنساهم أنفسهم أي أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده
أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لما أرشد المؤمنين
إلى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فأنساهم أنفسهم
بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوي أصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدائم وأصحاب الجنة
يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم أتبعه بقوله أصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم أن من حصل له النعيم المقيم
فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية
الله قيل معناه أنه لو جعل في الجبل تمييز وعقل كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع أي
لتطأطأ وخضع ولتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى أن الجبل مع صلابته ورزانته مشفق
من خشية الله وحذر من أن لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض
عما فيه من العبر والحكم كأن لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القرآن من
المواعظ والأمثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب بأحسن بيان
وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لأن الجبل
لا يتصور منه الخشوع والخشية إلا أن يخلق الله له تمييزا وعقلا يدل على أنه تمثيل قوله
وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون أي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد
قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم أتبعه بوصف عظمته
فقال تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة يعني أنه تعالى علم ما غاب عن العباد مما لم
يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وعلموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود
والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة هو الرحمن الرحيم اسمان اشتقا من الرحمة وهما صفتان
لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله إرادته الخير والنعم والإحسان إلى خلقه وقيل إن رحمن
أشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لأنه تعالى إحسانه في الدنيا
يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص إحسانه وإنعامه بالمؤمنين هو الله الذي لا إله إلا هو الملك
أي المتصرف بالأمر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وإرادته القدوس أي الطاهر
من كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته السلام أي الذي سلم من النقائص

وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار
وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان كونه قدوسا اشارة الى براءته عن جميع العيوب
والنقايص في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شيء من العيوب والنقايص في
المستقبل فان الذي يطرأ عليه شيء من العيوب والنقايص في المستقبل فان الذي يطرأ عليه
شيء من ذلك فانه تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه من ظلمه المؤمن
قال ابن عباس هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله
باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب
المهيمن قال ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القايم
على خلقه برزقه وانشد في معناه الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه في العرف والنكر
اي القايم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل فهو المصدق وقيل
هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى
الله عليه وسلم في ابيات منها حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وقيل المهيمن
اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتاويله وانشد جل المهيمن عن صفات عبيده ولقد تعالى عن
عقول اولي النهى راموا بزعمهم صفات مليكهم والوصف يعجز عن مليك لا يرى العزيز اي الذي لا
يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر الجبار قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله
عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو
صفة وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يقهر الخلق ويجبرهم على ما
اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز
وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يدانى والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس
صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص
في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كاذبا في فعله فكان مذموما
في حق الناس واما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة
ولهذا المعنى قال في اخر الآية سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان بعض الخلق قد يتكبر فيكون
ذلك نقصا في حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فاذا اظهر ذلك كان ضم
كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو الذي تكبر عن
كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر
والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اي مما ادعاه الكفرة
لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى
الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل المقدر المقلب للشيء بالتدبير الى غيره البارئ اي
المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود المصور اي لما خلقه الذي يخلق صورة الخلق
على ما يريد وقيل معناه الممثل للمخلوقات العلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل
الخالق المنسوب للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ اي المنشئ لما يريد خلقه فيظهره

اولياء

من العدم الى الوجود المصور اي لما خلقه والتشكيل على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى
التصوير التخطيط والتشكيل فالا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا وانما قدم لفظ الخالق على البارئ
لان ترجيح الارادة مقدم على تاثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم
على ايجاد الصفات له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل
ابن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه
حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب والله اعلم

تفسير سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلث عشرة اية وثلثمائة واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد بن الاسود فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى اتينا
الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن
الكتاب او لنلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه
من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني
كنت امرءا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات
يحمون بها اموالهم واهليهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم
يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل
انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج
والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب بن ابي بلتعة كما في الحديث
وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت المدينة من مكة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال
امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي
وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين
انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها
بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوة وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد

ابن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب
الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان
بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه
اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين
الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع
فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما
رات الجد اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولما لها ورجعوا
بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف
الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ
نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت
غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت
ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره
فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله
في شان حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء يعني اصدقاء وانصارا تلقون
اليهم بالمودة اي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم
وسره بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا اي وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني القرآن
يخرجون الرسول واياكم يعني من مكة ان تؤمنوا بالله اي لان امنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله
ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تسرون
اليهم بالمودة اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم
بالسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقاء المودة اليهم فقد ضل سواء السبيل اي
اخطا طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم ويروكم
يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والشتم والسب
وودوا اي تمنوا لو تكفرون اي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة
لاولياء الله ولا يناصحوهم لما بينهم من الخلاف فلا يناصحوهم انتم ولا توادوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا
اولادكم اي لا يدعونكم ولا يحملنكم قراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم
الله لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار والله
بما تعملون بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة يخاطب حاطبا والمؤمنين ويامرهم
بالاقتداء بابرهيم عليه السلام والذين معه اي من اهل الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين

انا برآء منكم جمع بريء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده والمعنى ان ابرهيم عليه السلام واصحابه تبرؤا من قومهم
وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتاسوا بهم الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
يعني لكم ان تتاسوا بابرهيم في جميع اموره الا في استغفاره لابيه المشرك فلا تتاسوا به فان ابرهيم
كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه وما املك لك من الله من
شيء هذا من قول ابرهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به
وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابرهيم ومن معه من المومنين ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل
معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي اقتداء حسن
لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول
اي يعرض عن الايمان ويوالي الكفار فان الله هو الغني اي عن خلقه الحميد اي الى اهل طاعته واوليائه
فلما امر الله المومنين بعداوة الكفار عادى المومنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة
وعلم الله شدة وجد المومنين بذلك انزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة اي من كفار مكة مودة ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء
واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان ولان لهم
ابو سفين والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واسلم ثم رخص
في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم اي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم وتقسطوا
اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم وبرهم ان الله يحب المقسطين اي العادلين قال
ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا
يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في ام اسماء بنت ابي بكر
وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا واقطا وسمنا وهي
مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسالته فانزل الله هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها
وتكرمها وتحسن اليها ق عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قدمت علي امي وهي مشركة
في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال
ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن
صلتهم وبرهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الاية خ عن عروة بن الزبير انه سمع

مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو
يومئذ وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه لا ياتيك منا احد وان كان على
دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المومنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى
الله عليه وسلم على ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن
عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المومنات مهاجرات
وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق
فجا اهلها يسالون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها لما انزل الله فيهن اذا جاءكم
المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عايشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الاية يا ايها النبي اذا جاءك المومنات الى قوله غفور رحيم قال عروة
قالت عايشة فمن اقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما
مست يده يد امراة قط في المبايعة ما بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من
اصحابه لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد
فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر
فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب
لم تجف بعد فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات اي من دار الكفر الى دار الاسلام
فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى
ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله
عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب
قال المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن
بنفسه فكان يمسك من جاء من النسا بعد الامتحان ويعطي ازواجهن مهورهن ويرد من
جاء من الرجال واختلف العلما هل دخل النسا في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل
قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع
منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن لفظا صريحا وانما اطلق
العقد فكان ظاهر العموم لاشتماله على النسا مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم
العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم بهن
فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لان الله لم يبح مومنة لكافر وآتوهم يعني ازواجهن
الكفار ما انفقوا اي عليهن من المهر الذي دفعوا اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن
اجورهن اي مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان
لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة
على انقضا عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضا عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن
سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين ولا تمسكوا بعصم

الكوافر

الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب نهى الله تعالى المومنين عن المقام على نكاح المشركات
يقول الله تعالى وان كانت لك امراة كافرة بمكة فلا تعتدن بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال
الزهري لما نزلت هذه الاية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت امية بن المغيرة
فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية
وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت اروى بنت
ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق
الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبي وكانت زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبي صلى الله
عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسالوا
اي ايها المومنون ما انفقتم يعني ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا
منعوها ممن تزوجها منهم وليسالوا يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ما انفقوا اي من المهر
ممن تزوجها منكم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النسا ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاء من
المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المومنون بحكم الله تعالى وادوا ما امروا به من ادا
نفقات المشركين على نسايهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من ادا نفقات المسلمين فانزل
الله عز وجل وان فاتكم اي ايها المومنون شي من ازواجكم الى الكفار اي فلحقن بهم مرتدة فعاقبتم
معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة
لكم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم اي الى الكفار مثل ما انفقوا معناه اعطوا الذين ذهبت
ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما انفقوا عليها من الغنايم التي صارت في ايديكم من اموال
الكفار وقال ابن عباس لحق بالمشركين من نسا المومنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت
ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة
وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان
وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت
تحت هشام بن العاص بن وايل وام كلثوم بنت جرول وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن
عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسايهن من الغنيمة واختلف
القول في ان رد مهر من اسلمت من النسا الى ازواجهن هل كان واجبا ام مندوبا واصل
هذه المسالة ان الصلح هل كان وقع على رد النسا ام لا فيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنسا
جميعا لما روي انه لا ياتيك منا احد الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى ثم صار الحكم في رد النسا
منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح
لم يقع على رد النسا لانه روي عن علي انه قال لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان
الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من اصابة المشرك اياها وانه لا يومن
عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه باظهار

كله الكفر مع التورية واضمار الايمان وطمانينة القلب عليه ولا تخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته السبيل لعل هذا
كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب العمل به اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب
وزعموا ان الاية منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا
قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الاية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ
من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن عنه وهند بنت عتبة امراة
ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك
اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن
فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان
ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ولا تزنين فقالت هند اوتزني الحرة فقال ولا تقتلن اولادكن
فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر
فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت
هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف قالت هند ما
جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي
وجملة من احصي من المبايعات اربعمائة وسبع وخمسون امراة ولم يصافح في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام ق
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية لا يشركن بالله شيئا وما مست
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة لا يملكها واما تفسير الاية فقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به واد البنات
الذي كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعني
لا تلحق المراة بزوجها غير ولده وذلك ان المراة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو
البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن
ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن به وتنهاهن عنه
وقيل في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق
الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المراة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير محرم قال
ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء اخرجه البخاري ق عن ام عطية قالت
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة منا
يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت
فبايعها ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا
بدعوى الجاهلية عن اسيد بن ابي اسيد عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نساء اسعدننا
في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام اخرجه النسائي م عن ابي مالك
الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله تعالى
فبايعهن يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم عن اميمة بنت رقيقة قالت
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن قلت الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا
قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امراة كقولي
لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
يعني اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون
من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصدقه وانه
رسول الله فكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يعني كما يئس الذين
ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الاخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى
وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله اعلم

تفسير سورة الصف وفيها قولان احدهما انها مدنية

وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي اربع عشرة اية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح
لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل في سبب
نزولها ما روي عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال
احب الى الله لعملناه فانزل الله سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما
لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قال المفسرون
ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين
فكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب اهل
بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بهذه الاية وقيل نزلت في شان القتال
كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في المنافقين
وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون معناه ان تعدوا من انفسكم شيئا ثم لم توفوا به ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي
يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي قد رص بعضه ببعض
والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف والمعنى ان الله تعالى
يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص قوله تعالى واذ قال موسى لقومه
اي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل يا قوم لم تؤذونني وذلك انهم كانوا يؤذونه بانواع
من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني تؤذونني وانتم عالمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر
ويحترم ولا يؤذى فلما زاغوا اي عدلوا ومالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها عن الحق الى غيره
والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهذا تنبيه على عظم

ابن آدم الرسل حتى ان اذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى ۞ واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم اي ارسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التورية مصدقا لما بين يدي من
التوراة اي اني مقر ومعترف باحكام التورية وبكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم ۞ ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اي يصدق بالتورية على مثل تصديقي ... امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث
وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من
الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود عن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التورية
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال ابو داود والمدني قد بقي في البيت موضع قبر اخرجه
الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد
حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير
من العمل ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعده نبي وقد
سماه الله رؤفا رحيما اسمه احمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء حامدون
لله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون
لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره ۞
فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قالوا هذا سحر مبين اي
ظاهر ۞ ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه الى ان يكذب على الله وذلك
انهم علموا ان ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به ۞ وهو يدعى الى الاسلام معناه اي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب
على الله بقوله هذا سحر مبين ۞ والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم ۞
يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم يعني ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر ۞ والله متم نوره
اي متم الحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ۞ ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من
الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ۞ ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب اليم نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما
سماه تجارة لانهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي امرتكم به من الايمان والجهاد
في سبيله ۞ ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى
الامر المعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله اي اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم يعني هذا الجزاء الذي ذكر هو الفوز العظيم ۞ واخرى تحبونها اي ولكم
تجارة اخرى وقيل ولكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة نصر من الله وفتح قريب
قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح فارس والروم ۞ وبشر المؤمنين اي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة
في الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى

ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من ينصرني مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى
من انصاري الى الله ۞ قال الحواريون نحن انصار الله وكانوا اثنى عشر رجلا وهم اول من آمن بعيسى عليه السلام وحواري
الرجل صفيه وخالصته ومنه قوله عليه السلام حواري الزبير ۞ فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة قال
ابن عباس يعني في زمن عيسى عليه السلام وذلك لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن
الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة
من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت
الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقيل معناه
فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم

تفسير سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح
لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب
وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم من الله وقيل الامي هو الذي هو على ما خلق عليه كانه
منسوب الى امه ۞ رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل
اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة
بالكتابة على ما اتى به من الوحي والحكمة ويكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه
يتلوا عليهم آياته اي التي تبين رسالته وقيل آياته التي تميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل
ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك ۞ ويعلمهم الكتاب يعني القرآن وقيل الفرائض ۞ والحكمة وقيل
هي السنة ۞ وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ۞ لفي ضلال مبين وآخرين
منهم اي من المؤمنين الذين يدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم
امة واحدة قيل اراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما
روي عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ
وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا
قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفسي بيده لو كان
الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل
في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ۞ لما يلحقوا بهم اي لم يدركوهم ولكنهم يجيئون بعدهم وقيل
لم يلحقوهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأن الصحابة ۞ وهو العزيز اي الغالب
الذي قهر الجبابرة ۞ الحكيم اي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ۞ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم ۞ والله ذو الفضل العظيم اي على خلقه
حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية يعني اليهود كلفوا
القيام بها والعمل بما فيها ليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة بمعنى الكفالة ۞ ثم لم
يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها ۞ كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر لانه يسفر عما فيه من

المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتورية وبالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
شبه اليهود اذ لم ينتفعوا بما في التورية الدالة على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري
ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرؤن التوريه ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من
لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا
اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الاية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال
تعالى بئس مثل القوم اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى
به من ايات القرآن وقيل المراد من الايات ايات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب
ايات الله وانبيائه قل اي يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اي من
دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فتمنوا الموت اي ادعوا على انفسكم بالموت ان كنتم صادقين يعني
فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الاخرة خير لاولياء الله من الدنيا
ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل
ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي لا ينفعكم الفرار منه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وعيد وتهديد قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي
لوقت الصلاة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر
للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر
اذن بلال خ عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء زاد في رواية
فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم
الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب المسجد وقيل كان مرتفعا
كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى
فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا
اليوم جمعة كعب بن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال
له يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة
وهم الذين سموا الجمعة قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه
فنذكر الله ونصلي ونشكره فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة
ثم انزل الله في ذلك بعد وعن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له
ابنه عبد الرحمن يا ابه اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا
في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون
اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اهل السير ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة
خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فاقام بقبا يوم الاثنين لاثنتي عشرة والثلثاء والاربعاء

فقالوا ام

ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني
سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذوا في ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله
فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع في المشي انما المراد منه العمل وكان
عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان
ياتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الاية
فاسعوا الى ذكر الله قال السعي ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتاول قوله فلما بلغ معه السعي
يقول فلما مشى معه ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا
الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي رواية اذا اقيمت
الصلاة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون عليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد
الى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو
موعظة الامام وذروا البيع يعني البيع والشرى لان اسم البيع يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم
البيع والشرى عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس
حرم البيع والشرى ذلكم اي الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك
الوقت ان كنتم تعلمون اي مصالح انفسكم فصل في فضل الجمعة واحكامها
وانه نادرها وفيه مسائل المسئلة الاولى في فضلها م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها
زاد في رواية ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة
فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده
يقللها ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح
فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما
قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما
قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان
على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا
يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة م
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر
له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصا فقد لغا قوله ومن مس الحصا فقد لغا
معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو خ عن عباية قال ادركني
ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل
الله حرمه الله على النار عن ابي هريرة قال خرجت الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه
فحدثني عن التورية وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه
تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس

شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا اعطاه
اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبد الله
ابن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها
قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك في الموطا والنسائي خ عن سلمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه
او يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما
بينه وبين الجمعة الاخرى عن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل
سنة صيامها وقيامها اخرجه ابو داود والنسائي قال ابو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل
قال غسل راسه وجسده المسألة الثانية في اثم تاركها م عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة
انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على
قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابو داود والنسائي وللترمذي نحوه م
عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان امر رجلا ان يصلي بالناس
ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم المسألة الثالثة في تأكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة من فروض الاعيان
فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد اما
الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل على ذلك
ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة
الا على اربعة عبد مملوك او امرأة او صبي او مريض اخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم
ويعد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده
قبيصة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من اواه الليل الى اهله اخرجه
الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن
احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام
فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق والشرط
ان يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية
تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب
الجمعة على من اواه البيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال
وقال مالك والليث على ثلثة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لا جمعة على اهل السواد
سواء كانت القرية قريبة او بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس قال ان اول
جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين

يحيى

يحيى وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين المسألة الرابعة في تركها لعذر وكل من له عذر من مرض او تعهد
مريض او خوف تجاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس
انه خطب في يوم ذي ردغ فامر المؤذن لما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض
كانهم انكروا فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال قل الصلاة
انها عزمة واني كرهت ان احرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض والزلق اخرجه البخاري
ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به
عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد المسألة الخامسة في العدد الذين تنعقد به
الجمعة اختلف اهل العلم في العدد الذين تنعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من اربعين وهو قول عبيد الله
ابن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي واحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من اربعين
رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا
الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز ان يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن ابي طالب
لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول اصحاب الرأي ثم عند ابي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال
الاوزاعي وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر
الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمسافر
والمرأة والصبي ولا تنعقد الا في موضع واحد من البلد وبه قال مالك والشافعي وابو يوسف وقال احمد
تقع في موضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع المسألة السادسة لا يجوز ان يسافر الرجل
يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلي الجمعة وجوز اصحاب الرأي ان يسافر بعد الزوال قبل ان [illegible]
اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز عند
انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج او غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا
يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم الحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال له ما منعك ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلي معك
ثم الحقهم فقال لو انفقت ما في الارض ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذي وروي ان
عمر رأى رجلا عليه هيئة السفر سمعه يقول لولا ان اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان
الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن واداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر
كفاية والله اعلم قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم
وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد
وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض
وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك
ابن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك
وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين واذكروا الله كثيرا اي اذا رجعتم من الصلاة
ورجعتم الى التجارة والبيع والشرى فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا يكون

من الذاكرين الله كثيراً حتى تذكره قياماً وقعوداً ومضطجعين لعلكم تفلحون قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا
إليها وتركوك قائماً خ عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا
إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا
إليها وتركوك قائماً وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً فجاءت عير من الشام فذكر نحوه وفيه إلا اثني عشر
رجلاً فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس إليها
فلم يبق إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم وذكره في هذا الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلاً
وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أقام لهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس
في رواية عنه لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم
دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه قاموا إلى البقيع
إليه خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه
الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي
ناراً وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من
الشام بالتجارة وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج إليه الناس من دقيق
وبر وزيت وغيره فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن
الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل
وقيل كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا إليها
أي تفرقوا فذهبوا نحوها والضمير في إليها يرجع إلى التجارة لأنها أهم إليهم وتركوك قائماً اتفقوا على
أن هذا القيام كان في خطبة الجمعة وقال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
قائماً أو قاعداً قال أما تقرأ وتركوك قائماً قال العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري
هي مستحبة ويجب أن يخطب الإمام قائماً خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد
لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما
يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث فرض
في الخطبتين جميعاً ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك
واحدة من هذه الخمس لم تصح خطبته والجمعة عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى
بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة
والسنة للإمام إذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافاً لأبي حنيفة ومالك وهل
يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والأصح أنه يحرم على المستمع دون الخاطب
وينبغي أن يصلي تحية المسجد والإمام يخطب خلافاً لأبي حنيفة ومالك ذكر الأحاديث
الأحاديث الواردة الدالة على هذه الأحكام ق عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين
يقعد بينهما وفي رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب كما تفعلون الآن

راجع

م عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر
الناس زاد في رواية فمن حدثك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب م عن كعب بن عجرة أنه دخل المسجد
وعبد الرحمن بن الحكم يخطب قاعداً فقال انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعداً وقال الله تعالى وإذا
رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً م عن جابر بن سمرة قال كنت أصلي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً زاد أبو داود يقرأ آيات من
القرآن ويذكر الناس عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد
فهي كاليد الجذماء أخرجه أبو داود والترمذي ولأبي داود عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
إذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً وفي رواية أن يونس سأل ابن شهاب عن تشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل ربنا
أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه إنما نحن به وله أخرجه أبو داود
م عن جابر قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم
يقول على إثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم
ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن
خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل
مؤمن من نفسه من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي عن ابن مسعود قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي
ق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة
أنصت والإمام يخطب فقد لغوت عن نافع أن ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والإمام يخطب
يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الإمام يقطع
الصلاة وكلامه يقطع الكلام فأما صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة
ولجواز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر والعدد والإمام والخطبة ودار الإقامة
فإن فقد شرط من هذه الشرائط الخمس يجب أن تصلى ظهراً ولا يجوز للإمام أن يبتدئ
الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد أربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب ثم
انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة
بل يصلي الظهر ولو افتتح الصلاة ثم انفضوا ففي أصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى
آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة فلو انفض واحد قبل أن يسلم الإمام يجب
على الباقين أن يصلوها ظهراً وفيه قول آخر وهو أنه إن بقي معه اثنان أتمها جمعة وقيل إن
بقي معه واحد أتمها جمعة وعند المزني إن انفضوا بعدما صلى بهم الإمام ركعة أتمها جمعة وإن

بقي وحده وان كان في الركعة الاولى يتمها اربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن
في العدد الذي يشترط كالمسبوق اذا ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام اتمها جمعة
وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا خ عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل
الشمس م عن عبيد الله بن ابي رافع قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة
فصلى لنا ابو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية
قال فادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان علي بن ابي طالب يقرأ
بهما في الكوفة قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما م عن النعمان بن بشير
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك
حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين عن سمرة بن
جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية
اخرجه ابو داود والنسائي قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اي ما عند الله من
الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو والتجارة اي التي جاءتكم
وجيه والله خير الرازقين يعني ان الله تعالى موجد الارزاق واصلها منه فاياه فاسألوا ومنه
فاطلبوا والله اعلم

تفسير سورة المنافقين مدنية

وهي احد عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون
يعني عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه قالوا نشهد انك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدا
فقال تعالى والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو عالم بك والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة
الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر بشيء واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر
فهو كاذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسماهم كذابين لان قولهم
خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم ما اخبر الله عنهم
من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله فصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة
الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما
كانوا يعملون يعني حيث اثروا الكفر على الايمان ذلك بانهم آمنوا اي في الظاهر وذلك اذا
رأوا المومنين اقروا بالايمان ثم كفروا اي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تاكيد
لقوله والله يشهد انهم لكاذبون فطبع على قلوبهم اي بالكفر فهم لا يفقهون اي الايمان وقيل
لا يتدبرون القرآن واذا رأيتهم يعني المنافقين مثل عبد الله بن ابي تعجبك اجسامهم
يعني ان لهم اجساما ومناظر حسنة وان يقولوا تسمع لقولهم اي فتحسب انه صدق قال
ابن عباس كان عبد الله بن ابي جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم
قوله كأنهم خشب مسندة اي اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب
المسندة الى جدار وليست باشجار مثمرة ينتفع بها يحسبون كل صيحة عليهم يعني انهم لا يسمعون

صوتا في العسكر بان ينادي منادٍ او انفلتت دابة او انشدت ضالة الا ظنوا امر جبنهم وسقوطهم
انهم يرادون بذلك لما في قلوبهم من الرعب وقيل كانوا على وجل وخوف من ان
ينزل فيهم امر الله يهتك استارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام على قوله عليهم ثم ابتدا فقال تعالى
هم العدو فاحذرهم يعني انهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم اي لا
تأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك قاتلهم الله اي
لعنهم الله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا رؤوسهم اي امالوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار
ورأيتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون اي عن استغفار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم سواء عليهم استغفرت لهم يا محمد ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
ان الله لا يهدي القوم الفاسقين

ذكر القصة في سبب نزول هذه الآية

قال محمد بن اسحق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق يجمعون لحربه وقائدهم
الحرث بن ضرار ابو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم
حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا
فهزم الله بني المصطلق وامكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم
واموالهم فافاءها عليه فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير
له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني
حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر
المهاجرين واعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي لجعال وانك
لهناك فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد
ابن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن ابي افعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما
مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم
اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا
تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في
قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن ابي اسكت فانما
كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر
وعنده عمر بن الخطاب فقال دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه ولكن آذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل
الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام
الذي بلغني فقال عبد الله والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب
وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يا رسول الله عسى ان
يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قال له فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد

في الانصار وكذبوه وقالوا عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان
زيد يسير الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت
تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله بن ابي فقال اسيد وما قال قال
زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد فانت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل
وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه
ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل
اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تامر به غيري
فيقتله فلا تدعني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل
النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله
عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى اذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا
الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن ابي
الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعاء فهاجت
ريح شديدة اذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل
من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب
ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره بقول المنافق
وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه
ولكن الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون
قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤوا بها فامن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا
رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل
سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله صدقك واوفى باذنك ق عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل
فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوا شدة حتى انزل تصديقي اذا
جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم وقوله كانهم خشب
مسندة قال كانوا رجالا اجمل شيء ق عن جابر قال غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه
ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصار

غضب

غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري
فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن ابي بن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فقال عمر الا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث
الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا باس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما
ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله
ابن عبد الله لا تنقلب حتى تقر انك الذليل ورسول الله العزيز ففعل اصحاب السير وكان عبد الله بن
ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة
فلما جاء عبد الله بن ابي قال له ابنه وراءك قال مالك ويلك قال لا والله لا تدخلها ابدا الا ان ياذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله
اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وبان كذب عبد الله
ابن ابي قيل له يا ابا حباب انه قد نزل فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك
فلوى راسه ثم قال امرتموني ان آمن فامنت وامرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان
اسجد لمحمد فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم الاية ونزل هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خزائن السموات والارض
اي بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احد احدا شيئا الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته ولكن المنافقين
لا يفقهون يعني ان امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة
يعني من غزوة بني المصطلق ليخرجن الاعز منها الاذل فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار كلمته
دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي
ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الايات في عبد الله بن
ابي فلم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم ولا
اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ومن يفعل ذلك اي يشغله ماله وولده عن ذكر الله
فاولئك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث اثروا الفاني على الباقي وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس
يريد زكاة الاموال من قبل ان ياتي احدكم الموت اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسال
الرجعة فيقول رب لولا اخرتني اي هلا اخرتني امهلتني وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب
فاصدق اي فازكي مالي واكن وفي قراءة واكون من الصالحين اي المؤمنين وقيل هذه الاية نزلت
في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسال الرجعة وقيل الاية نزلت في المؤمنين والمراد
بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته واطاق الحج
ولم يحج الا سال الرجعة عند الموت وقرا هذه الاية قال واكون من الصالحين اي احج وازكي

ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها يعني أنه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته والله خبير
بما تعملون أي أنه لو رد إلى الدنيا وأجيب إلى ما سأل ما حج ولا زكى وقيل هو خطاب شايع لكل عامل
عملا من خير أو شر والله أعلم

تفسير سورة التغابن مدنية

في قول الأكثرين وقيل هي مكية وقيل إلا ثلاث آيات من قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم
إلى آخر ثلاث آيات وهي ثماني عشرة آية ومائتان وإحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله
ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد يعني أنه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص
لا شريك له فيه وله الحمد لأن أصول النعم كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الأمور
وهو على كل شيء قدير يعني أنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن قال ابن عباس إن الله تعالى خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم
مؤمنا وكافرا م عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم
في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ق عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها
قال يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب ذلك في بطن أمه وقال جماعة معنى
الآية أن الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لأن الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن
ثم اختلفوا في تأويلها روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال فمنكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن
حياته كافر في العاقبة وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب ومنكم مؤمن بالله كافر
بالكوكب وقيل فمنكم كافر أي بأن الله خلقه وجملة القول فيه أن الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا
له وكسبا وخلق المؤمن وإيمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه
واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله أراد ذلك منه
وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر لأن الله أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه
وهذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبر والقدر والله بما تعملون
بصير أي أنه عالم بكفر الكافر وإيمان المؤمن خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم أي
أنه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والتناسب في الأعضاء
وقد علم أن صورة الإنسان أحسن صورة وإليه المصير أي المرجع في الآخرة يعلم ما في السموات
والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور معناه أنه لا يخفى عليه خافية فاستوى
في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى ألم يأتكم يخاطب كفار مكة نبأ الذين كفروا
من قبل يعني خبر الأمم الماضية فذاقوا وبال أمرهم أي جزاء أعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا
ولهم عذاب أليم أي في الآخرة ذلك أي الذي نزل بهم من العذاب بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات
فقالوا أبشر يهدوننا معناه أنهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة أحلامهم
ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا فكفروا أي جحدوا وأنكروا وتولوا أي أعرضوا واستغنى الله
أي عن إيمانهم وعبادتهم والله غني أي عن خلقه حميد أي في أفعاله ثم أخبر الله تعالى عن إنكارهم البعث

الخالية

فقال

فقال تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل يا محمد بلى وربي لتبعثن أي يوم القيامة ثم لتنبؤن
أي لتخبرن بما عملتم وذلك على الله يسير أي أمر البعث والحساب يوم القيامة فآمنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الأمم
الماضية المكذبة وما نزل بهم من العقوبة والنور الذي أنزلنا يعني القرآن سماه نورا لأنه يهتدى به في
ظلمات الضلالة كما يهتدى بالنور في الظلمة والله بما تعملون خبير يعني أنه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا
فراقبوه وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين
وأهل السموات وأهل الأرضين ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ والمراد في المجازاة
والتجارة وذلك إذا أخذ الشيء بدون قيمته فقد غبن فالمغبون من غبن في أهله ومنازله في الجنة
وذلك أن كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان ويظهر غبن
كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وقيل إن قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة ينعمون فلا
غبن أعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لأن المظلوم مغبون في الدنيا فصار في
الآخرة غابنا لظالمه وأصل الغبن في البيع والشراء وقد ذكر الله في حق الكافرين أنهم خسروا وغبنوا
شراهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين هل أدلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب أليم وقال إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فخسرت صفقة
الكافرين وربحت صفقة المؤمنين ومن يؤمن بالله أي على ما جاءت به الرسل من الإيمان بالبعث
والجنة والنار ويعمل صالحا أي في إيمانه أي في أمانته إلى أن يموت على ذلك يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي بوحدانية
الله وقدرته وكذبوا بآياتنا أي الدالة على البعث أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله أي بقضاء الله وقدره وإرادته ومن يؤمن بالله أي يصدق أنه
لا يصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك إلا بقضاء الله وقدره وإذنه يهد قلبه
أي يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله
وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والله بكل شيء عليم وأطيعوا
الله فيما أمر وأطيعوا الرسول أي فيما جاء به عن الله وما أمركم به فإن توليتم أي عن إجابة الرسول
فيما دعاكم إليه فإنما على رسولنا البلاغ المبين الله لا إله إلا هو أي لا معبود ولا مقصود إلا هو
وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا
لكم فاحذروهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا
النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وعنه قالوا لهم صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله فاحذروهم
أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة وإن تعفوا وتصفحوا أي تعفوا وتصفحوا وهذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم
يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده
الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فأمره الله بالعفو عنهم

والصفح وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم ويقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يحملونكم على ترك طاعة الله تعالى فاحذروهم اي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي فلا تعاقبوهم على خلافكم فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر عظيم يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب الاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لا يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم احد يرجع الى اهل ومال وولد الا مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه وانفقوا اي من اموالكم في حق الله الذي امركم به خيرا لانفسكم اي ما انفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم تفسيره ان تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة النفس اي ان تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه بالانفاق يضاعفه لكم اي يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شاء من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يحب المتقربين اليه حليم اي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم والله اعلم

تفسير سورة الطلاق مدنية

وهي ثنتا عشرة آية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اي اذا اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن اي لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرءان فطلقوهن في قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امراته في حال الحيض عن ابن عمر انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وزاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها

وراجعها عبد الله كما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عزة يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امراته حائضا فقال طلق ابن عمر امراته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن

فصل

اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض والآيسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاشبه ان يتعرف الحال ولو طلق امراته في حال الحيض او في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يامره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس لما رواه يونس بن جبير وانس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر فامره وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته اياها للطلاق كما يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم حتى لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي قوله تعالى واحصوا العدة اي عدد اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى واتقوا الله ربكم اي واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به لا تخرجوهن من بيوتهن يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج ملكا او كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكتري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه ولا يخرجن يعني ولا يجوز للمراة ان تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما او غرقا جاز لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تاوي كل امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها واذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذو على اهل زوجها

فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها
يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تتحول من بيت زوجها
والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة ﴿وتلك حدود الله﴾ يعني ما ذكر من
سنة الطلاق وما بعده من الاحكام ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ اي فيطلق لغير السنة او تجاوز هذه
الاحكام ﴿فقد ظلم نفسه﴾ اي ضر نفسه ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا﴾ اي يوقع في قلب
الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولا يوقع
الثلث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه المراجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة
سالت زوجها الطلاق من غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي قوله تعالى
﴿فاذا بلغن اجلهن﴾ اي قاربن من انقضاء عدتهن ﴿فامسكوهن﴾ اي راجعوهن ﴿بمعروف او فارقوهن بمعروف﴾
اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيبن منكم ﴿واشهدوا ذوي عدل منكم﴾ اي على الرجعة والفراق امر بالاشهاد
على الرجعة وعلى الطلاق عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امراته ثم يقع عليها ولم يشهد على
طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود
وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب
في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها
ولئلا يموت احد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة
ان تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا آخر ﴿واقيموا الشهادة﴾ يعني ايها الشهود
﴿لله﴾ اي طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة ﴿ذلكم يوعظ به
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ قيل معناه ومن يتق الله فيطلق
للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون
ابنا له يسمى مالكا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابني وشكى اليه ايضا الفاقة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما
هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال
غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة آلاف شاة فنزلت ﴿ومن يتق الله يجعل له
مخرجا﴾ اي في ابنه ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا
ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وساله ايحل له ان ياكل ما اتى به ابنه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا هو ان يعلم
انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل
مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ يعني من يثق به
فيما نابه واهمه كفاه ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴿ان الله بالغ امره﴾ اي منفذ امره وممض في خلقه

ما قضاه ﴿قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ اي جعل لكل شدة او رخاء اجلا ينتهي اليه وقال مسروق في
هذه الآية ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا
قوله عز وجل ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾ قيل لما نزل ﴿والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء﴾ قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض والتي لم تحض
وعدة الحبلى فانزل الله عز وجل ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾ يعني القواعد اللائي قعدن
عن الحيض فلا يرجون ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض ﴿ان ارتبتم﴾ اي شككتم
في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن ﴿فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن﴾ يعني الصغار اللائي لم
يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ
سن الآيسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد ثلاثة اشهر
وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي
واصحاب الراي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض تعتد بثلاثة اشهر وهذا كله في
عدة الطلاق اما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض او لا تحيض
واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى ﴿واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن﴾ عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من
بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت
حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك
رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانك والله ما
انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي
حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتاني باني قد حللت
حين وضعت حملي وامرني بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب
ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى
تطهر ﴿ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا﴾ اي يسهل عليه امر الدنيا والآخرة ﴿ذلك﴾ اي الذي
ذكر من الاحكام ﴿امر الله انزله اليكم﴾ اي لتعملوا به ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم
له اجرا﴾ قوله تعالى ﴿اسكنوهن﴾ يعني مطلقات نسائكم ﴿من حيث سكنتم من وجدكم﴾ اي
من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى
قدر الطاقة ﴿ولا تضاروهن﴾ اي لا تؤذوهن ﴿لتضيقوا عليهن﴾ يعني مساكنهن فيخرجن
﴿وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ اي فيخرجن من عدتهن فصل
في حكم الآية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت
في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها فيها الزوج ملكا للزوج
يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة
وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة
بالخلع وبالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر

اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا
في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا ان تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي
وبه قال احمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابرهيم النخعي وبه قال الثوري
واصحاب الراي وظاهر القران يدل على انها لا تستحق الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن واما الدليل على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص
طلقها البتة وهو غايب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شي فجاءت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ليس لك عليه نفقة فامرها ان تعتد في بيت ام
شريك ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين
ثيابك فاذا حللت فاذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معوية بن ابي سفيان وابا جهم
خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معوية
فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة فنكحته فجعل الله فيه
خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
امرها ان تعتد في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة لهم فيه لما روي عن عايشة انها قالت كانت
فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول
لسانها على احمايها وكان في لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطي الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب
او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها
عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح
والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد
حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعايشة وبه قال عطا والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها
السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد
واسحق واحتج من اوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد
الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تساله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها
خرج في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم
او امر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان
عثمان ارسل الي فسالني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو داود والترمذي فمن قال
بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع صار منسوخا بقوله اخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب
اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث في بيتها اخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل فان
ارضعن لكم يعني اولادكم فاتوهن اجورهن على ارضاعهن وفيه دليل على ان اللبن وان كان
قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه على ان حق الرضاع

والنفقة

والنفقة على الازواج في حق الاولاد واتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امره
بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتوا بالمعروف
وبما هو الاحسن ولا يقصدوا الاضرار وقيل المعروف هاهنا ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها ولا
المراة في حق الولد ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي
المراة رضاها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا
غير امه وذلك قوله فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته اي على قدر غناه ومن
قدر عليه اي ضيق عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما اتاه الله اي على قدر ما
اتاه الله من المال لا يكلف الله نفسا اي في النفقة الا ما اتاها اي من المال والمعنى لا يكلف
الفقير مثل ما يكلف الغني في النفقة سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة غنى
وسعة قوله تعالى وكاين من قرية عتت اي عصت وطغت والمراد اهل القرية عن امر ربها ورسله
اي وامر رسله فحاسبناها حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها
بعملها في الكفر فجزاها النار وهو قوله وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وقيل
في الاية تقديم وتاخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلايا
وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا فذاقت وبال امرها اي شدة امرها وجزا كفرها
وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا في الدنيا والاخرة اعد الله لهم عذابا شديدا تخويف
لكم يا هذه الامة ان ينزل بكم مثل ما نزل بالامم الماضية فاتقوا الله يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول
ثم نعتهم فقال الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القران رسولا اي وارسل اليكم رسولا يتلوا
عليكم ايات الله مبينات قري مبينات بالخفض اي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقري
بالنصب ومعناه انها واضحات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي
من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل
يرزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة الله الذي خلق سبع سموات يعني بعضها فوق بعض
ومن الارض مثلهن اي في العدد يتنزل الامر بينهن اي الوحي الى خلقه من السما العليا الى
الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات وياتي
بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوان على اختلاف هياته وينقله من حال
الى حال فيحكم بحيا بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سماء من
سمائه وارض من ارضه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه لتعلموا ان الله على
كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شي لا يخفى عليه
خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكاينات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله اعلم

تفسير سورة التحريم مدنية

وهي اثنا عشر اية ومايتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ذكر سبب نزولها عن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو
من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك
فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما
والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله
أكلت مغافير فإنه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي أجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه
أن يوجد منه الريح فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول
ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أبادره بالذي
قلت لي وإنه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه
الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على حفصة قالت له
يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قالت لها اسكتي
عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطيت
أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل
على إحداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزل لم تحرم ما
أحل الله لك إلى قوله إن تتوبا إلى الله لعائشة وحفصة وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت
عسلا ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا زاد في رواية تبتغي بذلك مرضاة أزواجه

شرح ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء
والعسل الحلواء بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وإن كان داخلا في جملة الحلواء تنبيها على شرفه
ومزيته وهو من باب الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية
وأصله فتواطأت بالهمز أي اتفقت أنا وحفصة قولها إني لأجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء
بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة
والفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفترش على الأرض له شوكة وثمر يشبه
الزر خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل
رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله
العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش
وفي الحديث الأول أن الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وأن عائشة وسودة وصفية هن اللواتي
تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الأول قال النسائي إسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج
صحيح جيد غاية وقال الأصيلي حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله
وأكمل فائدة يريد قوله تعالى وإن تظاهرا عليه فهما اثنتان لا ثلاثة وإنهما عائشة وحفصة كما اعترف به
عمر في حديث ابن عباس في كتاب الحديث قال وقد انقلبت الأسماء على الراوي في الرواية الأخرى يعني الحديث
الأول الذي فيه أن الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب أن شرب العسل كان
عند زينب بنت جحش ذكره محيي الدين النووي في شرح وكذا ذكره القرطبي أيضا وقال المفسرون

في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جاريته مارية القبطية
فأدخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت إنما أذنت لي
من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا
ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتي
فهي علي حرام ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم
عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على
سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها
عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى
حرمها على نفسه فأنزل الله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائي قال العلماء الصحيح
في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين ولم تأت
قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي إسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية
وأما التفسير فقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أي من العسل أو ملك اليمين على
اختلاف الروايات فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها أو بالعسل لا تحريم اعتقاد
بكونه حراما بعد ما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده أن ذلك
حلال له تبتغي مرضاة أزواجك أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أي غفر
لك ذلك التحريم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي بين وأوجب الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهي ما
ذكر في سورة المائدة فأمره الله أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته فأعتق رقبة والله مولاكم أي
وليكم وناصركم وهو العليم أي بخلقه الحكيم أي فيما فرض من حكمه **فصل** اختلف العلماء في
لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فإن قال لزوجته أنت علي حرام أو قال حرمتك فإن نوى به طلاقا
فهو طلاق وإن نوى ظهارا فهو ظهار وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ
وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقا عتقت وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين
وإن قال ذلك لطعام حرمته على نفسه فلا شيء عليه وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة
والتابعين وإليه ذهب الشافعي وإن لم ينو شيئا ففيه قولان للشافعي أصحهما أنه يلزمه
كفارة يمين والثاني لا شيء عليه وأنه لغو فلا يترتب عليه شيء من الأحكام وذهب جماعة إلى أنه
يمين فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف أنه لا يطؤها
وإن حرم طعاما فهو كما لو حلف لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه
(ق) عن ابن عباس قال إذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة وفي رواية إذا حرم امرأته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
وفي رواية لفظ الحميدي قوله تعالى وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا يعني ما أسر إلى حفصة

من تحريم مارية على نفسه واستكتمها بذلك وهو قوله لا تخبري بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة
فحدثت به حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتان على امتي من بعدي
وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يترضاها فاسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه
وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر ﴿فلما نبات به﴾ اي اخبرت بذلك حفصة عايشة ﴿واظهره الله
عليه﴾ اي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعايشة ﴿عرف بعضه﴾ قرى بالتخفيف الراء
اي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من افشاءها وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك
قال لها لو كان في ال الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وامره بمراجعتها
وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل وقال لا تطلقها
فانها صوامة قوامة وانها من نسايك في الجنة وقرى عرّف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض
ذكر الحديث واخبرها ببعض ما كان منها ﴿واعرض عن بعض﴾ اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن
ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر
حفصة ببعض ما اخبرت به عايشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر
ذلك في الناس ﴿فلما نباها به﴾ اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه ﴿قالت﴾ يعني حفصة ﴿من انباك هذا﴾
اي من اخبرك باني افشيت السر ﴿قال نباني العليم﴾ اي بما تكنه الضماير ﴿الخبير﴾ بخفيات الامور
قوله عز وجل ﴿ان تتوبا الى الله﴾ يخاطب عايشة وحفصة اي من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والايذاء له ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة وذلك انهما سرهما
ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية ق عن ابن عباس قال لم ازل حريصا على ان اسال
عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة
فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال
الله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه
قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا
قوما يغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من نسايهم قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي فتغضبت
يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت نعم قلت لقد خابت من فعل ذلك منكن وخسرت افتامن احداكن ان يغضب
الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
تساليه شيا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
منك يريد عايشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وانزل
يوما فياتيني بخبر الوحي وغيره واتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي
الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ما
ذا جاءت غسان قال لا بل اعظم من ذلك واطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة

وخسرت

الحق

وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت
على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادري ها هو ذا معتزل في
هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك
له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست
قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت
فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استاذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت
فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو متكى على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساءك فرفع راسه الي فقال
لا فقلت الله اكبر لو رايتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما
تغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من نسايهم فتغضبت على امراتي يوما فاذا هي تراجعني
فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره
احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتامن احداكن ان يغضب
الله لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استانس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت راسي
في البيت فوالله ما رايت فيه شيا يرد البصر الا اهبة ثلثة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع
على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك
انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان
اقسم لا يدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عايشة من شدة موجدته
عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فاخبرني عروة عن عايشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدا بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من
تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين
ليلة ثم قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك ثم قرا يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها حتى بلغ قوله عظيما قالت عايشة قد علم والله ان ابوي
لم يامراني بفراقه فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة زاد في رواية
ان عايشة قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا ولم
يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك
من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملايكته وجبريل وميكاييل وانا وابو بكر والمومنون
معك وقل ما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس
انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد فنادى باعلا صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

نساء منشرح بعض الفاظه قوله فتعدلت بالاداوة اي قلت معه بالركوة فتبرز اي اتي البراز
وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة والعوالي جمع عالية وهي اماكن باعلى اراضي المدينة قوله لا
يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة اوسم منك اي اكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا
نتناوب النزول التناوب هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الاخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها
الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ظفرته ونسجته والمراد به انه لم
يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رايت فيه ما يرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع
اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الوجدة الغضب قوله تعالى وان تظاهرا عليه اي تتعاونا
على اذى النبي صلى الله عليه وسلم فان الله هو مولاه اي وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا
في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته وصالح المؤمنين روي عن ابن مسعود
وابي بن كعب وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين
وقيل هم الانبياء والملائكة بعد ذلك اي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير اي عوان
للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه عسى ربه اي واجب من الله ان طلقكن يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف الازواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال مسلمات اي خاضعات
لله بالطاعة مؤمنات اي مصدقات بتوحيد الله تعالى قانتات اي طائعات وقيل داعيات
وقيل مصليات بالليل تائبات اي تاركات الذنوب لفعلها عابدات اي كثيرات العبادة
سائحات اي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي
التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه وابكارا اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار
عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن
ابدله خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم قال ابن عباس
اي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته واهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم
تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لانها اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا عليها ملائكة
يعني خزنة النار وهم الزبانية غلاظ اي فظاظ على اهل النار شداد يعني اقوياء يدفع الواحد منهم
بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار لم تخلق الرحمة فيهم لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفون
الله فيما يامرهم به وينهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون اي لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والانتقام
من اعداء الله يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون
النار وشدتها لانه قد تقدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول منهم بعد دخول
النار انما تجزون ما كنتم تعملون يعني ان اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا اي ذات نصح ينصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن
الخطاب وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى
الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه وقال الكلبي
ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون
بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان

واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان فصل قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على
الفور ولا يجوز تاخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى
لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط احدها ان تقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث
ان يعزم على ان لا يعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط
منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة
والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا او نحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف ونحوه
مكنه من نفسه او عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب
فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة
وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر بن يسار المزني
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة خ عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين
مرة ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من
احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع
الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع
من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه اي لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يعني اذا طفئ نور المنافقين واغفر
لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس
المصير تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين شبها وحالا للذين كفروا امراة نوح
واسمها واعلة وامراة لوط واسمها واهلة وقيل اسمها والعة والهة كانتا تحت عبدين من
عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم فخانتاهما
قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امراة
نوح تقول للناس انه مجنون واذا امن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امراة لوط فكانت
تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به بالنهار دخنت ليعلم
قومها انه قد نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من
الله شيئا اي لم يدفعا عن امراتيهما مع نبوتهما عذاب الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين
وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع العاصي طاعة
غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب
بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامراة نوح وامراة لوط لما خانتاهما
لم يغن هذان الرسولان عن امراتيهما شيئا فقطع بهذه الاية طمع من ركب المعصية ان ينفعه

صلاح عنه وفي هذا المثل تعريض بامي المومنين عايشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما
على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضر اذا كان هو مطيعا وان وصلة الكفر
بالكافر لا تضر فقال تعالى وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون
لما غلب موسى السحرة آمنت به امراة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة
اوتاد والقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة فكشف الله لها
عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء فانتزع روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه
ولم تجد الما وقيل رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني شركه
وقال ابن عباس يعني جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي احصنت
فرجها اي عن الفواحش والمحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية من
روحنا اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله وصدقت بكلمات ربها يعني الشرايع التي شرعها الله لعباده
بكلماته المنزلة على انبيايه وكتبه يعني الكتب المنزلة على ابرهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام
وكانت من القانتين اي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله عن انس
ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله اعلم

تفسير سورة تبارك الذي بيده الملك

وهي مكية وهي ثلثون آية وثلثماية وثلثون كلمة والف وثلثماية وثلاثة عشر حرفا

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القرآن سورة ثلثون آية شفعت لرجل
حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه
وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر
فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه
من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك الذي
بيده الملك اي له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء
قدير اي من الممكنات الذي خلق الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل
الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الاخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان
وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشيا كانت في الابتداء في حكم الاموات كالتراب والنطفة
والعلقة ونحو ذلك ثم اعترضت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا
يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء انثى لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل فحيي
وقيل ان الموت صفة وجودية متضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية
وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه يسمى
الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة

في دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد في الدنيا ولم يصل اليه الثواب في الآخرة ليبلوكم
اي ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت ايكم احسن عملا روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا اخلصه واصوبه
فانه لا يقبل العمل اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا وهو العزيز اي الغالب
المنتقم ممن عصاه الغفور اي لمن تاب اليه ورجع عن اساءته قوله تعالى الذي خلق سبع سموات
طباقا يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سما مقببة على الاخرى وسما الدنيا كالقبة على
الارض قال كعب الاحبار سما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمر ابيض والثالثة حديد والرابعة
صفر او قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين السماء السابعة والحجب
السبعة صحارى من نور ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي ما ترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من
اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة مستوية فارجع البصر اي كرر النظر
هل ترى من فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع البصر كرتين قال ابن عباس مرة بعد مرة ينقلب
اي ينصرف اليك البصر خاسئا اي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى وهو حسير اي كليل
منقطع لم يدرك ما طلب ولقد زينا السماء الدنيا اي الادنى من الارض وهي التي يراها الناس بمصابيح
اي بالكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم
لثلاث زينة للسما وعلامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين فهو قوله وجعلناها
رجوما للشياطين قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل
الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين
الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكوكب شعل
نور يرمى بها الشيطان تلك الشعلة وهي الشهب ومثله كمثل قبس يوخذ منه النار وهي
على حالها واعتدنا لهم اي واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا
عذاب السعير اي في الآخرة وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم اي ما هو العذاب مختص بالشياطين
بل لكل من كفر بالله من الانس والجن عذاب جهنم وبئس المصير ثم وصف جهنم فقال تعالى اذا القوا
فيها سمعوا لها شهيقا هو اول صوت نهيق الحمار وذلك افظع الاصوات وهي تفور اي تغلي بهم
كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل تكاد تميز اي تتقطع من الغيظ
من تغيظها عليهم كلما القي فيها فوج اي جماعة سالهم خزنتها يعني سوال توبيخ وتقريع الم ياتكم
نذير اي رسول ينذركم قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا يعني للرسل ما نزل الرحمن الله
من شيء وهذا اعتراف منهم بان الله ازاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله
من شيء ان انتم الا في ضلال كبير فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل
والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير وقالوا
لو كنا نسمع اي من الرسل ونحو ما جاءوا به او نعقل اي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع
الهدى او نعقله فنعمل به ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم هو في معنى الجمع اي
بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء فسحقا اي بعدا لاصحاب السعير قوله عز وجل
ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون ربهم ولم يروه فيومنون به خوفا من عذابه لهم مغفرة

اي لذنوبهم ٥ واجر كبير يعني جزاء اعمالهم الصالحة ٥ واسروا قولكم او اجهروا به قال ابن عباس نزلت
في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا
قولكم كي لا يسمع اله محمد فاخبر الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى انه عليم بذات الصدور ثم اكد ذلك
بقوله تعالى الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم الله ما في صدور من خلق
وهو اللطيف اي باستخراج ما في الصدور ٥ الخبير بما فيها من الشر والوسوسة قوله تعالى هو الذي جعل
لكم الارض ذلولا الذلول المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها
وغلظها ٥ فامشوا في مناكبها امر اباحة وكذا قوله وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها واطرافها
ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها
وهو ابلغ في التذليل ٥ وكلوا من رزقه اي مما خلق الله لكم في الارض ٥ واليه النشور اي واليه تبعثون
من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أأمنتم من في السماء قال ابن عباس يعني عقاب من في
السماء ان عصيتموه ٥ ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور اي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى
ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف حتى يقلبهم الى اسفل وتعلو الارض عليهم وتمور
فوقهم اي تجيء وتذهب ٥ ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي ريحا ذات
حجارة كما فعل بقوم لوط ٥ فستعلمون اي عند الموت في الاخرة كيف نذير اي انذاري اذا
عاينتم العذاب ٥ ولقد كذب الذين من قبلهم اي من كفار الامم الماضية ٥ فكيف كان
نكير اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ٥ ويقبضن اي ويضممن اجنحتهن
اذا ضربن بها جنوبهن بعد البسط ٥ ما يمسكهن اي في حال القبض والبسط الا الرحمن ٥
والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها في الجو الا بامساك الله اياها وحفظه
لها ٥ انه بكل شيء بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية ٥ ام من هذا الذي هو جند لكم استفهام
انكار اي لا جند لكم ٥ ينصركم اي يمنعكم ٥ من دون الرحمن اي من عذاب الله قال ابن عباس اي
من ينصركم مني ان اردت عذابكم ٥ ان الكافرون الا في غرور اي من الشيطان يغرهم بان العذاب
لا ينزل بهم ٥ ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان امسكه الله
عنكم ٥ بل لجوا اي تمادوا ٥ في عتو اي تمرد وتكبر ٥ ونفور اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن
فقال تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اي راكبا راسه في الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر
يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة ٥ اهدى
اي هو اهدى ٥ ام من يمشي سويا اي قائما معتدلا يبصر الطريق ٥ على صراط اي وهو على صراط
مستقيم يعني المؤمن يمشي يوم القيامة سويا ٥ قل هو الذي انشاكم اي خلقكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة يعني انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم
بما ابصرتموه ولا تاملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت له فلهذا
قال قليلا ما تشكرون وذلك لان شكر نعم الله صرفها في وجه مرضاته فلما صرفتموها في غير مرضاته فكانكم
ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها ٥ قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم في الارض

واليه تحشرون اي يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة ٥ ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين لهذا السؤال يحتمل وجهان احدهما انه سوال عن نزول العذاب بهم والثاني
انه سوال عن يوم القيامة فاجاب الله عن ذلك بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين اي ما اضافه
العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحي اليه ٥ فلما راوه يعني العذاب في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل
يعني العذاب ببدر زلفة اي قريبا ٥ سيئت وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى
قبحت وجوههم بالسواد ٥ وقيل لهم اي وقالت لهم الخزنة ٥ هذا اي العذاب الذي كنتم به تدعون من الوعد
اي تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اي تدعون انه باطل ٥ قل يا محمد لمشركي
مكة الذين يتمنون هلاكك ٥ ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي من المؤمنين ٥ او رحمنا اي فابقانا واخر
في اجالنا ٥ فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الآية قل ارايتم قل
ارايتم ان اهلكني الله فعذبني ومن معي او رحمنا اي فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا
لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل
لهم في الانكار عليهم ٥ هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا اي نحن عبدناه وامنا به ٥ وانتم كفرتم
به ٥ فستعلمون اي عند معاينة العذاب ٥ من هو في ضلال مبين اي نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم
ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا قيل يريد
زمزم وقيل غيرها من المياه ٥ غورا اي غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الايدي والدلاء ٥ فمن ياتيكم
بماء معين اي طاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلاء وقال ابن عباس معين اي جار والمقصود من
الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا
في الارض فمن ياتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون ما لا
يقدر على شيء اصلا شريكا في العبودية فهذا محال والله اعلم

تفسير سورة ن والقلم مكية

وهي اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن والقلم
قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن
الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال
فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن عباس ن والقلم وما يسطرون قيل ان اسم النون بهموت وقيل
ليوثا وقيل لوتيا وعن علي اللوث قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها
سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع حتى ضبطها
فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون
الف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاحدر الله ياقوتة خضراء من اعلى
درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدما
الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا
تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع

سموات وسبع ارضين فاستقرت قوايم الثور وهي الصخرة التي قال لقمن لابنه فتكن في صخرة فلم تكن الصخرة مستقرة فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وساير جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت التي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا ان يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان ن هو الدواة ومنه قول الشاعر اذا ما الشوق برح بي اليهم القت النون بالدمع السجام اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان ن حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الر حم ن وقيل هو هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة والقلم هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق بنصفين ثم قال اجر بما هو كاين الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه وما يسطرون اي وما يكتب الحفظة من اعمال بني ادم وقيل ان جملت القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون اي به في اللوح المحفوظ ويكون الجمع في يسطرون للتعظيم لا للجمع ما انت يا محمد بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بنعمة ربك بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعم الله تعالى كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون وان لك لاجرا غير ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد غبس كواسب ما يمن طعامها اي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرايع لهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق هو قوة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة لذي صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل

في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سئلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من اوامر وينتهي عنه من نواهيه والمعنى وانك على الخلق الذي امرك الله به في القران وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال م عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم اخرجه ابو داود وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وله عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احسنكم اخلاقا ق عن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنه خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احسنكم اخلاقا ق عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عنه قال ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية وتجيبه اذا دعى وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو ينزع يده ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له اخرجه الترمذي ق عن عايشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله ق عن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله

الوني عنك فما التفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء ق عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير وهو فطيم كان اذا جانا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير
كان يلعب به النغير طاير صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار عن الاسود قال سالت عايشة ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت كان يكون في مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضا ويخرج
الى الصلاة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه الترمذي قوله تعالى فستبصر اي يا محمد ويبصرون يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب بايكم المفتون
قال ابن عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في اي الفريقين
المجنون في فريقك ام في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم
بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي والمجنون والعاقل
فلا تطع المكذبين يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين ابايه فنهاه الله ان يطيعهم ودوا لو تدهن
فيدهنون اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن
في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الاية انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه
مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون
ودوا لو تعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة ولا تطع كل حلاف اي كثير الحلف بالباطل مهين اي
ضعيف حقير وقيل هو من المهانة وهو قلة الراي والتميز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان
الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث
وقيل هو الاخنس بن شريق هماز اي مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل
هو الذي يغمز باخيه في المجلس مشاء بنميم اي قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس مناع
للخير اي بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لين دخل
واحد منكم دين محمد لا انفعه بشي ابدا معتد اي ظلوم يتعدى الحق اثيم اي فاجر يتعاطى الاثم
عتل اي غليظ جاف وقيل هو الفاحش الخلق السي الخلق وقيل هو السي الخلق وقيل هو الشديد
في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل هو الاكول الشروب القوي الشديد
لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا في النار دفعة واحدة بعد ذلك زنيم
اي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم وقال ابن عباس
يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي
له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة
في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله تعالى وصف احدا
ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة ان كان ذا مال
وبنين قري على الخبر ومعناه ولا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اي لا تطعه لماله وبنيه وقري
آان كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه الان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
اي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر باياتنا وقيل لين كان ذا مال وبنين تطيعه
او نحوه فقال تعالى سنسمه على الخرطوم اي على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الاخرة وهو

سواد

سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنخطمه بالسيف وفعل ذلك به يوم بدر وقيل معناه
سنلحق به شينا لا يفارقه ابدا سنسمه ميسم سو نريد نلصق به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على
الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله تعالى انا بلوناهم اي اختبرنا اهل مكة بالقحط
والجوع كما بلونا اصحاب الجنة روي عن ابن عباس في قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال البستان
باليمن يقال له الضروان دون صنعا بفرسخين يطاه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان
لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شي تعداه المنجل فلم يجزه واذا
طرح من فوق النخل الى البساط فكل شي يسقط عن البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم
فكل شي تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شي ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه
هولاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال لقليل وان العيال لكثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان
المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذ قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم
يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى اذ اقسموا اي حلفوا
ليصرمنها اي ليقطعن ثمرها مصبحين اي اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقيل ان يعلم
المساكين ولا يستثنون اي ولم يقولوا ان شا الله وقيل ولا يستثنون شيا للمساكين من
ثمر جنتهم فطاف عليها طايف من ربك اي عذاب من ربك ولا يكون الطايف الا بالليل وهو
قوله تعالى فاصبحت اي الجنة كالصريم اي كالليل الاسود المظلم وقيل اي صرم منها الخير فليس
فليس فيها شي ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة فتنادوا اي نادى بعضهم
بعضا مصبحين يعني لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعني الثمار والزرع والاعناب ان كنتم صارمين
اي قاطعين ثماركم فانطلقوا اي مشوا اليها وهم يتخافتون اي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين اي قصد ومنع وغضب وقيل على حنق
وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة قادرين اي عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم
وبينها احد فلما راوها اي راوا الجنة محترقة قالوا انا لضالون اي لمخطيون الطريق اضللنا مكان
جنتنا وليس هذه بجنتنا بل نحن محرومون اي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين
وتركنا الاستثنا قال اوسطهم اي اعدلهم واعقلهم وافضلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون
انكر عليهم ترك الاستثنا في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار
بانه لا يقدر احد على شي الا بمشيته وعلى التفسير الثاني ان الاستثنا بمعنى لا يتركون شيا
للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم
وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناوهم سبحان وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه
على ما اعطاكم من نعمه قالوا سبحان ربنا معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم
بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اي بمنعنا المساكين حقوقهم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي
يلوم بعضهم على بعض قالوا يا ويلنا نادوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اي في منعنا
حق الفقرا والمساكين وقيل معناه طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع اباونا
من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود

بلغنا ان القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل
البغل منها عنقودا قال الله تعالى كذلك العذاب اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا
ويخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر الله تعالى بما اعد الله تعالى للمتقين
فقال عز وجل ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم اي عند ربهم في الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون
قال المشركون انا نعطى في الآخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين كالمجرمين
يعني ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائز فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على
سبيل الانكار والاستبعاد قال لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون يعني هذا الحكم المعوج ام لكم
كتاب اي انزل من عند الله فيه اي في ذلك الكتاب تدرسون اي تقرؤون ان لكم فيه اي في ذلك الكتاب
لما تخيرون اي تختارون وتشتهون ام لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة
عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا الى يوم القيامة اي لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة ان لكم
اي في ذلك العهد لما تحكمون اي لانفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
سلهم ايهم بذلك زعيم اي كفيل لهم بان لهم في الآخرة ما للمسلمين ام لهم شركاء بل الهم شركاء يعني ما كانوا
يجعلون لله شركاء وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء لله وقيل معناه ام لهم شهداء يشهدون
بصدق ما ادعوه فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي في دعواهم يوم اي فليأتوا بشركائهم في ذلك
اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يكشف عن ساق اي عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد
ساعة في القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة
شمر عن ساقه اذا قام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل
ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان
العرب اما سمعتم قول الشاعر سن لنا قومك ضرب الاعناق وقامت الحرب بنا على ساق
ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى فمنها ما انشد
ابو عبيدة لقيس بن زهير فاذا شمرت عن ساقها حرب ربيع فلا تسام ومنها قول
جرير الا رب سامي الطرف من آل مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقد كثر مثل
هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد ق عن ابي سعيد الخدري ان
ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية
القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في رؤية الله يوم القيامة
الا كما تضارون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد فلا
يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من
كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير
ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار
اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم تدعى
النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة

ولا ولد

ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى
النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر
اتاهم الله في ادنى صورة من التي رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا
الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله
شيئا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون
نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان
يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم
وقد تحول في صورته التي رأوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل
الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب
وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح
وكالطير وكاجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا
خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق
من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون
فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف
ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به
ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا به احدا ثم يقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا
ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل
شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار
فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة
فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر
وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله
الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم تقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون
ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل
من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري نحوه بمعناه فصل
في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتي الكلام في موضعها ان
شاء الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة
رأوه فيها وفي رواية ابي هريرة فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون
نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول
انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اعلم ان لهذا الحديث

من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو مذهب معظم السلف
او كلهم انه لا نتكلم في معناها بل نقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع
اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات
المخلوق وهذا القول هو مذهب معظم السلف او كلهم انه لا يتكلم في معناها بل معولون جماعة من المتكلمين
واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر
لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا
الباب والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين انها تأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ
تاويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله ان الاتيان عبارة عن
رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن
الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله سماه اتيانا وقيل المراد بياتيهم الله اي ياتيهم بعض ملائكته قال
القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي
انكروها من سمات الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة اي
بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا اخر امتحان
المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم راوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه
ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله في صورته
التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي
يعلمونها ويعرفونها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم يرونه لا يشبه
شيئا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها
اياه ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد اتاهم الله في ادنى صورة من
التي راوه فيها معنى راوه فيها اي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهي انه لا يشبهه شيء وقولهم نعوذ بالله
منك لا نشرك بالله شيئا انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم راوا سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق
وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتابه الاسماء والصفات قال ابو سليمان
الخطابي يحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف عن الشدة والضبط
يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم
وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز
وهو شامي ياتي باحاديث منكرة لا يتابع عليها ومولى عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده مجهول ايضا
وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي
عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة
وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله علامة للمؤمنين خارجة عن الساق المعتادة وقيل معناه
كشف الخوف وازالة الرعب وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك
ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيمة غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة

اولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان للعباد وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا اذن
الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من
الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اي فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون
رؤوسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة معناه ثم يرفعون رؤوسهم وقد ازال المانع لهم من
رؤيته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو
الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها
قوله دحض مزلة اي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف
الشيء وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق فيها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت
له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم معناه
انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شيء اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكدس اي يلقى
ويسقط في جهنم وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر ممدود
على متن جهنم وهو ادق من الشعر واحد من السيف يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على
حسب منازلهم واعمالهم والاخرون يسقطون في جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله
يوم القيمة في الشفاعة لاخوانهم الذين في النار وقوله من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال
نصف دينار من خير ومثقال قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح
ان معناه شيء زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا التجزي لشيء زائد عليه
من عمل صالح وذكر خفي وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله او نية صادقة
ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقوله للمؤمنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب خير
وقوله تعالى شفعت الملائكة وهو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد
الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد
الايمان ومعنى فيقبض قبضة اي جماعة قوله قد عادوا حمما اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر في
افواه الجنة جمع فوهة وهي اول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم
قيل معناه انه يعلق في رقابهم اشياء من ذهب او غير ذلك يعرفون بها والله اعلم قوله تعالى
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون يعني الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصيا صي البزاد
كصحيفة نحاس فلا يستطيعون السجود خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وذلك ان المؤمنين
يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء
وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وحسرة وندامة وقد كانوا يدعون الى السجود
يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة
حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون يعني انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلا ياتونها قال كعب
الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث اي دعني والمكذبين بالقرآن وخل بينهم وبيني ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الي

فاني الكفيل اياهم سنستدرجهم اي سنا خذهم بالعذاب من حيث لا يعلمون فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر
وقيل في معنى الآية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم
يحسبونه تفضيلا لهم على المومنين وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة
ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة
وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم ان كيدي متين اي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال
فيكون بمعنى الاستدراج المودي الى العذاب ام تسالهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون
المغرم الغرامة والمعنى اطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان
ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي اعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام
على سبيل الانكار فاصبر لحكم ربك اي اصبر على اذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ باية السيف
ولا تكن اي في الضجر والعجلة كصاحب الحوت يعني يونس بن متى اذ نادى ربه في بطن الحوت وهو
مكظوم اي مملو غما لولا ان تداركه نعمة من ربه اي حين رحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء اي لطرح بالفضاء
من بطن الحوت الى الارض وهو مذموم اي يذم ويلام بالذنب وقيل في الآية لولا نعمة ربه للبث في بطن الحوت
الى يوم القيمة ثم نبذ بعرا يوم القيمة اي بارض وفضايها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه
كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه
ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيات المقربين الثالث
لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله فاجتباه ربه والفا للتعقيب اي اصطفاه
ورد عليه الوحي وشفعه في قومه فجعله من الصالحين اي النبيين قوله تعالى وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت
قريش اليه وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان كانت الناقة
او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذ المكتل والدرهم فاتينا من لحم هذه فما تبرح
حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا ياكل يومين او ثلثة ثم يرفع جانب خبايه فتمر
الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب قليلا حتى تسقط منها عدة فسال
الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه
صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك
وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك
عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما ارادوا انهم ينظرون اليك اذا قرات القرآن نظرا شديدا
بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد ياكلني يدل على
صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد
الكراهية يحدون النظر اليه بالبغضاء ويقولون انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرا
القرآن قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القرآن الا ذكر للعالمين قال ابن عباس موعظة للمومنين
قال الحسن دوا من اصابة العين ان يقرا الانسان هذه الآية ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته واذا استغسلتم فاغسلوا عن عبيد
ابن رفاعة الزرقي ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم
قال نعم ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر هذا
الحديث جماهير العلما وقالوا العين حق وانكره طوايف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى
ليس مخالفا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقل واذا اخبر
الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد
عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العاين لشخص آخر فيوثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله
ولو كان شي سابق القدر سبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشيا كلها بقدر الله
ولا تقع الا على حسب ما قدرها الله تعالى وسبق بها علمه ولا يقع ضرر العين ولا غيره من الخير والشر
الا بقدر الله وفيه صحة اثر العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله اعلم

تفسير سورة الحاقة مكية

وهي اثنان وخمسون اية ومايتان وست وخمسون كلمة والف واربعة وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

الحاقة يعني القيمة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان
فيها تحق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي
حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي تحق على القوم اي تقع بهم ما الحاقة وما ادراك ما
الحاقة اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر
لا يبلغه دراية احد ولا فكره وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد
بالقارعة قال ابن عباس بالقيمة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت
بالعذاب الذي اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي بطغيانهم
وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة
التي عقروا الناقة فاهلكت ثمود بسببهم واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت
في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصرد التي هي فيها البرد وكانها تحرق لشدة
بردها عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار
فلم يعرفوا كم خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة
سخرها عليهم اي ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان ذلك كان بسبب اتصال الكواكب ومشيته
فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين الله ان ذلك كان بقضايه وقدرته لا باتصال الكواكب
سبع ليال وثمانية ايام قال وهب هي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ايام ذات برد ورياح
شديدة وسميت عجوزا لانها تاتي في عجز الشتا وقيل ان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا
فتبعتها الريح حتى قتلتها حسوما اي متتابعة دايمة ليس لها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت
عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شوما وقيل لهذه
الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها وقيل الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال
فلم تبق منهم احدا فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام صرعى اي هلكى جمع صريع فشبههم

الموت كأنهم أعجاز نخل خاوية أي ساقطة وقيل خالية الأجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس
لها رؤوس فهل ترى لهم من باقية أي من نفس باقية وقيل إنهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله
أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فألقتهم في البحر ولم يبق منهم أحد قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرئ
بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أي
ومن قبله من الأمم الكافرة والمؤتفكات يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الأمم الذين
ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله بالخاطئة أي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك فعصوا رسول ربهم قيل يعني
موسى بن عمران وقيل لوطا والأولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم الخبر عن ذكر الأمتين جميعا
فأخذهم أخذة رابية يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الأمم إنا لما طغى
الماء أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان حملناكم
في الجارية أي السفينة التي تجري في الماء لنجعلها أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح
ونجاة من حملنا معه لكم تذكرة أي عبرة وموعظة وتعيها أي تحفظها أذن واعية أي حافظة
لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت ووعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون
عبرة وعظة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الأذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل فإذا
نفخ في الصور نفخة واحدة يعني النفخة الأولى وحملت الأرض والجبال أي رفعت من أماكنها فدكتا دكة
واحدة أي كسرتا وفتتا حتى صارت هباء منبثا والصيغة عائدة إلى الأرض والجبال فعبر عنها بلفظ
الاثنين فيومئذ وقعت الواقعة أي قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية أي ضعيفة
لتشققها والملك يعني الملائكة على أرجائها يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم يتشقق منها
قال الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ أي فوق رؤوسهم يعني الحملة يومئذ أي يوم القيامة ثمانية يعني ثمانية أملاك
جاء في الحديث أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الأوعال بين أظلافهم إلى ركبهم
كما بين سماء إلى سماء الأوعال تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال إن الصخرة التي تحت الأرض السابعة
ومنتهى علم الخلق على أرجائها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه إنسان ووجه أسد
ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والأرضين ورؤوسهم تحت العرش وعن
عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الإنسان ومنهم من صورته على صورة
النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الأسد وعن ابن عباس قال
صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في شيء من الشعر فقال رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر
للأخرى وليث مرصد فقال صلى الله عليه وسلم صدق وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي
أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة
عام أخرجه أبو داود بإسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم
قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إذ مرت سحابة فنظر إليها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا
والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض قالوا لا والله ما ندري قال فإن بعد ما بين

إما قال واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة والتي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات
كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال
بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أعلاه وأسفله مثل ما بين السماء
إلى السماء والله عز وجل فوق ذلك أخرجه الترمذي وأبو داود وزاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم
شيء عن ابن مسعود رضي الله عنه ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وأرض خمسمائة عام
وبصر كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء
مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة
وغيرهما موقوفا على ابن مسعود وقال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف
سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين أخمص أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن
كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمرو
قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش
ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروي عن ابن عباس في قوله فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من
الملائكة لا يعلم عدتهن إلا الله عز وجل يومئذ تعرضون أي على الله تعالى للحساب لا تخفى منكم خافية أي فعلة
خافية والمعنى أنه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وإن عرضكم يومئذ عليه فيه المبالغة والتهديد
وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا في الدنيا فإنه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون
بحسناتهم والمسيئون يحزنون بإساءتهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس
يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه
وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم
عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم أي
تعالوا اقرؤوا كتابيه والمعنى أنه لما بلغ الغاية من السرور وعلم أنه من الناجين بإعطاء كتابه بيمينه
أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لأهله وأقربائه إني ظننت أي علمت وأيقنت
وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام أني ملاق حسابيه
أي في الآخرة والمعنى أني كنت في الدنيا أستيقن أني أحاسب في الآخرة فهو في عيشة راضية أي في حالة
من العيش مرضية وذلك بأنه لقي الثواب وأمن من العقاب في جنة عالية رفيعة قطوفها دانية
أي ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما أو قاعدا أو مضطجعا يقطفها كيف شاء كلوا أي
يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم أي بما قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية
أي الماضية يريد أيام الدنيا وأما من أوتي كتابه بشماله قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره
ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها فيقول
يا ليتني لم أوت كتابيه وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح أعماله مثبتة عليه تمنى أنه لم يؤت كتابه لما حصل
له من الخجل والافتضاح ولم أدر ما حسابيه أي لم أدر أي شيء حسابي لأنه لا طائل ولا حاصل
له وإنما كله عليه لا له يا ليتها كانت القاضية تمنى أنه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها
في الدنيا كانت الفارغة من كل ما بعدها والقاطعة للحياة أي ما أحيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء عنده أكره

يوم القيمة

اليه من الموت في الدنيا لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من الموت ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع عني ليساري ومالي
من العذاب شيا هلك عني سلطانيه اي ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عني حجتي حين شهدت
علي الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا
خذوه اي يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه فغلوه اي اجمعوا يده الى عنقه ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه معظم
النار لانه كان يتعاظم في الدنيا ثم في سلسلة وهي حلق منتظم كل حلقة منها في حلقة ذرعها اي مقدارها
والذرع التقدير بالذراع سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا
كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون
ذراعا وقال الحسن الله اعلم اي ذراع هو عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان
رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل
الليل ولو انها ارسلت في راس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الرصاص الحجر الصغير وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة
قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشرف الاعضاء وقال كعب لو جمع حديد الدنيا ما
وزن حلقة منها وقوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها قال ابن عباس يدخل في دبره ويخرج من منخره
وقيل تدخل في فيه ويخرج من دبره انه كان لا يؤمن بالله العظيم اي لا يصدق بوحدانيته وعظمته
ولا يحض على طعام المسكين اي ولا يحث نفسه على اطعام المساكين ولا يامر اهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم
في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن في هذه الاية ادركت اقواما يعزمون
على اهليهم ان لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يامر امراته بتكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام فليس له اليوم هاهنا حميم اي ليس له في الاخرة قريب ينفعه
ويشفع له ولا طعام الا من غسلين يعني صديد اهل النار ماخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم
وقيل هو شجر ياكله اهل النار لا ياكله الا الخاطئون اي الكافرون قوله عز وجل فلا اقسم قيل ان لا
صلة والمعنى اقسم وقيل لا هاهنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه
قال لا اقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم وقوله بما تبصرون وما لا تبصرون
يعني بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون ولا تشاهدون اقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات
والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والاخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض وما لا تبصرون
اي ما في بطنها وقيل ما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل ما تبصرون
يعني الانس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل ما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون
النعم الباطنة وقيل ما تبصرون هو ما اظهر الله من مكنون علمه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه
وما لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه
يعني القرآن لقول رسول كريم يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام
فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما
وصفوا بها محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه هاهنا سوال وهو ان جمهور الامة وهم اهل
السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى
لانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول لانه هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل

من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول الرسول المبلغ
عن الله تعالى وفي الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به من ان يقول عن الله وقوله تعالى وما هو بقول شاعر وما هو من ضرب
الشعر ولا تركيبه قليلا ما تؤمنون اراد بالقليل نفي ايمانهم اصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القرآن
من عند الله تعالى ولا بقول كاهن اي وليس بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون
يعني لا تتذكرون البتة تنزيل من رب العالمين وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب
العالمين ليزول هذا الاشكال قوله تعالى ولو تقول اي اختلق علينا محمد بعض الاقاويل يعني واتى بشيء من عنده
لنفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه لاخذنا منه باليمين يعني لاخذناه وانتقمنا منه باليمين اي بالحق
وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة وقال الزجاج وقال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن اذا ما راية رفعت
لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه والمعنى لاخذنا منه
اليمين اي سلبنا القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الاية لاذللناه واهناه كفعل السلطان
بمن يريد اهانته يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانها اشرف العضوين
ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر
حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالراس قال ابن قتيبة
لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه
لو كذب علينا لامتناه فكان بحق وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بالواسطة اقامة
الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما بان نسلب
عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته فما منكم من
احد عنه حاجزين اي مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلف الكذب علينا
لاجلكم مع علمه انه لو تكلفه لعاقبناه ولا تقدرون انتم على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع
وهو نعت لاحد ردا على معناه وانه يعني القرآن لتذكرة وذلك لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة
جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى لتذكرة اي لعظة للمتقين اي لمن اتقى عقاب
الله وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعني القرآن لحسرة على الكافرين
يعني يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يروا من ثواب من آمن به وانه لحق اليقين
معناه انه حق يقين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم
اي نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه اليك والله اعلم

تفسير سورة سال سايل وتسمى المعارج

مكية وهي ثمان وعشرون اية ومايتان واربع وعشرون كلمة وسبع مايه وتسعة وعشرون حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

سال سايل قرئ بغير همز وفيه وجهان الاول انه لغة في السوال والثاني انه من السيل ومعناه
اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقرئ سال سايل بالهمز من
السوال بعذاب قيل الباء بمعنى عن اي عن عذاب واقع اي نازل وكاين وعلى من ينزل
ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا له ذلك للكافرين وذلك ان اهل مكة لما خوفهم
النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا محمدا فسالوه
فانزل الله تعالى سال سايل بعذاب واقع للكافرين اي هو للكافرين وقيل الباء صلة ومعنى الاية دعا داع وطلب

طالب عذابا واقع للكافرين اي على الكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فنزل به ما سال فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له اي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه او لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة لان العذاب واقع بهم في الاخرة لا يدفعه عنهم دافع من الله اي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ذي المعارج قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل ذي العلو والفواضل والنعم وذلك لان لافضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملائكة والروح يعني جبريل عليه السلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لفضله وشرف منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التهويل والتخويف افرد الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملائكة اليه اي الى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني ادم لصعد من منتهى امر الله من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله من فوق السماء السابعة لما صعد في اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك في ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكروا ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيمة قال الحسن هو يوم القيمة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وليس يعني ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيمة له اول وليس له اخر لانه يوم ممدود لا اخر له ولو كان له اخر لكان منقطعا وهذا الطول في حق الكفار دون المومنين قال ابن عباس يوم القيمة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي بسنده عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة وقال عطاء يفرغ الله عز وجل في نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي قال الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيمة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سال سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتاخير فاصبر اي يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا يعني لا جزع فيه وهذا قبل ان يومر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم يرونه يعني العذاب بعيدا اي غير كائن ونراه قريبا اي كائنا لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير في يرونه يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السماء كالمهل اي كعكر الزيت وقيل كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اي الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذوات الوان احمر وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا ولا يسال حميم حميما اي لا يسال قريب قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يساله الشفاعة او لا يساله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسئله في الدنيا وذلك لشدة الامر

وهو يوم القيمة يبصرونهم اي يرونهم وليس في القيمة مخلوق من جن وانس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يسئله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يساله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم اي يعرفونهم اما المومن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر فيعرف بسواد وجهه يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ اي من عذاب يوم القيمة ببنيه وصاحبته اي زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقرباءه الاقربين التي تؤويه اي تضمه وياوي اليها ومن في الارض جميعا ثم ينجيه اي ذلك الفداء من عذاب الله كلا اي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدا فقال تعالى انها لظى يعني النار ولظى اسم من اسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اي تتلهب نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع اللحم دون العظم وقيل تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دابها وقيل المكارم خلقه ومحاسن وجهه واطرافه تدعو يعني النار الى نفسها من ادبر اي عن الايمان وتولى اي عن الحق فتقول الي يا مشرك الي يا منافق الي الي قال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اي تعذب قال اعرابي لاخر دعاك الله اي عذبك الله وجمع فاوعى يعني جمع المال في الوعاء ولم يود حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره قيل المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله تعالى فقال عز وجل الا المصلين وهذا استثناء الجمع من الوحدان لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دائمون يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان ياتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارتياد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ما سوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخضوع واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة ويخاف ان لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سوال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيئاتها لما روى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سالنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في اموالهم حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هو صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في اوقات معلومة للسائل يعني الذي يسال الناس والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين

اي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيمة ○ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون
ثم اكد ذكر الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مامون يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات
كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغي قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون
العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره
في سورة المومنين ○ والذين هم بشهاداتهم قايمون اي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها
وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت
وتضيع وقيل اراد بالشهادة ان الله واحد لا شريك له ولهذا عطف عليها والذين هم على
صلاتهم يحافظون ثم ذكر ما اعد لهم فقال تعالى اولئك من هذه صفته في جنات مكرمون قوله تعالى
فما للذين كفروا اي فما بال الذين كفروا قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم ومديمي النظر اليك
متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ولا ينتفعون
به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك عن اليمين
وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعات في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل
جنة نعيم قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبيي كلا
لا يدخلها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من الاشيا المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله
الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشي واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى
البغوي باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها
اصبعه فقال يقول الله عز وجل بني ادم اني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك
ومشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني
اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من اجل ما
يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم
كالبهائم بلا علم ولا عقل ○ فلا اقسم يعني فاقسم وقد تقدم بيانه ○ برب المشارق والمغارب يعني مشرق
كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه ○ انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه
انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله ○ وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين عن
اهلاككم وابدالكم بمن هو خير منكم ○ فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ○ ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون نسختها اية القتال ثم ذكر ذلك اليوم فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور
سراعا الى اجابة الداعي ○ كانهم الى نصب يعني الى شي منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ نصب
بضم النون والصاد وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها ○ يوفضون اي يسرعون ومعنى الاية انهم
يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى اصنامهم ليستلموها
خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة ○ ترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان ○ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
يعني يوم القيمة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة نوح عليه السلام مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا ارسلنا
نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان خوف قومك وحذرهم من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني
الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يومنوا ○ قال يا قوم اني لكم نذير مبين
اي انذركم وابين لكم ○ ان اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا به شيا واتقوه اي وخافوه بان تحفظوا انفسكم
مما يوثمكم ○ واطيعون اي فيما امركم به من عبادة الله وتقواه ○ يغفر لكم من ذنوبكم اي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة
وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب ○ ويؤخركم الى اجل مسمى اي الى منتهى
اجالكم فلا يعاقبكم ○ ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون معناه يقول امنوا قبل الموت تسلموا من العذاب
فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر عنكم ولا يمكنكم الايمان ○ قال يعني نوحا عليه السلام ○ رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا اي نفارا وادبارا عن الايمان ○ واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليومنوا
اي ليؤمنوا بك فتغفر لهم ○ جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا دعوتي ○ واستغشوا ثيابهم اي غطوا
وجوههم بثيابهم لئلا يروني ○ واصروا اي على كفرهم ○ واستكبروا اي عن الايمان بك ○ استكبارا اي
تكبرا عظيما ○ ثم اني دعوتهم جهارا اي معلنا قال ابن عباس باعلى صوتي ○ ثم اني اعلنت لهم اي كررت لهم
الدعاء معلنا واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه ادعوه الى
عبادتك وتوحيدك ○ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ○ يرسل السماء عليكم مدرارا وذلك ان قوم
نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم
ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب
نعمه وذلك ان الاشتغال بالطاعة سبب لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا
فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجوا اليه في الدنيا وروى الشعبي ان عمر بن الخطاب
خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت
فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا
الاية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافي
تشبيها بالمجدح الذي له شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار
مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفونه وكانوا يزعمون ان من شانها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله
ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجدب
فقال استغفر الله وشكى اخر اليه الفقر وقلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار
فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى هذه الاية وقوله يرسل
السماء اي يرسل ماء السماء وذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل
اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم تحلوا حيث
ما نزل السماء يعني المطر ○ مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا
اي متتابعا ○ ويمددكم باموال وبنين اي يكثر اموالكم واولادكم ○ ويجعل لكم جنات يعني بساتين
ويجعل لكم انهارا وهذا كله مما يميل طبع البشر اليه ○ ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس اي
لا ترون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجا بمعنى الخوف والوقار والعظمة من التوقير وهو التعظيم

وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله
ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا يعني تارات حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة
الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية
الله وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا يعني بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن
نورا يعني في السماء الدنيا وقوله فيهن هو كما قال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل الشمس سراجا
يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا
واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا والله انبتكم من الارض نباتا يعني انه اراد مبدا
خلق ادم واصله خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر اي
انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم
انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا وصفه الله بغير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات
عجيب كامل الا بواسطة احيا الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا
موافقا لهذا المقام فظهر لهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم
فيها اي في الارض بعد الموت ويخرجكم اي منها يوم البعث اخراجا يعني اخراجا حقا لا محالة
والله جعل لكم الارض بساطا اي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه
لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني اي لم يجيبوا
دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء
الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الاخرة ومكروا مكرا كبارا يعني
كبيرا عظيما يقال كبير وكبار وكبار بالتشديد اعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم
احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به
والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن الهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس
في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله وقالوا يعني القادة للاتباع
لا تذرن الهتكم اي لا تتركن عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسماء
الهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قوله ولا تذرن الهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة
المذكورة هي اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا كان
اتباع هؤلاء يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم
كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشا قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم
كانوا يعبدونهم فابتدأوا عبادة الاوثان كان مبدأ ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها
على صور اولئك القوم الصالحين من المسلمين خ عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت
تعبد قوم نوح في العرب بعدا اما ود فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجرف عند سبا واما
يعوق فكانت لهمدان واما النسر فكانت لحمير لال ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما
اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم
ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم عبدت وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها

الطوفان

الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام
اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف
ونائلة وهبل لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى
ونحو ذلك من الاسماء وقد اضلوا كثيرا اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراء قوم
نوح كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا يعني ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا
وهذا دعا عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلا قلبه غيظا وغضبا عليهم فدعا عليهم
فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد
ان علم الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وقيل انه اراد بالضلال امر الدنيا
وما يتعلق بها اهلكوا امر الدين مما خطيئاتهم اغرقوا اي بالطوفان فادخلوا نارا اي في حالة واحدة وذلك في
الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة عذاب القبر
وذلك ان الفا تقتضي التعقيب في قوله اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب
الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة لانه يبطل دلالة الفا وقيل معناه انهم سيدخلون نارا في الاخرة
فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا يعني
ينصرهم ويمنعهم من عذاب الله الذي نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا يعني
احدا يدور في الارض فيذهب ويجيء من الدوران وقيل اصله من الدار اي نازل دار انك ان تذرهم
يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب
وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا
حين اخرج الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء وايبس اصلاب
الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله تعالى نوحا انهم لا
يؤمنون ولا يلدون مومنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبي
وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب رب اغفر لي وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي
وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا
على الكفار انما دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك الدعا عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما
فيه من طلب حظ النفس او لانه ترك الاحتمال ولوالدي وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه
سمحى بنت انوش وكانا مومنين وقيل لم يكن بين ادم ونوح عليهما السلام من ابائه كافر وكان بينهما
عشرة اباء ولمن دخل بيتي مومنا اي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي وللمومنين والمومنات وهذا
عام في كل مومن امن بالله وصدق الرسل انما بدا بنفسه لانه اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين
به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المومنين والمومنات ليكون ذلك ابلغ في الدعا ولا تزد الظالمين
الا تبارا اي هلاكا ودمارا فاستجاب الله دعاه فاهلكهم جميعا والله اعلم

تفسير سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمان ماية وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل

اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة
واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم
اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرايع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم
فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض
ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شريرة
محبة للشرور والافات ولا يعلم عدد انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم
صفة واحدة وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي
وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لساير انواع الاجسام في الماهية وان
يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة او شاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال
مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة
وهذا قول منكر وصاحب هذا القول منكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة
فصل واختلفت الرواية هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم
في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل
بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم
فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث
فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون
مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين
الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين
خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك
بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما اوحي
اليه قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح صحيح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه
انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادفوا
النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم
وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحي اليه من قوله قل اوحي الي واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى
وجن اخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون متعبدون
بالاحكام الشرعية على النحو الذي يليق بخلقتهم وحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس
والجن فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة ومن كذبه فهو الشيطان المبعد
من المومنين فيهم) والنار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث
وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه واخرون الى انه كان لكن اشتد لهذا المبعث وبهذا القول يرتفع
التعارض بين الحديثين هذا اخر كلام القرطبي والله اعلم عكاظ سوق معروفة بقرب مكة كان العرب
يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية واول الاسلام ونخلة كلما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت نخلة

لتعبير لها بمكة من نفاء منه معروده ونخلة واد من اودية مكة قريب منها واما التفسير فقوله تعالى هو الهم
قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا
مبعوث الى الجن ولتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القران عرفوا اعجازه فامنوا به انه استمع نفر من الجن
النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا اي لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا قرانا عجبا قال ابن عباس بليغا اي ذا عجب يتعجب منه لبلاغته وفصاحته
يهدي الى الرشد اي يدعو الى الصواب يعني التوحيد والايمان فامنا به اي بالقران ولن نشرك بربنا احدا
اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اوليك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا
وقيل نصارى وقيل مجوسا ومشركين وانه تعالى جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول
انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا اي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع
ذا الجد منك الجد اي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل
الاوه ونعماؤه على خلقه وقيل ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اي تعالى جلال ربنا وعظمته عن ان
يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس به والله تعالى منزه عن كل نقص وانه
كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا قيل هو ابليس على الله شططا اي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى
بالشريك والولد والشطط هو مجاوزة الحد في كل شيء وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
اي كنا نظن ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما
سمعنا القران علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من
شر سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم
ابن ابي السايب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذيب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا
عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة
فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الاية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس
اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا
وعظمة ويقولون سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم
وانهم ظنوا يعني الجن كما ظننتم اي يا معشر الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت
وانا يعني تقول الجن وانا لمسنا السماء اي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها
ملئت حرسا يعني من الملايكة شديدا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد منها اي من السماء
مقاعد للسمع يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان قد ملئت المقاعد
كلها فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا
من الملايكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا
عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا

متاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض
فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث
في الارض اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا
فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق
بالكلية ﴿وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض﴾ اي برمي الشهب ﴿ام اراد بهم ربهم رشدا﴾ ومعنى الآية لا ندري هل المقصود
من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم الصلاح والخير ﴿وانا منا الصالحون﴾ اي المؤمنون المخلصون
﴿ومنا دون ذلك﴾ اي دون الصالحين مرتبة قيل المراد لم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون وقيل فيهم
الكافرون ﴿كنا طرائق قددا﴾ اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد
يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن
فيهم القدرية والمرجية والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا
ذوي طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه وكنا
في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة ﴿وانا ظننا﴾ الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وايقنا
﴿ان لن نعجز الله في الارض﴾ اي لن نفوته ان اراد بنا امرا ﴿ولن نعجزه هربا﴾ اي ان طلبنا فلن نعجزه اين
ما كنا ﴿وانا لما سمعنا الهدى﴾ يعني القرآن ﴿آمنا به﴾ اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا﴾ اي نقصا من عمله وثوابه ﴿ولا رهقا﴾ يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه ﴿وانا منا المسلمون﴾ وهم
الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ومنا القاسطون﴾ اي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس
هم الذين جعلوا لله اندادا ﴿فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا﴾ اي قصدوا طريق الحق وتوخوه ﴿واما القاسطون﴾
يعني الذين كفروا ﴿فكانوا لجهنم حطبا﴾ يعني وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية
من لا يرى للمؤمن من الجن ثوابا وذلك ان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم
قلت وان لم يذكر فليس فيها متمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل
واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها
قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر على ان يعذب
النار بالنار قوله عز وجل ﴿وان لو استقاموا على الطريقة﴾ اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع
الى الجن الذي تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه
فقيل هو راجع الى الجن الذي تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى لانعمنا
عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن
على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا لوسعنا الرزق عليهم لنفتنهم فيه وقيل
الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا يعني كفار مكة
على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع يعني على طريقة الحق والايمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين
﴿لاسقيناهم ماء غدقا﴾ يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم
في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله

اصله من المطر وقوله ﴿لنفتنهم فيه﴾ اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا
اي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا
لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان
الآية في الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ اي عن عبادة ربه وقيل
عن مواعظه ﴿نسلكه﴾ اي ندخله ﴿عذابا صعدا﴾ قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل
لا يزداد الا شدة قوله تعالى ﴿وان المساجد لله﴾ يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى
فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى ﴿فلا تدعوا مع الله احدا﴾ قال
قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين
ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض
كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد
ابن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت
وان المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة
الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا
عليها لغيره م عن العباس بن عبد المطلب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد
معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء ق عن ابن عباس قال امرنا النبي
صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين
واطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر كف الشعر جمعه وغرز طرفه في اعلى الضفيرة وقوله عن
ذلك قوله عز وجل ﴿وانه لما قام عبد الله﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يدعوه﴾ يعني يعبده ويقرأ القرآن
وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ يعني يركب بعضهم على بعض ويزدحمون
عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا
الى قومهم فاخبروهم بما رأوا من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية
لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفئوا
نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة
بعضهم فوق بعض ﴿قال﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر ﴿انما ادعو ربي﴾ وذلك ان كفار
مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
انما ادعو ربي ﴿ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا﴾ اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا
اسوق اليكم رشدا انما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى ﴿قل اني لن يجيرني من الله
احد﴾ اي لن يمنعني منه احد ان عصيته ﴿ولن اجد من دونه ملتحدا﴾ اي ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا
احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه ﴿الا بلاغا من الله ورسالاته﴾ اي ففيه
الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرك من عذاب يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك
الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا مرسل
لا املك الا ما ملكت ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ يعني ولم يؤمن ﴿فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون﴾
يعني العذاب يوم القيامة ﴿فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا﴾ اهم ام المؤمنون

تعالى ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيامة ام يجعل له ربي امدا اي اجلا وغاية تطول
مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل عالم الغيب اي هو عالم ما غاب عن العباد فلا يظهر اي
فلا يطلع على غيبه احدا يعني الغيب الذي يعلمه وانفرد به احدا اي من الناس ثم استثنى فقال تعالى الا من ارتضى
من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن
الغيبيات فيكون ذلك معجزة له واية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف
اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع
على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شي من الرضا وادخله في السخط قال
الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة او موت وغير ذلك فقد كفر
بما في القرآن فاما الزمخشري فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي
وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الاية الى الصورتين واحدة فان جعل
الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال وعندي ان الاية
لا دلالة فيها على شي من ذلك والذي يدل عليه ان قوله ولا يظهر على غيبه ليس فيه صيغة عموم فيكفي
في العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون
المراد من الاية انه تعالى لا يظهر شيا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على شي من الغيبيات
غير الرسل كالكهان وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب اهل السنة اثبات
كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقايع في المستقبل
فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد كان فيما كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه
البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم
ففي هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي عن غيرها
ولا انسد طريق معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي ان المعجزة امر خارق
للعادة مع كرامة عدم المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ
لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي امر خارق
للعادة من غير دعوى وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد
للرسول متابع له فلولا نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكهان فليس يتبع للرسول
وقد انسد باب الكهانة ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جا به القران
وكذلك حكم المنجم والله اعلم وقوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه اي من بين يدي الرسول ومن خلفه
وذكر البعض دال على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترقوا
السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يستمعوا الوحي فيلقوه الى الكهان فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى
كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا يحرسونه ويطردون
الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا هذا رسول
ربك ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل

قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم محمد (الله) ان الرسل
قد بلغوا فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيجب فيه الثواب واحاط بما لديهم اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه
شي من امورهم واحصى كل شي عددا قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شي حتى مثاقيل
الذر والخردل والله اعلم

تفسير سورة المزمل مكية قيل

غير ايتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير اية وهي ان ربك يعلم انك تقوم وهي
عشرون اية ومايتان وخمس وثمانون كلمة وثمان مائة وثمانية وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف
قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اي تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم
يزمل في ثيابه اول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملوني زملوني حتى انس به وقيل خرج يوما
من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اي حاملها
والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان في اول الامر مبتدءا
ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا ايها
المزمل قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان
قيام الليل فريضة في ابتدا الاسلام الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر
القيام فقال تعالى نصفه اي ثم نصف الليل او انقص منه قليلا اي الى الثلث او زد عليه اي على النصف
الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان
الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة
ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها
بقوله فاقروا ما تيسر منه وقيل ليس في القران سورة نسخ اخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول
اولها ونزول اخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة
بالصلوات الخمس وثبت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك م
عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المومنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الست تقرا القران قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القران قلت فقيام رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ام المومنين قالت الست تقرا المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في اول
هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثني عشر
شهرا في السما ثم انزل الله التخفيف في اخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته وقوله تعالى
ورتل القران ترتيلا قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على تمهل ثلاث ايات او اربعا
او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراة حرفا حرفا اشباعا في
بعض بالمد والاشباع والتحقيق وبين ترتيلا تاكيدا في الامر وانه لا بد للقاري منه وقيل انه تعالى لما
امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القراة حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتامل والتفكر في
حقايق الايات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر

الوعد والوعيد يحصل الرجا والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك
بنور المعرفة والاسراع في القراة لا يحصل فيه ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراة

فصل خ عن قتادة قال سيل انس كيف كانت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا
ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم عن ام سلمة وقد سالها يعلى بن مالك
عن قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراة فاذا هي تنعت قراة مفسرة
حرفا حرفا اخرجه النسايي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراته يقول الحمد لله رب العالمين
ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين وفي رواية ابي داود قالت قراة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراته اية اية ق
عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة الفتح فرجع في قراته ق عن
ابي وايل شقيق بن سلمة قال جا رجل الى ابن مسعود قال اني لاقرا المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ
الشعر ان اقواما يقراون القران لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع
والسجود واني لاعرف النظاير التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين
سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي
جمع ترقوة وهو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظاير جمع نظير وهي الشبه والمثل
عن عايشة قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم باية من القران اخرجه الترمذي وللنسايي عن ابي ذر نحوه وزاد
والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم
الاسود اقراوا قبل ان يقراه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل اجره ولا يتاجله اخرجه ابو داود زاد فيه
في رواية لا يجاوز تراقيهم عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرا القران وفينا الاعرابي
والعجمي فقال اقراوا فكل حسن وسيجي اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود
عن ابن مسعود لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجايبه وحركوا به القلوب
ولا يكن هم احدكم اخر السورة قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال ابن عباس شديدا وقيل
ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شي له خطر ومقدار فهو ثقيل
والمعنى صير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما
فيه من الاوامر والنواهي فانه فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيل لما فيه من الوعد والوعيد
والحلال والحرام والحدود والفرايض والاحكام وقيل ثقيل على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم
وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ليس بالسفساف
ولا الخفيف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول متين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول
هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكم والبيان وقيل سماه ثقيلا لما
فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه كان صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه
القران والوحي يجد له مشقة ق عن عايشة ان الحرث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي

فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة ولقد رايته
ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا م عن عبادة بن الصامت
قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا انزل
عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت
الشديد الصلب اليابس من الاشيا الصلبة كالجرس ونحوه وقوله فيفصم عني اي ينفصل عني ويفارقني وقد
وعيت اي حفظت ما قال وقولها ليتفصد عني ويفارقني وقد وعيت اي حفظت ما قال وقولها ليتفصد
عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة في الالوان تغير مع سواد قوله عز وجل
ان ناشية الليل اي ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشية لانها تنشا اي تبدو قال ابن ابي مليكة
سالت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشية وهو عبارة عن الامور التي تحدث وتنشا
في الليل وقالت عايشة الناشية القيام بعد النوم وقيل هي قيام اخر الليل وقيل اوله وقيل اي
ساعة قام الانسان من الليل فقد نشا وروي عن زين العابدين بن الحسين انه كان يصلي بين
المغرب والعشا ويقول هذه ناشية الليل وقيل كل صلاة بعد عشا الاخرة فهي ناشية من الليل
وقيل ناشية الليل قيامه هي اشد وطا قري بكسر الواو مع المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك ان مواطاة
القلب واللسان والسمع والبصر يكون بالليل اكثر مما يكون بالنهار وقري وطا بفتح الواو وسكون
الطا اي اشد على المصلي واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس
اشد واثقل من صلاة النهار وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل هي اشد وطا يقول هي اجدر
ان تحصوا ما فرض الله عليكم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى يستيقظ وقيل اثبت
في الخير واحفظ للقراة من النهار وقيل هي اوطا للقيام واسهل على المصلي من ساعات النهار
لانه خلق لتفرق العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد لان الليل افرغ للقلب من النهار ولا
يعرض له في الليل حوايج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الريا وهو قوله تعالى
واقوم قيلا اي اصوب قراة واصح قولا من النهار لهداة الناس وسكون الاصوات وقيل
معناه ابين قولا بالقران والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد من الريا
واكثر بركة وابلغ في الثواب وادخل في القبول ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا
واقبالا وادبارا في حوايجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوايجك فصل
من الليل واذكر اسم ربك اي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح وتبتل اليه تبتيلا قال
ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك
واقطعها عن كل شي سواه وقيل التبتيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه
وتوكل عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل للعابد اذا ترك كل شي واقبل على العبادة قد تبتل
اي انقطع عن كل شي الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم
يجي على مصدره قلت معناه تبتل على بتل نفسك اليه تبتيلا وهو كقوله انبتكم من الارض نباتا
وقيل معنى تبتل بتل نفسك اليه تبتيلا فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل
الاصل في تبتل ان يقال تبتلت تبتلا وبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى بتل الله تبتيلا
محمول على معنى بتل الله تبتيلا وقيل انما عدل الى هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل

فوقع المصدر موقع نقايضه
في المعنى ويكون التقدير
بتل نفسك اليه تبتيلا

فاما التبتيل فهو تفعل والتشغل بالتعرف لا يكون منتبها الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله تعالى
لا يكون منقطعا اليه الا انه لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر
التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه ○ رب المشرق والمغرب يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا الى الله تعالى
الذي هو رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي فوض امرك اليه وتوكل وقيل معناه اتخذه
يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء ○ واصبر على ما يقولون اي من التكذيب لك والاذى ○ واهجرهم
هجرا جميلا اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة باية القتال ○ وذرني والمكذبين
اي دعني ومن كذبك لا تهتم به فاني اكفيكهم ○ اولي النعمة اي اصحاب النعم والترفه نزلت في صناديد
قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر ○ ومهلهم قليلا يعني الى يوم بدر فلم يكن الا
يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ○ ان لدينا اي
عندنا في الاخرة ○ انكالا يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد ○ وجحيما
وطعاما ذا غصة اي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع ○ وعذابا اليما اي وجيعا ○
يوم ترجف الارض والجبال اي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيمة ○ وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعني رملا
هايلا وهو الذي اذا اخذت منه شيا تبعك ما بعده ○ انا ارسلنا اليكم يعني يا اهل مكة ○ رسولا يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ○ شاهدا عليكم اي بالتبليغ وايمان من امن وكفر من كفر ○ كما ارسلنا
الى فرعون رسولا يعني موسى بن عمران عليه السلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر
الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم اذاه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون
ازدرى موسى واذاه لانه رباه ○ فعصى فرعون الرسول فاخذناه يعني فرعون ○ اخذا وبيلا اي شديدا
ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف بذلك كفار مكة ثم خوف كفار مكة يوم القيمة فقال تعالى
فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف لكم بالتقوى يوم القيمة اذا كفرتم في الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى
اذا وافيتم القيمة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيمة وباي شي تتحصنون من عذاب
ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذ كفرتم في الدنيا ○ يوما يجعل الولدان شيبا يعني شيوخا شمطا من
هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك ق عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيمة يا
ادم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان
تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعماية وتسعة
وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعماية وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال
انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود
او كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا
ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من ذريتك بعثا الى
النار فمعناه ميز اهل النار من اهل الجنة واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهي الاثر في
باطن عضد الحمار وقوله اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة ثم ثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة

سايلا

فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر فلفائدة حسنة
وهي ان ذلك اوقع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء
به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده
على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها واما ما يتعلق بمعنى الاية الكريمة
والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب
الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على
ظاهره الثاني انه في القيمة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيمة ليس فيها شيب وانما هو
مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم يشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان
الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبي
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم
والاحزان جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان
شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال
يبلغون سن الشيخوخة والشيب ○ السماء منفطر به وصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء مع
عظمها تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به اي بذلك
اليوم وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اي بامره وهيبته ○ كان وعده مفعولا اي كاينا لا محالة
فيه ولا خلف ○ ان هذه اي ايات القران ○ تذكرة اي مواعظ يتذكر بها ○ فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا اي بالايمان والطاعة قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل من ثلثي
الليل ○ ونصفه وثلثه اي وتقوم نصفه وثلثه ○ وطايفة من الذين معك يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه
الليل ○ والله يقدر الليل والنهار يعني ان العالم بمقادير الليل والنهار واجزايهما وساعاتهما هو
الله تعالى لا يفوته علم ما تفعلون فيعلم القدر الذي تقومون من الليل والذي تنامون منه
علم ان لن تحصوه يعني لن تطيقوا معرفته على الحقيقة وقيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم
فنزل علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه وقيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما
امر به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك ○ فتاب عليكم اي فعاد عليكم
بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم ○ فاقرؤا ما تيسر من القران
فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق
اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن
ابي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في اول ركعة بالحمد واول اية من البقرة ثم قام في الثانية
فقرا بالحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما
تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد والتقدير بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك في
حق الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك القول الثاني ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القران دراسته وتحصيل حفظه وان لا
يعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة اية ونحوها وقيل بل قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوي
باسناده عن انس انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين اية في يوم او ليلة لم يكتب

من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة
آية كتب له قنطار من الأجر ذكره الشيخ محيي الدين في كتاب الأذكار ولم يضعفه وقال في رواية من قرأ أربعين
آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر
آيات لم يكتب من الغافلين ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم
أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال فصم صوم
داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه
في عشرين قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في عشر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل
من ذلك قال فاقرأه في عشر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك
ثم ذكر الله تعالى حكمة النسخ والتخفيف فقال علم أن سيكون منكم مرضى يعني أن المريض يضعف
عن التهجد بالليل فخفف عنه لأجل ضعفه وعجزه عنه وآخرون يضربون في الأرض يعني المسافرين للتجارة
يبتغون من فضل الله أي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة وآخرون يقاتلون في سبيل الله
يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لأن المسافر والمجاهد مشتغل في النهار بالأعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل
لتوالت عليه أسباب المشقة عليهم فخفف عنهم لذلك روي عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب
شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء
ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله
فاقرؤوا ما تيسر منه أي من القرآن وإنما أعاده للتأكيد وأقيموا الصلاة أي المفروضة
وآتوا الزكاة أي الواجبة وأقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة
الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذكره بأن يخرجها من أحسن وجه من كسب طيب
ومن أكثر الأموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والإخلاص وابتغاء مرضات الله تعالى بأن يخرج والصرف
إلى المستحق وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله أي ثوابه وأجره هو خيرا وأعظم أجرا
يعني أن الذي قدمتم لأنفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه روى البغوي بسنده عن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله
أحب إليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول
الله قال ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال إنما مال
أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر واستغفروا الله أي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل
إن الله غفور رحيم أي لجميع الذنوب والله أعلم

تفسير سورة المدثر مكية

قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم ق عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة
ابن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال
أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي

فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر
وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت
فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه فإذا هو قاعد على كرسي عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة
شديدة ق عن جابر من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن
فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني
فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر إلى قوله والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت
إلى أهلي وذكره وفيه قال أبو سلمة والرجز الأوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع فإن قلت دل هذا
الحديث على أن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين
أيضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد
ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ
باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال إن سورة المدثر أول ما نزل من القرآن
فضعيف لا يعتد به وإنما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة
عن جابر ويدل عليه أيضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال فأنزل الله تعالى يا
أيها المدثر ويدل عليه أيضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب أن أول ما نزل من القرآن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فيحصل
لهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فإذا هو قاعد على عرش يريد به السرير
الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه
في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير
وروي بثائين مثلثتين بعد الجيم ومعناها فزعت منه وفرقت وقوله وحمي الوحي
وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار إذا زاد حرها وقوله
فصبوا علي ماء فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه الماء ليسكن فزعه والله أعلم وأما التفسير
فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا
على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا أيها المدثر
بدثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا
قم فأنذر أي حذرهم من عذاب ربك إن لم يؤمنوا وقيل قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام
عزم واشتغل بالإنذار الذي تحملته وربك فكبر أي عظم ربك مما يقوله عبدة الأوثان وثيابك
فطهر فيه أربعة أوجه أحدها أن يحمل لفظ الثياب والتطهير على حقيقته والثاني أن يحمل لفظ
الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن يحمل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على
الحقيقة والرابع أن يحمل لفظ الثياب والتطهير على المجاز أما الوجه الأول فمعناه وثيابك
فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك أن المشركين لم يكونوا يتصونون عنها فأمر صلى الله عليه وسلم
بصونها عن النجاسة وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك أن المشركين كانوا

يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النبي سنة في الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر بما لبس في الثوب القصير
فنهى عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة
بل تكون من وجه حلال وكسب طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة
فشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب
والريب وغيرها وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب
والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه
وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر
اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي
واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق
والوفا هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثياب والسبب في ذلك ان الثوب كالشي الملازم
للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل ان من طهر
باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى والرجز فاهجر يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك
المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ولا تمنن تستكثر
يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي
صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيئا لغيره ليطلب منه الزيادة
عليه لا بد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق
الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك ثم قيل هما ربا آن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها
الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيئا
لمن زاد الدنيا اعط لله واردد به وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا تكثر عملك
في عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين
وتبلغهم من الوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك اجرا
تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير لتستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس
بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل ولربك فاصبر اي على
طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك
حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد
القضاء لاجل الله فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى
وقيل الثانية وهو الاصح فذلك يومئذ يعني يوم النفخة الاولى ~~وقيل الثانية وهو الاصح~~ وهو يوم القيامة
يوم عسير اي شديد على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم
وتسود وجوههم غير يسير اي هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت
فائدة التكرار للتاكيد كقولك انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه
هين على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة
المؤمنين قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له
ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه فانا اكفيك

هو نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا
يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه
فقيل كان الف دينار وقيل اربعة آلاف درهم وقيل الف الف درهم وقال ابن عباس تسعة آلاف
مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار
وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر
وبنين شهودا اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب
وقيل معنى شهودا اي رجالا يشهدون معه المحافل قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد
ابن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام
وعمارة ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة
في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ثم يطمع اي يرجو ان ازيد اي ازيده
مالا وولدا وتمهيدا كلا اي لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله
وولده حتى هلك انه كان لآياتنا عنيدا اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة
والبعث والنبوة وكان منازعا منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه
وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر وافحشه سارهقه صعودا يعني ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة
له فيها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة في النار
يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا منه كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سارهقه
صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع
رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر ان يصعدها
لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد
فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه
ويضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله عز وجل انه فكر وقدر اي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبر
ورتب في قلبه كلاما وهياه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك ان الله تعالى
لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم
في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة
الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام
الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم
فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك
حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على
كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من
فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه
حتى يكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه

يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر
فهل رايتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا
اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى
الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اي في
امر محمد صلى الله عليه وسلم والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول في محمد والقران فقتل كيف قدر
اي عذب وقيل لعن كيف قدر اي عذب وقيل لعن كيف وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ
ثم قتل كيف قدر كرره للتاكيد وقيل معناه لعن على اي حال قدر من الكلام ثم نظر اي في طلب ما يدفع به
القران ويرده ثم عبس وبسر اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في شي يريده ثم ادبر اي عن الايمان
واستكبر اي حين دعي اليه فقال ان هذا اي الذي يقوله محمد ويقراه الا سحر يؤثر اي يروى ويحكى عن السحرة
ان هذا الا قول البشر يعني يسارا وجبرا فهو ياثره عنهما قال الله تعالى ساصليه اي سادخله سقر وهو
اسم من اسماء جهنم وقيل اسم درك لها وما ادراك ما سقر اي وما علمك اي شي هو سقر وانما ذكره
على سبيل التهويل والتعظيم لامرها لا تبقي ولا تذر قيل هما بمعنى كما تقول صد عني واعرض عني
وقيل لا بد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقي احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته
ثم لا تذر من لحوم اولئك شيئا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اي لا تبقي من فيها حيا
ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل
لكل شي ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي عليهم ولا تذرهم لواحة للبشر
اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود وقال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال ابن
عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا عليها تسعة عشر اي على النار تسعة
عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم
كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع
احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة
في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم
اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعني الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان
يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة بن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة
عشر على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم اثنين ويروى عنه انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط
فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى وما
جعلنا اصحاب النار الا ملائكة يعني لا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة
ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة وما جعلنا
عدتهم اي عددهم في القلة الا فتنة للذين كفروا اي ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم
هو قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هو قولهم كيف يقدر هذا
العدد القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بان افعال الله تعالى
لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر ان

هذا

هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الاحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل
الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد
فكثير لا يدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل
النار وذلك بان الله تعالى يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن
اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شي قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال
عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب يعني ان هذا العدد مكتوب
في التوراة والانجيل وانهم تسعة عشر ويزداد الذين امنوا ايمانا يعني من امن من اهل الكتاب
يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذا العدد كان موجودا في كتابهم واخبر
به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علموا ان ما حصل
له ذلك الا بالوحي السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون يعني في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب ليجمع
لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالفهم
حال اهل الشك والمرتابين من اهل الكفر والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والكافرون
يعني مشركي مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون
وهذه السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون فهو
كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا التقدير تكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع
وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من
هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني اي شي اراد الله بهذا المثل
العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم
لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك
انكاره هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا اسموه مثلا كذلك اي كما اضل من انكر عدد الخزنة
وهدى من صدق به كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال
وما يعلم جنود ربك الا هو قيل هذا جواب ابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر
والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة ما يعلم عددهم الا الله تعالى خلقهم لتعذيب
اهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية
وما هي يعني النار الا ذكرى للبشر اي الا تذكرة وموعظة للناس وقيل وما هي يعني ايات
القران ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها كلا اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه
ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا والقمر والليل اذ
ادبر اي ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرني فلان اذا جاء خلفي فالليل ياتي
خلف النهار والصبح اذا اسفر اي اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه قوله تعالى انها لاحدى الكبر يعني
ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير
وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير

للبشر قال الحسن والله ما انذر الخلق بشيء ادهى من النار وقيل لكونه نكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها
وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اي يتقدم في الخير
والطاعة او يتاخر عنها فيقع في الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن امن او كفر وقد تمسك بهذه الاية من يرى
ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعله واجيب عنه بان مشية العبد تابعة لمشية الله تعالى وقيل
اضافة المشية الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشية لله تعالى والمعنى لمن شاء
الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة في النار بكسبها وماخوذة بعملها الا اصحاب اليمين
يعني فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما
يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المومنون المخلصون وقيل
هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين ادم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم
هولاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين على انفسهم وروي عن علي بن ابي طالب
انهم اطفال المسلمين وهذا اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال
هم الملائكة في جنات اي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين اي يسالون المجرمين وعن صلة فيقولون
لهم ما سلككم في سقر قيل وهذا يقوي قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب
النار وقيل معناه يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسؤلون
للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم اي ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سوال توبيخ وتقريع
فقالوا مجيبين لهم لم نك من المصلين اي لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين اي لم نتصدق عليه وكنا نخوض
مع الخائضين اي في الباطل وكنا نكذب بيوم الدين اي الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة حتى اتانا اليقين
يعني الموت قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء
والصالحون وجميع المومنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الاية وقال عمران بن الحصين
الشفاعة نافعة لكل احد دون هولاء الذين تسمعون وروى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان
قال فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو
فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان اما تذكر فيقول ما تريد فيقول ذلك
رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه
فما لهم عن التذكرة معرضين اي عن مواعظ القران كانهم حمر جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر اي
نافرة وقرئ بالفتح اي منفرة مذعورة محمولة على النفار فرت من قسورة قيل القسورة جماعة
الرماة لا واحد لها من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هي حبال
الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور
وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت
الاسد هربت فكذلك هولاء المشركون اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة
والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شيء بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة
قال المفسرون ان كفار قريش قالوا يا رسول الله ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله

انك رسوله نومر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه ذنبه
وكفارته فاتنا بمثل ذلك كلا اي لا يوتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الاخرة اي لا يخافون
عذاب الاخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الايات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت
في الدلالة على صحة ادلة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت كلا اي حقا انه يعني القران تذكرة يعني
انه عظة عظيمة فمن شاء ذكره اي اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه وما يذكرون الا ان يشاء الله اي الا ان يشاء
الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا
عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان
يتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل
التقوى واهل المغفرة قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر
له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطيعي وليس بالقوي
في الحديث وقد تفرد به عن ثابت عن انس والله اعلم

تفسير سورة القيامة مكية

وهي اربعون اية وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

لا اقسم بيوم القيامة اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظة لا فقيل ادخال لا على القسم مستفيض
في كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر قالوا
وفايدتها توكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الرد مع اثباتها
وقيل انها صلة كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله
واجيب عنه بان القران في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجي
ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه
في سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط
وفيه ضعف ايضا لان القران في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما
بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اي ليس الامر كما زعموا
ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي
والمعنى في كانه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما له فيكون الغرض تعظيم
المقسم به وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب
فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوي بسند الثعلبي عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة
وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف
لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الايات في ذلك وقوله ولا اقسم بالنفس اللوامة
قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هي التي تندم على ما
فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت
عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول ليتني لم افعل وقال الحسن هي نفس المومن ان المومن

ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي وان الكافر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم النفوس العاصية يوم القيمة بسبب ترك التقوى وقيل هي النفس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيمة فتقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة بين يوم القيمة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيمة يظهر احوال النفوس اللوامة من الشقاوة او السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكانه قال اقسم بيوم القيمة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لا يقسم لها فان قلت المقسم به هو يوم القيمة والمقسم عليه هو يوم القيمة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيمة على وقوع القيمة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيمة وقيل لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وقيل جواب القسم قوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه ومعنى ايحسب الانسان اي ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اي لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابتداء يقدر على الاعادة نزلت هذه الاية في عدي ابن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيمة وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن به او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعني هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفس ولا يستوي الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والى الحالة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو على ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر على ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها وقيل معناه ظن الكافر انا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه اخر ما يتم به الخلق قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبل من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى ياتيه الموت وهو على اسوا احواله وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسال ايان يوم القيمة اي متى يكون يوم القيمة والمعنى ان الكافر يسال سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى فاذا برق البصر اي اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما راى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل برق ابصار الكفار عند روية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق اي شق عينيه وفتحها من البريق وهو التلالو وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوؤه وجمع الشمس والقمر يعني اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يعني الكافر المكذب يومئذ اين المفر اي المهرب وهو موضع الفرار كلا اي لا ملجا لهم يهربون اليه وهو قوله لا وزر اي لا حرز ولا ملجا ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجاوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجيت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك الناس الب علينا فيك ليس لنا الا السيوف واطراف القنا وزر ومعنى الاية انه لا شيء يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيمة يستندون اليه من النار الى ربك يومئذ المستقر يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيء وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله في اول عمره وفي اخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيمة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به عن ابن عباس في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج

من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير فقال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه
قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا بيانه ان نقرأه
قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي
صلى الله عليه وسلم كما اقرأ، وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواه البغوي من طريق البخاري
وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد
عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية التي في لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان
علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا ان نجمعه في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا انزلناه
فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه
كما وعده الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا انزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك
به لسانك ان علينا جمعه ان نجمعه في صدرك وقرآنه ان تقرأه، ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك
وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اي لتأخذه ان علينا جمعه
اي جمعه في صدرك وحفظك اياه وقرآنه اي وقراءته عليك والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير
لا تنسى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي لا يكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى
يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه انما
نزل بالوحي ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه
والقول الاول اولى لانه ليس هذا موضع الامر باتباع حلاله وحرامه والقول انما هو موضع امره بالانصات
حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي اصغى اليه
فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه ثم ان علينا بيانه اي نبينه بلسانك فتقرأه
كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال
والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على
العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى كلا اي حقا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة اي تختارون
الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة وجوه يومئذ ناضرة يعني من النضارة وهي
الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل
بيض يعلوها نور وقيل مشرقة بالنعيم الى ربها ناظرة قال ابن عباس واكثر المفسرين
تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها ان تنضر وهي تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب فقال الحسن
وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار
فقال مجاهد وابو صالح تنتظر من ربها ما امر لها وقال ابو صالح تنتظر الثواب من ربها قال
الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى
الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم ايناء صادرة
للورد طال بها حوزي وتنساسي فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في
الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب هذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد

في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون
الا تأويله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية
واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك ويكون النظر بمعنى نظر القلب
انما يجوز هذا اذا المجوز هنا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب
ولا الانتظار واذا ابطل المعنيان لم يبق لنفاة الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث
الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

فصل في اثبات الرؤية للمؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة قال علماء

اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها في الآخرة وان
المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد
من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوا خطأ صريح وجهل قبيح وقد
تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات
رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن
فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من اهل السنة
وكذلك باقي شبههم واجوبتها مستقصاة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب
اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة
المرئي ولا غير ذلك واما الاحاديث الواردة في اثبات الرؤية فمنها ما روي
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه
ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وقال وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه ق عن جرير بن عبد الله قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون
هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله
لا تضامون روي بفتح التاء وتشديد الميم وبضم التاء مع التشديد ايضا
ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم
ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم
عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا
تشبيه المرئي بالمرئي عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون
في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك اخرجه
ابو داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا قوله يا رسول الله وفوق ذلك وقوله ليس دونها سحاب قال الترمذي

وقد روي مثل هذا الحديث عن ابي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد اخرجه البخاري
ومسلم ومعنا تضارون وتضامون واحد عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه
مخليا به يوم القيمة قال نعم قلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم راى القمر ليلة البدر مخليا
به يوم القيمة قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود
عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون
شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا
احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم قوله عز وجل
ووجوه يومئذ باسرة اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت اثار النعمة والسرور منها
لما ادركها من الياس من رحمة الله وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار تظن اي تستيقن والظن هنا بمعنى
اليقين ان يفعل بها فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد
الذي يكسر فقار الظهر وبعضهم قال الفاقرة دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى
كلا اي حقا اذا بلغت يعني النفس كناية عن غير مذكور التراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة
النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشفاء على الموت ومنه قول دريد بن الصمة ورب عظيمة
دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي وقيل يعني وقال من حضره من راق اي هل من
طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من امر الله تعالى
ما نزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه
عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب
وظن اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي انه الفراق يعني الخروج من الدنيا وفراق الاهل والمال والولد
والتفت اي اجتمعت الساق بالساق اي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا مع شدة
الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الاخرة وقيل متتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه
ما هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم
من ايام الاخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا
لفتا في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند
النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى الى ربك يومئذ المساق اي مرجع
العباد الى الله تعالى يسوقون اليه يوم القيمة ليفصل بينهم قوله تعالى فلا صدق ولا صلى يعني ابا جهل
لم يصدق بالقران ولم يصل لله تعالى ولكن كذب وتولى اي اعرض عن الايمان والتصديق ثم ذهب
الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من التمطي اولى لك فاولى
هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويلك
مرة بعد مرة وهو دعا عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب واحق واولى به
يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه
اخذ بمجامع ثوب ابي جهل بالبطحا وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد
ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله

شر صرعة وقتله اسوا قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل نبي امة فرعونا وان فرعون هذه
الامة ابو جهل ايحسب الانسان ان يترك سدى اي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا
يحاسب في الاخرة الم يك نطفة اي ماء قليلا من مني يمنى اي تصب في الرحم والمعنى كيف يليق
بمن خلق من شيء مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة اي صار الانسان علقة
بعد النطفة فخلق فسوى اي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه فجعل منه
اي من الانسان الزوجين اي الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اي خلق من مائه اولادا
ذكورا واناثا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اي بقادر على اعادته بعد الموت عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله
باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده
يؤمنون فليقل امنا بالله اخرجه ابو داود وله عن موسى بن ابي عائشة قال كان رجل
يصلي فوق بيته فكان اذا قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسالوه عن
ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة هل اتى

وتسمى سورة الانسان ايضا مدنية قاله مجاهد وقتادة والجمهور وقيل
مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني
فالمكي منها قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة
وقيل ان المدني من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا ومن هذه
الاية الى اخرها مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلثون اية ومايتان واربعون كلمة
والف واربعة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان اي قد
اتى على الانسان يعني ادم عليه السلام حين من الدهر يعني مدة اربعين سنة وهو من طين
ملقى عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله ادم في الجنة تركه ما شاء الله
ان يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما راه اجوف عرف انه خلق لا يتمالك قوله يطيف
به اي يدور حوله فلما راه اجوف اي صاحب جوف وهو الذي داخله خال وقوله عرف
انه خلق لا يتمالك اي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه
وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ويروى في تفسير الاية ان ادم بقي اربعين سنة طينا واربعين
حما مسنونا واربعين صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد ماية وعشرين سنة لم يكن شيئا
مذكورا اي لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان
شيئا ولم يكن شيئا يذكر وروي عن عمر انه سمع رجلا يقرا هذه الاية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر
ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد
بالانسان جنس الانسان وهم بنو ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان فالانسان
في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدر

لم يكن شيئاً مذكوراً يعني انهم كانوا نطفاً في الاصلاب ثم علقاً ومضغاً في الارحام لم يذكر بشي انا خلقنا الانسان يعني ولد آدم من نطفة اي من مني الرجل ومني المراة امشاج اي اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المراة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المراة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المراة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشيج اي خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المراة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم نكسوه لحما ثم ننشيه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج نبتليه اي نختبره بالامر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا قيل فيه تقديم وتاخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا قيل فيه لنبتليه لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا وهو السمع والبصر الحاستان المرونتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها انا هديناه السبيل اي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال الكتب اما شاكرا واما كفورا يعني اما موحدا طايعا لله واما مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية اما مومنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما لكل الفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر فقال تعالى انا اعتدنا اي هيانا في جهنم للكافرين سلاسلا اي يشدون بها واغلالا اي في ايديهم تغل بها الى اعناقهم وسعيرا يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ان الابرار يعني المومنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع في الطاعة يشربون من كاس يعني فيه شراب كان مزاجها كافورا قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال اهل المعاني اراد كالكافور في بياضه وطيبه وبرده والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم ضر لان اهل الجنة ... فيها يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل عينا بدلا من الكافور وقيل اعني عينا يشرب بها اي يشرب منها عباد الله قال ابن عباس اولياء الله يفجرونها تفجيرا اي يقودونها حيث شاوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر لما وصف الله تعالى ثواب الابرار وصفاتهم في الدنيا التي استوجبوا بها الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر الايجاب والمعنى يوفون

بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله علي كذا وكذا من صدقة او صوم او صلاة او حج او عمرة تعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضي او قدم غايبي كان لله تعالى علي كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفا به خ عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه وفي رواية فليطعه ولا يعصيه وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذي وابو داود والنسايي ق عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي الآية دليل على وجوب الوفا بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في اهل السموات واهل الارض في اولياء الله واعدايه وقيل فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملايكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض فنشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شي على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خايفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه اي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يوثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك ان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اي لحب الله مسكينا يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب ويتيما اي صغيرا وهو الذي لا اب له يكتسب له وينفق عليه واسيرا قيل هو المسجون من اهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك كان امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ لاهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرا وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكوات والكفارات وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المراة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا فانهن عندكم عوان يعني اسرا وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا في سبب نزول الآية فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاء مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروي عن ابن عباس انها نزلت في علي بن ابي طالب وذلك انه عمل ليهودي بشي من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا منه شيا ياكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسال فاخرجوا ذلك الطعام اليه ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ اتى يتيم فسال فاطعموه ذلك ثم عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فاطعموه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة في كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى واثر على نفسه انما نطعمكم لوجه الله اي لاجل وجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير

تارة يكون لاجل الله لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة او لطلب الحمد
من الناس ولهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله الا ان فيهما شركا وريا فنفوا ذلك عنهم
بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما يعني ان احساننا
اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافاتكم عبوسا وصف اليوم بالعبوس مجاز كما يقال نهار
صايم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه
من الشدة قمطريرا يعني شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا
انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء فوقاهم الله شر
ذلك اليوم اي الذي كانوا يخافونه ولقاهم نضرة اي حسنا في وجوههم وسرورا اي في قلوبهم وجزاهم
بما صبروا اي على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار
جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير متكئين فيها اي في الجنة على الارائك جمع اريكة
وهي السرر في الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يعني لا يؤذيهم حر
الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشري قولا ان الزمهرير
هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طي وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير
ما زهر. والمعنى ان الجنة ضيا فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها اي قريبة منهم
ظلال اشجارها وذللت اي سخرت وقربت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي ياكلون من
ثمارها قياما وقعودا او مضطجعين وكيف شاوا وعلى اي حال ارادوه ويطاف
عليهم بانية من فضة واكواب قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح وكوب كانت قواريرا قواريرا
من فضة قال اهل التفسير اراد بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى ان انية اهل الجنة
من فضة بيضا في صفاء الزجاج يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير
كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير
التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج قدروها تقديرا
اي قدروا الكوس على قدر ريهم وكفايتهم لا يزيد ولا ينقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين
يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقونهم ويسقون اي في الجنة كاسا كان مزاجها زنجبيلا
قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها
المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل
في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشارا
الاري العسل والمشار المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب في معناه فكان طعم الزنجبيل
به اذ ذقته وسلافة الخمر فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب
اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس
كل ما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك ان زنجبيل الجنة ليس
كزنجبيل الدنيا عينا فيها تسمى سلسبيلا اي سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا
وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم ينبع
من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة

تسلسل في الحلق ومعنى تسمى اي توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيل صفة لا اسم ويطوف عليهم
ولدان مخلدون اي في الخدمة وقيل مخلدون مسورون ومقرطون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا نثر على البساط كان احسن منه منظوما
وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة قوله تعالى واذا رايت قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رميت ببصرك ونظرت به ثم يعني الجنة رايت نعيما اي لا
يوصف عظمه وملكا كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه
كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رب العزة من الملائكة لا يدخل عليهم الا باذنه
وهو استيذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال عاليهم اي فوقهم
ثياب سندس خضر وهو مارق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في
اسم الحرير وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا من الاقذار والاقذا
لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا بل رشحا.. ولكنه يستحيل
رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون
منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم
وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله
ما كان في قلبه من غل وحسد وغش ان هذا كان لكم جزاء اي تقال لاهل الجنة بعد دخولهم
فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم
باق لكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المومنين انه قد اعده لهم في الاخرة وكان
سعيكم مشكورا اي شكرتكم عليه واثبتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده
هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاؤه اياهم الكثير من الجزاء قوله عز وجل
انا نحن نزلنا عليك يا محمد القرآن تنزيلا قال ابن عباس متفرقا اية بعد اية ولم ينزله جملة واحدة
والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا فالحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين
والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله
اليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر ليزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار
انه سحر او كهانة فاصبر لحكم ربك اي الصادر عن حكمه محضا قيل معناه فاصبر لحكم ربك
في تاخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف اي فاصبر في كل ما حكم الله تعالى
به سوا كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء
الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ولا تطع منهم اثما او كفورا يعني وكفورا وقيل اراد به ابا جهل
وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها فقال ان رايت محمدا
يصلي لاطان عنقه وقيل اراد بالاثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر
وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى
ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور
قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس

لانه من عبيد عن الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه
عليه ﴿واذكر اسم ربك بكرة واصيلا﴾ قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة
الصبح واصيلا يعني صلاة الظهر والعصر ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى
هذا تكون هذه الاية جامعة لمواقيت الصلوات الخمس ﴿وسبحه ليلا طويلا﴾ يعني صلاة التطوع
بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد منه الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا
لله تعالى في جميع اوقات الليل والنهار بقلبه ولسانه قوله تعالى ﴿ان هؤلاء﴾ يعني كفار مكة ﴿يحبون
العاجلة﴾ يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ﴿ويذرون وراءهم﴾ يعني امامهم ﴿يوما ثقيلا﴾
يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له ﴿نحن خلقناهم وشددنا﴾
اي قوينا واحكمنا ﴿اسرهم﴾ اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب
وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضتا ﴿واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا﴾ اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ﴿ان هذه﴾ اي السورة
﴿تذكرة﴾ اي تذكير وعظة ﴿فمن شاء اتخذ﴾ لنفسه في الدنيا ﴿الى ربه سبيلا﴾ اي وسيلة بالطاعة
والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية ويقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب
الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله تعالى في
سياق الاية وهو قوله تعالى ﴿وما تشاؤون الا ان يشاء الله﴾ اي لستم تشاؤون الا بمشيئة
الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة بفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله تعالى
﴿ان الله كان عليما﴾ اي باحوال خلقه وما يكون منهم ﴿حكيما﴾ اي حيث خلقهم مع علمه بهم ﴿يدخل
من يشاء في رحمته﴾ اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى
وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله تعالى وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق
﴿والظالمين﴾ يعني المشركين ﴿اعد لهم عذابا اليما﴾ والله اعلم

تفسير سورة المرسلات مكية

وهي خمسون اية ومائة وثمانون كلمة وثمان مائة وستة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
﴿والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا عذرا او نذرا﴾ اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول
ان المراد باسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل
عرفا اي كثيرا ﴿فالعاصفات عصفا﴾ يعني الرياح الشديدة الهبوب ﴿والناشرات نشرا﴾ يعني الرياح
اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلها نشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتاتي
بالمطر ﴿فالفارقات فرقا﴾ يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده ﴿فالملقيات ذكرا﴾ يعني ان الرياح
اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الاثار فيحصل بذلك خوف في قلوب
العباد فيلجؤون الى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة في القلوب عند
حدوثها فنسب لها الوجه الثاني ان المراد باسرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات
عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات

عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني
انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيمة
فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعني الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات
ذكرا يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر هو القران
خاصة فعلى هذا يكون الملقي هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
الوجه الثالث ان المراد باسرها ايات القران ومعنى والمرسلات عرفا ايات القران المتتابعة
في النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني ايات القران
تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعني
ان ايات القران نشرت انوار الهداية والمعرفة في قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعني
ان ايات القران تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني ان ايات القران هي الذكر
الحكيم التي تلقي الايمان والنور في قلوب المؤمنين الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه
الكلمات الخمس شيئا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا
فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الملائكة والرياح حتى جمع بينهما
في القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم تشابه الرياح
فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم في القسم عذرا او نذرا
اي للاعذار والانذار وقيل عذرا من الله او نذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام
وجواب القسم قوله تعالى ﴿انما توعدون﴾ اي من امر الساعة ومجيئها ﴿لواقع﴾ اي لكائن
نازل لا محالة وقيل معناه انما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع
فقال تعالى ﴿فاذا النجوم طمست﴾ اي محي نورها وقيل محقت ﴿واذا السماء فرجت﴾ اي شقت
وقيل فتحت ﴿واذا الجبال نسفت﴾ اي قلعت من اماكنها ﴿واذا الرسل اقتت﴾ وقرئ
وقتت بالواو ومعناهما واحد جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيمة لتشهد على
الامم ﴿لاي يوم اجلت﴾ اي اخرت وضرب الاجل لجمعهم كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم
ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من امن بهم ثم بين
ذلك اليوم فقال تعالى ﴿ليوم الفصل﴾ قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع
ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى ﴿وما ادراك ما يوم الفصل﴾ اي وما اعلمك بيوم الفصل وهوله
وشدته ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ اي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب
وقوله تعالى ﴿الم نهلك الاولين﴾ يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم
﴿ثم نتبعهم الاخرين﴾ يعني السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب وهم كفار قريش اي نهلكهم
بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ اي انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين
﴿ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين﴾ يعني النطفة ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ يعني
الرحم ﴿الى قدر معلوم﴾ يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره ﴿فقدرنا فنعم

بالتشديد من التقدير اي قدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون اي المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة
اي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن صورة وهيئة ويل يومئذ
للمكذبين اي المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا يعني جامعا
واصله الضم والجمع احياء وامواتا يعني نكفتهم على ظهرها يعني نضمهم في دورهم ومنازلهم ونكفتهم امواتا
في بطنها في قبورهم ولهذا تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها وجعلنا فيها اي في
الارض رواسي شامخات يعني جبالا عاليات واسقيناكم ماء فراتا يعني عذبا ويل يومئذ للمكذبين
يعني ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
اي يقال يوم القيمة للمكذبين في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله
انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع تفرق ثلاث فرق وكذلك شان
الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى في ظل
عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على روسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
لا ظليل اي ذلك الظل لا يظل من حر ولا يغني من اللهب اي لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى
انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب انها ترمي بشرر جمع شررة وهو ما تطاير من النار
كالقصر اي كالبناء العظيم ونحوه وقيل هي اصول الشجر والنخل العظام واحدها قصرة وسئل ابن عباس
عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها
ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر كانه جمالات يعني الشرر جمالات
جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال صفر
جمع اصفر يعني الوان تلك الشرار وانشد لبعضهم دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال
الصفر نزاعة الشوى وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء في الحديث ان شرر نار جهنم
اسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شيء من الصفرة وقيل هي
قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرار يرتفع كانه شيء مجموع غليظ اصفر ويل يومئذ للمكذبين
قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون يعني بحجة تنفعهم وقيل هذا في بعض مواطن القيمة
ومواقفها وذلك ان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على افواههم
فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن واختير ذلك لان روس الايات بالنون
فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي
والقران نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد
اي عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد يوهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من
ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الانذار والاعذار في الدنيا فلم يبق لهم عذر
في الاخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد ويل يومئذ
للمكذبين يعني لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع
العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعني بين اهل الجنة
واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات جمعناكم والاولين

يعني جهنم

يعني تكذبي هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون اي ان كانت
لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ
والتقريع فلهذا اعقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل ان المتقين في ظلال يعني الذين اتقوا الشرك
في ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون يعني ان في ظلهم عيون ماء وفواكه مما يشتهون اي يلتذون
بها كلوا واشربوا اي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها
من نعمة او ان يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام هنيئا اي خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم
تعملون اي في الدنيا من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين قيل المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم من
النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك
وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا اي يقول للكفار بمكة كلوا وتمتعوا قليلا اي
يقول للكفار بمكة كلوا وتمتعوا في الدنيا قليلا اي الى منتهى اجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ امرا الا
انه في المعنى تهديد وزجر عظيم انكم مجرمون اي مشركون بالله مستحقون للعقاب لا جرم اتبعه بقوله
ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون
فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيمة حين
يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون اي بعد
القران يؤمنون اي اذا لم يؤمنوا به فباي شيء يؤمنون والله اعلم

تفسير سورة النبا وتسمى سورة عم

والتساؤل مكية وهي اربعون اية ومائة وثلث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

عم اصله عن ما يتساءلون اي عن اي شيء يتساءلون يعني المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم
كانه قال اي شيء يتساءلون اذا عظمت شانه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث
بعد الموت وتلا عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد ثم ذكر عن
ماذا تساءلوا فقال تعالى عن النبا العظيم اي عن الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القران وقيل هو
البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبا العظيم
بالقران قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر او شعر او كهانة ونحو ذلك مما قالوه في القران ومن فسر النبا
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون
ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم في القران كلا هي ردع وزجر
وقيل هي نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوه سيعلمون اي عاقبة تكذيبهم حين ينكشف
الامر يوم القيمة ثم كلا سيعلمون وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعني الكافرين
عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجايب
صنايعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده
واعادته مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اي
فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام والجبال اوتادا يعني للارض حتى لا تميد وخلقناكم ازواجا

يعني اصنافا ذكورا واناثا ۝ وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات الراحة
بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه
ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الاعمال ۝ وجعلنا الليل لباسا اي غطاء وغشاء يستر كل
شيء بظلمته وانما سمي الليل لباسا على وجه المجاز ووجه الشبه في ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل
عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك ۝ وجعلنا النهار معاشا اي سببا للمعاش والتصرف
في المصالح وقال ابن عباس يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه ۝ وبنينا فوقكم سبعا
شدادا يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الازمان الى ان ياتي امر الله تعالى
وجعلنا سراجا وهاجا يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس
حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة ۝ وانزلنا من المعصرات يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية
عن ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى يكون من بمعنى الباء اي وانزلنا
بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر وقيل هي السحاب وهي الرواية الاخرى عن ابن عباس
قيل المعصر السحاب التي تحلب بالمطر ولا تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو المغيث
وقيل المعصرات السموات وذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ۝ ماء ثجاجا اي صبابا
مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
بالتلبية وصب دماء الهدي ۝ لنخرج به اي بذلك الماء ۝ حبا يعني ما ياكله الناس كالحنطة
ونحوها ۝ ونباتا اي ما ينبت في الارض من الحشيش مما تاكل الانعام ۝ وجنات الفافا اي ملتفة
بالشجر ليس بينها خلال قد دل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى ۝ ان
يوم الفصل اي الحساب ۝ كان ميقاتا اي لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا
يجتمع فيه الخلائق ليقضي بينهم ۝ يوم ينفخ في الصور يعني النفخة الاخيرة فتاتون افواجا يعني
زمرا زمرا من كل مكان للحساب ۝ وفتحت السماء فكانت ابوابا يعني فكانت ذوات ابواب لنزول
الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها ابواب وطرق ۝ وسيرت الجبال اي عن وجه الارض
فكانت سرابا اي هباء منبثا كالسراب في عين الناظر ۝ ان جهنم كانت مرصادا اي طريقا وممرا
فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسأل
العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسأل عن الصلاة فان جاء بها
تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسأل عن الصوم فان جاء به
تاما جاز الى الخامس فيسأل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فان جاء بها
تامة جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل
به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اي معدة لهم وقيل هو من رصدت
الشيء ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم
ترصد الكفار اي سطوتهم ۝ للطاغين اي الكافرين ۝ مآبا اي مرجعا يرجعون اليها ۝ لابثين فيها
اي في جهنم احقابا جمع حقب وهو ثمانون الف سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلثون يوما
كل يوم الف سنة يروى ذلك عن علي بن ابي طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر الف سنة فان قلت

الاحقاب

الاحقاب وان طالت فهي متناهية وعذاب الكفار في جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت
ذكروا فيه وجوها احدها ما روي عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين
فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا
الخلود وروي عن عبد الله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى
الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه
الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا
لا يذوقون في تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذي يبدلونه لا
توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع
والخلود قد حصل ۝ لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اي روحا وراحة
وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ۝ ولا شرابا اي يغنيهم من عطش ۝ الا حميما وغساقا اي لكن يشربون
حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق
الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار ۝ جزاء وفاقا اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق
العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار ۝ انهم كانوا لا يرجون حسابا اي لا
يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون ۝ وكذبوا باياتنا اي بما
جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب ۝ كذابا اي تكذيبا
قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال وقال لي اعرابي منهم
يستفتيني الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير ۝ وكل شيء اي من الاعمال ۝ احصيناه اي
بيناه واثبتناه ۝ كتابا اي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول
ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع ما فعلوه من خير او شر وانا اجزيهم على قدر افعالهم جزاء وفاقا
فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قيل هذه الآية اشد آية في القرآن على اهل النار كلما
استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه قوله تعالى ان للمتقين مفازا اي فوزا اي نجاة
من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا
بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسر فقال حدائق جمع حديقة وهي البستان
المحوط فيه نخل واعنابا يدل على تعظيم ذكر العنب ۝ وكواعب جمع كاعب يعني جواري نواهد
قد تكعبت ثديهن ۝ اترابا يعني مستويات في السن ۝ وكاسا دهاقا قال ابن عباس مملوءة
مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية ۝ لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في حالة شربهم
لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم ۝ لغوا يعني باطلا من الكلام ۝ ولا كذابا اي تكذيبا
والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به ۝ جزاء من ربك عطاء حسابا اي جازاهم جزاء واعطاهم
عطاء حسابا اي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم ۝ رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا اي لا يقدر الخلق ان يكلموا الرب الا باذنه ۝ يوم اي
في ذلك اليوم ۝ يقوم الروح والملائكة صفا قيل هو جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح ملك
من الملائكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا

واخرا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك اعظم من السموات والارض والجبال وهو في السما الرابعة يسبح كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجي يوم القيمة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بنى ادم وليسوا اناسا يقومون صفا والملائكة صفا هولا جند وهولا جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني ادم وما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو ادم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقومون سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة لا يتكلمون يعني الخلق كلهم اجلالا لهيبة الله عز وجل ومن هول ذلك اليوم الا من اذن له الرحمن اي في الكلام وقال صوابا اي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثنا يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الاية لا يشفعون الا في شخص اذن الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ۝ ذلك اليوم الحق اي الكاين الواقع لا محالة وهو يوم القيمة ۝ فمن شا اتخذ الى ربه اي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله تعالى وما يتقرب به اليه ۝ انا انذرناكم اي خوفناكم في الدنيا ۝ عذابا قريبا اي في الاخرة وكل ما هو ات قريب ۝ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي من خير او شر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيمة ۝ ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيمة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهايم حتى يقتص للشاة الجما من الشاة القرنا نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهايم بعد القصاص انا خلقتكم وسخرناكم لبني ادم وكنتم مطيعين ايام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم كونوا ترابا فاذا راى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت في الصورة بعض هولاء البهايم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس ولمومني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا راى ما انعم الله به على المومنين من الخير والرحمة قال يا ليتني كنت ترابا يعني متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر هنا هو ابليس وذلك انه عاب ادم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم وبنوه المومنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة من جعلك مثلي والله اعلم

تفسير سورة النازعات مكية

وهي ست وقيل خمس واربعون اية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا اختلفت عبارات المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشي واحد ام لاشيا مختلفة على وجوه واتفقوا على ان المراد بقوله فالمدبرات امرا صنف لشي واحد وهم الملائكة الوجه الاول في قوله والنازعات غرقا يعني الملائكة تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسادهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون

روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق في الما والناشطات نشطا هم الملايكة تنشط نفس المومن اي تحلها حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المومن لان بينهما فرق فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملايكة يقبضون ارواح المومنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الما يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملايكة ينزلون من السما مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملايكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملايكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المومنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده من الجنة قبل ان يموت وقال علي ابن ابي طالب هي ارواح الكفار تنشط من بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم فالسابحات سبحا يعني ارواح المومنين حين تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة المقدسة الوجه الثالث في قوله والنازعات غرقا يعني النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير الوجه الرابع في قوله والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في اعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات تسبح في جريها وهي السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية الوجه الخامس في قوله والنازعات يعني الغزاة حين تنزع في قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اي السهام في الرمي والسابحات والسابقات يعني الخيل والابل حين تخرج لها اصحابها الى الغزو الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا يعني يبلغ لها الغاية والناشطات نشطا يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن والسابقات سبقا يعني مسابقة نفوس المومنين الى الخيرات والطاعات اما قوله فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملايكة قال ابن عباس هم الملايكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرايل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكاييل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذه اقسام ۝ اقسم الله بهذه الاشيا لشرفها ولله ان يقسم بما شا من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشيا وجواب القسم محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يوميذ واجفة ۝ يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شي ويموت منها جميع الخلق ۝ تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة هما

صيحتان فالاولى تميت كل شي والاخرى تحيي كل شي باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة تنشق السما وقيل الراجفة القيمة والرادفة البعث يوم القيمة روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زائلة عن اماكنها ۝ ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى يقولون يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت ۝ ائنا لمردودون في الحافرة يعني نرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير احيا بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي جاء فيها بحفرها المشيه فحصل باثر قدميه حفر فهي محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها تستقر عليها الحافر والمعنى ائنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقيل الحافرة النار ۝ ءاذا كنا عظاما نخرة اي بالية ويقرى ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر اي تصوت ۝ قالوا يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيمة تلك اذا كرة خاسرة اي راجعة غابنة يعني ان ردنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت ۝ فانما هي يعني النفخة الاخيرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة يسمعونها جميعا ۝ فاذا هم بالساهرة يعني وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطي عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي ارض الشام وقيل هي ارض بيت المقدس وقيل هي ارض جهنم قوله تعالى هل اتاك حديث موسى يعني قد اتاك يا محمد حديث موسى ذكر انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه السلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به ۝ اذ ناداه ربه بالواد المقدس اي المطهر طوى هو اسم واد بالشام عند الطور ۝ اذهب الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وكفر بالله ۝ فقل هل لك الى ان تزكى اي تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تصلح وتسلم العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله ۝ واهديك الى ربك اي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده ۝ فتخشى يعني عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه ۝ فاراه يعني فاري موسى لفرعون ۝ الاية الكبرى يعني اليد البيضا والعصا ۝ فكذب يعني فرعون بانها من الله ۝ وعصى اي تمرد واظهر التجبر ۝ ثم ادبر اي اعرض عن الايمان ۝ يسعى اي يعمل الفساد في الارض ۝ فحشر اي فجمع قومه وجنوده ۝ فنادى اي لما اجتمعوا ۝ فقال انا ربكم يعني فرعون لقومه ۝ انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم ۝ فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه في الدنيا ويدخله النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي فرعون وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى فكان بينهما اربعون سنة ۝ ان في ذلك اي الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى ۝ لعبرة اي عظة ۝ لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السما بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما عندكم وفي تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السما مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السما اعظم واذا كان كذلك

كان خلقكم

كان خلقكم بعد الموت اهون على الله فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خلق السموات والارض ولا ينكرون ذلك ثم انه تعالى وصف كيفية خلق السما فقال تعالى رفع سمكها يعني علو سقفها وقيل رفعها بغير عمد ۝ فسواها اي اتقن بناها فليس فيها شقوق ولا فطور ۝ واغطش ليلها اي اظلم ليلها والغطش الظلمة ۝ واخرج ضحاها اي واظهر وابرز ضحاها اي نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزا النهار في النور والضو وانما اضاف الليل والنهار الى السما ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى ۝ والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها ومدها قال امية بن ابي الصلت دحوت البلاد فسويتها وانت على طيها قادر فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد السما لانهما يحدثان بسبب غروب الشمس بدليل قوله بعد ذلك وقد قال تعالى في حم السجدة ثم استوى الى السما فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما قلت خلق الله تعالى الارض اولا مجتمعة ثم سمك السما ثانيا ثم دحى الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل لهذا التفسير الجمع بين الايتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك ۝ اخرج منها ماءها اي فجر من الارض عيونا ۝ ومرعاها اي رعيها وهو ما ياكله الناس والانعام واستعير الرعي للانسان على سبيل التجوز ۝ والجبال ارساها اي اثبتها ۝ متاعا لكم ولانعامكم اي الذي اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم قوله عز وجل ۝ فاذا جاءت الطامة الكبرى يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيمة سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتعلوا عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع ۝ يوم يتذكر الانسان ما سعى اي عمل في الدنيا من خير او شر ۝ وبرزت الجحيم لمن يرى يعني انه يكشف عنها الغطا فينظر اليها الخلق ۝ فاما من طغى اي كفر ۝ واثر الحيوة الدنيا اي على الاخرة ۝ فان الجحيم هي الماوى اي لمن هذه صفته ۝ واما من خاف مقام ربه ۝ ونهى النفس عن الهوى اي المحارم التي تشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله للحساب فيتركها لذلك ۝ فان الجنة هي الماوى اي لمن هذه صفته قوله تعالى يسئلونك اي يا محمد عن الساعة ايان مرسيها اي متى ظهورها وقيامها ۝ فيم انت من ذكريها اي لست في شي من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها ۝ الى ربك منتهيها اي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال انت من ذكريها اي من علاماتها لانك اخر الرسل وخاتم الانبيا فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها ۝ انما انت منذر من يخشيها اي انما ينفع انذارك من يخافها ۝ كانهم يعني الكفار ۝ يوم يرونها اي يعاينون يوم القيمة ۝ لم يلبثوا اي في الدنيا وقيل في قبورهم ۝ الا عشية او ضحيها فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحيها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضاف الضحى الى العشية اضافة الى يوم كانت العشية او الضحى يومها والله اعلم

تفسير سورة عبس مكية

لانها تحدث بسبب غروب الشمس وطلوعها من السما

يا محمد

وهي احدى واربعون آية ومائة وثلثون كلمة وخمسمائة وثلثة وثلثون حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

عبس اي كلح وقطب وجهه وتولى اي اعرض بوجهه ان جاءه الاعمى يعني ابن ام مكتوم واسمه عمرو
وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن
رواحة القرشي الفهري من بني عامر بن لوي واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خال خديجة
بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن
هشام والعباس بن عبد المطلب وابي بن خلف واخاه امية بن خلف وهو يدعوهم الى الله يرجو
اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر
النداء وهو لا يدري انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد
والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه
الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول
مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته
وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رأيته يوم القادسية وعليه
درع ومعه راية سوداء عن عائشة قالت انزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا
انزلت اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وما يدريك اي اي شيء يجعلك داريا لعله يزكى اي يتطهر
من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك او يذكر اي يتعظ فتنفعه الذكرى اي الموعظة
اما من استغنى قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بما له من المال فانت له تصدى اي تتعرض
له وتقبل عليه وتصغي الى كلامه وما عليك الا يزكى اي لا يؤمن ولا يهتدي ان عليك الا البلاغ
واما من جاءك يسعى يعني يمشي يعني ابن ام مكتوم وهو يخشى يعني الله عز وجل فانت عنه تلهى اي
تتشاغل وتعرض عنه كلا اي لا تفعل بعدها مثلها انها يعني الموعظة وقيل آيات القرآن
تذكرة اي موعظة للخلق فمن شاء اي من عباد الله ذكره اي اتعظ به يعني القرآن ثم وصف جلالة
القرآن ومحله عنده فقال عز وجل في صحف مكرمة يعني القرآن في اللوح المحفوظ مرفوعة اي
رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة مطهرة يعني الصحف لا يمسها الا المطهرون
وهم الملائكة بايدي سفرة قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر
ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم اثنى عليهم
بقوله تعالى كرام اي هم كرام على الله بررة اي مطيعين له جمع بار قوله تعالى قتل الانسان
اي لعن الكافر وطرد ما اكفره اي ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وايادي عنده
وهذا على سبيل التعجب اي اعجبوا من كفره وقيل معناه اي شيء حمله على الكفر نزلت هذه الآية
في عتبة بن ابي لهب وقيل في امية بن خلف وقتل كافرا يوم بدر وقيل الآية عامة في كل كافر

ثم بين من امره ما كان ينبغي معه ان يعلم ان الله خالقه فقال تعالى من اي شيء خلقه لفظه استفهام
ومعناه التقرير ثم فسره لك فقال تعالى من نطفة خلقه فقدره يعني خلقه اطوارا نطفة ثم علقة
ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعني خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده
ثم السبيل يسره اي سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل احد ما خلق له وقدر
عليه ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا يواري فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع
والوحوش والطيور واقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة
لبني آدم على سائر الحيوان ثم اذا شاء انشره اي احياه بعد موته للبعث والحساب وانما قال تعالى اذا
شاء انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء ان يحيي الخلق احياهم
كلا ردع وزجر للانسان عن تكبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث
والحساب لما يقض ما امره اي لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم
ذكر رزقه ليعتبر به فانه موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه اي كيف قدره
ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى انا صببنا
الماء صبا يعني المطر ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها اي في الارض حبا
يعني الحبوب التي يتغذى بها الانسان وعنبا يعني انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه
الحب وقضبا يعني القت وهو الرطبة سمي بذلك لانه يقضب اي يقطع في كل الايام وقيل القضب
هو العلف كله الذي يعلف به الدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدائق غلبا
يعني غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه في بعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة
يعني جميع الوان الفاكهة وابا يعني الكلأ المرعى الذي لم يزرعه الناس مما ياكله الدواب
والانعام وقيل الفاكهة ما ياكله الناس والاب ما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما
انبتت الارض مما ياكل الناس والانعام وروي ابرهيم التيمي ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة
وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم خ عن انس ان عمر قرا
وفاكهة وابا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا [illegible] ثم قال اتبعوا
ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم يعني الفواكه والحب والعشب منفعة
لكم ولانعامكم ثم ذكر احوال القيامة فقال فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيامة سميت صاخة
لانها تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه اي انه لا يلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب
في ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول لم تواسني بمالك والابوان يقولان قصرت
في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل
اول من يفر هابيل من اخيه قابيل وابرهيم عليه السلام من ابيه ولوط من صاحبته ونوح
من ابنه وقيل يفر المرء من موالاة هؤلاء ونصرهم والمعنى ان هؤلاء الذين كان المرء يفر بهم في
الدنيا ويتقوى بهم ويتعزز فانه يفر منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من
اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخ بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهم اشد

جمع حديقة

هؤلاء

من تعلقه بالابوين ۝ لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله شان نفسه عن شان
غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر
او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين وانهم
على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي
مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء قيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثار الوضوء
وقيل من الغبار في سبيل الله ضاحكة اي عند الفراغ من الحساب ۝ مستبشرة اي بالسرور
فرحة بما نالت من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة اي
سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ترهقها قترة اي يعلوها ويغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس
يغشاها ذلة وقيل الفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل في الارض والقترة
ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء اولئك اي الذين صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله اعلم

تفسير سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه راي عين فليقرا اذا الشمس
كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذي.

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وقيل غورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف
العمامة واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم
تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم
القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة وقيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاهما في النار يكون سببا لازدياد
الحر في جهنم ۝ واذا النجوم انكدرت اي تناثرت من السماء وتساقطت على الارض قال الكلبي وعطاء
تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع ۝ واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض فصارت هباء
منبثا ۝ واذا العشار عطلت يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدها
عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهي انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت
وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم
من اهوال يوم القيامة ۝ واذا الوحوش يعني دواب البر حشرت اي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من
بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شيء موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم
القيامة ۝ واذا البحار سجرت قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض
العذب والمالح حتى صارت البحور كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم لاهل النار
وقيل سجرت اي يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة قال ابي بن كعب ست آيات قبل يوم
القيامة بينا الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك

اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت
الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت قال فيقول
الجن والانس نحن ناتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض
صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم
ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر
بعد هذه وهي قوله تعالى واذا النفوس زوجت روي عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه
سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل
السوء مع الرجل السوء في النار وقيل الحق كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني
وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين
بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح في الاجساد
واذا الموءودة سئلت يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب
فيؤدها اي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة
العار والحاجة روي عن ابن عباس قال كانت المراة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادها
حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفيرة وان ولدت غلاما حبسته
وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد ابقاءها البسها جبة من صوف
او شعر وتركها ترعى الغنم والابل في البادية واذا اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت قال
لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول
لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل التراب عليها حتى تستوي بالارض
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار اخرجه ابو داود وكان
صعصعة بن ناجية ممن منع الواد ولم يئد فافتخر به الفرزدق في شعره فقال ومنا الذي منع
الوائدات واحيا الوئيد فلم يوءد ۝ سئلت باي ذنب قتلت معناه تسال الموءودة فيقال
لها باي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها تقول قتلت بغير ذنب ۝ واذا الصحف
نشرت يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب ۝ واذا السماء كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت
كما يقلع السقف وقيل كشفت وازيلت عمن فيها ۝ واذا الجحيم سعرت اي اوقدت
لاعداء الله تعالى ۝ واذا الجنة ازلفت اي قربت لاولياء الله تعالى ۝ علمت نفس ما احضرت يعني
عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير او شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت
الى هنا قوله تعالى فلا اقسم لا زائدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك في قوله لا اقسم بيوم القيامة بالخنس
الجوار الكنس يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى
روي عن علي بن ابي طالب وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد
تخنس في مجراها اي ترجع وراءها في الفلك وتكنس اي تستتر وقت اختفائها وقيل
انها تخنس اي تتاخر عن مطالعها في كل عام تتاخر بتاخر عن تعجيل ذلك الطلوع

تخنس بعنه والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظبا وهي رواية عن ابن عباس واصل
الخنوس الرجوع الى ورا. والكنوس هو ان تاوي الى كناسها وهو الموضع الذي تاوي اليه الوحوش
والليل اذا عسعس اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون
في طرفي الليل والصبح اذا تنفس اي اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه قولان احدهما
ان في اقبال الصبح روح ونسيم فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب
المحزون فاذا جعل له التنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو
استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى انه يعني القرآن لقول رسول
كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى انه جبريل نزل به عن الله عز وجل لا انه تكلم به ابتداء ذي
قوة وكان من قوته انه اقتلع قريات قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها
الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه
بجناحه نفحة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء
الى الارض ثم يصعد في اسرع من الطرف عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه مطاع ثم
اي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج
بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله امين يعني على وحي الله تعالى الى انبيائه
وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون وهذا ايضا من جواب القسم
اقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقوله اهل مكة وذلك
انهم قالوا انه مجنون وان ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون ولقد رآه يعني
رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق فيها بالافق المبين يعني الافق
الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك في صورتك التي تكون
فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني
قال فبعرفات قال ذلك بالحري ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو
بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب وراسه
في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل في صورته
فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه
في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى
يصير كالصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
على الغيب اي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء
بظنين قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل
يقول انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ
عليه حلوانا وهو اجر الكاهن وقراءة الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه
تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب وما هو يعني القرآن بقول شيطان رجيم يعني ان القرآن

الجنة م

قال لا يسعني

ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه فاين
تذهبون اي فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه اي طريق تسلكون
ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ان هو يعني ما في القرآن الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق
اجمعين لمن شاء منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة العبد موقوفة
بمشيئته فقال تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين اعلمهم الله ان المشيئة في التوفيق للاستقامة
اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله
ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله اعلم

تفسير سورة انفطرت مكية

وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

اذا السماء انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت
اي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت
واذا القبور بعثرت اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء علمت نفس ما
قدمت واخرت يعني علمت في ذلك الوقت من عمل صالح او سيئ وما اخرت بعدها من سنة حسنة
او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من الزكاة وهذه احوال يوم القيمة
قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك الباطل حتى
صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ما ذا امنك من عقابه قيل نزلت
في الوليد بن المغيرة وقيل في ابي الاشدين واسمه اسيد بن كلدة بن خلف وكان كافرا
ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل هذه الآية وقيل الآية عامة في كل كافر وعاص
يقول ما الذي غرك فقيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله
عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك الكريم اي المتجاوز عنك فهو لكرمه لم يعاجلك
بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله تعالى
به فيقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض
لو اقامك الله يوم القيمة فقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني ستورك
المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو اقامني بين يديه وقال ما غرك بي قلت غرني بك برك بي
سالفا وآنفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم
وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه
حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك اي اوجدك من العدم الى الوجود
فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر فعدلك اي عدل خلقك في مناسبة
الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة
ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اي صورة ما شاء ركبك اي في اي شبه من اب او ام او خال او
عم وجاء في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا في اي
صورة ما شاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة

ماذا اعلنت في

قال م

وفي هذا دلالة على فرع الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل
ذلك على كمال القدرة والتباع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين
اي بيوم الحساب والجزاء وان عليكم لحافظين يعني رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما
اي على الله كاتبين اي يكتبون اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون يعني من خير او شر قوله تعالى
ان الابرار يعني الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء ما فرض الله عليهم واجتناب معاصيه لفي نعيم
يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري
ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال فاين اجد ذلك في كتاب الله
قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين
يصلونها يوم الدين يعني يوم القيمة لانه يوم الجزاء وما هم عنها بغائبين اي عن النار ثم عظم
شان ذلك اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على
وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اي شيء اعلمك به لولا نحن قلنا احواله
ثم ما ادراك ما يوم الدين لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا
تملك نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله يعني انه لم يملك الله تعالى في ذلك احدا
شيئا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم

تفسير سورة المطففين

وهي مدنية في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله ان الذين اجرموا
الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهي قوله اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وقيل
انها نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ست وثلثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

ويل اي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم
للمطففين يعني الذين ينقصون الميزان والمكيال وانما قيل للمطفف لانه لا يكاد يسرق في الكيل والوزن الا الشيء
اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل
الله ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل
يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية وجعل
الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون يعني اذا اكتالوا
من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اي اشتروا واخذوا
استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم يعني اذا كالوا لهم او وزنوا
لهم يعني للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك يخسرون اي ينقصون الكيل والوزن وهذا
الوعيد يلحق من ياخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير
لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان
مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل
والوزن والذرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول
اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيمة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة
اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيمة

يعني من قبورهم

الا يظن اي الا يعلم ويستيقن اولئك الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون
ليوم عظيم يعني يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لامره ولجزائه وحسابه ق عن نافع
ان ابن عمر تلا الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال
يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروي عن ابن عامر عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول تدنى الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي
او اثنين قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي
يكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه
ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق
الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه قوله تعالى كلا قيل انه ردع
وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام
هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار اي الذي كتب فيه اعمالهم
لفي سجين قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليين في
السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني
عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء
فتابى السماء ان تقبلها ثم تهبط الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل
تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق
فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لحساب يوم القيمة وقيل هي صخرة تحت الارض السابعة
السفلى خضراء خضرة السماء منها تقلب وتجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هي آخر سلطان
ابليس وجاء في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح وقيل
معناه لفي سجين لفي خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق
شديد وما ادراك ما سجين اي ليس ما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك
تعظيما لامر سجين كتاب ليس هذا تفسير للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور في قوله ان
كتاب الفجار والمعنى انه كتاب الفجار مرقوم اي مكتوب فيه اعمالهم مثبت عليهم كالرقم في
الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه اعلم
بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اي مختوم وهو بلغة حمير ويل يومئذ للمكذبين وقيل
انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم
معناه مرقوم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك من ذلك الكتاب المرقوم عليهم
فيه بالشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم القيمة لانه يوم الجزاء وما يكذب به اي بيوم القيمة
الا كل معتد اي متجاوز عن نهج الحق اثيم هو مبالغة في الاثم وهو المرتكب للاثم والمعاصي اذا تتلى عليه
آياتنا قال اساطير الاولين اي هي اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا اي لا يؤمنون ثم استانف فقال
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في
قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي

قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واصل
الرين الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب
على الذنب حتى يموت القلب قال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين التغطية والمعنى
انه يغشى القلب شيء كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب ٥ كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون
وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم في الآخرة خيرا ثم استانف فقال تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه
ضعف لان حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر وكذا الوجه الثاني فان من
حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون
عن رؤيته وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا ولولا ذلك لم يكن
للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما
يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في
حق المؤمنين قال الحسين لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت
انفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته وسئل
مالك عن هذه الآية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الشافعي في قوله كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله وعنه لما حجب قوما بالسخط
دل على ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال تعالى
ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلوا النار ثم يقال اي يقول لهم الخزنة هذا اي هذا العذاب الذي
كنتم به تكذبون يعني في الدنيا ٥ كلا اي ليس الامر كما يتوهمه الشقي من انكار البعث وقيل اي لا يؤمن
بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين جمع علي من العلو
وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم في حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء
السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش وقال ابن عباس
اعمالهم مكتوبة فيه وقيل قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل سدرة
المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة
قد عظمها الله واعلاها وما ادراك ما عليون تنبيها له على عظم شانه ٥ كتاب مرقوم ليس بتفسير لعليين
والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم في عليين قيل لهم فيه بخير وهو ما اعد لهم من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم
وعليين محل الملائكة ومثله سجين وهو محل ابليس وجنده ٥ يشهده المقربون يعني الملائكة الذين هم في عليين
يشهدون اي يحضرون ذلك المكتوب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن قوله تعالى
ان الابرار يعني المطيعين لله لفي نعيم يعني نعيم الجنة ٥ على الارائك جمع اريكة وهي الاسرة في الحجال ٥ ينظرون
يعني الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة على الارائك جمع اريكة وقيل ينظرون الى اعدائهم كيف يعذبون
في النار وقيل ينظرون الى ربهم تعالى ٥ تعرف في وجوههم نضرة النعيم يعني انك اذا رايتهم تعرف
انهم من اهل النعيم لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور
في القلب ٥ يسقون من رحيق يعني الخمر الصافية الطيبة البيضاء ٥ مختوم يعني ختم على ذلك الشراب
ومنع من ان تمسه الايدي الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال في سورة محمد وانهار من خمر

والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل ان يكون هذه المذكورة في الآية اوان مختوم
عليها وهي غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ٥ ختامه مسك اي طينه
الذي ختم عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج
ختامه اي آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك ٥ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل
اصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس
به على غيره اي يبخل به ٥ ومزاجه من تسنيم اي مزاج ذلك الشراب ينصب عليهم من علو في غرفهم
ومنازلهم وقيل يجري في الهواء متسنما فينصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت
امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو
من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا
ويمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ٥ عينا يشرب بها المقربون اي منها وقيل يشرب بها المقربون صرفا
قوله عز وجل ان الذين اجرموا اي اشركوا يعني كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص
ابن وائل واصحابهم من مترفي اهل مكة ٥ كانوا من الذين آمنوا اي من عمار وخباب وصهيب
وبلال واصحابهم من فقراء المؤمنين يضحكون اي منهم ويستهزؤون بهم ٥ واذا مروا بهم يعني مر المؤمنون
الفقراء بالكفار الاغنياء يتغامزون يعني يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون
اليهم بالاعين استهزاء بهم ٥ واذا انقلبوا الى اهلهم يعني الكفار ٥ انقلبوا فاكهين اي معجبين بما هم فيه
وقيل يتفكهون بذكرهم ٥ كانوا يتفكهون بحديثهم ٥ واذا راوهم يعني راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا ان هؤلاء لضالون اي هم في ضلال ياتون محمدا ويرون انهم على شيء قال الله تعالى وما ارسلوا عليهم
يعني على المؤمنين ٥ حافظين اي لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله تعالى فاليوم يعني في الآخرة
الذين آمنوا من الكفار يضحكون وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من
المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما افضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون في
السرور والنعيم وصار الكفار في العذاب والبلاء فضحك المؤمنون على الكافرين لما راوهم
جاءهم وقال ابو صالح يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت
دونهم يفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب ان بين الجنة والنار
كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدوه كان له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى فاذا اطلع عليه
من تلك الكوى وهو يعذب ضحك منه فذلك قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ٥ على الارائك جمع اريكة
وهي السرير يتخذ في الحجلة وهي الكلة تزين بها البيت والارائك في الجنة من الدر والياقوت ٥ ينظرون
يعني اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى ٥ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي جوزي الكفار
ما كانوا يفعلون اي جزاء ما كانوا يفعلون بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام
بمعنى التقرير وثوب واثاب واثابه بمعنى قال اوس سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان
يثنى عليك وتحمدي والله اعلم ٥

تفسير سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات واربعمائة واربعة وثلثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا السماء انشقت يعني عند
قيام الساعة وهو من علامات القيامة وأذنت لربها اي سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته
من الاذن وهو الاستماع وحقت اي حق لها ان تطيع ربها واذا الارض مدت يعني مد الاديم العكاظي
وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل والقت ما فيها اي اخرجت ما في بطنها
من الموتى والكنوز وتخلت اي خلت من ذلك الذي كان في بطنها واذنت لربها وحقت واختلفوا في جواب
اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب او العقاب وقيل جوابه
يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ
تكون الواو زايدة يا ايها الانسان انك كادح اي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده
في الامر الخير والشر وقيل معناه عامل عملا وقيل معناه انك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى
ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك كادح في دنياك كدحا تصير به الى ربك فملاقيه
اي فملاق جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك فاما من اوتي كتابه بيمينه يعني ديوان عمله فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف الطاعة
والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على
صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى
طولب لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح ق عن ابن ابي مليكة ان عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه
الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس
يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب
عذب وينقلب الى اهله يعني في الجنة من الحور العين والادميات مسرورا اي بما اوتي من الخير والكرامة
واما من اوتي كتابه وراء ظهره يعني تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره
فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى
بها كتابه فسوف يدعو ثبورا يعني عند اعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل
النار فينادي بالويل والهلاك فيقول واويلاه واثبوراه ويصلى سعيرا اي ويقاسي لهب
النار وحرها انه كان في اهله يعني في الدنيا مسرورا يعني باتباع هواه وركوب شهواته انه
ظن ان لن يحور اي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع بلى اي ليس الامر كما ظن بلى يحور الينا
ويبعث ويحاسب ان ربه كان به بصيرا اي من خلقه الى ان يبعثه قوله تعالى فلا اقسم
بالشفق تقدم الكلام في تفسير لا اقسم في سورة القيمة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله
وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه
يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من
النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس
وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب

ابي حنيفة والليل وما وسق اي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام
وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى مأواه وقيل ما عمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد
العباد فيجوز ان يقسم به والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم نوره وذلك في الايام البيض وقيل استدار
واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن طبقا عن طبق يعني سماء
بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه
لتركبن حالا بعد حال خ عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم
صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا ان يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة
فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقيل حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موقف القيمة يتغير عليهم
الاحوال فيصيرون في الاخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد
والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام
ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى
الاية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى
اخرى فما لهم لا يؤمنون يعني بالبعث والحساب وهو استفهام انكار واذا قرئ عليهم القران
لا يسجدون يعني لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة
وهذه السجدة احدى سجدات القران عند الشافعي ومن وافقه ق عن ابي رافع قال
صليت مع ابي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف
ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقران والبعث
والله اعلم بما يوعون يعني بما يجمعون في صدورهم من التكذيب فبشرهم بعذاب اليم يعني على تكذيبهم
وكفرهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع ولا منقوص في
الاخرة والله اعلم

تفسير سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمسة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر وانما حسن القسم بها
لما فيها من عجيب حكمة الباري سبحانه وتعالى وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على
قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها واليوم الموعود
يعني يوم القيمة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليوم الموعود يعني يوم القيمة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت
على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب
الله له ولا يستعيذ من شيء الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه

وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية
والمشهود يوم عرفة انما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل ان الشاهد هو الله تعالى
والمشهود يوم القيمة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود عليهم هم الامم وقيل ان الشاهد هو الملك
والمشهود عليه هو ابن آدم وقيل الشاهد هو آدم وذريته والمشهود هو يوم القيمة وقيل الشاهد هي
الاعضاء والمشهود عليه هو ابن آدم وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم
والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد هو الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم
لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود
اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل اصحاب الاخدود وقيل جوابه ان بطش
ربك لشديد قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود اي لعن والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا
فيهم فروي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر
قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك
اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى
الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى الى الراهب
فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما
هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر
فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي
الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت
اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام
يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة
فقال ما هاهنا لك اجمع ان انت شفيتني قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان
امنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فامن بالله فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان
يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال الله ربي وربك فاخذه
فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص
وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب
فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالميشار فوضع الميشار في مفرق راسه فشقه به
حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم
اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا
به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال
له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور
فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت
بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك
انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع

ثم تأخذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به فانك اذا
فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع
السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على
صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا برب الغلام ثلاثا فاتى الملك فقيل له ارايت ما
كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخدت في افواه السكك واضرم
النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت
امراة معها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبري فانك على الحق هذا حديث
صحيح اخرجه مسلم في هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع
الى الدين في انقاذ النفس من الهلاك والاكمه الذي خلق اعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة
وروي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور بضم القاف
الاولى السفينة الصغيرة وانكفات اي انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك
الطرق وافواهها والاخدود الشق العظيم في الارض واقحموه اي ارموه فيها وتقاعست اي
تاخرت وكرهت الدخول فيها قال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس
ابن شرحبيل بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في
بلاده غلام يقال له عبد الله بن ثامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم
يجد له بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن الصوت فاعجبه ذلك
وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع على
نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية
فابوا عليه فخد الاخاديد واحرق اثني عشر الفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا
فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن
عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن الثامر واضعا يده على ضربة في راسه اذا اميطت يده
عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر
فكتب ان اعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل
اسفندهار قال عمر بن الخطاب اي شيء يجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب
فقال علي بن ابي طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت
على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما
المخرج منه قالت المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات فاذا
ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا فقال ان الله قد احل لكم نكاح
الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به ما جاءنا به نبي ولا
انزل علينا في كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان
يقروا به فخد لهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن
اجاب سبيله وروي عن علي قال كان اصحاب الاخدود بينهم حبشي بعث من الحبشة

في النار

الى قومه ثم قرأ عليها ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك الآية فنا بعث
الناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذوا من انفلت منهم فاوثقوه ثم حفروا لهم اخدوداً
فملؤها ناراً فمن تبع ذلك المؤمن رمى به في النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبي رضيع
فجزعت فقال الصبي يا اماه مري ولا تنافقي وقيل كانت الاخدود ثلاثة فواحد بنجران اليمن
والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو انطيانوس الرومي
واما التي بفارس فبخت نصر وقيل عمرو الكافر اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو نواس
يوسف. فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيها قرآناً وانزل في التي بنجران اليمن وذكر
ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلمهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين وقوله تعالى النار ذات الوقود وهو تعظيم
هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين الذين القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم
النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اي جلوس
عند الاخدود وهم يعني الملك الذي خد الاخدود واصحابه على ما يفعلون بالمؤمنين اي من عرضهم
على النار وارادوا ان يرجعوا الى دينهم شهود اي حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين
تركوا عبادة الصنم وما نقموا منهم قال ابن عباس ما كرهوا منهم الا ان يؤمنوا بالله وقيل ما عابوا
ولا علموا فيهم عيباً الا انهم آمنوا بالله العزيز الحميد يعني ان الذي يستحق العبادة هو العزيز اي الغالب
القاهر الذي لا يغالب ولا يدافع الحميد يعني ان الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك
وهو الله تعالى الذي له ملك السموات والارض اي هو المستحق للعبادة والله على كل شيء من افعالهم
بالمؤمنين شهيد وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل ان الذين
فتنوا المؤمنين اي عذبوا واحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما هم
عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد
وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
الحريق يعني لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل ولهم عذاب الحريق في
الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التي احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم
عذاب جهنم في الآخرة ثم ذكر ما اعد للمؤمنين فقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري
من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير قوله تعالى ان بطش ربك لشديد قال ابن عباس ان اخذه
بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد انه هو يبدئ ويعيد اي يخلقهم اولاً في الدنيا ثم يعيدهم احياء
بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم القيامة وهو الغفور لذنوب المؤمنين الودود اي المحب لهم وقيل
المحبوب اي يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة ذو العرش اي
خالقه ومالكه المجيد قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق
الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اي السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل
اراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام فعال لما يريد يعني انه لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء
طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من

ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر هل اتاك حديث الجنود اي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا
على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى فرعون يعني وقومه وثمود وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة بل الذين كفروا
يعني من قومك يا محمد في تكذيب يعني لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم والله من ورائهم
محيط اي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من اعمالهم فيقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن قبلهم بل هو قرآن مجيد اي كريم شريف كثير النفع
والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعني ان القرآن محفوظ من التبديل
والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت اللوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب
وسمي محفوظاً لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق
بوعده واتبع رسله ادخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق
والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه معقود بالعرش واصله في
حجر ملك والله اعلم

تفسير سورة الطارق مكية

وهي سبع
عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسع وثلاثون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والسماء والطارق قيل نزلت في ابي طالب وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما
هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم ناراً ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم
رمي به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب فانزل الله عز وجل والسماء والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك ليلاً
فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقاً لانه يظهر بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشي على
النمارق تريد ان اباها نجم في علوه وشرفه وما ادراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يعرفه حتى بينه له بقوله النجم الثاقب اي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل هو المرتفع العالي وقيل هو
الذي يرمى به الشياطين فيثقبهم اي ينفذ فيهم والنجم قيل هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو
زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم
الله بهذه الاشياء وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ يعني
ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة
من الملائكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها
وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله تعالى فلينظر الانسان يعني نظر تفكر واعتبار مم خلق
اي من اي شيء خلق ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق من ماء دافق اي مدفوق مصبوب في الرحم واراد
به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحداً لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الماء وهو المني
من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس
هي موضع القلادة من الصدر وعنه انه بين ثدي المرأة قيل ان المني يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر
ما يخرج من الدماغ فينصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب
فلهذا السبب خص الله هذين العضوين بالذكر انه على رجعه لقادر يعني ان الله تعالى قادر على ان يرد
النطفة في الاحليل وقيل قادر على رده في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان
من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة

السلطان

وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه ان الذي قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على
ان يعيده حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الاية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السرائر
وذلك هو يوم القيمة وقيل معناه تظهر الخبايا ومعنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الاعمال كالصوم
والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول
صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيمة تختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها
قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيمة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من اداها كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيمة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر فما له اي لهذا الانسان
المنكر للبعث من قوة اي يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر اي ينصره من الله ثم ذكر الله قسما آخر فقال تعالى
والسماء ذات الرجع اي ذات المطر سمي به لانه يجيء ويرجع ويتكرر والارض ذات الصدع اي تتصدع
وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى انه يعني القرآن لقول فصل اي حق
وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل اي باللعب والباطل انهم يعني مشركي مكة يكيدون
كيدا يعني يحتالون في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه واكيد كيدا يعني
اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار
فمهل الكافرين اي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم انه امهلهم
امهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال امهلهم رويدا يعني قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال باية السيف والله اعلم

تفسير سورة الاعلى مكية

وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
سبح اسم ربك الاعلى اي قل سبحان ربي الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى ذكره البغوي بغير سند باسناد
الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه
نزه تسمية ربك بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اي صل بامر ربك الاعلى
عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما
نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود الذي خلق فسوى اي خلق كل ذي روح
فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى اي
قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى اي فعرف كيف ياتي الذكر الانثى وقيل قدر لكل
مدة الجنين في الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر الشقاوة والسعادة للاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين
سلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر اي اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه
وهدى الانعام وساير الحيوان لمراعيها وهو قوله تعالى والذي اخرج المرعى اي انبت العشب وما ترعاه
الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى بعد الخضرة غثاء اي هشيما يابسا
بالياكالغثاء الذي تراه فوق السيل احوى اي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود
فلا تنسى يعني ما تقرا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحي لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك

الاماشا

الا ما شاء الله يعني ان تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما
شاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
يقرا في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفي
رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا اخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله
ان ينسيه شيئا انه يعلم الجهر يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر
والعلانية ونيسرك لليسرى اي نهون عليك لان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك
للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقراه
على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرا في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى
اي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذكر اي فعظ بالقرآن ان نفعت الذكرى اي نفعت الموعظة
والتذكير والمعنى عظ ان نفعت وذكر ان نفعت او لم تنفع انما عليك البلاغ سيذكر من يخشى اي سيتعظ
من يخشى الله تعالى ويتجنبها اي الذكرى ويتباعد عنها الاشقى اي في علم الله تعالى الذي يصلى
النار الكبرى اي النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والنار الصغرى هي نار الدنيا
ثم لا يموت فيها اي فيستريح ولا يحيى اي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل قد افلح من تزكى اي تطهر من
الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روي
عن ابي سعيد الخدري في قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج الى العيد
فصلى قال خرج الى العيد فصلى وقال ابن مسعود يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الآية
وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعني من يوم العيد قال يا نافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم
مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما هذه الآية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه
فصلى فان قلت ما وجه هذا التاويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت
يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل
يوم الفتح وكذا انزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت
لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر ووجه آخر وهو انه كان في علم الله تعالى انه سيكون ذلك فاخبر عنه وذكر اسم ربه
فصلى اي ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة
العيد قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى يعني ان الدنيا فانية والآخرة باقية
والباقي خير من الفاني وانتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن مسعود فقرا
هذه الآية فقال لنا اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا حضرت وعجل
لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل
وتركنا الآجل وقيل ان اريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة وقيل ان اريد
بذلك المسلمون فالمعنى انهم يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو خير
وابقى ان هذا اي الذي ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع آيات لفي الصحف الاولى اي
الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وايثار الدنيا
وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال صحف ابرهيم وموسى يعني ان هذا القدر المذكور في صحف ابرهيم وموسى

ذ قيل انه مذكور في صحف جميع الانبياء التي منها صحف ابرهيم وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الايات لا يختلف فيه شريعة
بل جميع الشرائع متفقة عليه عن ابي ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية قلت وما تحيته
يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شيئا مما كان في صحف ابرهيم وموسى قال يا ابا ذر اقرأ
قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم
وموسى قلت يا رسول الله فما صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم يطمئن اليها عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل
اخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيئا عن ابن عباس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة اخرجه الترمذي
والنسائي عن عبد العزيز بن جريج قال سألنا عائشة باي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كانت
يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنسائي
والترمذي وقال حديث حسن غريب والله اعلم

تفسير سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هل اتاك
حديث الغاشية يعني القيامة سميت غاشية لانها تغشى كل شيء باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه
الكفار وجوه يومئذ يعني يوم القيامة خاشعة يعني ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف
اعضاء الانسان فعبر به عنه عاملة ناصبة قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام
من عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة يدخلون
النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤوب في العمل بالتعب ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث
في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اما الرواية وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها
تختص بمن احدث في دين الاسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية
فانها تشمل كل عامل في دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل
في الاية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الاخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعملها
وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن عباس يخوض في النار كما يخوض
الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى
تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله تعالى تسقى من عين آنية اي متناهية في
الحرارة قد اوقدت عليها جهنم منذ خلقت لو وقع منها قطرة على جبال الدنيا لذابت منذ دفعوا اليها وردا عطاشا
فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش
الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه دابة
وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الاخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس
يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله تعالى
يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون
فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطيهم
الزبانية ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها

فاذا

فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الاية قال
المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله فانزل الله تعالى لا يسمن
ولا يغني من جوع يعني ان هذا الطعام ان تقذره البهائم على اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو اذن لا يسمن ولا يغني
من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الاية لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع آخر لا طعام لهم الا من غسلين
فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم
من طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى وجوه يومئذ ناعمة اي متنعمة
ذات بهجة وحسن في نعمة وكرامة لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا راضية في الاخرة حين اعطيت الجنة
بعملها في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات
بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض لا تسمع فيها لاغية اي ليس فيها لغو ولا باطل فيها
عين جارية على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث ارادوا في منازلهم وقصورهم فيها سرر
مرفوعة قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فاذا اراد
اهلها الجلوس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى موضعها واكواب يعني الكيزان
التي لا عرى لها موضوعة يعني عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا
الشرب منها وجدوها مملوءة ونمارق مصفوفة يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها الى جنب بعض اينما اراد
ان يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند باخرى وزرابي يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس
التي لها خمل واحدتها زربية مبثوثة اي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم
الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة
والمعنى ان الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص الابل
بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا الشاذ
منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها
قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية وسئل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة
فقال اما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل
اعز مال للعرب وانفسه تاكل النوى والقت وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل
وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت
على سائر الحيوانات باشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن او لاكل
لحمه ولا يوجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب وتقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل
الثقيل وتحلب اللبن الكثير ويؤكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عشرة ايام ومنها انه يحمل عليها وهي باركة
ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوان ومنها انها ترعى كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوان وهي
سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة
حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة
بينها ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على قدرته وانه هو الخالق
لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصحبونها ظعنا

راسية أذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدا بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم والى السماء كيف رفعت يعني فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت على الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول والى الارض كيف سطحت اي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شي قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب مثل الارض غيري ولما ذكر الله تعالى دلايل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فذكر انما انت مذكر اي فعظ انما انت واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الايمان وهذه الاية منسوخة نسختها اية القتال الا من تولى وكفر استثنا منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذا كله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت ثم ان علينا حسابهم يعني جزاهم بعد الرجوع على الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلثون اية وماية وتسع وثلثون كلمة وخمسماية وسبعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر

اقسم الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوايد الدينية وهي انها دلايل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوايد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وساير الحيوان في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملايكة الليل وملايكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تتفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربان وليال عشر قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال باعمال الحج واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروي عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخر من رمضان شد الميزر وايقظ اهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء والشفع والوتر قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابي سعيد الخدري وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله منه شفع ومنه وتر وقيل هي الصلوات منها شفع ومنها وتر عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخر وروي ان رجلا ساله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل

الشفع

الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والحياة والموت والوتر صفات الله التي انفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت والليل اذا يسر اي اذا سار وذهب وقيل اذا جا واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذي يسار فيه هل في ذلك اي فيما ذكرت قسم مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التوكيد لذي حجر اي لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل كما سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبايح وسمي نهى لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر الا لمن هو قاهر ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافر ويدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قوله تعالى الم تر اي الم تعلم وانما اطلق لفظ الروية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد يعني ان المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من هولا فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ارم فهو جد عاد على ما ذكر في نسبه عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون ارم باسم جدهم وقيل ارم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن سام بن نوح وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم وابنا اهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى لم يخلق مثلها في البلاد وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لبنا بناه لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثني عشر ذراعا قوله لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبنا بعضهم فشيد عمده ورفع بناه قيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بنا مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور

كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه
ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح
الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف
غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللولو والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع
باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللولو وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم
ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة
تجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لولوها ومن بنادق
مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما راى فبلغ ذلك معوية فارسل
اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما راى فارسل معوية الى كعب الاحبار فلما اتاه
قال له يا ابا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها
شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما اراد شداد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل
قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما في بلادهم من الجواهر فخرج
القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحرا نقية من التلال واذا
فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان نبني فيها فوضعوا اساسها من الجزع
اليماني واقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال
انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون في
كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وامر الملك وزراءه وهم الف وزير ان يتهيأوا للنقلة الى ارم ذات
العماد وكان الملك واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم
قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه
خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود
اي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد الذين جابوا الصخر اي قطعوا الحجر بالواد يعني بوادي القرى وكانت
ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال وبيوتا وفرعون ذي الاوتاد سمي بذلك
لكثرة جنوده ولكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك
كما قيل في ظل ملك راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت امراة وهي امراة خازنه حزقيل وكان
مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط راس بنت
فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي
فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال
ما يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهها والهك واله السموات والارض واحد لا شريك
له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري اني الهك قالت لا افعل
فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالهك واقري اني الهك قالت
قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك

اي قطعوا

عذبتك

عذبتك هذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها
الكبرى فذبحها على فيها فقال اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت
من على الارض على فيّ ما كفرت بالله عز وجل فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت
المراة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه
لا تجزعي فان الله قد بنا لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث
الا ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون
انه قد رؤي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي وثلثة صفوف
من الوحش خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة
ولم يظهر علي احد فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سوله
وايما هذين الرجلين اظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الاخرة الى النار فانصرف
الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على روس الملا فقال له
فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعي به فقال احق ما يقول هذا قال ما رايت مما قال شيئا فاعطاه
فرعون فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل نساء
بني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان
اصبر على ما ياتي فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس
قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثه عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي
كان بها قالت ما بي جنون وان الهي والهها والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فمزق عليها ثيابها
وارسل الى ابويها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك اني اشهد
ان ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها ابوها يا اسية الست من خير نساء
العالمين وزوجك اله العالمين قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له ان يتوجني
تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها بين اربعة
اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة قوله تعالى الذين طغوا في البلاد
يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا انتهى ثم فسر ذلك الطغيان بقوله فاكثروا فيها الفساد يعني
القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع
اقسام الاثم فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه
بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط
خلط الشيء بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب تجري ذلك لكل نوع منه وقيل
هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب تجري ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي
ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه الاية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم
بسوط منها ان ربك لبالمرصاد قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد
لا يفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان المرصد والمرصاد الطريق وقيل يرجع الخلق الى حكمه

وامرهم واليه مصيرهم وقيل انه يرصد اعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شيء من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل
ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم قوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه اي امتحنه ربه بالنعمة فاكرمه اي بالمال
ونعمه اي وسع عليه فيقول ربي اكرمني اي بما اعطاني من المال وانتهى واما اذا ما ابتلاه يعني بالفقر فقدر عليه
اي فضيق وقيل قتر عليه رزقه اي وقدر اعطاه ما يكفيه فيقول ربي اهانن اي اذلني بالفقر قيل نزلت
في امية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحد بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة
والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان
الفقر اهانة فقال تعالى كلا اي ليس الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام
والاهانة لا يدوران على المال والسعة في الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله وحكمته فقد يوسع على
الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه
بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليمتحنه ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليمتحنه ايصبر ام يجزع
ويقلق بل لا تكرمون اليتيم اي لا يعطونه حقه الثابت له من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون
يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه ولا تحضون على طعام المسكين اي لا يطعمون مسكينا
ولا يامرون باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضكم بعضا على ذلك وتاكلون التراث
اي الميراث اكلا لما اي شديدا والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون
النساء والصبيان وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذي ياكل كل شيء يجده ولا يسال احلال ام
حرام وياكل الذي له ولغيره وتحبون المال حبا جما اي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به كلا اي ما
ينبغي ان الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام
اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال
تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اي دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وشجر
حتى لم يبق على ظهرها شيء وجاء ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت عنها
وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وامروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه
ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وغالب المتكلمين
وقالوا قد ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الاية فقيل في تاويلها وجاء امر
ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل ايات ربك فجعل مجيئها مجيئا
له تفخيما لتلك الايات والملك صفا صفا اي تنزل ملائكة كل سماء فيصفون صفا على حدة فيصطفون صفا
بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف وجيء يومئذ يعني يوم القيامة بجهنم قال ابن مسعود
في هذه الاية تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب
على يسار العرش يومئذ يعني يوم يجاء بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ الكافر ويتوب وانى له الذكرى
يعني انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي
في الآخرة التي لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ
ولا يوثق وثاقه احد يعني لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل
والاغلال وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق

وثاقه

وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة اي الثابتة
على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التي ايقنت بان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل
المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله تعالى وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل
هي المطمئنة بذكر الله تعالى وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في
خبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل في ابي بكر الصديق
والاصح ان الاية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية ارجعي الى ربك اي الى ما
وعدك ربك من الجزاء والثواب وقيل لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا
توفي العبد المؤمن ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي ايتها
النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده
احد في انفه والملائكة على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب
الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه
النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله
وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له فيه نور مثل
الشمس في قبره ويكون مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه واذا توفي الكافر ارسل
الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال
ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي
الى ربك اي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها عند البعث فيامر الله تعالى الارواح ان ترجع الى الاجساد
وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن
الله بما اعد الله لك مرضية اي رضي عنها ربها وقيل يقال لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا
كان يوم القيامة قيل لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل معنى في عبادي اي في جملة عبادي الصالحين المصطفين
وادخلي جنتي قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته فدخل نعشه
ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض اهل الاشارة في تفسير هذه الاية يا ايتها النفس
المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله اعلم

تفسير سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول سورة القيامة والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين
وانت حل بهذا البلد اي مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل
حل اي حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها
احل الله عز وجل مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس
ابن صبابة وغيرهما فاحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اغلق

بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل
لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيمة والمعنى ان الله تعالى
لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها
له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو متقدم بمكة ان يفتحها عليه
في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل في معنى قوله وانت حل بهذا البلد قال لا يحرمونه
ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك واخراجك منه ووالد وما ولد يعني آدم وذريته اقسم الله تعالى
بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة
له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد
مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ابن عباس ايضا قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه
وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم
وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون
المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شيء من الحيوان يمشي منكبا وقيل منتصبا
رأسه في بطن امه فاذا اذن الله تعالى في خروجه انقلب رأسه الى اسفل وقيل في كبد اي في
قوة نزلت في ابي الاشد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول
من ازالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع
قدميه ايحسب يعني ابا الاشد من قوته ان لن يقدر عليه احد يعني ايظن لشدته في نفسه ان لا يقدر عليه الله
وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول يعني هذا الكافر اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي كثيرا من التلبيد
الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ايحسب ان لم يره احد يعني ايظن ان
الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما
قال والمعنى ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق
ولم ينفق ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين يعني ان نعم الله عليه متظاهرة يقرره بها كيما يشكر وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم
ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك فيما حرمت
عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وهديناه النجدين قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر
والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين قوله تعالى فلا اقتحم العقبة يعني فهلا انفق ماله
فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان فيكون ذلك خيرا له من انفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى
لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله تعالى لم يحمل على نفسه
المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المسكين
كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة
في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله وهي هذه النفس وقيل هي الصراط يضرب على متن
جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وانه بجنبتيه كلاليب وحسك

كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم
من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ثم منهم من يمر عليه كالرجل يمشي
ومنهم من يمر عليه يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل في معنى الآية فهلا
سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى وما ادراك ما العقبة اي وما ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة
يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه
او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداه من النار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي
بسنده عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت
اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسألة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة
ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الآية فك رقبته من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات
التي يصير بها الى رضوان الله والجنة فهي الحرية الكبرى وتتخلص بها من النار او اطعام في يوم ذي مسغبة اي يوم ذي مجاعة
والسغب الجوع يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة او مسكينا ذا متربة يعني قد لصق
بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا
تنفع الا مع الايمان بقوله ثم كان من الذين آمنوا والمعنى انه ان كان مؤمنا نفعته هذه القرب وكان مقتحما للعقبة
وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة وتواصوا بالصبر يعني اوصى بعضهم بعضا بالصبر على
اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه وتواصوا بالمرحمة اي برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله تعالى والشفقة
على خلق الله اولئك يعني اهل هذه الخصال اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة يعني
مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله اعلم

تفسير سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والشمس وضحاها اي وضوئها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوؤها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى
هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد
نورها قوي حرها وهذا اضعف الاقوال والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت
الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوؤه ويستدير
وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال
فكأنه تبعها والنهار اذا جلاها يعني جلا الظلمة بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه
معروفا والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام
الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل
ويتبعها القمر والسماء وما بناها اي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كأنه اقسم به وباعظم
مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اي والسماء وبنائها والارض وما طحاها اي بسطها

وسطحها على الماء ﴿ونفس وما سواها﴾ أي عدل خلقها وسوى أعضاءها هذا إن أريد بالنفس الجسد وإن
أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة
والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل إنما نكرها لأنه أراد بها النفس الشريفة العاقلة
التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الإنس والجن ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ قال ابن عباس
بيّن لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقيل ألزمها
فجورها وتقواها وقيل جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور وذلك لأن الله تعالى
خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور (م) عن أبي الأسود الديلي قال قال عمران بن حصين أرأيت ما
يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون
به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال
لي يرحمك الله أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا
يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى
فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال
لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها
وتقواها﴾ (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم
العمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به
المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام أقسم بالشمس وضحاها
وما بعدها لشرفها ومصالح العالم وقيل فيه إضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها وأورد على القول
أنه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء
ورب من بناها وهذا خطاب لا يجوز وأجيب عنه بأن ما فسرت بالمصدرية فلا إشكال فيه وإن فسرت بمعنى
من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى ﴿قد أفلح﴾ المعنى لقد أفلح ﴿من زكاها﴾
أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة ﴿وقد خاب
من دساها﴾ أي خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشيء إذا أخفاه فكأنه
سبحانه وتعالى أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسار من خذله وأضله حتى لا يظن
أحد أنه يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن
أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب
القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم
لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ﴿كذبت ثمود﴾ قوم صالح عليه السلام
﴿بطغواها﴾ أي بطغيانها وعدوانها والمعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا ﴿إذ انبعث أشقاها﴾
أي قام وأسرع وذلك أنهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا
أشقر أزرق قصيرا قام بعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة
والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع

في أهله مثل أبي زمعة لفظ البخاري قوله عارم أي شديد ممتنع قوله تعالى ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صلى الله
عليه وسلم يعني صالحا عليه السلام ﴿ناقة الله﴾ أي ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا
على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله ﴿وسقياها﴾ أي وشربها أي ذروا شربها ولا تعرضوا
للماء يوم شربها ﴿فكذبوه﴾ يعني صالحا ﴿فعقروها﴾ يعني الناقة ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ أي فدمر عليهم ربهم
وأهلكهم والدمدمة هلاك باستئصال وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت
منهم أحد ﴿بذنبهم﴾ أي فعل ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة
﴿فسواها﴾ أي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الأمة وأنزل
بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي لا يخاف الله تبعة من أحد في إهلاكهم
قاله ابن عباس وقيل هو راجع إلى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما أقدم عليه من عقر الناقة وقيل
هو راجع إلى صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من العذاب أن يؤذيه أحد بسبب
ذلك والله أعلم.

تفسير سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿والليل إذا يغشى﴾ أي يغشى بظلمته فيذهب بضوء النهار أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكن لكافة
الخلق يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله ﴿والنهار
إذا تجلى﴾ أي بان وظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ أي ومن خلق
فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء
واحد إن أريد به جنس الذكر والأنثى ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى
والقادر العظيم الذي قدر وقيل هما آدم وحواء وإنما أقسم بهما لأنه تعالى ابتدع خلق آدم من
طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أي إن أعمالكم لمختلفة فساع
في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس
يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله موبقها أي مهلكها قوله تعالى ﴿فأما من أعطى﴾ أي
أنفق ماله في سبيل الله عز وجل ﴿واتقى﴾ أي ربه وفيه إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي ﴿وصدق
بالحسنى﴾ قال ابن عباس صدق بلا إله إلا الله وعنه صدق بالخلف أي أيقن أن الله سيخلف عليه ما
أنفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعود الله عز وجل الذي وعده أنه يثيبه
﴿فسنيسره﴾ أي فسنهيئه في الدنيا ﴿لليسرى﴾ أي للخلة والفعلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل
﴿وأما من بخل واستغنى﴾ أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه ﴿وكذب بالحسنى﴾ أي بلا إله إلا الله أو كذب بوعد
الله بالجنة والثواب ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أي فسنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي
الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه أن يأتي خيرا وفي الآية دليل لأهل السنة وصحة قولهم
إن التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل مع ما سبق
له في الأزل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده

أي بالنفقة في الخير والطاعة

من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم الا وقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل
على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير
لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتاء المثناة فوق
ضرب الارض بذلك او غير ذلك مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق وذكر انه اشترى بلالا
من امية بن خلف ببردة وعشر اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى
يعني سعي ابي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال
فكان صاحب النخلة اذا صعد نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك فينزل
الرجل من نخلته حتى يأخذ التمر من ايديهم وان وجدها في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه حتى يخرجها فشكى
ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك التي
فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل ان لي نخلا وما فيه اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك
ابو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعنيها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال
هي لك فاتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي
لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة فقال خذها لك ولعيالك فانزل
الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت
القصة صحيحة فتكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق
وامية بن خلف لان سياق الآيات تقتضي ذلك قوله عز وجل وما يغني عنه ماله اي الذي بخل به اذا
تردى اي اذا مات وقيل هوى في جهنم ان علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من
طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد
والهداية وعليه تبيين طريقهما وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد
اوليائي الى العمل بطاعتي واصرف اعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله
وان لنا للآخرة والاولى اي لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق فانذرتكم
اي يا اهل مكة نارا تلظى اي تتوقد وتتوهج لا يصلاها الا الاشقى يعني الشقي الذي كذب يعني الرسول وتولى
اي عن الايمان وسيجنبها الاتقى يعني التقي الذي يؤتي اي يعطي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زكيا لا
يطلب بما انفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق في قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة
فيعتقهم فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري اريد فنزل فيه
وسيجنبها الاتقى يعني الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال
بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس
فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او
تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما
وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته

فانقذه

فانقذه مما ترى فقال ابو بكر افعل عندي غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه
به قال قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على
الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة
شهيدا وام عبيس وزنيرة فاصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات
والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان فرد الله عليها بصرها واعتق النهدية
وابنتها وكانت لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا اعتقكما
ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما
وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه
وما كانوا فيه من البلاء واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر عتيقا فقال في ذلك
جزى الله خيرا عن بلال وصحبه عتيقا واخزى فاكها وابا جهل عشية هما في بلال بسوءة ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله شهدت بان الله ربي على مهل فان تقتلوني تقتلوني ولم اكن لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل لمن ظل يهوى الغي من آل غالب على غير حق كان منه ولا عدل
وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس
عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله ابو بكر على
الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال له امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال
المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل وما لاحد عنده اي عند
ابي بكر من نعمة تجزى اي من يد يكافيه عليها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى يعني لم يفعل ذلك مجازاة لاحد
بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب رضاه ولسوف يرضى اي بما يعطيه الله عز وجل
في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم

وقتل

بنسطاس

تفسير سورة الضحى مكية

وهي احدى عشرة آية واربعون كلمة واثنان وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والضحى اختلفوا في سبب نزول هذه الآية السورة على ثلاثة اقوال
القول الاول عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت
امرأة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى
والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى اخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار
فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال فابطأ عليه
جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة المذكورة في الحديث
المتفق عليه هي ام جميل امرأة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي القول
الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس جبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عاتبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه
فقيل اثنا عشر يوما وقيل اربعون يوما قالوا فلما نزل عليه الوحي جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل

عليهم

ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مأمور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل
الله تعالى هذه السورة قوله تعالى والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل
اذا سجى وقيل يعني وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء والليل اذا سجى
قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شيء بظلامه وقيل معناه سكن واستقر ظلامه فلا
يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي
ما تركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك واتى قلا ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الآي وقيل معناه وما قلا
احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة وللآخرة خير لك من الاولى اي الذي اعطاك ربك في الآخرة خير لك واعظم من
الذي اعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا
الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن عباس هو الشفاعة في امته حتى يرضى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيه
فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا
نسوءك ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني
آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا
اخرجه الترمذي قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجى آية
في القرآن قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك من النصر والتمكين وكثرة
المؤمنين فترضى وقيل حمل الآية على خيري الدنيا والآخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه في الدنيا من النصر والظفر
على الاعداء وكثرة الاتباع في زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلاء دينه وان امته خير الامم واعطاه في الآخرة الشفاعة
العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه في الدنيا والآخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكره نعمه عليه
واحسانه اليه فقال عز وجل الم يجدك يتيما فآوى اي الم يجدك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى الم يجدك يتيما صغيرا
حين مات ابواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى فجعلت لك مأوى تأوي اليه وضممتك الى عمك ابي طالب حتى احسن تربيتك وكفاك
المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب
الى ان قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك اليه وشرفك
بنبوته واصطفاك برسالته ووجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينا هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء ابليس فاخذ
بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل ووجدك ضالا لنفسك لا تدري من انت فعرفك بنفسك وحالك وقيل ووجدك
بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك انه كان
صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله الى دينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما
انزل اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة
على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا نشأوا على التوحيد

اي ر

من الثواب م

والايمان

والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله وتوحيده ويدل على ذلك ان قريشا
عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا عليه سبيلا اذ لو كان فيه
لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوا فيه وعيروه به ويدل على هذا ما روي في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب الى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة
فيه وهو صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا بغضهما
ويدل على هذا ايضا شرح صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقال جبريل هذه حظ الشيطان
وملأه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشري ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة
فان اراد انه على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا
معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء والله اعلم وقوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنائم
وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذا حقيقة الغنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسألة وددت اني لم اكن سألته قلت
يا رب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك
قلت بلى اي رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى اي رب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى اي رب
زاد في رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى اي رب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم
ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت
انما حسن ذلك لانه تعالى قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر الفرق بين امتنان
الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق وهو المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال ما لك
تقطع رجاك عني الست الذي ربيتك وآويتك وانت يتيم صغير أفتظن اني تاركك ومضيعك كبيرا بل لا ابدا وان
اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين
والفقراء فقال تعالى فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب
به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامى يأخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي
بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين
بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار باصبعيه خ عن سهل بن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ه واما السائل
فلا تنهر يعني السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا
برفق ولا تنهره بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم السائل
بريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب
اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهره ولا يلقاه بمكروه ه واما بنعمة ربك فحدث قيل اراد بالنعمة
النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن امره ان يقرأه ويعلمه غيره وقيل
اشكر لما ذكر من نعمه عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر ه

ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمه الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اعطي عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى
بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس
لا يشكر الله وله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ٥
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل
لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب ٥ والسنة
في قراءة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على راس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان
الوحي لما احتبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله اعلم ٥

تفسير سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان ايات ٥ وسبع وعشرون كلمة ٥ ومائة وثلاثة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك استفهام
بمعنى التقرير اي قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصد عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم
للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان
والنبوة والعلم والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره مر عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل
عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال
هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان
يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت
ارى اثر المخيط في صدره ٥ ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية
فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها
اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر الذي
ينقض الظهر في اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك
لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفى في
سورة طه عند قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ٥ الذي انقض
ظهرك اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل او الرحل فوق البعير من حمل
الوزر على ما قيل البغوي قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل نبوته اذ لم ترد عليه شريعة
بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها
له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين وقوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال
جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد
الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان
محمدا رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة ورفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس

خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل
صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التاذين وفيه يقول حسان بن ثابت اغر عليه للنبوة
خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد ٥ وضم الاله اسم النبي مع اسمه اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ٥ وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على
النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه محمد رسول الله وفي
الله وفرض طاعته على الامة اطيعوا الله واطيعوا الرسول من يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما في القرآن
وغيره من كتب الانبياء ثم وعده اليسر مع العسر والرخاء بعد الشدة والعنا وذلك انه كان في شدة
بمكة فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء
بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا والحق الذي جئتهم به ٥ ان مع العسر يسرا كرره لتاكيد الوعد
وتعظيم الرجا قال الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا اتاكم اليسر
لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن
يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر
وذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان
الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت
درهما فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في
الاية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكانه قال فان
مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا اخر وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا
القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة
واليسر نكرة فوجب ان يكون عسر واحدا ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع
الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهل يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين
فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت
قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنا جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم
النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده
الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي لا يحزنك الذي يقولون
فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات
يده حتى كان يعطي المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة فقال
تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين
والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمؤمنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما
ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكر في الاية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب
عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الاخرة انما يغلب احدهما وهو
يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدائم ابدا غير زائل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا
عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال القتيبي كنت يوما بالبادية بحالة من الغم فالقي
في روعي بيت شعر فقلت ارى الموت لمن اصبح مغموما له اروح ٥ فلما جن الليل سمعت هاتفا

هتف في الهوا الا يا ايها المرء الذي الهم به برح وقد انشد بيتا لم يزل في فكره ليسنح اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح فعسر بين يسرين اذا ابصرته فافرح قال فحفظت الابيات وفرج الله عني وقال اسحق ابن بهلول القاضي فلا تاييس وان اعسرت يوما فقد ايسرت في الزمن دهر طويل فلا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل فان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل وقال سليمن بن احمد الرقي في المعنى توقع صنع ربك الخطوب سرور البشر دها عنك قسرا ترى الله يخلف ميعاده وقد قال ان مع العسر يسرا

قوله تعالى فاذا فرغت فانصب لما عدد الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة حثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعا وارغب اليه في المسلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمومنين قال عمر بن الخطاب اني اكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل اخرة السبهلل الذي لا شي معه وقيل السبهلل الباطل والى ربك فارغب اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم

تفسير سورة والتين مكية

وهي ثمان ايات واربع وثلثون كلمة ومايه وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والتين والزيتون قال ابن عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوايب التنغيص وفيه غذا ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الرشح ويلين الطبع ويقلل البلغم واما الزيتون فلانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يوكل ويستصبح به وشجرته في اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وسينين اسم المكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسينا لحسنه او لكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسينا وهذا البلد الامين يعني الامن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذي يامن فيه الناس في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يعني في اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق ثم رددناه اسفل سافلين يعني الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفا والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هولا جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من

بعض ثم استثنى فقال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم لا يردون الى النار والى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثنا منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذي عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول الشيب خاص والحكم عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروي عن ابن عباس قال الا الذين امنوا قروا القران ومن قرا القران لم يرد الى ارذل العمر فلهم اجر غير ممنون يعني غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة فما يكذبك يعني ايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات بعد اي بعد هذه الحجة والبرهان بالدين اي بالحساب والجزاء والمعنى فما الذي يلجيك ايها الانسان الى هذا الكذب الا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلايل والبراهين اليس الله باحكم الحاكمين اي باقضى القاضين يحكم بينك وبين اهل التكذيب يوم القيمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشا الاخرة فقرا في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة اقرا مكية

وهي تسع عشرة ايه واثنتان وتسعون كلمة ومايتان وثمانون حرفا قال اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القران واول ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم ق عن عايشة ام المومنين انها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة وفي رواية الصادقة في النوم وكان لا يرى رويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاه الحق وفي رواية حتى فجيه الحق وهو في غار حرا فجاه الملك فقال اقرا قال ما انا بقاري قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري قال فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة ابن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية ما شا الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جيت به الا عودي وان يدركني

يومك انقرض نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي
يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت
عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك فصل في هذا
الحديث دليل على صحيح صريح على ان سورة اقرأ اول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل
وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك
هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم او من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به
الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فياتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية
فبدئ بعلامات النبوة توطية للوحي واما التحنث فقد فسره في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث
وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجئه الحق اي جاءه الوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطاء
المهملة اي عصرني وضمني عصرا شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات
الى غيره والمبالغة في احضار قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه
غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك ابدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من
الخزي اي لا يفضحك الله ولا يهينك ولا يهلكك ولا يذلك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون لا يحزنك من الحزن
الذي هو ضد الفرح قولها وتحمل الكل اي الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدوم
عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الافعال وخصال
الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل
بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله ان يكتب ومعناها
صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شاء منه بالعبرانية
ان اراد وبالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعني جبريل
عليه السلام ومعنى الناموس صاحب سر الخير وانما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبيا قوله يا ليتني فيها
في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا بالغا قولها فلم ينشب ورقة ان توفي اي فلم يلبث ان مات قبل
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى اي يتردى الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه تبدى له اي ظهر له قوله فيسكن
لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل هو ما ثار من فزع وهاج من حزنه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقرأ باسم

ربك قيل الباء زايدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امر ان يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على
اصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك اي قل باسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الآية دلالة على استحباب البداية
بالتسمية في اول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة واعباء الرسالة
الذي خلق يعني جميع الخلايق وقيل هو الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق
كل شيء خلق الانسان يعني ابن آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين ساير المخلوقات لانه اشرفها واحسنها
خلقة من علق جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤوس الآي اقرأ
كرره تاكيدا وقيل الاول اقرأ لنفسك والثاني اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استانف فقال تعالى وربك الاكرم يعني
هو الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاه

الشيء من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا او دينا بل المدح
والثواب عوض والله سبحانه وتعالى يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه اكرم الاكرمين
وقيل الاكرم هو الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم
بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشر حسنات
الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغايبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من
المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم
ولولا الكتابة ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح
عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان
ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان ما لم يعلم وقيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون
المراد من ذلك معنى واحد وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها
وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى كلا اي حقا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز الحد
ويستكبر على ربه ان رآه اي لان رآه استغنى اي رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى
في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان اذا اصاب مالا ازداد في ثيابه ومركبه وطعامه
فذلك طغيانه ان الى ربك الرجعى اي المرجع في الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة
الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى
النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة م عن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم
فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطان رقبته ولاعفرن وجهه في التراب قال فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له
ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته
الملايكة عضوا عضوا فانزل الله لا ندري في حديث ابي هريرة او شيء بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا
تطعه قال وامره بما امره به زاد في رواية فليدع ناديه يعني قومه خ عن ابن عباس قال قال ابو جهل
لئن رأيت محمدا يصلي عند البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته
الملايكة عيانا ومعنى ارأيت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفايدة
التنكير في قوله عبدا ليدل على انه كامل العبودية والمعنى ارأيت الذي ينهى اشد الخلق عبودية في
العبودية وهذا دابه وعادته قيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة
الله ولا يلزم منه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن
ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم
التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا ان ياذن فيه المولى والزوج ارأيت ان كان على الهدى
يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعني بالاخلاص والتوحيد ارأيت ان كذب
يعني ابا جهل وتولى اي عن الايمان وتقدير نظم الآية ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر
بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان اي فما اعجب من هذا الم يعلم يعني ابا جهل بان الله يرى يعني
يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لئن لم ينته

يعني عن ابن محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ اي لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار
يقال سفعت بالشيء اذا اخذته وجذبته جذباً شديداً والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب
اي لنضربن وجهه بالنار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ اي صاحبها
كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابو جهل اتنتهرني فوالله لاملان عليك هذا الوادي ان شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً وعن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره
فقال ابو جهل انك لتعلم ما بها نادٍ اكثر مني فانزل الله تبارك وتعالى ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾
قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح
ومعنى فليدع ناديه اي عشيرته وقومه فليستنصر بهم واصل النادي المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى
نادياً ما لم يكن فيه اهله ﴿سندع الزبانية﴾ يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد
زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها لشدة ماخوذ من الزبن وهو الدفع ﴿كلا﴾ اي
ليس الامر على ما هو عليه ابو جهل ﴿لا تطعه﴾ اي في ترك الصلاة ﴿واسجد﴾ اي صل لله ﴿واقترب﴾
اي من الله (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
فاكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقارئ والمستمع
ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك
واذا السماء انشقت اخرجه مسلم والله اعلم

تفسير سورة القدر مدنية

وقيل انها مكية والقول الاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل بالمدينة وهي خمس آيات
وثلثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

﴿انا انزلناه﴾ يعني القرآن كناية عن غير مذكور ﴿في ليلة القدر﴾ وذلك ان الله عز وجل انزل القرآن جملة واحدة
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
نجوماً متفرقة في مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السماء الدنيا
لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة
القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من
السنة المقبلة بتقدير الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى يظهر ذلك للملائكة ويامرهم بفعل
ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد انه يحدثه في تلك الليلة
لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل
أليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال
سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها
على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير اي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح
يكون فيها ذا قدر عند الله تعالى لكونه مقبولاً وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة

فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال
بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت
لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيراً لكم وهذا غلط ممن قال هذا القول لان
آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة فلو
كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء رضي الله عنهم على انها باقية الى يوم القيمة
روي عن عبد الله بن يحنس مولى معوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك
قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها في وجودها اختلفوا في محلها فقيل
هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابداً قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث
الواردة فيها وقالوا المختلفة وقال مالك والثوري واحمد واسحق وابو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من
رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابداً في جميع السنين ولا
تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابي حنيفة وصاحبيه وروي عن ابن مسعود
انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر
رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة
فقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها
وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضاً والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر
الاواخر من رمضان ذكر الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجاور في العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر
وذهب الشافعي الى انها ليلة احدى وعشرين (ق) عن ابي سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من اعتكف فليرجع الى معتكفه واني اريت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين
فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم
وكان المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا
كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف
العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنين وعشرين حديث عن عبد الله بن انيس كنت في مجلس بني سلمة وانا
اصغرهم فقالوا من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك صبيحة احدى وعشرين من
رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة
القدر فقال كم الليلة قلت اثنان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاث وعشرين
اخرجه ابو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم الى انها ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي ايضاً (خ)
عن الصنابحي انه سال بلالاً هل سمعت في ليلة القدر شيئاً قال اخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي
بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين

قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى
الصبح وجد دابة على باب المسجد فيجلس عليها فيلحق بضيعته اخرجه ابو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها
ليلة اربع وعشرين خ عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي ليلة خمس وعشرين دليله
قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين حكي
ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد م عن زر بن حبيش قال
سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة القدر فقال
ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني ووالله اني لاعلم اي ليلة هي هي الليلة التي امرنا
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس في صبيحة يومها
بيضاء لا شعاع لها عن معوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابو داود
وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال وروي موقوفا
عليه ذكر ليالي مشتركة عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر
اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه
ابو داود وعن عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا
بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها
في تسع يبقين او سبع يبقين او خمس يبقين او ثلاث او اخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في
العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي خ
عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من
المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان اي تخاصم رجلان
فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة قوله
فتلاحى رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان
وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها خ ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي
في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة
تبقى قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلث وعشرين
وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين واخر ليلة من رمضان قال الشافعي كان هذا
عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسال عنه يقال له نلتمسها في
كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي واقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى
وعشرين قال البغوي وفي الجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة
ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى في
الصلوات الخمس واسمه الاعظم في اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في

المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها
ما روي عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها ق عن
عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد
وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره
ق عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل
ثم اعتكف ازواجه بعده ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر
من رمضان عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم
انك عفو تحب العفو فاعف عني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائي وابن ماجه
قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر اي اي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا
على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ليلة القدر خير
من الف شهر قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على
عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت
امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التي حمل
الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيمة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته
ان لا يبلغون من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيرا من الف شهر
اخرجه مالك في الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر ليس
فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يزيد الله فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة الوجه الثاني
من فضلها قوله تعالى تنزل الملائكة يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوا وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة
والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا عما قالوه ويستغفرون لهم لما
يرون من تقصير قد يقع منهم (من بعضهم) والروح يعني جبريل عليه السلام قاله اكثر المفسرين وفي حديث
انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة
يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي وقيل ان الروح طائفة
من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل
ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم
من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر الوجه الثالث
من فضلها قوله سلام اي سلام على اولياء الله واهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة
في ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون
فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة سلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم
ابتدا فقال تعالى سلام هي يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة
ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا اذى

فيها اذى حتى مطلع الفجر اي ان ذلك السلام او السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله اعلم

تفسير سورة لم يكن وتسمى البينة مدنية قاله الجمهور

وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين اي ومن المشركين وهم عبدة
الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه في دينهم اما
اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة
ونحو ذلك والثاني المشركون اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله تعالى الجنسين
في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل
معناه زائلين حتى تاتيهم البينة اي حتى اتتهم البينة لفظه مضارع ومعناه الماضي والبينة
الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقران مبينا لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجهالة
ودعاهم الى الايمان فامنوا فانقذهم الله به من الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثته اليهم
والاية فيمن امن من الفريقين قال الواحدي في البسيط وهذه الاية من اصعب ما في القران نظما وتفسيرا
وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا
اقول وجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم
ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول
فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه
من وجوه اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل
الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا
ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى
عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق
على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول
الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول
واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا
والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين
كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور على سبيل حكاية حالهم وقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان على خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية لم يكن الذين
كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس
من اللغة في شيء وذكر وجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من الله اي
تلك البينة رسول من الله يتلو اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم صحفا اي كتبا يريد ما تضمنه
المصحف من المكتوب فيه وهو القران لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرا عن ظهر قلبه لا عن كتاب مطهرة

اي من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة عن القبيح وقيل مطهرة مكرمة معظمة وقيل مطهرة
اي لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون فيها اي في الصحف كتب اي الايات المكتوبة وقيل الكتب يعني
الحكم قيمة اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر
اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني
في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني جاءهم البيان في كتبهم انه نبي مرسل قال
المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فبعث
تفرقوا في امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر ما امروا به في كتبهم فقال تعالى وما
امروا يعني هؤلاء الكفار الا ليعبدوا الله اي وما امروا الا ان يعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا الا
في التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له مخلصين له الدين الاخلاص عبارة عن
النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء
الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذي ياتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت
معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور به فلا بد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار
النية في جميع المامورات قال اصحاب الشافعي الوضوء مامور به ودلت هذه الاية على ان كل مامور به يجب
ان يكون منويا فتجب النية في الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان ياتي بالفعل لوجه الله مخلصا
له لا يريد به رياء ولا سمعة ولا عرضا اخر حتى قالوا لا ينبغي ذلك ان يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار
مطلوبا وان كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا للرب عز وجل بالربوبية
وقيل في معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضى الله تعالى بالعبادة ثم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم
ولكن ينظر الى قلوبكم حنفاء اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم
عليه السلام وقيل حنفاء اي حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل
حنفاء اي مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف الذي امن بجميع الانبياء والرسل ولم يفرق
بين احد منهم فمن لم يؤمن بافضل الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ويقيموا الصلاة اي المكتوبة
في اوقاتها ويؤتوا الزكاة اي المفروضة عند محلها وذلك اي الذي امروا به دين القيمة اي الملة المستقيمة
والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة
وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك دين اصحاب
الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد
واستدل بهذه الاية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا
ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مال الفريقين فقال تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فان قلت لم
قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون
به قبل مبعثه ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وكفروا به مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين
فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع

والينبوع والقينة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين في العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا وادخلهم اسفل سافلين في الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب ﴿في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية﴾ اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال بل تبقون خالدين فيها فكانهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية ﴿ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية﴾ يعني انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ قيل الرضا ينقسم قسمين رضى به ورضى عنه فالرضى به ربا ومدبرا والرضى عنه فيما يقضي ويقدر قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضى عنك وقيل رضي اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة ﴿ذلك﴾ اي هذا الجزاء والرضى عنه ﴿لمن خشي ربه﴾ اي لمن خاف ربه في الدنيا وتناهى عن المعاصي ق عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان الله عز وجل امرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية للبخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك قال الله سماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه شرح الحديث اما بكاء ابي فانه بكاء سرورا واستصغارا لنفسه عن تاهيله لهذه النعمة العظيمة واعطائه المنزلة فالكرامة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عليه فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فلانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابي فهي ان يتعلم ابي القراءة من الفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة اسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره فكانت قراءته على ابي ليتعلم ابي منه لا ليتعلم هو من ابي وقيل انما قرأ على ابي ليتعلم الناس التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي وحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم راسا واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله عنهم والله اعلم

تفسير سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية

وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ﴿اذا زلزلت الارض زلزالها﴾ اي حركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة قيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط

والثاني انها زلزلة يوم القيامة ﴿واخرجت الارض اثقالها﴾ فمن قال ان الزلزلة تكون في الدنيا قال اثقالها كنوزها وما في بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا اخرجه مسلم الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستورة في الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فيخرجهم الى ظهرها وقيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سمي الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا ﴿وقال الانسان ما لها﴾ اي ما لها زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان قولان احدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثاني انه اسم الكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الاية ﴿يومئذ تحدث اخبارها﴾ فيقول الانسان ما لها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير او شر فتشكو العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ﴿يومئذ تحدث اخبارها﴾ قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ﴿بان ربك اوحى لها﴾ اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها الله به وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى ﴿يومئذ يصدر الناس﴾ اي عن موقف الحساب بعد العرض ﴿اشتاتا﴾ اي متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ﴿ليروا اعمالهم﴾ قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ اي وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد ﴿خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وولده وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شيء قيل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه فكان احدهما ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشيء انما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة والغيبة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر والاثم الصغير في عين صاحبه فانه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة

الارض

كذا في

قال ابن مسعود احكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الآية
الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل
واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة
رضي الله عنهم قال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت
الموعظة والله اعلم ه

تفسير سورة والعاديات مكية

في قول ابن مسعود وغيره ومدنية في قول ابن عباس وغيره وهي احدى عشرة آية واربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعاديات ضبحا
فيه قولان احدهما انها الابل في الحج قاله علي وابن مسعود قال علي تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه
قال كانت اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون
العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا ضبعا وهو مد اعناقها في السير واصله من حركة النار في العود
فالموريات قدحا يعني ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيوري النار
وقيل هي النيران تجمع فالمغيرات صبحا يعني الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تدفع حتى
يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير فاثرن به نقعا يعني غبارا لان سيرها يثير الغبار
فوسطن به جمعا اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها
من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض بمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو
الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك ه القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي
الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات يضبح سوى
الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او فزع ومن قول العرب ضبحته النار
اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعني انها توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار
العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم
ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن
لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت
عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا اي غبارا فوسطن به جمعا اي دخلن بذلك النقع وهو الغبار وقيل
صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الآيات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان
الضبح من صفة الخيل وكذا ابراء النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من
المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما
ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى ان الانسان لربه لكنود وهذا جواب القسم قال ابن عباس
الكنود الكفور الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل
هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته
الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وانه على ذلك لشهيد قال اكثر المفسرين وان الله على كونه
كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع وانه يعني الانسان لحب الخير
اي المال لشديد اي لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي

افلا يعلم يعني هذا الانسان اذا بعثر اي اثير واخرج ما في القبور يعني من الموتى وحصل ما في الصدور اي ميز
وابرز ما فيها من خير او شر ان ربهم بهم اي جمع الكناية لان الانسان اسم جنس يومئذ لخبير اي عالم والله تعالى خبير
بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور
لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله اعلم

تفسير سورة القارعة مكية

وهي ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل القارعة اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اي شدائده والقارعة من اسماء القيامة
سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور
مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته ما القارعة تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع في الهول
والشدة وما ادراك ما القارعة معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد
وكيف ما قدرت امرها فهي اعظم من ذلك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت
في النار وسمي بذلك لتفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة
بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعون فيذهب كل
واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد
لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد في الكثرة يموج بعضهم
في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف المندوف وذكر
انها تتفرق اجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كأنه
تعالى نبه على ان تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلبة الصلدة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان
الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق الى قسمين فقال تعالى فاما من ثقلت
موازينه يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل
هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في احسن صورة فيوضع
في كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما
توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص
منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضل رحمته واما الكفار فقد قال في
حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروي عن ابي بكر الصديق انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت
موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل
غدا ان يكون خفيفا وقوله تعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها
صاحبها ه واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية اي فمسكنه النار سمي المسكن
اما لان الاصل في السكون الامهات وقيل معناه فام رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسماء النار
وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤوسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت
امه اي هلكت حزنا وثكلا وما ادراك ما هيه يعني الهاوية ثم فسرها فقال نار حامية اي حارة قد انتهى حرها

نعوذ بالله وعظمته منها والله اعلم ۞ تفسير سورة التكاثر مكية
وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ألهاكم
التكاثر اي شغلكم التفاخر والمباهاة والتكاثر بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم
ان من اشتغل بشيء اعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل
فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل
السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان التكاثر والتفاخر بالمال مذموم ما روي عن مطرف بن عبد الله
ابن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل
لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله
وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ۞ حتى زرتم المقابر اي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار
رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك وقيل نزلت هذه
الآية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل
نزلت في حيين من قريش وهم بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو فكان بينهم تفاخر فتعادّ السادة والاشراف
ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف نحن اكثر سيدا واعز عزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم
بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر
فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا في الجاهلية اكثر عددا فانزل الله هذه الآية وهذا
القول اشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى فكانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول
هب انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله عليهم فقال كلا اي ليس الامر كما يتوهم هؤلاء بالتكاثر والتفاخر
وقيل معناه حقا ۞ سوف تعلمون وعيد لهم ۞ ثم كلا سوف تعلمون كرره تاكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة
تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف
تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول كان يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء ۞ كلا لو تعلمون علم اليقين اي
علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة
كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت ۞ لترون الجحيم اللام يدل على انه جواب قسم محذوف
والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم على البعد
ثم لترونها يعني مشاهدة ۞ عين اليقين وقيل انما كرر الرؤية لتاكيد الوعيد ۞ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم
يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث
عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله
والاشتغال بشكره فيسألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال
الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم به عليه والمؤمن يسأل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم به عليه
واطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكيرا بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله واي نعيم نسأل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه
سيكون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسأل العبد عنه فروي عن ابن مسعود

رفعه قال لتسألن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم
ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا
معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله
ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا
حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذي باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروي عن ابن عباس
قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل
يسأل عن الصحة والفراغ والمال خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما
كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسأل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد
لكل احد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسأل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل
عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسأل عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي انقذكم به من الضلال
الى الهدى والنور وامتن به عليكم ۞ تفسير سورة العصر مكية قاله
ابن عباس والجمهور وقيل هي مدنية وهي ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
والعصر قال ابن عباس والدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا
تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها
على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره
ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانه يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان
لاعمال الانسان وقيل اراد بالعصر آخر طرفي النهار اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى وقيل
اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى وقيل هي صلاة العصر وكذا هو في مصحف عائشة وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله
وقيل اراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه في قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل
بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى ان الانسان لفي خسر اي لفي
خسران ونقص قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قوله [illegible] وذلك
لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان لا تنفك
عن خسران اما ان تكون تلك الساعة في طاعة او معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر
وان كانت في طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان
بذلك انه لا ينفك احد عن خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان

الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس
مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار وقد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل
اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم ليسوا في خسر
والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك
وتواصوا اي اوصى بعض المؤمنين بعضا بالحق يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل الايمان والتوحيد
وتواصوا بالصبر على اداء الفرائض واقامة اوامر الله وحدوده وقيل ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم
لفي نقص وتراجع الا الذين آمنوا فانه يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم
وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم اجر غير ممنون والله اعلم

تفسير سورة الهمزة مكية

وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

ويل اي قبوح وقيل هو اسم واد في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين
الاحبة الباغون البرآء العنت وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس وبغضهم قال
الشاعر اذا لقيتك عن كره تكاشرني وان تغيبت كنت الهامز اللمزة وقيل بل يختلف معناهما فقيل
الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي ياكل
لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقيل الهمزة الذي همز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي
يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء
اللفظ واللمزة الذي يومض بعينه ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان على الناس واللمزة
الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر
والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل
فيه من يحكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة
للذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل في الاخنس بن شريق بن وهب
الثقفي وكان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية
ابن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن
عليه في وجهه وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا
من كان وذلك ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين
قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف
والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى الذي جمع مالا وانما وصفه بهذا
الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو اعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر
منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى ما لهو اكثر منه كالشيء الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق
بالعاقل ان يفتخر بالشيء الحقير وعدده اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده وجعله
ذخيرة وعتاده له يحسب ان ماله اخلده اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت مع يساره وغناه قال
الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت

مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت كلا رد عليه اي لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم
والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه
حقا لينبذن واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن
ليطرحن في الحطمة اي في النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية
منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها العظام وما ادراك ما الحطمة اي نار لا كسائر النيران
نار الله الموقدة انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها الموقدة اي لا تخمد ابدا عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد
عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي
وقال ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح التي تطلع على الافئدة اي يبلغ المها ووجعها القلوب
والمعنى انها تاكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شيء في بدن الانسان
وانه يتالم بادنى شيء فكيف اذا اطلعت عليه النار واستولت به ثم انه مع لطافته لا يحترق
اذ لو احترق لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر
والعقائد والنيات الفاسدة انها عليهم موصدة اي مطبقة مغلقة في عمد ممددة قال
ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد في اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب
وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل
النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممددة وقيل اطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد
من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممدد
من صفة العمد اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله اعلم

تفسير سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات وعشرون كلمة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكره محمد
ابن اسحق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي
ملك الحبشة كان بعث ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح
ابو يكسوم فساخط ارياط في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارياط وطائفة
مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على
عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة
بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف
اليها حاج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة
قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترا علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك
البيت سمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره
بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة
فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فاعظموه

ورأوا اجتهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة
وأخذ ذا نفر فقال أيها الملك استبقني فإن بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا
حليما ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل
خثعم خرج إليه اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال له نفيل أيها الملك إني دليل بأرض العرب وهاتان
يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب
في رجال من ثقيف فقالوا أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف إنما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث
معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم فخرج إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم
قبره وبعث أبرهة رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم
الناس فجمع الأسود إليه أموال الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم إن أبرهة بعث حناطة الحميري
إلى أهل مكة فقال سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه أخبره أني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم
هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال إن الملك أرسلني إليك لأخبرك
أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا
قتال وما لنا به يد إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له فإن هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم عليه السلام
فإن يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي إلى الملك
فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان
ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير
لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشيا ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فإنه لي صديق فأسأله
أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فأرسل إلى أنيس فأتاه
فقال له إن هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد
أصاب الملك له مائتي بعير فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي أحب ما وصل
إليه من الخير فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي
يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك
فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة
أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته فهبط إلى البساط فجلس عليه
ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال عبد المطلب
حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك
ولقد زهدت فيك قال لم قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعزكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني
فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنعه
منك قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذاك فأمر بإبله فردت عليه فلما ردت الإبل على عبد المطلب
خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش
ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا أرجو لهم سواكا — يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا — امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال لاهم إن العبد يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك — لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

حس م

جروا

بعثهم

جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك عمدوا حماك بكيدهم وما رقبوا جلالك إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر
ما بدا لك ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس
قد تهيأ للدخول وعبأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت
معه اثنا عشر فيلا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال له ابرك محمود وارجع
راشدا من حيث جئت فإنك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه وأدخلوا
محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل
مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد
الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر
في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا إلا هلك
وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه ويتساءلون عن نفيل بن
حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال وفي ذلك يقول نفيل

ألا ردي ركابنا ردينا نعمناكم على الهجران عينا — فإنك لو رأيت ولن تريه لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا وحصب حجارة تلقى علينا — وكلهم يسائل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على
أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة اتبعتها مدة من قيح ودم فانتهى إلى صنعاء
وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي
وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الآخر شجعوا فحصبوا بالحصباء وقال بعضهم
انفلت أبو يكسوم وزير أبرهة وتبعه طير يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع
عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

إن آيات ربنا بينات ما يماري فيهن إلا الكفور — حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس وزعم
مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جر أصحاب الفيل أن فتية من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي
فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا نارا واشتووا
فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ
إلى النجاشي فأسف غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وقال فيه إنه كان بمكة يومئذ أبو مسعود
الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيلا تستقيم الأمور برأيه
وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود
اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها لله وقلدها
نعلا ثم ابثثها في الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل
ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال
أبو مسعود إن لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه
وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر

عبد المطلب فقال اري طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت
على رؤوسنا قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية قال ما قدرها قال
اشباه اليعاسيب في مناقيرها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا امام كل رفقة
طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت
الرجال كلهم هالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما
اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا احدا ثم دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان
يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى تقع في دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه
فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فؤوسهم فحفر حتى اعمق في الارض فملأه من الذهب الاحمر والجوهر وحفر لصاحبه مثله فملأه
ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال ابو مسعود فاختر لي
على نفسك فقال عبد المطلب اني لم ار ان اجعل اجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته
ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا واصابوا من فضلها حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته
القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهليهما في غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا
في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة
والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى
الم تر اي الم تعلم وذلك ان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا
عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده
يقينا فلهذا قال تعالى له الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانت
الفيلة ثمانية وقيل اثني عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل انما
وحده لوفاق الآي وفي قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل في
العقل ان طيرا تأتي من قبل البحر تحمل حجارة وترمي بها اناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى
الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى التوحيد
واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان
المراد بذلك النصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال انا الذي فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا
لمقدمك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك وقوله تعالى الم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم
في تخريب الكعبة في تضليل اي تضييع وخسار ردا لهم لما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من
تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله وارسل عليهم طيرا ابابيل
يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات في تفرقة
قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت
طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب
السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار
حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه وقد يمكن الجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف اجناس

هذه

هذه الطير انها كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل
واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم وقوله تعالى ترميهم بحجارة قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة
وبعث الله تعالى ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على راسه
خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو
الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه
من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكل فارسي معرب وقيل
السجيل الشديد فجعلهم كعصف مأكول يعني كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت
اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن
وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة
كهيئة الغلاف والله اعلم ۞

تفسير سورة قريش مكية

وقيل مدنية والاول اصح وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا
قوله عز وجل لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى
ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اي اهلك
اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابي بن كعب هذه
السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور
من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق
بينهما واجيب عن مذهب ابي بن كعب في جعل هذه السورة والتي قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة
الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة
وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله تعالى لايلاف
فقيل هي لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم
امرهم بعبادته فهو كقولك على وجه التعجب لزيد واكرامنا اياه اي اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها
تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة
والايلاف من الفت الشيء الفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا
ولا تنقطعا وقيل هو من الفت كذا اي لزمته والفنيه الله اي الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة
فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي م عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش
في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فاذق آخرهم نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث
صحيح غريب النكال العذاب والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش
وهو الجمع والتكسب يقال فلان يتقرش لعياله ويقترش اي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى

على م

المال والافضال حراشاً وقال ابو ريحانة سأل معوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشاً قال لدابة
تكون في البحر هي من اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا
تعلى قال وهل تعرف ذلك العرب في اشعارها قال نعم وانشد شعر الجمحي
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا • سلطت بالعلو في لجة البحر على ساير البحور جيوشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا • هكذا في الكتاب حي قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا • يملا الارض خيله ورجالا يحشرون المطي حشرا كميشا
وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا
فسموا قريشا لتجمعهم والتقريش التجمع يقال تقرش القوم اذا اجتمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر
ابوكم قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبايل من فهر وقوله تعالى ايلافهم هو بدل من الاول وتفخيم لامر الايلاف
وتذكير لعظيم المنة فيه • رحلة الشتاء والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطايف
فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة
رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفى ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا
ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم
الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن
بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش
من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة واهل البر حملوا
على الابل والحمير فالقى اهل الساحل بجدة واهل البر بالمحصب واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة فالقوا
بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم
هاشم على الرحلتين وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي
وكان اول من حمل السمراء يعني القمح من الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر
قل للذي طلب السماحة والندى • هلا مررت بآل عبد مناف • هلا مررت بهم تريد قراهم • منعوك من جهد ومن اكفاف
الرايشين وليس يوجد رايش • والقايلين هلم للاضياف • والخالطين غنيهم بفقيرهم • حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقايلين بكل وعد صادق • والراحلين برحلة الايلاف • عمرو العلى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه • سفر الشتاء ورحلة الاصياف • وقوله تعالى فليعبدوا رب هذا
البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني
جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم
بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم بان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت
فانه هو الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومعنى الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد
في البر والبحر وقيل في الاية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد قالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اي بالحرم وكونهم من اهل مكة
حتى لم يتعرض لهم احد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم

تفسير

تفسير سورة ارايت مكية

وقيل نزل نصفها بمكة في العاص بن وايل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وهي سبع ايات وخمس وعشرون كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ارايت الذي
يكذب بالدين قيل نزلت في العاص بن وايل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو بن عايذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس
انها في رجل من المنافقين ومعنى الاية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم ولفظ
ارايت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل
هو خطاب لكل احد والمعنى ارايت يا ايها الانسان او ايها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله ووضوح
بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى
انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه
ويستخف به وقرئ يدع بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على طعام المسكين
اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل ان يبخل بماله وبمال غيره فلا يامر غيره بالاطعام
قوله تعالى فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون روى البغوي
بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت
قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا معهم لقوله
تعالى الذين هم يراوون وقال تعالى في وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراوون الناس وقيل ساهون
عنها لا يبالي صلى او لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون
عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها
لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين
والمؤمن قد يسهو في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن
اذا سهى في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو
ان يبقى ناسيا لذكر الله تعالى في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذي يعتقد انه لا فايدة في الصلاة
فاما المؤمن الذي يعتقد فايدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها
فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة
الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو
عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في الصلاة من افعال المؤمن • الذين هم يراوون يعني يتركون الصلاة في السر
ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرايي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرايي يظهر
الاعمال الصالحة مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل
ليقتدى به ويامن على نفسه الرياء فلا باس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ويمنعون الماعون
روي عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة
فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية
عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه
ابو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال

محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسمي الزكاة
والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك
البير والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بها ومعنى الاية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان
البخل بها في نهاية البخل قال العلماء وينبغي ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل
عليهم ولا يقتصر على الواجب والله اعلم

تفسير سورة الكوثر

مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث ايات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا اعطيناك الكوثر الكوثر نهر في الجنة اعطاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القران العظيم وقيل هو النبوة
والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير فسره ابن عباس (خ) عن ابي بشر عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه. قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا
يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه، واصل الكوثر
فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد او كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي
فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطي النبوة والكتاب
والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها
والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل في الكوثر والذي عليه الجمهور
الفحول انه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (ق) عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين
اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر
قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة
انيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك لفظ مسلم
وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف
فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه او طينته مسك اذفر شك الراوي عن انس قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله تعالى في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه
من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود قال سالت عائشة رضي الله عنها
عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف انيته
كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه
ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ ابدا زاد في رواية وزواياه
سواء (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوض ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح قال
بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفي رواية فيه اباريق كنجوم السماء من ورده

ناحيتي وفي رواية لابتي

شرب منه لم يظمأ بعدها ابدا (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي
رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعاء اليمن وان فيه من الاباريق
كعدد نجوم السماء (م) عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما انية الحوض قال والذي نفسي بيده لانيته اكثر من عدد
نجوم السماء وكواكبها الا في الليلة المظلمة المصحية انية الجنة من شرب منها لم يظمأ اخر ما عليه يشخب فيه
ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
(م) عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لبعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى
يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والاخر من ورق (ق) عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم
اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصيحابي
فليقالن لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك وفي رواية ليردن علي ناس من امتي الحديث وفي اخره فاقول سحقا
لمن بدل بعدي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي
او قال من امتي فيحلؤون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا
على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي امتي الحوض وانا اذود الناس
عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله اتعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون
علي غرا محجلين من اثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فاقول يا رب هؤلاء من اصحابي
فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلة من عدن والذي نفسي بيده لاذود عنه الرجال كما يذود
الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء ليست
لاحد غيركم عن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة
الف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة او ثمانمائة اخرجه ابو داود

فصل

في شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض احاديث
الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لا يتاول ولا يختلف
فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابي سعيد وسهل بن
سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعائشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة
ابن وهب والمستورد وابي ذر وثوبان وانس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق وزيد
ابن ارقم وابي امامة وعبد الله بن زيد وسويد بن غفلة وعبد الله الصنابحي والبراء بن عازب واسماء بنت
ابي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال محيي الدين ورواه البخاري ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة
ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو واخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي
في كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن
جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما

واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسماء بنت ابي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين
قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال
في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفي
رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في
هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يات في حديث واحد بل في احاديث مختلفة
الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم
مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام ان معين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا
على التقدير الموضوع للتحديد بل للاعلام ان معين عظيم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل
من هذه المسافات منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا
معارضة ولا منافاة بينها وكذلك القول في انية الحوض ان العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها
اكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الثابتة مثل ذلك وذلك القول
في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد
الحوض لم يرد به الحصر لهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لاكثر العدد المعروف للناس معين ويدل على هذا
قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب وهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون
ويمنعون الورود لارتدادهم ويتبدلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي
فيقول ما تدري ما احدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا
دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في
الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه والمراد به فقيل المراد المنافقون
والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي
عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يكونوا على ما ظهر
من اسلامهم وقيل المراد من اسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن ابي بكر
الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم لما
كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد هم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا
ببدعهم عن الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم
الكن يرفعلى هذا القول لا يقطع هؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم
الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر
اصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون
بالكبائر فكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ ابدا قال القاضي عياض
ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه
الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب
منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله تعالى من عصاة
وقيل انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله شرح غريب الفاظ
الاحاديث قوله فيختلج العبد منهم اي ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح

اما جربا فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيها المد والقصر
اولى وهي قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريبة
من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بلدة بالبلقاء من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة
واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين
دمشق ومصر والمدينة بينها وبين المدينة نحو خمسة عشر مرحلة وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنا عشر
مرحلة وهي اخر الحجاز واول الشام واما صنعاء فهي قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في
الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع
بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين اي يسيل
فيه وفي الحديث الاخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق اي يدفق فيه
ميزابان دفقا شديدا متتابعا وقوله اني لبعقر حوضي هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو
موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض اذود عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض
اي يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو
الذي يتقدم على الوارد ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من امور الاستقاء والمعنى انا سابقكم الى
الحوض كالمهيء له قوله فاقول سحقا اي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا
بل يشفع نزلت في حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة يعني نام نومة ثم رفع راسه متبسما والله اعلم قوله تعالى
فصل لربك وانحر معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يصلي له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل
معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اي ضع يدك
اليمنى على الشمال في الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي في معنى
الاية قد اعطيناك ما لا غاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك
الذي اعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم
فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه ان شانئك يعني عدوك ومبغضك
هو الابتر يعني هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه راى النبي صلى
الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش
جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر يعني به النبي
صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان
اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى
هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب
ابن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا
الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت الاية ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اي المنقطع من كل خير
فاما في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه

بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في اصل الاخرى لم تغرس وقيل الصنابير سعفات
تنبت من جذوع النخل تضر بها ودواءها ان تقطع تلك الصنابير منها فاراد كفار قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم
بمنزلة صنبور نبت في جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة وكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور
الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم
اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الافضل والله اعلم

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون مكية

وهي ست ايات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القران ومن قرا قل هو الله احد
عدلت له بثلث القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه
كون هذه السورة تعدل ربع القران ان القران مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما
يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة
على النهي عن عبادة غير الله وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع
القران على هذا التقسيم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن
وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ابن اسد وامية بن خلف
قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان
كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد
شركتنا فيه واخذت حظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم
بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون
الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملا من قريش فقام على رؤسهم
ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه فعند ذلك اذوه واذوا اصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا
يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض الهتنا لصدقناه فيما يقول ولامنا باالهه فاتاه العباس فاخبره
بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى قل ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ جميع ما اوحي اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه
من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل علي وكان فيما نزل علي قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى
سماع الكلام الغليظ والتشنيع من النطق ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي وانما
انزل علي قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله تعالى انهم لا يؤمنون
لا اعبد ما تعبدون في معنى الاية قولان احدهما انها لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون في المستقبل
ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم عابدون
ما اعبد اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال
وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال او للاستقبال ولكن نخص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال

لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون في الحال ولا انتم عابدون
ما اعبد في الحال ولا انا عابد ما عبدتم في الاستقبال ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وما بمعنى من
اي من تعبدونه ويحتمل ان يكون بمعنى الذي اي الذي تعبدون القول الثاني حصول التكرار في الاية فعلى
هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التاكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع
احوج الى التاكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن
التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم
التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار
الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل
في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي
الاخلاص والتوحيد والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الاية منسوخة
باية القتال والله اعلم

تفسير سورة النصر مدنية

وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل

اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق
واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على
وضع الحرب بين الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب
ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم
دخل فيه فدخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير فخرج
نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا
وتحاوروا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل
مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ
بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم
فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم
يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه فلما تظاهرت بنو بكر على
خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق
بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال
يا رب اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا قد كنتم ولدا وكنا والدا فانصر هداك الله نصرا اعتدا وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ان سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجري مزبدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا وزعموا ان لست ادعو احدا وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب ثم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر

وقريش

من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم
ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفين قد جا ليشد في
العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقا واصحابه حتى لقوا ابا سفين بعسفان قد بعثته قريش الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي ابو سفين بديلا قال من
اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن
هذا الوادي قال او ما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفين لين كان جا المدينة لقد علف
لها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فراى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جا
بديل محمدا ثم خرج ابو سفين حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت
ابي سفين فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ارغبت بي عن
هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس فلم
احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال ا انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس القوم بي رحما واقربهم مني
قرابة وقد جيت في حاجة فلا ارجعن كما جيت خايبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفين
لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل
لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما بلغ بني
ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا حسن اني ارى الامور قد اشتدت
علي فانصحني قال والله ما اعلم شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال او ترى
ذلك مغنيا عني شيا قال لا والله ما اظن ولكني لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفين في المسجد فقال يا ايها الناس اني قد
اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك قال جيت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي
شيا ثم جيت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جيت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم اتيت علي بن
ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشي صنعته فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيا ام لا قالوا فهل
اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد علي ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت
غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته
عايشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس
انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في
بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة
ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر
مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان

بالكديد

بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد فلما
نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا ياتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل خرج
في تلك الليالي ابو سفين بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون
به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا
بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر الظهران قال العباس واصباح قريش والله لين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه
فيستامنوه انه لهلاك قريش الى اخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضا فخرجت عليها
حتى جيت الاراك فقلت لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا
اليه فيستامنوه قبل ان يدخلها عليهم عنوة قال ابن عباس فوالله اني لاسير عليها والتمس ما خرجت
له اذ سمعت كلام ابي سفين وبديل بن ورقا وهما يتراجعان وابو سفين يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط قال
بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابو سفين اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها قال فعرفت
صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم قال مالك فداك ابي وامي قلت ويحك يا
ابا سفين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جا بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت
والله لين ظفر بك ليضربن عنقك فاركب معي هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فردفني
ورجع صاحباه فخرجت اركض به بغلة النبي صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا الي قالوا عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام
الي فلما راى ابا سفين على عجز الدابة قال ابو سفين عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج
يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطية الرجل البطي
قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا
ابو سفين عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني فلاضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله
اني قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت براسه وقلت والله لا يناجيه الليلة احد دوني
فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من
بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الي
من اسلام الخطاب لو اسلم وما ذاك الا اني اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت
فاتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
راه قال ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك
واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى عني شيا بعد قال ويحك يا ابا سفين الم يان
لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان في النفس منها
حتى الان شيا فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب
عنقك فشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفين رجل يحب هذا
الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار ابي سفين فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل
المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادي

عند حطم الخيل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل
على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هولاء يا عباس فاقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم القبيلة قال من هولاء يا
عباس فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة الا سالني عنها فاذا اخبرته فيقول
ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضرا وانما قيل لها الخضرا لكثرة الحديد وظهوره
فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هولاء يا عباس
قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهولاء من قبل ولا طاقة والله يا ابا
الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال نعم اذن فقلت الحق الان بقومك
فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاكم بما لا قبل
لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد
فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قالوا وجا حكيم بن حزام وبديل بن
ورقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش
يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث
في اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون
وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على
راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله عز وجل حين راى ما اكرمه
به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضربت قبته
باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل من اسفل مكة وبها بنو بكر
وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناة ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل
مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا اناسا بالخندمة
ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة
ان يدخل في بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة
فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة
وما نامن ان يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية
فكن انت الذي تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على
قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من
المشركين اثنا عشر او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلا
من خيل خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا عنه فسلكا طريقا غير
طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة الا يقاتلوا
الا من قاتلهم الا نفرا سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح
وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامن له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم بن
غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه
وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيا